

الإنجاز في العربية

نشأة وتطوراً

دكتور

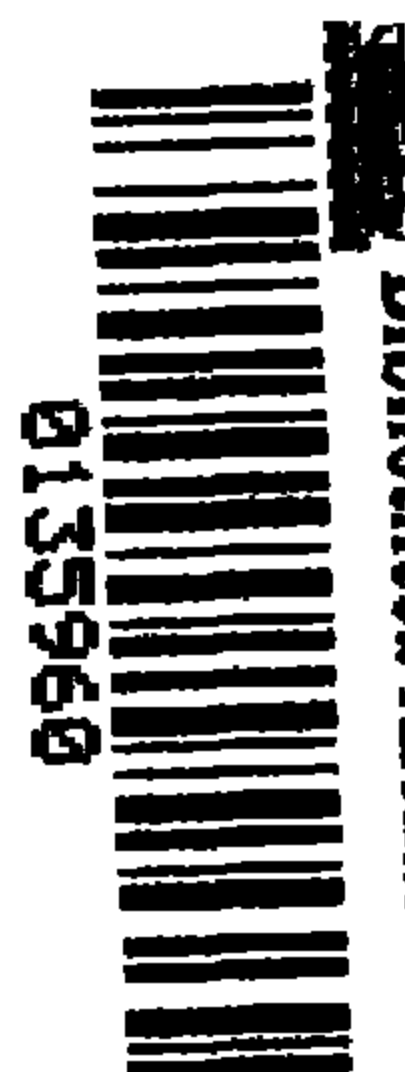
عبد الغفار حاتم هلال

استاذ ورئيس قسم أصول اللغة
في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر

يطلب من

مكتبة وهيب

٤ شارع الجمهورية، عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠



الإنجاز في العربية

نشأة وتطوراً

وكيفية

عبد الغفار حاتم

أستاذ ورئيس قسم أصول اللغة
في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر

يطلب من

مكتبة وهيب

٤ شارع الجمهورية، عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الثانية

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

جميع الحقوق محفوظة

بر ودعاء

قال تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين
احساناً ﴾ .

واننى أهب ثواب هذا العمل الخالص الى والدى اللذين
وجهانى ، وغرسا فى حب البحث العلمى ، وأفاضا على من رضاها
ما مكنتى — بعون الله — من السير فى طريق الله لخدمة لغة القرآن
وعلومه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والله عز وجل أسأل
أن يتغمدهما برحمته ، وأن يجزيهما عنى وعن كل ما أفدته وأفيدته من
هذه العلوم خير الجزاء وأوفاه ، وأدعو — كما أمرنى المولى
عز وجل —

« رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذى أنزل القرآن بالعربية وكان سياجا لها حفظا وسلامة وكفل لها التوحيد والسلطان والنفوذ بين لغات العالم ، والمصلاة والسلام على من علمه ربه لهجات العرب فقال : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » • وبعد

فليست العربية بدعا من اللغات فى نشأتها وتطورها وتوحيدها فقد كان العرب قبائل متعددة متوزعة فى شتى أنحاء الجزيرة العربية الواسعة التى تشتمل على بيئات كثيرة يلتقى فيها بعضها ببعض وينفصل بعضها عن بعض بعوامل جغرافية وثقافية وحضارية فى أزمنة وأماكن خاصة أدت الى سماع بعضهم ألسنة من غير بنى جنسه مما وقع تحت تأثيره وحسه ، وكانت لهم لهجات مختلفة حسب تنوع بيئاتهم وتعدد ألوان حياتهم وثقافتهم ، ولا ريب أن ذلك كان له أثره فى استقلال بعض هذه اللهجات — أحيانا — واتصال بعضها بغيرها أحيانا أخرى وكان هذا وذاك عاملين على الانقسام تارة والتوحيد تارة أخرى •

ثم كتب لبعض هذه اللهجات أن يحيا ولبعضها أن يموت نتيجة أسباب كثيرة ثم ظهرت لغة عامة تحدث بها العرب جميعا فى محافلهم وأسواقهم ومجالات القول عندهم •

ولما نزل القرآن الكريم عمل على شد أزر هذه اللغة الموحدة واستمرار حياتها راسخة البنيان عالية الذرا •

واذا كانت اللغات العالمية دائمة التغير يعروها الضعف والشيخوخة والاكتحال كلما مرت بها حقبة من الزمان فان العربية بعد التوحيد ونزول القرآن الكريم حظيت بالثبات فى أصواتها وكلماتها وتراكيبها ولم يعترها الضعف أو الوهن فلا تزال — والحمد لله — تجرى على ألسنة المتحدثين المثقفين بها بصورة تقارب — ان لم تماثل تماما — ما كان ينطق به أسلافنا من العرب الفصحاء •

وكان لحديث علماء اللغة الجامعين لها والواضعين لقواعدها — فى شتى فروع علم اللغة — جهد كبير فى الحفاظ عليها لتظل أداة لفهم كتاب الله وسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم — وقد دعاهم حبهم لها وشغفهم بها لارتباطها بمصدرى التشريع أن يحيطوها بالتقدير والاكبار والحفظ والصون وأن ينفوا عنها ما يحتمل أن يحولها عن مسارها الحيوى فأسقطوا من حسابهم الحديث عن بعض اللهجات التى كانت ظواهرها غير مستحسنة أو شذت عن الاتجاه العام للعربية النموذجية ، فأهملها الرواة أحيانا ، وتركوها تموت وتختفى أو جمعوا بعضها وحاول علماء اللغة إخضاعه للمقاييس العامة ببعض التوجيهات والتأويلات أو الحكم عليها بالندرة أو الشذوذ أو نحو ذلك مما أطلقوه من مصطلحات وتسميات •

وان هذه اللهجات التى كانت فى لغة العرب تكشف للباحث والدارس المراحل التى مرت بها وخط سيرها وتوصل نتائج دراستها الى ما يفيد اللغة العربية اذا أحسنّا فهمها ومعرفة سلوكها •

وهذا الكتاب يتناول بالحديث حياة العربية حين كثرت فيها اللهجات وتنوعت وحين توحدت فى لغة عامة للعرب جميعا •

واقترضت الدراسة والبحث أن يكون هذا الكتاب مشتملا على أربعة أبواب تتدرج فيها دراسة هذا الموضوع المهم •

تحدثت فى الباب الأول عن الكلام والقول واللغة واللهجة
والصلة بينها اشتقاقا ومعنى وطبيعة جغرافية وحضارية .

وفى الباب الثانى عرضت عوامل انشعاب اللغة الى لهجات مع
تطبيق ذلك على نشأة العربية وتبوع لهجاتها .

وخصت الباب الثالث بالتوحد اللغوى وأسبابه وأثر ذلك فى
العربية الباقية .

وكان حديثنا فى الباب الرابع عن اختلاف اللهجات العربية
ومظاهره فتناولنا — بالعرض والبحث — آثار اللهجات العربية
ودراستها ، ثم عالجنا ما اختلفت به من مظاهر عديدة فى عدة فصول
تحدثنا فيها عن الابدال فى الحروف والحركات والتغير فى بعض
الصيغ اللغوية واختلاف الأوجه النحوية وطرائق العرب فى اظهار
الحروف وادغامها ونقص بعض الحروف وزيادتها .

ثم عرضنا لأهمية البحث اللهجى الحديث وأدواته وطرقه
والافادة منه فى دراسة اللغات واللهجات وسقنا صورا لدراسة بعض
اللهجات الحديثة لنفيد منها فى دراسة فصاحتنا العربية .

وكانت لنا جولات واسعة فى كتب اللغة والنحو والأدب فتشنا
فيها عن آثار هذه اللهجات لينضم بعضها الى بعض ونستقبل القاصى
والدانى ونبحث عن شواردها وأوابدها بين أحاديث متفرقة فى بطون
المراجع وأمهات الكتب حتى نقف على حقيقة هذه اللهجات وطبيعتها
وشواهدنا فيما نقل اليها من نصوص موثوق بها مما أمكننا العثور
عليه ومحاولة تفسيره من الوجهة اللغوية .

وحديثنا يتناول بيان آراء اللغويين فى هذه الظواهر من خلال
حراستهم لها وتصورهم لها بقى منها فى اطار القواعد والأسس التى

رسموها ثم كانت لنا وقفات مع آرائهم بالتأييد أو المناقشة أو التفسير والتوجيه والترجيح أو التضعيف حسب مقاييس علمية اتخذناها طريقا لاثبات ما صح ونفى ما زيف ، وعالجناها من منظور موضوعي يعتمد على بعض ما جد فى مجال الدراسة اللغوية على المستوى الصوتي والمعجمي والدلالي والتنظيمي دون أن نفتنق وراء بعض التفسيرات التي تتأى عن المناهج العلمية الصحيحة التي تحكم لغتنا وتتفق وطبيعتها •

ولعلنا نكون قد أضفنا بهذا العمل العلمى نواحي جديدة فى بحث لهجات العرب وتوجيهها اللغوى •

والله أسأل رشادا وتوفيقا

القاهرة فى :

١١ من جمادى الآخرة سنة ١٤١٠ هـ

٨ من يناير سنة ١٩٩٠ م

أ د / عبد الغفار حامد هلال

الباب الأول

الكلام والقول واللغة والنهجة والصلة بينها

الكلام والقول

لا يستطيع باحث أن يفرق بين الكلام واللغة أو يعزل أحدهما عن الآخر « فقد اتفق الفلاسفة واللغويون على أن الانسان لا يستطيع أن يفرق بين فكرتين تفريقا حقيقيا بلا علامات لغوية أى كلمات فالتفكير بلا كلمات عائم »^(١) ، « والكلمات أهم مكونات اللغة وتسمى وحدات لها »^(٢) ، « وما يسميه النحاة أقسام الكلام وهم يقصدون الاسم والفعل والحرف ليس فى الواقع الا أقسام اللغة فقول صاحب الألفية الكلام وما يتألف منه يجب أن يصير الى اللغة وما تتألف منه »^(٣) ، « فالكلام الذى هو نشاط انسانى نطقى نتيجة لارادة المتكلم » يعد الباعث لكلمات اللغة بحيث يجعلها حية بعد موتها ووجودها فى طوايا العقل أو المعاجم ، فاللغة بمادتها المكونة لها توجد فى القواميس أو تختزن فى عقل الجماعة الانسانية التى تتخذها وسيلة للتفاهم ولها قواعد خاصة يفهمها أصحابها ويراعونها فى استعمالهم من ناحية النظام الصوتى والصرفى والنحوى، واللغة بهذا الوصف تسمى « باللغة المعينة »^(٤) التى هى نتاج جمعى يستعمله الأفراد « وللکلام علاقة باللغة المعينة ولذلك يجب أن يدخل فى الدراسة لأنه الجانب العلمى منها »^(٥) ، وفى الدراسات الصوتية الحديثة يستخدم الكلام طريقا لمعرفة الاتجاهات الصوتية فى لغة

(١) مناهج البحث فى اللغة ص ٢٤٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٠ .

(٤) اللغة (فندريس) ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

(٥) مناهج البحث فى اللغة ص ٣٢ — ٣٥ .

ما أو لهجة. ما وتلك من أبرز الوسائل الناجحة لمعرفة حقائق صوتية لم يهتد الباحثون اليها من خلال الدراسات القديمة تبعا لأن دراسة القدماء بنيت على الوصف النظري للأصوات دون تطبيق عملي لها لعدم توافر الأجهزة الحديثة لديهم .

وعلماء العربية الإقدامى فى تناولهم للكلام والقول لا يأتون بمتكلمين ليسجلوا أقوالهم ويطبقوا عليها وانما يبحثون المسألة من وجهة نظر أخرى هى بيان معنى كل منهما وهل له صلة باللغة أو لا ؟ ولا ريب أنهم مصيبون فى بحثهم اذ الكلمات — كما رأينا — هى مكونات اللغة وأساسها وقد عرض ابن جنى للكلام والقول على طريق الاشتقاق الأكبر محلا معنييهما وتصرفاتهما والفرق بينهما ومعللا كل ذلك بما يعن له من أسباب وقد مزج بين طريقي النحويين واللغويين فى ذلك .

الكلام : عرف الكلام بأنه « كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لعناه وهو الذى يسميه النحويون الجمل نحو زيد أخوك وقام محمد وضرب سعيد وفى الدار أبوك وصه ومه ورويد وحاء وعاء فى الأصوات وحس ولب وأف وأوه ، فكل لفظ مستقل بنفسه وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام »^(٦) ، وقال : ان الكلام اسم من كلم بمنزلة السلام من سلم وهما بمعنى التكليم والتسليم وهما المصدران الجريان على كلم وسلم ، قال الله سبحانه : « وكلم الله موسى تكليما » وقال عز اسمه : « صلوا عليه وسلموا تسليما »^(٧) وهو جنس للجمل المركبة لأدلة :

١ — أن العرب حددوا للدلالة على الواحد لفظ (كلمة) .

٢ — أن المصدر كذلك حاله ، فاذا قيل : قام محمد فهو كلام واذا قيل : قام محمد وأخوك جعفر فهو أيضا كلام كما كان لنا وقع على الجملة الواحدة كلاما واذا قيل قام محمد وأخوك جعفر وفى

(٦) الخصائص ١٧/١ .

(٧) المصدر السابق ٢٥/١ .

الدار سعيد فهو أيضا كلام كما كان لما وقع على الجملتين كلاما وهذا طريق المصدر لما كان جنسا لفعله ، ألا ترى أنه إذا قام قومة واحدة فقد كان منه قيام وإذا قام قومتين فقد كان منه قيام وإذا قام مائة قومة فقد كان منه قيام ، فالكلام إذن إنما هو جنس للجمل التوام مفردا ومثنيا ومجموعا كما أن القيام جنس للقومات مفردا ومثنيا ومجموعا ، فتظير القومة الواحدة من القيام الجملة الواحدة من الكلام .

٣ — استعملت العرب لفظ (كلام) وما بمعناه من كلمة حديث ومنطق في أشعارها في مقام الشجو وأحاديث المحبين « ومعلوم أن الكلمة الواحدة لا تشجو ولا تحزن ولا تتملك قلب السامع ، إنما ذلك فيما طال من الكلام وأمتع سامعيه بعذوبة مستمعه ورقة حواشيه » ، وقد ساق ابن جنى أمثلة كثيرة لهذا الاستعمال من أشعار العرب كقول كثير عزة :

لو يسمعون كما سمعت كلامها خروا لعزة ركعا وسجودا

وقول الراعي :

وحديثها كالغيث يسمعه راعى بنين تتابعت جذبا
فأصاخ يرجو أن يكون حيا ويقول من فرح هيا رباً
وقول ذى الرمة :

لها بشر مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر

وقد عقب على كل مثال ذكره بما يوضح أن لفظ الكلام أو الحديث أو المنطق لابد أن يكون عبارة عن « كلام مفيد مستقل بنفسه ولو بجملة واحدة فان نقص عن ذلك لم يكن هناك استحسان ولا استعذاب » بل أن كل مقام من المقامات التي ذكرها الشعراء يستدعى جملا كثيرة حتى يتحقق لكل منهم ما أراد^(٨) .

(٨) الخصائص ٢٧/١ — ٣٢ .

٤ — يقتضى اختصاص الكلام بالجمال التامة المستقلة بنفسها اشتقاق لفظ الكلام فهو — كما يرى ابن جنى — من الكلم والكلام والكلام وهو الجراح لا يدعو اليه ولما يجنيه فى أكثر الأمر على المتكلمة^(٩) ، قال : (وجرح اللسان كجرح اليد) ومنه قوله :

قوارص تأتينى ويحتقرونها وقد يملأ القطر الاناء فيفعم
وانما ينقم من القول ويحقر ما ينثى ويؤثر وذلك ما كان منه تاما
غير ناقص ومفهوما غير مستبهم ، وهذه صورة الجمل وهو ما كان من
الألفاظ قائما برأسه غير محتاج الى متمم له فلهذا سموا ما كان من
الألفاظ تاما مفيدا كلاما لأنه فى غالب الأمر وأكثر الحال مضر بصاحبه
وكالجرح له^(١٠) .

هذا البيان كان وفاء عن معنى الكلام على الطريقة النحوية ،
ثم قرن ابن جنى ذلك ببحث مادة (ك ل م) وتقلباتها على الطريقة
اللغوية فتعرض لمادة (ك ل م) وتقلباتها على طريقة الاشتقاق
الأكبر الذى يعد هو مبتكره فبين أنها « حيث تقلبت فمعناها الدلالة
على القوة والشدة والمستعمل منها أصول خمسة هي : (ك ل م) —
(ك م ل) — (ل ك م) — (م ك ل) — (م ل ك) وأهملت منه
(ل م ك) فلم تأت فى ثبت .

فالأصل الأول (ك ل م) يأتى منه الكلم وما تصرف منه بمعنى
الجرح والكلام ما غلظ من الأرض وفى كل ذلك شدة وقوة ، ومنه :

(عليها الشيخ كالأسد الكلم)

إذا جرح فحمى أنفا وغضب فلا يقوم له شيء ، ومنه الكلام
وذلك أنه سبب كل شر وشدة فى أكثر الأمر ألا ترى الى قول رسول

(٩) يقصد المتكلمين .

(١٠) الخصائص ٣٢/١ .

الله ﷻ : « من كفى مثونة لقلقه وقبقيه وذبحبه دخل الجنة » (١١) ،
ومنه قول أبى بكر رضى الله عنه فى لسانه : « هذا أوردنى الموارد »
وهو باب واسع •

والثانى : (ك م ل) كمل الشيء — مثثة الميم — فهو كامل
وكميل وعليه بقية تصرفه والتقاؤها ، أن الشيء اذا تم وكمل كان
حينئذ أقوى وأشد منه اذا كان ناقصا غير كامل •

والثالث : (ل ك م) اللكم اذا وجأت الرجل ونحو ولا شك
فى شدة ما هذه سبيله •

والرابع : (م ك ل) منه بئر مكول اذا قل مأوها ، قال
القطامى : (كأنها قلب عادية مكل) ، فالبئر اذا قل مأوها كره موردها
وجفا جانبها وذلك شدة ظاهرة •

والخامس : (م ل ك) منه ملكت العجين عجنته فاشتد وقوى
ومنه ملك الانسان ، ففيه قدرة للمالك عليه (١٢) •

وبذلك يكون ابن جنى قد فسر مادة (ك ل م) وأبان عن —
معنى الكلام بما يفيد أنه عبارة عن « الألفاظ برؤوسها المستغنية عن
غيرها وهى التى يسميها أهل هذه الصناعة الجمل على اختلاف
تركيبها » (١٣) •

القول : عرف القول بأنه كل لفظ مقل به اللسان تاما أو ناقصا
فالتام هو المفيد أعنى الجملة وما كان فى معناه نحو : صه وايسه

(١١) اللقلق : اللسان ، القيقب : البطن ، الذبذب : الفرج الجمهرة
١٢٦/١ وانظر كلام ابن جنى بالخصائص ١٤/١ •
(١٢) المصدر السابق ١٣/١ — ١٧ •
(١٣) المصدر السابق ٣٢/١ •

والتأقص ما كان بضد ذلك نحو زيد ومحمد وأن ، وكان أخوك إذا كانت الزمانية لا الحديثة فكل كلام قول وليس كل قول كلاماً^(١٤) هذا هو حقيقة معناه ثم انه يستعمل مجازاً بمعنى الاعتقاد والرأى فيقال : هذا قول فلان أى رأيه ومعتقده » وفلان يقول بقول أبى حنيفة ويذهب الى قول مالك أى يعتقد ما كانا يريانه ولا يراد بذلك أنه يحكى لفظهما عينه من غير تغيير لشيء من حروفه ومثل ذلك أن تقول فى رفع زيد بالابتداء فى قولنا : زيد قلم أبوه ، هذا قول البصريين أى رأيهم وفى رفعه بما يعود عليه من ذكره هذا قول الكوفيين وأنت تريد بذلك اعتقادهم لا نفس حروفهم والا فان عبارة القائل قد تتغير والمراد الرأى لا العبارة^(١٥) ولا يصح هذا كلام أبى حنيفة أو كلام البصريين أو كلام الكوفيين اذ الكلام يتعلق علاقة له بالرأى والاعتقاد-وذلك

وصح اطلاق القول على الاعتقادات
تظن الا بالقول فهى سبب له والقول
باسم غيره اذا كان ملابساً له ومثله
الله سبحانه : « ويأتية الموت من كل مكان وما هو
الله أعلم — أسباب الموت اذ لو جاءه الموت نفسه
منه تسمية المزايدة الراوية والنحو نفسه الغائظ
... ، وتدور مادة (ق و ل) وتصرفاتها حول الخفوف
وتصرفاتها الستة كلها مستعملة .

(١٤) المصدر السابق ١٧/١ .

(١٥) المصدر السابق ١٨/١ .

(١٦) ولهذا يصح ان تقول كلام فلان ... الخ. اذا وضعت الكلام موضع القول متجاوزاً بذلك . الخصائص ١٨/١ وجواز ذلك فى القول دون الكلام مجرد اتجاه الى الأليق فقط الخصائص ٢٠/١ .

(١٧) المصدر السابق ١٩/١ ، ٢٠ .

الأصل الأل : (ق و ل) ، وهو القول فالفم واللسان يخفان ويقلقان ويمذلان به .

الأصل الثانى : (ق ل و) ، منه القلو حمار الوحش وقلوت الشيء وكل ذلك فيه اسراع وخفة .

الأصل الثالث : (و ق ل) ، منه الوقل للوعل لأنه يصعد الجبل بحركة وسرعة .

الأصل الرابع : (و ل ق) ، قالوا : ولق يلق اذا أسرع .

الأصل الخامس : (ل و ق) ، منه لوق الطعام واللوقنة الزبدة وذلك فيه تحريك وخفة واسراع .

الأصل السادس : (ل ق و) منه اللقوة للعقاب لخفتها وسرعة طيرانها ، ومنه اللقوة فى الوجه كأن اضطراب شكله بها جعله فى خفة وطيش ، واللقوة الناقة السريعة اللقاح ، وكل ذلك يتضح فيه معنى الخفة والسرعة والحركة (١٨) .

مقارنة بين الكلام والقول : أوضح ابن جنى من خلال حديثه السابق فروقا وصلات بين الكلام والقول واستعمال كل منهما :

١ — مادة (كلم) تدور حول الشدة والقوة ، على حين تدور مادة (قول) حول الخفوف والحركة .

٢ — الكلام يستعمل فى الألفاظ المستقلة المفيدة والقول أعم فيستعمل فيما يكون مفيدا أو غير مفيد ، وقد نبه على ذلك سيبويه حين قال : « واعلم أن قلت فى كلام العرب انما وقعت على أن يحكى بها وانما يحكى بعد القول ما كان كلاما لا قولاً » (١٩) ، ثم قال فى

(١٨) المصدر السابق ٥/١ — ١١ .

(١٩) الكتاب ٦٢/١ .

التمثيل : « نحو قلت زيد منطلق » فهذا يعنى أن الكلام الذى يحكى بالقول لا يصدق الا على التام المستقل المعنى « وأن القول لا يستحق هذه الصفة » (٢٠) .

٣ — الكلام لا يستعمل فى الاعتقادات والآراء والقول يستعمل فيها ، ومن أدل الدليل على الفرق بين الكلام والقول اجماع الناس على أن يقولوا القرآن كلام الله ولا يقال القرآن قول الله وذلك أن هذا موضع ضيق متحجر لا يمكن تحريفه ولا يسوغ تبديل شيء من حروفه فعبّر لذلك عنه بالكلام الذى لا يكون الا أصواتا تامة مفيدة وعدل به عن القول الذى قد يكون أصواتا غير مفيدة وآراء معتقدة (٢١) ، وإنما عبروا عن الاعتقادات والآراء بالقول دون الكلام « من حيث كان القول بالاعتقاد أشبه منه بالكلام وذلك أن الاعتقاد لا يفهم الا بغيره وهو العبارة عنه كما أن القول قد لا يتم معناه الا بغيره ، ألا ترى أنك اذا قلت قام وأخليت من ضمير فانه لا يتم معناه الذى وضع فى الكلام عليه لأنه إنما وضع على أن يفاد معناه مقترنا بما يسند اليه من الفاعل وقام هذه نفسها قول وهى ناقصة محتاجة الى الفاعل كاحتياج الاعتقاد الى العبارة عنه فلما اشتبهت من هنا عبر عن أحدهما بصاحبه وليس كذلك الكلام لأنه وضع على الاستقلال والاستغناء عما سواه والقول قد يكون من الفقير الى غيره على ما قدمناه فكان الى الاعتقاد المحتاج الى البيان أقرب وبأن يعبر به عنه أليق (٢٢) ، واختصاص القول بالاعتقاد والرأى تخصيص لغوى وضعى كما ذكرت فيما سبق مجرد أنه الأليق به من ناحية المعنى ولذلك صح استعمال الكلام فيه أيضا ألا ترى الى قول رؤبة :

(٢٠) الخصائص ١٩/١ .

(٢١) المصدر السابق ١٨/١ .

(٢٢) المصدر السابق ٢٠/١ .

لو أننى أوتيت علم الحـكل علم سليمان كلام النحل
فحديث النحل أشبه بالاعتقاد فكان الأجدر به القول الا أنه
أوقع الكلام موقعه (٢٣) .

٤ — يستعمل كل من الكلام والقول مجازا فى الأصوات غير
الإنسانية ومما جاء منه فى الكلام :

فصـبـحت والطير لم تكلم جابية (٢٤) طمت بسيل مفعم
ومن استعمال القول فى مثل ذلك :

قالت له الطير تقدم راشدا انك لا ترجع الا حامدا
امتلا الحوض وقال قطنى

بينما نحن مرتعون بفلج قالت الدلح الرواء انيه
وقالت له العينان سمعا وطاعة وأبدت كمثـل الدر لما يثقب

وذلك كثير فى القول دون الكلام لسعة مذاهب القول عن الكلام
حتى ليشمل المفيد وغيره « واذا جاز أن نسمى الرأى والاعتقاد قولاً
وان لم يكن صوتاً كانت تسمية ما هو أصوات قولاً أجدر بالجواز
ألا ترى أن الطير لها هدير والحوض له غطيط والسحاب له دوى فأما
قوله (وقالت له العينان سمعا وطاعة) فإنه وان لم يكن منها صوت
فان الحال آذنت بأن لو كان لهما جارحة نطق لقاتلا سمعا وطاعة
وقد حرر هذا الموضع وأوضحه عنقرة بقوله :

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكن لو علم الكلام — مكمى

(٢٣) انظر تعقيب الأستاذ النجار فى الخصائص ٢٢/١ .

(٢٤) الجابية : الحوض الضخم وطمت : غمرت . يقال : طم الماء
بطم طما وطموما : علا وغمر وجاء السيل فطم كل شئ : أى علاه .
انظر اللسان (طم) ج ١٥ / ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، (جى) ١٨ / ١٤٠ .

وامتثله شاعرنا آخرا فقال :

فلو قدر اللسان على لسان لقال لك اللسان كما أقول (٢٥)

فالكلام والقول وما يعبران عنه وما اشتقا منه وما دارا حوله من معنى فيه أصوات وحركات ينجم عنها أصوات تتضح من استعراض حديث ابن جنى السابق عنهما ، ويؤخذ من هذا كله أن ما يسمى بالكلام والقول هو عبارة عن مجموعة من الأصوات تتجزأ الى مجموعات صغيرة يمكن أن تسمى كل منهما وحدة صوتية وهذه الوحدة الصوتية تتألف مع اختها في التركيب لتكون معنى من المعانى المرادة للمتكلم ، هذه الوحدة هي ما يعرفه علماء اللغة والنحو باسم الكلمة وكل كلمة مركبة من مجموعة من الأصوات الفردية التي تجتمع هي الأخرى لتكون هذه الوحدة الصوتية المركبة الدالة على المعنى المراد منها والذي وضعها له المجتمع المعين ، فالنحاة يجعلون الكلام الذى هو الألفاظ المفيدة تعبيراً صوتياً ونشاطاً يرمز مفهومه الى أجزاء ثلاثة هي : الاسم والفعل والحرف ، وكل منها يسمى فى عرف العلماء كلمة قال ابن مالك :

كلامنا لفظ مفيد كاستقم واسم وفعل ثم حرف الكلم (٢٦)
واحد كلمة والقول عم وكلمة بها كلام قد يؤم

وهذه الوحدة التي عرفت باسم (كلمة) عرفها النحاة بأنها قول مفرد (٢٧) أو لفظ مفرد (٢٨) أو قول مفرد مستقل أو منتوى فيه

(٢٥) الخصائص ٢٢/١ — ٢٥ .

(٢٦) الكلم اسم جنس جمعى لأنه يفرق بينه وبين واحدة بالتاء
واحد كلمة كنبق ونبقه . الخصائص ٢٥/١ ، حاشية الخضرى ١٧/١ .

(٢٧) الشذور ص ٥ .

(٢٨) الأشمونى ٢٦/١ .

عالمستقل مثل محمد — جاء والمنتوى فيه مثل فاعل قم وهو الضمير
أنت (٢٩) وهم يقصدون بكلمة قول أنها لفظ ولما كان القول (الذي
هو كل لفظ) يشمل المفرد والمركب والتام والناقص (الكلمة الواحدة
وما هو أكثر من كلمة) حددت التعريفات مفهوم الكلمة بقولها
(مفرد) .

وقد عاب الدكتور تمام حسان هذه التعريفات بما يأتي :

- ١ — أنها لا تفرق بين الصوت والحرف أى بين عملية النطق
والنظام الذي أجرى عليه .
- ٢ — أنها تخلط بين الوظيفة اللغوية والمعانى المنطقية والوضعية .
- ٣ — أنها لا تفرق بين وجود الكلمة وعدمها فى تعريفها وهذا
ما يؤدي الى الخلط فى التفكير (٣٠) .

ولذلك عرفها بقوله :

« صيغة ذات وظيفة لغوية معينة فى تركيب الجملة تقوم بدور
وحدة من وحدات المعجم وتصلح لأن تفرد أو تحذف أو تحشى أو يغير
موضعها أو يستبدل بها غيرها فى السياق ، وترجع فى مادتها غالبا
الى أصول ثلاثة وقد تلحق بها زوائد » (٣١) .

ويبدو لى أن تعريف الأقدمين لا عيب فيه بل هو دقيق تماما
وموجز واف بالمعنى المطلوب منه ، فهو :

أولا — لا يخلط بين القول والكلمة واللفظ بل فيه تحديد لها

(٢٩) همع الهوامع ص ٢ .

(٣٠) مناهج البحث فى اللغة ص ٢٢٦ .

(٣١) المصدر السابق ص ٢٣٢ .

ولا عيب أن تلتقى معانى الألفاظ الثلاثة لاشتغال الأصوات عليها فكل لفظ يمكن أن يطلق عليه قول لأن القول هو ما يتلفظ به وكل لفظ بهذا المعنى هو قول والكلمة ليست الا لفظا فلا مانع من اطلاق اسم القول عليها ، وهذا لا يعد خلطا بل يعد اشتراكا فى جنس هو جزء التعريف مثل الانسان حيوان ناطق حيث يشترك فى لفظ الحيوان مع الانسان سائر الحيوانات ولم يجب ذلك أحد والجزء الآخر من التعريف يمنع ما يراد منه فكلما ناطق تمنع ما عدا الانسان من الدخول فى التعريف ، وقد أضيف الى تعريف الكلمة ما منع غيرها من الدخول معها وهو (مفرد) فكلما مفرد أخرجت المركبات سواء كانت تامة أو ناقصة .

ثانيا - فيما يبدو لى أنه لا يصح ادخال الوظيفة اللغوية فى تعريف أجزاء اللغة ، وهذا غير موجود فى تعريف الأقدمين بل هو موجود فى تعريف الدكتور تمام نفسه ، وبالرجوع اليه يمكن فهم ما أقول .

ثالثا - ليس هناك خلط فى التفكير بالاشارة الى الكلمات المضمرة مثل أنت فى قم بل هذا مجرد تلميح الى أن الكلمة تارة تكون واضحة مرئية وأخرى مستترة قياسا على وجودها الخارجى .

وقد عرف ميبه الكلمة بأنها ربط معنى ما بمجموعة ما من الأصوات صالحة لاستعمال جرامايطيقى^(٣٢) ، وهذا التعريف صالح للمورفييمات والجمال وأجزاء الجمل أيضا ، وعند جاردنر^(٣٣) « أن الكلمات ذات وجهين فى طبيعتها فوجه هو المعنى ووجه آخر هو

(٣٢) مناهج البحث فى اللغة ٢٢٧ ، ٢٨ وانظر اللغة (فندريس) ص ١٢٤ .

(٣٣) عالم لغوى انجليزى .

الصوت وحيث تكون الكلمات فى ملك كل شخص تكون من ناحيته جواهر طبيعية مكونة من منطقة المعنى من جهة ومن صورة صوت معين من جهة أخرى ، هذا الصوت صالح لأن يعاد نطقه بالارادة والكلمات فى حقيقتها نفسية وهى مواد للمعرفة والتكلم مع أنها فى أحد جانبي طبيعتها تشير الى حدث عضوى تمكن اعادته بحسب الارادة » .

والتعريف الأول للكلمة شامل لها ولغيرها ، والثانى يدخلها فى عالم الفلسفة وعلم النفس « وليس الباحث اللغوى بحاجة الى أن يبنى أفكاره على أسس غريبة عن منهج اللغة ... لاحظ فى تعريف جاردنر استعمال كلمات : الحقيقة — الطبيعة — الملك — المعرفة — التكلم — النفس » .

ويلاحظ الدكتور تمام أن تعريف الكلمة لا يمكن اتحاده فى جميع اللغات بل لكل منها تعريف يستمد من طبيعتها ووسائلها الخاصة فى التركيب كما يقول فندريس^(٣٤) ، ولكن يبدو لنا أن الكلمة التى هى وحدة لغوية تدل على معنى من المعانى لا تختلف بهذا التحديد من لغة الى أخرى ، فلا مانع من وضع تعريف شامل لها فهذا لا صلة له بطرق البناء الصرفى أو غيره من خصائص اللغات .

واعتقد أن تعريف الكلمة العربية واف بالغرض المقصود ، فالكلام والقول — كما رأينا — يعبران عن أصوات تفيد معانى خاصة يراها المتكلمون وتلك الأصوات التى يترجم عنها الكلام هى جوهر اللغة ومعناها والمراد منها كما يتبين ذلك من عرضنا للغة ومفهومها عند عالمنا ابن جنى وغيره من قدامى ومحدثين .

(٣٤) مناهج البحث فى اللغة ص ٢٣٥ وما بعدها وانظر اللغة

اللغة واللهجة

اللغة :

تأريخها :

منذ التقى الانسان بغيره وهو يحتاج الى وسيلة تفاهم — وكما يقول فندريس « أصبح تكرار القول بان الانسان كائن اجتماعي أمرا مبتذلا ولعل من أدل السمات على الطبيعة الاجتماعية في الانسان تلك الغريزة التي تدفع على الفور الأفراد المقيمين معا الى جعل الخصائص التي تجمعهم مشاعة بينهم ليميزوا بها عن أولئك الذين لا توجد لهم هذه الخصائص بنفس الدرجة »^(١) ، وهذه الوسيلة تتنوع من مجتمع بدائي الى مجتمع حضاري « فالسلوك الجماعي على ثلاث درجات بلا رموز جماعية ورموز جماعية غير شعورية وبلغة »^(٢) ، ونحن الآن بصدد بيان أرقى الوسائل التي وصل اليها الانسان في تفاهمه مع أخيه وهي اللغة الصوتية .

ولم تعرف كلمة (اللغة) طريقها الى الظهور بين مفردات العربية الا بعد انتهاء القرن الثاني الهجري وقد أطلقت آنذاك على ما جمعه الرواة من البادية عن العرب الفصحاء بعد فشو اللحن ... ولم يطلق على الرواة وهم القائمون بفنون اللغة لفظ (اللغوي) الا في القرن الرابع بعد أن استفاض التصنيف في اللغة وتميزت العلوم العربية واستعجمت الدولة فصار صاحب اللغة يعرف بها ... وخلف ذلك اللقب لقب الراوية ومن عرفوا به في القرن الرابع أبو الطيب اللغوي وابن دريد والأزهري وغيرهم^(٣) .

(١) اللغة ٣٠٢ . (٢) مناهج البحث في اللغة ٥٣ .

(٣) تاريخ آداب العرب ١/٣٣٧ - ٤/٣٣٨ .

ويعتقد أن الكلمة لم ترد في الأدب العربي قبل القرن الثامن الهجري فقد جاءت أول مرة في شعر لصفى الدين الحلي^(٤) وهو :

يقدر لغات المرء يكثر نفعه فتلك له عند الملهمات أعوان
فهافت على حفظ اللغات وفهمها فكل لسان في الحقيقة انسان

ويعبر القرآن الكريم عن اللغة بكلمة لسان^(٥) مثل « وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا ويشرى للمحسنين »^(٦) ، « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين »^(٧) ، وهذه الكلمة هي المشهورة في اللغات السامية ، ففي العبرية lashoon بمعنى اللغة يقال : Hallashoon ha - evrit (اللغة العبرية) وفي بقية الساميات كذلك .

ومن هنا يقول الدكتور أنيس : « يظهر أن العرب القدماء في العصور الجاهلية وصدر الاسلام لم يكونوا يعبرون عما نسميه نحن باللغة الا بكلمة اللسان تلك الكلمة المشتركة اللفظ والمعنى في معظم اللغات السامية شقيقات اللغة العربية ، وقد يستأنس لهذا الرأي بما جاء في القرآن الكريم من استعمال كلمة اللسان وحدها في معنى اللغة »^(٨) ، ولكن مادة (ل غ و) التي تعنى الصوت والكلام قد وردت في القرآن الكريم والحديث والشعر المعتمد كثيرا ، وسيتبين ذلك من حديثنا عن اشتقاقها وتصريفها ، وتطلق كلمة لغة عند القدماء ويراد منها اللهجة^(٩) وتقابل باللغات الأجنبية LONGUE في

(٤) توفي سنة ٧٥٠ هـ وانظر ديوانه ص ٥٣ .

(٥) وردت كلمة لسان بمعنى اللغة ٨ مرات في القرآن انظر المعجم المفهرس ص ٦٤٧ .

(٦) الأحقاف الآية ١٢ .

(٧) الشعراء ١٩٢ — ١٩٥ .

(٨) في اللهجات العربية ط ٢ ص ١٤ .

(٩) المصدر السابق ط ٣ ص ١٦ .

الانجليزية بمعنى لسان أو لغة^(١٠) ، *LANGUE* فى الفرنسية بالمعنى السابق^(١١) ، وبذلك تتفق اللغتان الانجليزية والفرنسية مع العربية فى التعبير باللسان عن اللغة وفيهما مع ذلك كلمات أخرى لمعنى اللغة لا تطلق على اللسان وقد تطلق على اللهجة أيضا ، وهذه الكلمات فى اللغات التى تقدمت تفهم اشتراكها فى الصدور عن أصل واحد .

اشتقاقها وتصريفها :

يذكر اللغويون ومنهم ابن جنى وأرباب المعاجم أنها مشتقة من الفعل لغا يلغو اذا تكلم أو من لغى يلغى بكسر الغين فى الماضى وفتحها فى المضارع اذا لهج يقول ابن جنى : أما تصريفها ومعرفة خروفها فانها فعلة من لغوت أى تكلمت وأصلها لغوة ككرة وقلة وثبة كلها لاماتها واوات لقولهم كروت بالكرة وتلوت بالقلة ولأن ثبة كأنها من مقلوب ثاب يثوب وقالوا فيها لغات ولغون^(١٢) ككرات وكرون وقيل منها لغى يلغى اذا هذى ومصدره واللغا قال :

ورب أسراب حجيج كظم عن اللغا ورفث التكلم

وكذلك اللغو قال الله سبحانه وتعالى « واذا مروا باللغو مروا كراما » أى بالباطل وفى الحديث : « من قال فى الجمعة صه فقد لغا » أى تكلم^(١٣) .

(١٠) قاموس انجليزى عربى تأليف محمد طه محمود ط الاستقامة ٣٨٣ وتطلق بمعنى اللغة أيضا فى الانجليزية كلمة *language* ص ٢١٦ .

(١١) قاموس فرنسى عربى تأليف اسكندر شحاتة لندى ط ٢ ص ٢١٠ وتطلق كلمة *langage* بمعنى لغة أو لهجة أو نطق أو اسلوب وهناك الفاظ أخرى غير ذلك .

(١٢) ملحق بجمع المنكر .

(١٣) الخصائص ٣٣/١ .

ويأخذ عليه أستاذنا الدكتور قناوى أنه غير جار على المشهور من القواعد الصرفية. التى تقول اذا حذف حرف من الموزون حذف ما يقابله من الميزان وكون أصلها لغوة يلزم عليه الجمع بين العوض والمعوض وقلما يجتمعان^(١٤) ، ويجرى هذا النقد على ما قاله الأزهري وغيره من أن أصلها لغوة بوزن فعلة^(١٥) ، وما نبه عليه أستاذنا الدكتور قناوى ملحظ صرفى دقيق^(١٦) .

ومن نص ابن جنى السابق يفهم أنه يرى اشتقاق لغة من لغا يلغو بمعنى تكلم أو من لغى يلغى بمعنى هذى ، وبالأشتقاق الأول قال صاحب القاموس وبالثانى قال صاحب المفردات ، وفى القاموس لغا لغوا تكلم ج لغات ولغون^(١٧) ، وفى المفردات : لغى بكذا أى لهج به لهج العصفور بلغاه أى بصوته ومنه قيل للكلام الذى يلهج به الناس فرقة فرقة لغة^(١٨) ومع ذلك ذكرنا الاشتقاق الثانى وما يتعلق بالساد من معان لغوية يقال : لغيت تلغى نحو لغيت تلقى واللغو من الكلام ما لا يعتد به وهو الذى يورد لا عن روية وفكرة فيجرى مجرى اللغا وهو صوت العصافير ونحوها من الطيور قال أبو عبيدة لغو ولغا نحو عيب وعاب — وأنشد (عن اللغا ورفث التكلم) ، وقد يسمى كل كلام قبيح لغوا قال : « لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا » وقال : « واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه » وقال : « لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما » وقال : « والذين هم عن اللغو معرضون » وقال : « واذا

(١٤) محاضرات أستاذنا الدكتور قناوى .

(١٥) اللسان ١١٦/٢ ، ١١٨ .

(١٦) الأسمونى ٣٤٠/٤ — ٣٤٣ ومنار السالك ٣٦٦/٢ ، ٤١١ ، ٤١٢ وانظر الكتاب وتعليق الأعلام على قول الشاعر (هما نفثا فى فى من قمويهما) ٨٣/٢ .

(١٧) القاموس ٣٨٦/٤ .

(١٨) المفردات ٤٥٢ .

مروا باللغو مروا كراما » أى كفوا عن القبيح ولم يصرحوا وقيل معناه إذا صادفوا أهل اللغو لم يخوضوا معهم ويستعمل اللغو فيما لا يعتد به ومنه اللغو فى الأيمان أى ما لا عقد عليه وذلك ما يجرى وصلا للكلام بضرب من العادة قال : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » ومن هذا أخذ قول الشاعر :

ولست بمأخوذ بلغو تقوله إذا لم تعد عاقدات العرائم

وقوله تعالى : « لا تسمع فيها لأغية » أى لغوا فجعل اسم الفاعل وصفا للكلام نحو كاذبة وقيل لما لا يعتد به فى الدية من الأبل لغو وقال الشاعر : (كما ألغيت فى الدية الحوار)^(١٩) وذكر صاحب القاموس بعض ما تقدم :^(٢٠)

ويبدو من استعراض مادة (لغو) فى الكتابين السابقين أن الأول يميل الى ترجيح أحدهما والثانى بالعكس على ما بينته .

وقيل ان فعله لغى الا أنه فتح حرف الحلق فيكون ماضيه لغا ومضارعه يلغو ويلغى^(٢١) ، وقد قصدت بذكر كلام اللغويين بنصه وطوله أن أبين تأصل كلمة (لغة) فى العربية وموادها وقد استعملت فيما أوردته بمعناها الحقيقية الذى هو الأصوات الانسانية وغيرها وما يمكن أن يشبهها من معان مختلفة .

وبناء على ذلك لا يقبل القول الذى ذهب اليه بعض المحدثين من

(١٩) المفردات ٥١ ، ٥٢ والحوار — بضم الحاء وكسرهما — الأخيرة رديئة عند يعقوب ، ولد الناقة من حين يوضع الى أن يقطم ويفصل ، ناذا فصل عن أمه فصيل ، وقيل : هو حوار ساعة تضعه أمه خاصة . اللسان ٣٠١/٥ .

(٢٠) القاموس ٣٨٦/٤ .

(٢١) لسان العرب ١١٧/٢٠ .

أن كلمة لغة دخيلة على العربية وأنها معربة من كلمة Logs الأغريقية التي تعنى كلمة أو فكرة ويعزز ذلك — عندهم — التشابه بين الكلمتين^(٢٣) والزمع بأن الكلمة لم ترد في آداب العرب المتقدمين ولا في القرآن الكريم . فقد ثبت لدى عينين وقوعها في القرآن وقول العجاج السابق كما وقعت في الحديث ومن قال لصاحبه يوم الجمعة ... الخ كما ورد في المعاجم العربية (لغا يلغو) اذا تحدث ولغى يلغى اذا لهج مع تصرفات أخرى لمادة (لغو) ونصوص كثيرة موثوق بها وذلك كله يثبت عربية كلمة (لغة) وان شاركت غيرها من اللغات الأخرى للتشابه في الأصل الأول للغة الانسان .

ننتقل بعد ذلك الى بيان معنى (اللغة) :

حدها ابن جنى بأنها : أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم^(٢٣) ووافقه على ذلك سائر القدماء من علماء اللغة العرب^(٢٤) ويميل الى ذلك علماء الاجتماع فهي عندهم :

نظام من رموز ملفوظة عرفية يتعاون ويتعامل بها أعضاء المجموعة الاجتماعية المعينة .

فيستفاد من كل من هذين التعريفين أن اللغة وسيلة مهمة في الربط بين أفراد المجتمع والتعبير عن شئونهم المختلفة فكريّة كانت أو غير فكرية ، من كل ما يهمهم في حياتهم الخاصة والعامة .

بيد أن لبعض الباحثين ملاحظات عليه جد مفيدة ، فهذا التعريف يقصر اللغة على الأصوات الانسانية المعبرة عن أغراض ويخرج غيرها

(٢٣) اللسان والانسان د. حسن ظاظا ص ١٣١ ، ١٣٢ .

(٢٣) الخصائص ٣٣/١ .

(٢٤) القاموس ٣٨٦/٤ ولسان العرب ١١٨/٢٠ .

كالأصوات الانسانية التي لا تعبر عن غرض ، كغطيط النائم ، وتخرج كذلك أصوات الحيوانات المعبر بها عن أغراض وما كان المعبر به عن الغرض غير صوت ، كالعقد والنصب والاشارة بالرأس أو غيرها من أعضاء الجسم ، والاشارات التي تستعملها السفن ، والاشارات التي تستخدم في الجيوش ، وما يتفاهم به الصم وبعض السكان الأصليين في أمريكا ، واستراليا وبعض العشائر في أواسط أفريقيا ، وما يظهر على الانسان من الانفعالات النفسية التي تظهر في حالات المرض والغضب والفرح والحزن ونحو ذلك ، وكذلك الأصوات الصادرة عن كل ما له صوت أو له صلة بحدوثة ولو كان جمادا آلة أو نحوها كأصوات المدافع وآلات الحرب .

وقد عد صاحب هذا النقد خروج ما تقدم عن نطاق اللغة — في رأى الأقدمين — قصورا في التعريف ، وبنى ملحظه على أن هذه الأشياء الخارجة عن التعريف أصبحت — على وجه الحقيقة العرفية — من وسائل التفاهم فكان ينبغي أن تدخل فيه ، لكن تعريف الأقدمين خص اللغة بما تقدم أولا .

ويدل لذلك أن مرادهم بالأصوات ينحصر في ذات المقاطع لأنها هي المعبرة عن الأغراض ، لا الأصوات المرسله كالتى تصدر من الحيوانات ، والمراد بالقوم بنو آدم ، ولا يشتمل معنى هذا اللفظ غيرهم ، فأما استعماله للجن في مثل قوله تعالى : « قالوا يا قومنا أجيئوا داعى الله » فهو استعمال مجازى ، فلا يعترض به على الحقيقة (٢٥) .

(٢٥) انظر محاضرات في فقه اللغة لأستاذنا الدكتور محمد قناوى ، وقد خالف الأستاذ عبد الله العلايلى سائر اللغويين فعد اللغة غاية لا وسيلة ، وهو قول ينبو عنه التحقيق . انظر : مقدمة لدرس لغة العرب ص ١٥ — ٢٤ .

ولعل علماء القدامى — حين خصوا اللغة — فى اصطلاحهم العلمى — بما يصدر عن الانسان من الأصوات المعبرة عن الأغراض قصدوا الحديث عن اللغة التى تلبى حاجات الجماعة ، ويهتم بها المجتمع لأنها الوسيلة التى تفى بأغراض الناس وشئونهم فى الحياة .

ولذا نرى أن التعريف واف بالغرض المطلوب .

وعلماء الفلسفة والمنطق يبنون تصورهم لها على أساس وظائفها التى حددها الأستاذ جفونز وهى :

١ — أنها وسيلة للتوصيل .

٢ — أنها مساعد آلى للتفكير .

٣ — أنها أداة للتسجيل والرجوع .

ويبدو أن الوظيفتين الأولى والثالثة واحدة فهما عبارة عن : توصيل الأفكار ، سواء أكان ذلك بالأصوات المنطوقة بالفعل ، أم بالتسجيل والكتابة ليرجع إليها فيما بعد (٢٦) .

ويعرفها علماء النفس بأنها : استعمال رموز صوتية منظمة للتعبير عن الأفكار ونقلها من شخص الى آخر (٢٧) .

ويبدو أن المناطقة وعلماء النفس يقصرون اللغة على نقل الأفكار فحسب وذلك تحديد غير واف بالغرض ، فاللغة لا تقف عند حد التعبير عن الأفكار بل هناك موضوعات أخرى تخص الناس فى شئونهم العامة ، وهناك أحداث الترفيه والتسلية ، فقد تستعمل للتعبير عن العواطف والمشاعر المختلفة ، وقد تستخدم لترنم بالغناء ،

(٢٦) اللغة بين الفرد والمجتمع (جيسبرسن) ص ٨ واللغة والمجتمع د. السمران ص ١٣ .

(٢٧) اللهجات العربية د. نجا ص ٥ .

وسوق القصص ، والحكايات والأساطير ، وكل ذلك للتسرية عن النفس ، والتخفيف من أعباء الحياة ومشكلاتها .

ومعنى ذلك أن اللغة أكثر من أن تكون أداة للفكر ، أو تعبيراً عن عاطفة . اللغة جزء من كياننا السيكلوجي الروحي ، وهي عملية فيزيائية واجتماعية^(٢٨) ، وهذا كله يثبت أن اللغة هي الرابطة الحيوية بين افراد المجتمع والتي تعبر عن حاجاته ، وتجمع شمله ، وتوحد أهدافه وهذا ملاحظ في تعريف علماء العرب ، ووافقهم عليه علماء الاجتماع .

اللهجة (٢٩)

اشتقاقها :

ورد اشتقاقها بوجهين :

الوجه الأول : إنها مأخوذة من لهج الفصيل يلهج أمه : اذا تناول خرع أمه يمتصه ولهج الفصيل بأمه يلهج اذا اعتاد رضاعها فهو فصيل لاهج .

الوجه الثاني : أنها مشتقة من لهج بالأمر لهجا ولهوج وألهج يعنى أولع به واعتاده أو أغرى به فتأبر عليه واللهج بالشئ : الولوع به^(٣٠) .

(٢٨) محاضرات في اللهجات د. انيس فريحة ص ٩ واللغة بين الفرد والمجتمع ص ٩ — ١١ .

(٢٩) يعبر القدا عن اللهجة بكلمة (اللغة) فقد عقد ابن جنى باباً في الخصائص بعنوان (باب اختلاف اللغات وكلها حجة) وابن فارس يعتقد باباً في الصاحبى بعنوان (اختلاف لغات العرب من وجوه) وكذلك علماء آخرون كابى على القالى فى (الامالى فى لغة العرب) .

(٣٠) تهذيب اللغة ٥٤/٦ ، ٥٥ والصحاح ٢٣٩/١ ولسان العرب

١٨٣/٣ .

وكل من الوجهين مناسب لوجود العلاقة بين أصل الاشتقاق وطريقة النطق التي يتبعها الانسان فاللغة يتلقاها الانسان عن ذويه ومخالطيه كالقصير، الذي يتناول اللبن من خصر أمه فيمقتصه كما أنه حين يتعلم اللغة يذاب بها ويولع كمن يتعلق بشيء معين ويولع به^(٣١) .

واللهجة هي لغة الانسان التي جبل عليها واعتادها ونشأ عليها وقد أطلقت اللهجة على اللسان أو طرفه فهو آلة التحدث بها .

معناها :

اللهجة : طريقة معينة في الاستعمال اللغوي توجد في بيئة خاصة من بيئات اللغة الواحدة .

ويعرفها بعضهم بأنها : العادات الكلامية لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من الناس تتكلم لغة واحدة^(٣٢) .

وهذه الطريقة أو العادة الكلامية تكون صوتية في غالب الأحيان ومن ذلك — في لهجات العرب القديمة : العننة وهي قلب الهمزة المبدوء بها عينا وهذه الصفة معروفة عند قيس وتميم يقولون في أنك عنك ، وفي أذن عذن على حين أن بقية العرب ينطقون الهمزة دون تغيير في أوائل الكلمات .

كذلك : الكشكشة وهي في ربيعة ومضر يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شيئا فيقولون : رأيتكش وبكش وعليكش فمنهم من يثبتها حالة الوقف فقط وهو الأشهر ومنهم من يثبتها في الوصل — أيضا — ومنهم من يجعلها مكان الكاف ويكسرهما في الوصل ويسكنها في الوقف .

(٣١) اللهجات العربية د. نجا ص ٩١ .

(٣٢) علم اللغة العام لروينز ص ٥٢ ومقدمة لدراسة فقه اللغة .
د. محمد أبو الفرج ص ٩٣ .

فيقول : منش وعليش^(٣٣) وغيرهم من العرب يبقى الكاف دون تغيير •
كذلك : العججة في لغة قضاة يجعلون الياء المشددة جيما
يقولون في تميمي تميمج^(٣٤) وغيرها يبقى الياء ويجرى مثل ذلك في
العاميات ففي مصر تنطق الهمزة مسهلة في رأس وفأس فيقولون رأس
وفأس ، كما يبدلون الثاء سينا فيقولون في ثبت : سبت وفي بحوث :
بحوس وغير ذلك كثير^(٣٥) •

وهذا كله لا اختلاف البيئات العربية وعوامل الاجتماع عندها
وتطاول الأزمان عليها •

وقد تكون الطريقة متعلقة ببنية الكلمات ونسجها ، فاسم المفعول
إذا صيغ من الفعل الثلاثي الأجوف فإن عينه تعمل عند الحجازيين
سواء أكان واويا أم يائيا مثل : مقول ومدين • ولكن التميميين يعلنون
الواوى ويتممون اليائى فيقولون : مبيوع ومديون ، وعلى طريقة بنى
تميم تجرى اللهجات العامية في مصر وبعض جهات اليمن ونجد •

وقد يكون اختلاف الاستعمال اللغوى من جهة المعانى ، وتذكر
كتب اللغة كثيرا من ذلك ككلمة (وثب) فهي عند (حمير) بمعنى
(جلس) وعند عرب الشمال بمعنى (قفز) و (السدقة) عند تيم
(الظلمة) وعند قيس (الضوء)^(٣٦) •

ولكن الاختلاف الصوتى يلعب الدور المهم فى اختلاف اللهجات

(٣٣) المزهر ١/٢٢١ ، ٢٢٢ •

(٣٤) المصدر السابق •

(٣٥) وفي الفرنسية نجد بعض القرى تنطق (a) فتحة حيث
تنطق قرى أخرى (e) فتحة مالة وتنطق بعضها (o) ضمة مفتوحة
حيث تنطق القرى الأخرى (u) ضمة صريحة • اللغة ٣١ •

(٣٦) المزهر ١/١٨٨ ، ١٩١ •

وتنوعها ، واللهجة اتجاه منحرف داخل اللغة ، وكل من اللغة واللهجة يتصلان بالصوت ، فاللغة ترتبط به من حيث أفادة المعنى ، واللهجة من حيث صورة النطق وهيئته •

والاختلاف الصوتى يرجع الى ما يأتى :

١ — اختلاف فى مخرج بعض الأصوات اللغوية كالجيم فالعربية من وسط اللسان والمصرية من أقصاه مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى •

٢ — اختلاف فى وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات كترقيق الحرف وتفخيمه عند القبائل المختلفة •

٣ — اختلاف فى مقاييس بعض أصوات اللين • اذ ان أى انحراف يصيب تلك الحروف التى تعرف بحروف المد عند الأقدمين يؤدى الى اختلاف فى نطقها •

٤ — تباين فى النغمة الموسيقية للكلام : فذلك يختلف بين القبائل وحسب البيئات المختلفة •

٥ — اختلاف فى قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين يتأثر بعضها ببعض ، فالجمهرة من العرب تقلب الواو تاء عند وقوعها فاء لافتعل مثل ، اتصل هربا من تلاعب الحركات ، ولكن الحجازيين لا يقلبونها تاء ، فتتأثر بالحركات السابقة عليها فتقلب حسب الحركات واوا بعد الضمة ، وألفا بعد الفتحة ، وياء بعد الكسرة فيقولون :
ياتصل — ياتصل — موتصل (٢٧) •

ويقول فندريس عن الفرنسية : « اننا نجد فروقا ذات بال بين قرية وأخرى حتى يمكننا أن نميز لهجة كل قرية مفهما بوصف

(٣٧) اللهجات العربية د . نجا ٧ — ١٠ وفى اللهجات العربية

د . أنيس ص ١٦ بتصرف •

مخالف لغيرها من حيث الصوتيات ، ومن حيث النحو ، ومن حيث المفردات (٣٨) ، واللهجة اذا اتسمت بخصائص بارزة بحيث توافر لها ما يجعلها تستغنى عن أصلها ، وتقى بحاجة الجماعة التي تتحدث بها أمكن أن تسمى لغة ، وذلك حين تنضج قواعدها ونظمها الصوتية والصرفية والتركيبية بحيث تجتمع لها عناصر الافادة الكاملة والتعبير السليم كاللهجات العربية في مصر ، والمملكة العربية السعودية ، والعراق وسوريا ولبنان وغيرها من سائر البلاد العربية اذ يطلق عليها اسم (لغات) باعتبار وفائها بحاجة مجتمعاتها ، وباعتبار صلتها باللغة العربية الأم تعد كل منها لهجة لأنها لم تستغن عنها ، بل انها استمدت — ولا تزال تستمد — منها مقومات حياتها الأصلية .

وقد تساعد عوامل كثيرة على استقلال اللهجة وصيرورتها لغة قائمة بذاتها مشهورة لدى مجتمعتها ، بل وسواء من المجتمعات الانسانية التي تكون على صلة بأهلها ، وهذه العوامل يمكن لكل منها أن يقوم بهذا الدور في استقلال اللهجة على النحو السابق وهي :

١ — عامل عسكري — سياسى .

٢ — عامل دينى .

٣ — عامل أدبى .

٤ — عامل اجتماعى طبقى .

وقد يتدخل عاملان أو ثلاثة في تكوين هذه اللهجة .

مثال الأول : اللهجات الروسية التشيكية والبلاغرية أصبحت لغات رسمية معترفا بها عندما استقلت هذه البلدان عن روسيا .

مثال الثانى : ارتقاء العربية الفصحى من لهجة حجازية نجدية الى مرتبة أدبية سامية بفضل نزول القرآن الكريم بها .

مثال الثالث : لغة ايطاليا الحديثة فهى اللهجة التى كتب بها أدباء وشعراء أمثال : دانتي وبترارك ولوكاتشيو وأصلها لهجة فلورنسا .

مثال الرابع : لهجة باريس — بعد القرن السابع عشر — أصبحت المثال الأدبى الرفيع الذى ينبغى لكل كاتب ناشئ أن يحتذيه . وذلك ينطبق على لغتنا العربية النموذجية التى كان أساسها لهجة قريش ، ثم استطاعت أن تتغلب على اللهجات الأخرى لتلك العوامل .

الباب الثاني

انقسام اللغة وتكون اللهجات

منذ آدم — عليه السلام — واللغات التي يستعملها نسله يتوالى عليها الانقسام الى لهجات ، وبعد الطوفان توزع أبناء نوح — عليه السلام — في الأرض ، فنشأت مجموعات لغوية تنسب الى أبنائه الثلاثة : سام ، وحام ، ويافت ، وكل منها له فروع متعددة في القديم والحديث .

ولا ريب أن اللغة تبقى متحدة في المجتمع الذي يتخذها أداة له اذا كانت حياته الاجتماعية والأرض التي يعيش عليها متحدة في أهدافها وعوامل تكوينها ، فاذا تغير شيء من ذلك كان ايدانا بانشعاب تلك اللغة الى لهجات .

وقد عزا العلماء انشعاب اللغات الى لهجات لعوامل أهمها :

١. — اختلاف البيئات الجغرافية :

فالأرض التي يعيش عليها البشر مختلفة ، ففيها الجبال والسهول والوديان ، وفيها الأراضي الزراعية والقاطلة ، ومتى اختلفت البيئة الجغرافية فان ذلك يؤدي الى اختلاف اللغة ، فاذا انتشرت جماعة لغوية تغيث في مكان معين على أرض واسعة تختلف طبيعتها فان ذلك يؤدي — مع تطاول الزمن — الى انشعاب لغتها الواحدة الى لهجات . واذا كانت البيئة تؤثر على سكانها جسميا وخلقا ونفسيا ، كما هو الواقع فانها — كذلك تؤثر على أعضاء النطق وطريقة الكلام .

٢ — تنوع الظروف الاجتماعية :

لا ريب أن كل قوم لهم قوانينهم وطرقهم الخاصة في معيشتهم

وتفكيرهم سواء فى ذلك الشعوب المختلفة وطبقات الشعب الواحد فكل شعب له ملامح ثقافية وعادات وتقاليده خاصة تختلف عن الآخر ، فالمجتمع الانجليزى غير المجتمع الفرنسى غير الأمريكى أو الرومى أو العربى فى طريقة معيشتهم وقوانينه العامة والخاصة .

والمجتمع الواحد قد يوجد فيه الطبقات الارستقراطية والدنيا أو الطبقات الصناعية والزراعية والتجارية وغيرها من أرباب المهن المختلفة وبقدر ما يوجد من تلك المظاهر تتفرع لغات المجتمعات وتختلف .

بل يوجد من العاميات الخاصة بقدر ما يوجد من جماعات متخصصة ، والعامية الخاصة تتميز بتنوعها الذى لا يحد ، وأنها فى تغير دائم تبعا لأحوال الجماعات والأمكنة التى تعيش فيها فكل جماعة خاصة وكل هيئة من أرباب المهن لها عاميتها الخاصة (١) .

تغير تلك الأحوال التى تعيش فيها الجماعة تنعكس آثارها شك أن المهاجرين من الأسبان والانجليز الى أمريكا . الصوتى فاختلقت الاسبانية والانجليزية على .

جزيرتهم الى الأقطار المجاورة بعد
نس التطور ، بل تشعبت الى لهجات

ى الاجتماعية ووسائل الحياة كانت له

آثاره فى لغة الجماعة بعد ارتحالها من بلدها الأصلى بحيث برزت
أمارات التغير هناك عنها هنا •

ومن كل ما تقدم ندرك أن نظام المجتمع واختلاف طبقاته وتغير
أحواله قد يسبب تفرع لغته الى لهجات •

٣ — الاتصال البشرى وآثاره :

الانسان مدنى بطبعه — كما يقول علماء الاجتماع — فهو فى
حاجة الى مساعدة أخيه الانسان ، ولذلك فقد يتصل بنو البشر لتبادل
المنافع كما أن الانسان قد يحتاج الى الهجرة من وطنه الأصلى الى
مكان آخر بحثا عن القوت أو لأسباب أخرى دينية أو استعمارية •

ويدهى أن تلك الاتصالات تحتاج الى معرفة هؤلاء وهؤلاء
بلغات الآخرين حتى يمكنهم التفاهم وتوثيق الصلات ، أو إخضاع
جماعة ما لسيطرتهم ، وهذا يؤدى الى احتكاك اللغات بعضها ببعض
ونشوب صراع بينها ، فالتوسع وضرورة الاتصال يقتضى معرفة
لغات عدة معرفة جيدة^(٣) ، بما يخلق اختلالا فى الأداء ، فكثيرا
ما لوحظ أن تطور اللغات يزداد بسرعة بازدياد انتشارها فى الخارج
وازدیاد عدد الناس الذين يتكلمونها وتنوعهم اذ ان انتشارها فى أقاليم
تحك فيها بلغات أخرى يعرضها لأن تفقد خصائصها الموهلة فى الذاتية ،
والتأثير الذى يقع عليها من الخارج يؤدى بها الى التغير السريع^(٤) ،
وقد تغلب احدى هذه اللغات على الأخرى •

ونحن نشاهد نطق الأجانب للغة العربية اذا اتصلوا بالعرب
كالإونانيين والإيطاليين فلا يستطيعون النطق بالطريقة العربية فهم
— مثلا — لا يمكنهم نطق الحاء فى مثل كلمة (محمد) فيحولونها
الى خاء •

(٣) اللغة : ٣٤٨ •

(٤) المصدر السابق : ٤٢٧ •

وفي حالات الحروب نجد لغات المغزوين تتلاشى أمام لغة الغزاة وتنزوي في ضعف وتقهقر ، وذلك واضح في تغلب العربية على لغات البلاد المفتوحة كالقبطية في مصر والفارسية في بعض بلاد فارس القديمة والآرامية في العراق والشام^(٥) ، والأرمينية تقهقرت أمام الروسية في أوربا^(٦) ، لأن الضعيف عادة يحب أن يقلد من هو أقوى منه^(٧) .

وقد تبقى لغة المغزوين صاحبة الهيبة والاستعمال في شئون المجتمع فارادة الاغريق ألا يضحوا لغتهم أمام لغة فاتح يحتقرونه هي التي حفظت الاغريقية خلال العصور فلم تستطع التركية يوما أن تحل محلها أو حتى أن تنال منها ، هذا اذا كثر عدد الغزاة .

أما اذا قل فان لغتهم قد يصيبها الضعف كما حدث للغة النورماندين بعد غزوهم لانجلترا فقد تغلبت الانجليزية عليها لقلة عدد الغالبين ولم يكن للنورماندية الفرنسية غير أثر قليل في اللغة الانجليزية^(٨) .

فالباحث يرى أن هذه الاتصالات البشرية للمنافع أو للسيطرة واتصال اللغات نتيجة لذلك يعد عاملا من عوامل اختلاف اللغات عن أصلها بما يفرقها الى لهجات « فتطور اللغة المستقر في معزل عن كل تأثير خارجي يعد أمرا مثاليا لا يكاد يتحقق في أية لغة ، بل على العكس من ذلك فان الأثر الذي يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها كثيرا ما يلعب دورا مهما في التطور اللغوي »^(٩) .

(٥) في اللهجات العربية : ٢٣ (٦) اللغة ١ ، ٢ .

(٧) اللهجات العربية : ١٦ .

(٨) في اللهجات العربية ط ٣ ص ٣٤ .

(٩) اللغة ٣٤٨ . ويضيف بعضهم عاملا آخر هو : اختلاف الأسماء في النطق فسأبى يذهب الى أن اللهجات تنشأ من الميل العام الى الاختلاف الفردي في الكلام ويجعلون من ذلك ما يسمى بالقياس الخاطئ . انظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ٣٩ .

تطبيق تلك العوامل على العربية

وكل تلك العوامل حدثت فى لغتنا العربية التى عاشت فى مناطق مختلفة فقد كانت الصحراء تمثل جانبا من بيئتها الطبيعية ، ثم انتقلت الأمة العربية الى الحضارة فوجدت مناطق زراعية وأخرى تجارية ، وكان لذلك أثره فى اختلاف أحوال أهلها بين تنقل وترحال أو اقامة واستقرار •

ثم خرج العرب من جزيرتهم الى المناطق المجاورة فى الشام والعراق ومصر فالتقت العربية مع أخواتها من الساميات كالعبرية والآرامية وغيرهما كما التقت مع لغات أخرى أجنبية كالفارسية والرومية والقبطية •

وكل ذلك كانت له آثار بعيدة المدى فى ظهور لهجات شتى للغة العربية واليك تفصيل ذلك :

(أ) العامل الاجتماعى والثقافى والجغرافى :

اللغة العربية — وهى إحدى لهجات اللغة السامية — كانت واحدة عند الناطقين بها ثم زادت وانقسمت بتأثير الحضارة والتطور ، اذ ان العرب لم تستمر حياتهم على طريق واحدة وفى حدود لا تتغير ، بل انهم — كبقية البشر — تتغير أحوالهم الاجتماعية وما مر بهم من ثقافات ، فدعاهم ذلك الى تطور لغتهم لتناسب مظاهر حياتهم الجديدة •

وقد أخذت العربية فى التطور — كذلك — لانتقالها من البادية الى الحاضرة فبعد أن كانت فى بقعة صحراوية يتمسك أهلها بمنطق آبائهم الفصيح ، بدأت تنتقل بانتقال أهلها الى مجتمع حضارى ، فتتغير على الألسنة وتتطور تبعا لذلك على الرغم من نهجهم طريق السلف ، فأهل

الحضر يتظاهرون بينهم بأنهم قد تركوا وخالفوا كلام من ينتسب إلى اللغة العربية الفصيحة ، غير أن كلام أهل الحضر مضاه لكلام فصحاء العرب في حروفهم وتآليفهم ، إلا أنهم أضلوا بأشياء من أعراب الكلام الفصيح^(١٠) .

والفرق واضح بين صورة لهجات البادية التميمية ، ولهجات الحاضرة الحجازية المتمثلة في القرشية ، فقد ارتفعت قريش في الفصاحة عن عننة تميم ، وكشكشة ربيعة ، وكسكشة هوازن ، وتضجع قيس ، وعجرفية ضبة ، وتلتلة بهراء « فأما عننة تميم فان تميما تقول في موضع (أن) : (عن) تقول عن عبد الله قائم وأنشد ذو الرمة عبد الملك :

أعن ترسمت من خرقاء منزلة

وأما تلتلة بهراء فانهم يقولون : تعلمون وتفعلون وتصنعون بكسر أوائل الحروف .

وأما كشكشة ربيعة ، فانما يريد قولها مع كاف ضمير المؤنث : أنكش ورأيتكش وأعطيتكش ، تفعل هذا في الوقف ، فاذا وصلت أسقطت الشين^(١١) ، فقريش ما ترفعت عن ذلك إلا للثقافات الاجتماعية التي نشأ أهلها عليها كذلك فبيئة الحجاز الحضرية غير الصحراء التي يعيش بها بنو تميم .

(ب) الاتصال البشري بين العرب وغيرهم :

لم يعيش العرب في عزلة عن غيرهم ، أو عن اتصال بعضهم ببعض ، فالحياة الاجتماعية تحتاج إلى صلات وروابط بين الأفراد

(١٠) الخصائص ٢/٢٩ .

(١١) المصدر السابق ٢/١١ .

والجماعات والشعوب ، وقد تهيأت لهم وسائل هذا الاتصال عن طريق تبادل المنافع وعن طريق الغزو والسيطرة كما عرفنا ، ولا ريب أن الاسلام — بعد الفتوح — محا ديانات الشعوب التي تغلب عليها واحتلت لغته العربية الصدارة لديها ، في جميع الأعمال والشئون والمخاطبات العادية •

وقد تأثرت العربية — أيضا — بلغات البلاد المفتوحة وأثرت فيها ، وإذا كانت قد كتبت لها التغلب ، فإنها قد فقدت — أيضا — بعض مميزاتها حتى انشعبت الى لهجات •

ويؤكد ذلك فشو اللحن على ألسنة العرب بعد انتشار الاسلام واتساع رقعة الدولة الاسلامية ، فقد روى أن النبي ﷺ سمع رجلا يلحن في كلامه فقال : (أرشدوا أخاكم فقد ضل) ورووا أيضا أن أحد ولادة عمر — رضى الله تعالى عنه — كتب اليه كتابا لحن فيه ، فكتب اليه عمر : « أن قنع كاتبك سوطا » وغير ذلك ، مما كان سببا في وضع علم النحو على يد أبى الأسود الدؤلى ، ولذا منع علماء العربية الاحتجاج بكلام من كانت له صلة بالأمم المجاورة كلخم وجذام •

ومعنى ذلك أن احتكاك الشعوب يؤدي الى احتكاك لغتها (١٢) ، وقد تبرز خصائص احدهما على الأخرى « ولولا مقاومة المجتمع للتفكك اللغوى لأصبح العالم أمام حشد من صور التكلم التي لا تريدها الأيام الا تفرقا ، ولكن الذين يتكلمون احدى هذه اللغات يميلون دائما الى المحافظة عليها كما هي » (١٣) •

وقد أدى هذا الاختلاط بين العرب والأجانب ممن دخلوا الاسلام

(١٢) اللغة : ٣٤٨ •

(١٣) المصدر السابق : ٣٢٦ •

الى تفرع العربية الى لهجات فى البلاد المفتوحة كالمصرية والسورية والعراقية وغيرها من اللهجات التى نرى آثارها حتى اليوم •

(ج) اختلاط القبائل العربية وأثره فى اللهجات :

وان اتصال العربى بأخيه له كذلك أثره فى لهجة كل فريق حيث تؤثر وتتأثر بأختها ، فقد دعت الحاجة الاجتماعية العرب الى التلاقى والتعامل الاجتماعى « فان العرب بتجاورهم وتلاقيهم وتزاورهم يجرون مجرى الجماعة الواحدة فى دار واحدة ، وهذا الاتصال الوثيق يؤدى الى اتصال لهجاتهم بعضها ببعض فبعضهم يلاحظ صاحبه ويراعى أمر لغته كما يراعى ذلك من مهم أمره » (١٤) •

فلقاء اللهجات مهم للعرب كأمور الحياة الأخرى التى يلتقون من أجلها ، وإذا التقى العربى بغيره حدث واحد من ثلاثة أمور :

— تمسكه بلهجته الأصلية •

— انتقال لسانه الى اللهجة الجديدة •

— اجتماع لهجته مع لهجة غيره •

وذلك يمكن فهمه من قول ابن جنى :

« اعلم أن العرب تختلف أحوالها فى تلقى الواحد منها لغة غيره ، فمنهم من يخف ويسرع فيقول ما يسمعه ، ومنهم من يستعصم فيقيم على لغته البتة ، ومنهم من اذا طُلّ تكرّر لغة غيره عليه لصقت به ووجدت فى كلامه » (١٥) •

(١٤) الخصائص ١٥/٢ ، ١٦ •

(١٥) المصدر السابق ٣٨٣/١ •

فعندما يلتقى العربى بأخيه ويتحدثان أو يسمع كل منهما لغة الآخر فاما أن يحس أحدهما من كلا صاحبه ما يعجبه ، فيتلقف كلماته بسرعة ويترك لهجته الأصلية ، واما أن يستعملها مع لهجته ، واما أن يتعصب للهجته الأولى فيستعصم بها .

ومن أمثلة تمسك العربى بلهجته الأصلية موقف أبى زياد الكلابى من نطق كلمة : « النطع » بلهجته الخاصة وعدم اعترافه بغيرها ، فقد سأل أبى عبد الله الأعرابى عن قول النابغة الذبياني :

على ظهر مبناة

فقال أبو عبد الله : النطع بفتح النون فقال أبو زياد : لا أعرفه ، فقال : النطع بكسر النون فقال أبو زياد : نعم ، فقد أنكر غير لغته كما ترى مع ما بينهما من قرب (١٦) .

وليس الغالب أن يبقى العربى على لهجته غير متأثرة بما يجاورها من لهجات اخوانه الآخرين ، بل ان الأعم هو التفاعل بين تلك اللهجات بحيث تأخذ هذه من تلك وتلك من هذه .

ولذلك كان تبادل التأثيرات اللغوية هو الشائع بين تلك اللهجات المتولدة من لغة واحدة .

وقد عقد ابن جنى بابا (فى العربى يسمع لغة غيره أيراعيها ويعتمدها أم يلغياها وي طرح حكمها) (١٧) ذكر فيه سؤال أبى زيد للخليل عن الذين قالوا : مررت بأخواك ، وضربت أخواك ، ممن

(١٦) المصدر السابق ٣٨٣/١ .

(١٧) المصدر السابق ١٤/٢ - ١٦ .

يلزمون المثني الألف ، فقال الخليل : هؤلاء قولهم على قياس الذين قالوا في يئأس : ياعس ، أبدلوا الياء لانفتاح ما قبلها •

وأخذ ابن جنى يفسر قول الخليل على أن بلحرت بن كعب نظروا في استعمال أكثر العرب للمثني بالياء نصباً ، وجرا فجعلوا مكان الياء ألفا في لغتهم حالتى النصب والجر ، استخفافا للألف •

وبعضهم فسر قول الخليل على أن العرب جميعا كانوا يستخدمون الياء في المثني حالتى النصب والجر الا أن بلحرت بن كعب فضلت استعمال الألف في أوجه الاعراب كلها ، وان كان القياس يقتضى رأى الجمهور •

ورأى بعضهم احتمالا آخر هو : أن بلحرت بن كعب كانوا — كغيرهم من الجمهور — يستعملون المثني بالياء فى النصب والجر ثم قلبت بلحرت بن كعب الياء ألفا للخفة لأنها أسهل عليهم ، وهذا القلب بسبب الفتحة قبل الياء ، وان لم تكن الياء مفتوحة وهذا قول آخر لأبى الحسن الأخفش •

ولكن ابن جنى لم يرتض هذا التفسير ، لأن الاحتمال الأقوى — عنده — أن يكون بلحرت بن كعب قد نطقوا بالألف من أول الأمر ، ولم يكونوا ينطقون المثني بالياء ، ثم تحولوا الى الألف ، لأن الياء هى القياس للفرق بين المرفوع وغيره ، وهى الأقوى والجماعة عليه ، فكيف ينتقلون من الأقوى الى الأضعف وهم لم ينطقوا قط بالياء ، ولم يبدلوها ألفا ، لكن بلحرت راعت لغة الكافة الكثيرة فصنعوا لغتهم من أول الأمر بالألف ، ولم يعدلوا اليها من غيرها •

وقد عقب ابن جنى على بعض هذه الأوجه بأن صاحب لغة يراعى لغة غيره ، لأن العرب يتصل بعضهم ببعض ، وهم خلق كثير منتشر متجاور لهم علاقات وارتباطات ، وبعضهم يلاحظ صاحبه ، ويراعى أمر لغته كما يراعى ذلك من مهم أمره •

وقد يؤدي هذا التبادل للتأثير بين اللهجات — أحيانا — الى انتقال لسان العربى الى غير لهجته اذا كثرت صلاته بها •

وقد تبقى لهجته الأصلية ، مع ظهور سمات خاصة فيها من لهجة غيره ، ولذلك صور متعددة تندرج تحت عنوان :
« تركيب اللغات »

تركيب اللغات

اقتضت الحاجة الاجتماعية أن يستعمل العربى ظواهر أو ألفاظ خاصة بلهجة أخيه الى جوار ما يستعمله فى لهجته الأصلية ، ودراسة هذا الموضوع تنحصر فى جانبين :

١. — جانب الأبنية •
٢. — جانب الألفاظ •

١. — التداخل فى الأبنية :

القدماء يجعلون من الممكن شكل عين الثلاثى فى الماضى والمضارع باحدى الحركات الثلاث : المفتحة أو الضمة أو الكسرة ، فيفترضون بالقسمة العقلية تسعة وجوه يرفضون منها ثلاثة ، لأنها لم ترد عن العرب وهى :

- فعل يفعل ، بضم العين فى الماضى وفتحها فى المضارع •
- فعل يفعل ، بضم العين فى الماضى وكسرها فى المضارع •
- فعل يفعل ، بكسر العين فى الماضى وضمها فى المضارع^(١٨) •

والأوزان الستة التى قبلوها لورودها عن العرب هى :

- فعل يفعل ، بفتح العين فى الماضى وكسرها فى المضارع •
- فعل يفعل ، بفتح العين فى الماضى وضمها فى المضارع •
- فعل يفعل ، بفتح العين فى الماضى وفتحها كذلك فى المضارع •
- فعل يفعل ، بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع •
- فعل يفعل ، بكسر العين فيهما •
- فل يفعل ، بضم العين فيهما •

(١٨) من أسرار اللفظة ط ٣ ص ٣٠ .

وقد نصوا على أن (فعل يفعل) بفتح العين في الماضي هو المضارع يكون فيما عينه أو لامه حرف حلق مثل : فتح يفتح ، وقرأ يقرأ^(١٩) كما عدوا باب (فعل يفعل) بكسر العين فيهما موقوفاً على السماع .

وعلى هذا الأساس فكل ما خالف هذه الوجوه التي اعتمدها يعد شاذاً عندهم « ألا تراهم كيف ذكروا ما جاء على فعل يفعل بكسر العين في الماضي وضمها في المضارع نحو نعم ينعم ، ودمت تدوم ، وموت تموت ، وقالوا أيضاً فيما جاء من فعل يفعل بفتح العين فيهما وليس عينه ولا لامه حرفاً حلقياً نحو قلى يقلى وسلا يسلى وجبى يوجبى وركن يركن وقنط يقنط^(٢٠) » .

كما أن المعروف عندهم في بناء الوصف من الفعل الثلاثي أن المفتوح العين يكون الوصف منه على فاعل ، مثل كتب فهو كاتب ، والمضموم العين يكون منه على فعيل مثل كرم فهو كريم ، وتلك قاعدة مشهورة عندهم فكل ما خالفها عد شاذاً .

ومما عدوه شاذاً ما ذكروه من فعل بضم العين فهو فاعل نحو حمض فهو حامض وعقرت المرأة فهي عاقر ، ولذلك نظائر كثيرة .

وهكذا شأن كل ما خالف القواعد عندهم ، فإنه يوصم بالشذوذ ،

(١٩) هذا ما تؤكدته التجارب الصوتية الحديثة ، فأصوات الحلق تحتاج بعد صدورهما من مخرجها اللطقي إلى اتساع في مخرجها بالفم ، فليس هناك ما يعوق هذا المجرى في زوايا الفم ولهذا ناسبها من أصوات اللين أكثرها اتساعاً وتلك هي الفتحة — انظر في اللهجات العربية ط ٢ ، ص ١٢٨ ومن أسرار اللغة ط ٣ ص ٢٤ .

(٢٠) الخصائص ١/٣٧٥ .

ولكن الأجسدى فى ذلك هو الحمل على تركيب اللغات ، فهو لغات
تداخلت فتركت وهكذا ينبغى أن يعتقد وهو أشبه بحكمة العرب (٢١) .

وتفسير التداخل فى الأبنية يدعونا الى تقسيمها الى نوعيها :

(أ) أبنية الأفعال . (ب) أبنية الأسماء

(أ) تفسير التداخل فى أبنية الأفعال :

« دلت الدلالة على وجوب مخالفة صيغة الماضى لصيغة المضارع ،
اذ الغرض فى صيغ هذه المثل انما هو لافادة الأزمنة ، فجعل لكل زمان
مثال مخالف لصاحبه ، وكلما ازداد الخلاف كانت فى ذلك قوة الدلالة
على الزمان ، فمن ذلك أن جعل العرب بازاء حركة فاء الماضى سكون
فاء المضارع ، وخالفوا بين عينيها فقالوا : ضرب يضرب وقتل يقتل
وعلم يعلم » (٢٢) .

والقياس فيما ماضيه (فعل) بكسر العين أن يكون مضارعه على
(يفعل) بفتحها نحو : ركب يركب وشرب يشرب ، والقياس — كذلك
— فيما ماضيه (فعل) بفتح العين أن يكون مضارعه على (يفعل)
بكسرها نحو ضرب يضرب وسرق يسرق ففى الأول كسرت عين الماضى
ففتحت عين المضارع وفى الثانى بالعكس لتحقيق المخالفة والتناظر
بينهما « فكما فتح المضارع لكسر الماضى فكذلك — أيضا — ينبغى
أن يكسر المضارع لفتح الماضى » .

وانما جاءت المخالفة — أيضا — فيما ماضيه (فعل) بفتح العين
مع كسر عين المضارع وضمها فقل (يفعل) نحو قتل يقتل ودخل

(٢١) المصدر السابق ٢٧٥/١ وانظر المغنى فى تصريف الافعال للشيخ
عضيمة ص ٤٠ وما بعدها .

(٢٢) المصدر السابق ٢٧٥/١ .

يدخل خروجاً على القاعدة السابقة التي تناظر بين (فعل) بكسر العين و (فعل) يفتحها في عيني مضارعيهما ، من حيث كانت كل واحدة من الضمة والكسرة مخالفة للفتحة ، وا آثروا خلاف حركة عين المضارع لحركة عين الماضي ، ووجدوا الضمة مخالفة للفتحة خلاف الكسرة لها ، عدلوا في ذلك إليها فقالوا : قتل يقتل ودخل يدخل وخرج يخرج يفتح العين في الماضي وضمها في المضارع (٢٣) .

أما ما نجده من الثلاثي مما تكون فيه حركة عينه في الماضي والمضارع سواء وهو باب (فعل) نحو كرم يكرم فعلى كل حال فآؤه في المضارع ساكنة وموافقة حركة عينه ، لأنه ضرب قائم برأسه ، ألا تراه غير متعد بخلاف (فعل) يفتح العين و (فعل) بكسرها فأكثره متعد ، فلما خالفهما خولف بينهما وبينه (٢٤) .

وفي الرباعي وما فوقه لم ينظروا الى هذا اللون من المخالفة « فقالوا دحرج يدحرج فحركوا فاء المضارع والماضي جميعا وسكنوا عينيها ، وكذلك قالوا : تقطع يتقطع وتقاعس يتقاعس وتدهور يتدهور ونحو ذلك لأنهم أحكموا الأصل الأول الذي هو الثلاثي فقل حفلهم بما وراءه (٢٥) .

وهذا كله كان شرحاً لقانون المغيرة الذي اعترف به المحدثون

(٢٣) المصدر السابق ٣٧٩/١ وهذا القول تؤيده القوانين الصوتية الحديثة التي تجعل الضمة والكسرة أصواتاً ضيقة يقابلها الفتحة التي هي الصوت المتسع ، فإذا أردنا أن نخالف بين الماضي والمضارع أخذنا للأول الضمة أو الكسرة وأخذنا للمضارع الفتحة أو العكس بالعكس .
انظر من أسرار اللغة ط ٧ ص ٣٣ .

(٢٤) المصدر السابق ٣٧٦/١ .

(٢٥) الخصائص ٣٧٥/١ .

وأشاروا الى أهميته في الاشتقاق وعد فيه ابن جنى موقفا كل التوفيق •

ولو لاحظنا ما وضعه ابن جنى والقدماء من قواعد لاشتقاق الأفعال — على الوصف السابق — لوجدنا أنها تتفق تماما مع رأى المحدثين فهم حين يعالجون اشتقاق صيغة من أخرى يبحثون على ضوء أسس ثلاثة :

١ — المغايرة Polarity التى فطن اليها ابن جنى •

٢ — وظيفة الفعل فى الكلام وتبعاً لها يأخذ الفعل حركته بمجرد المصادفة ملتزمة فى اللهجة الواحدة وتختلف اللهجات فى ايثار حركة على أخرى •

٣ — ايثار الحروف المجاورة^(٢٦) فى اللغات السامية لحركات خاصة ومن بينها حروف الحلق •

وبذلك نستطيع أن نقف على أن الأبنية المقبولة للفعل الثلاثى والتى علل لصحتها ابن جنى « لا يعقل نسبتها للغة موحدة كاللغة النموذجية الأدبية » بل انها « تنتمى الى عدة لهجات كل منها الترام بابا أو بابين، ويؤيد ذلك ما ورد فى معاجم اللغة من نحو : فقه بضم العين صار فقيها والكسر لهجة كلاب — سخن مثلثة العين والكسر لبنى عامر —

(٢٦) أى لغيرها كامالة حركة ما قبل تاء التانيث مع الحروف المستقلة والنطق بها فتحة مع حروف الاستعلاء فى قراءة الكسائى ، وفى اللهجة القاهرية نلاحظ الارتباط بين الحروف والحركات فى صيغة (استفعل) فما فيه حروف التفضيم تؤثر عينه الفتحة غالبا حين تكون هذه الحروف فى الآخر ، أو قبل الآخر ، فى حين تؤثر الحروف الأخرى الكسرة مثل : يستلبح — يستنظع — يستأمن — يستفعل — يستبشر . (من أسرار اللغة ط ٣ ص ٣٤ ، ٣٥) .

حضر من باب نصر وعلم والأخير لأهل المدينة^(٢٧) ، ويؤيد هذا ما نراه في اللغات السامية شقيقات اللغة العربية ففي العبرية نجد أن الماضي في الكثرة الغالبة من الأفعال على وزن (فعل) بفتح العين وأحيانا على وزن (فعل) بكسر العين ثم يندر أن يكون على (فعل) بضم العين ونرى أن مضارع الأول هو (يفعل) بضم العين ومضارع الوزنين الأخيرين (يفعل) بفتح العين ولا نكاد نجد في اللغة العبرية ما يشذ عن هذا سوى بضعة أفعال^(٢٨) ، وإذا تحققنا أن هذه الأبنية هي في الأصل لهجات للقبائل العربية وأنها قد اتجهت هذه الاتجاهات وتركت ما عداها فلا غرابة في تفسير ما عد شاذًا وخارجا عليها بأنه لهجات تداخلت .

أولا : ما خالف الأوزان المقبولة مثل ما جاء على فعل يفعل بكسر العين في الماضي وضمها في المضارع كنعم ينعم وفضل يفضل فنعم بكسر العين في الأصل ماضى ينعم بفتحها وينعم بضم العين في الأصل مضارع نعم بضم العين ثم تداخلت اللغتان فاستضاف من يقول نعم بكسر العين لغة من يقول ينعم بضمها فحدثت هناك لغة ثالثة ، فإن قلت : فكان يجب على هذا أن يستضيف من يقول (نعم) بضم العين مضارع من يقول (نعم) بكسر العين فتركب من هذا أيضا لغة ثالثة وهي (نعم ينعم) بضم العين في الماضي وفتحها في المضارع ؟

قول : منع من هذا أن (فعل) بضم العين لا يختلف مضارعه أبدا وليس كذلك (نعم) بكسر العين لأن (نعم) بكسر العين قد يأتى فيه (ينعم وينعم) بكسر العين وفتحها جميعا فاحتمل خلاف مضارعه دون الأول^(٢٩) .

(٢٧) اللسان ٢٧٢/٥ ، ٦٦/١٧ ، ٤١٨ .

(٢٨) من أسرار اللغة ط ٣ ص ٣٢ وما بعدها .

(٢٩) الخصائص ٣٧٨/١ .

وكذلك (فضل يفضل) : فيقدر أنه جاء على بابين بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع ويفتح العين في الماضي وضمها المضارع فأخذ الماضي من اللغة الأولى والمضارع من اللغة الثانية فنشأت لغة ثالثة مركبة منهما^(٣٠) .

ثانيا : ما جاء بفتح عيني الماضي والمضارع وليست العين أو اللام حرفا حلقيا وله أمثلة منها :

قنط يقنط : فهما لغتان تداخلتا وذلك أن (قنط يقنط) بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع لغة ، و (قنط يقنط) بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع لغة أخرى ثم تداخلتا فتركبت لغة ثالثة فقال من قال : قنط يقنط بفتح العين فيهما ولم يقولوا : قنط يقنط بكسر العين فيهما لأن أخذنا إلى لغته لغة غيره قد يجوز أن يقتصر على بعض اللغة التي أضافها إلى لغته دون بعض .

وكذلك : ركن يركن : فيه لغتان : ركن يركن كعلم يعلم وركن يركن كقتل يقتل ونحكي عنهم : ركن يركن (فعل يفعل) بفتح العين فيهما وهذا عند أبي بكر من اللغات المتداخلة كأن الذي يقول (ركن) بفتح الكاف سمع مضارع الذي يقول (ركن) بكسرها وهو (يركن) فتركبت له لغة بين اللغتين وهي : ركن يركن بفتح العين فيهما^(٣١) . فأما الأفعال التي جاءت عينا الماضي والمضارع فيها متوافقتين بالكسر مثل نعم ينعم وحسب يحسب ويئس يئس فقد علق ابن جنى لها باحتمال التداخل وغيره تبعا لأنه لم يعرف لها ماض آخر مع (فعل) بكسر العين يكون مفتوح العين يمكن به القطع بأنها من تداخل اللغات — على ما يرى — فقد أتى ماضى هذه الأفعال على (فعل) بكسر العين أو (فعل) بضمها وكل منهما لا يأتي مضارعه

(٣٠) المصدر السابق ٣٨٠/١ ، ٣٨١ والمحتسب ٥/٢ .

(٣١) المحتسب ٣٢٩/١ ، ٥/٢ .

على (يفعل) بكسر العين لأن قانون المخالفة يقتضى أن يكون مضارع (فعل) بكسر العين (يفعل) بفتحها ومضارع (فعل) بضم العين (يفعل) بضمها وقد جاءت كلها بالكسر فى الماضى والمضارع فيحتمل :

١ — أنها من باب التداخل الا أن الماضى من اللغة الأخرى مفقود وهو : « حسب — نعم — بأس — ييس بفتح العين » واستغنى عنه بالماضى الموجود : « حسب — نعم — بئس — ييس بكسر العين » كما استغنوا بترك عن وذر وودع ونحو ذلك^(٣٢) ويؤيده ما حكاه السيوطى عن الكسائى^(٣٣) .

٢ — أنها ليست من باب التداخل بل قيل (ينعم) بكسر العين فى المضارع موافقة لماضيه (نعم) على (فعل يفعل) بكسر العين فيهما تشبيها له بباب (فعل يفعل) مما يوافق فيه المضارع الماضى بالضم « فكما أن فعل بضم العين بابه يفعل بضمها كذلك شبهوا بعض (فعل) بكسر العين به فكسروا عين مضارعه كما ضموا فى ظرف عين ماضيه ومضارعه فنعم ينعم بكسر العين فيهما محمول على كرم يكرم^(٣٤) وحسب يحسب ويئس ويئس وييس وييس بكسر العين فيها جميعا مشبه بباب كرم يكرم على ما قلنا فى نعم ينعم كسر العين فيهما^(٣٥) .

(ب) تفسير التداخل فى أبنية الأسماء :

عرفنا أن للعرب قواعد خاصة فى اشتقاق الأوصاف من الأفعال ،

(٣٢) الخصائص ٣٧٨/١ ، ٣٨٨ ، واللسان ٣٥٥/١ ، ١٤٦/٨ ، ١٤٨ والبصريون وسيبويه يردون هذا رأى ، انظر اللسان ١٤٧/٨ والكتاب ٢٢٧/٢ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

(٣٣) المزهرة ١٩٤/١ .

(٣٤) الخصائص ٣٧٩/١ .

(٣٥) المصدر السابق ٣٨٠/١ .

فمن الثلاثى المفتوح العين تأتي على فاعل ، ومن المضموم العين تأتي على فعيل ، وما جاء مخالفاً لذلك هذه الصرفيون شاذاً ، ولكن ابن جنى يخرج بعضه على أنه من باب تداخل اللغات فقولهم : « شعر فهو شاعر وحمض فهو حامض وخثر فهو خاثر وطهر فهو طاهر بضم العين في جميع الأفعال على نحو من هذا وذلك أنه يقال : شعر وحمض وخثر وطهر بضم العين وفتحها في جميع الأفعال فجاء شاعر وحامض وخاثر وطاهر على شعر وحمض وخثر وطهر بفتح العين في جميع الأفعال ثم استغنى بفاعل عن فعيل وهو في أنفسهم وعلى بال من تصورهم ، يدل على ذلك تكسيرهم لشاعر على شعراء لما كان فاعل واقعاً موقع فعيل كسر تكسيه ليكون ذلك أمانة ودليلاً على إرادته وأنه مغل عنه وبديل منه » (٣٦) .

وقد عد ابن جنى من التداخل قراءة « والسماء ذات الحبك » يقول : لعل الذى قرأ به تداخلت عليه القراءتان بالكسر والنضم فكأنه كسر الحاء يريد الحبك بكسر الحاء والباء وأدركه ضم الباء على صورة الحبك بضمهما فجمع بين أول اللفظة على هذه القراءة وبين آخرها على القراءة الأخرى (٣٧) ، ولا يأتي اعتراض الرضى على ابن جنى في هذا الرأي بأن : « الحبك بضمين جمع الحباك وهو الطريقة في الجبل ونحوه والحبك بكسرتين مفرد وأنه يبعد تركيب اسم من مفرد وجمع » (٣٨) ، وذلك كما يقول

(٣٦) المصدر السابق ٣٨١/١ .

(٣٧) المحتسب ٢٨٧/٢ .

(٣٨) شرح الشافية ١٠ ، ١١ ط ١٣٤٥ وفي الصبان اعتراض بان التداخل في جزءي الكلمة الواحدة غير معهود إنما المعهود التداخل في الكلمتين نحو ككت بضم الكاف تكاد فإن كدت بالنضم على لغة من قال كاد يكود واكاد على لغة من قال : كاد يكاد ٢٣٨/٤ ، ٢٣٩ وقال أبو حيان : كسرت الحاء اتباعاً لكسرة ذات وال حاجز غير حصين واعتراض عليه أيضاً بأن (ال) كلمة برأسها فهي حاجز قوى يمنع من الاتباع انظر المصدر السابق ٢٣٩/٤ .

محققو المحتسب : « مسلم فى التركيب من لغتين لأنه — حينئذ — أخذ من مفرد وجمع أما التركيب من قراءتين — ان صح الأخذ به — فلا يبدو بعيدا لأن قراءتى الجمع والمفرد مرويتان والقارىء بالتركيب منهما يريد أن يروى ما يؤثر لا التعبير عما يريد التعبير عنه ، وهذا فيما يبدو لى أصوب من اعتبارها خارجة على القواعد وقد حاول ابن جنى وصفها بذلك أولا ثم بدا له تخريجها على هذا الوجه المقبول ، ويكن ادراك الوصف الأول من قوله : « وأما الحبك بكسر الحاء وضم الباء فأحسبه سهوا وذلك أنه ليس فى كلامهم فعل أصلا بكسر الفاء وضم العين وهو المثال الثانى عشر من تركيب الثلاثى فإنه ليس فى اسم ولا فعل أصلا » (٣٩) .

وقد اعتبر الدكتور أنيس القول بالتداخل فى الصيغ « ناحية صناعية بحثة لا تسوغها تلك الأمثلة التى رواها ابن جنى فضلا عن أنه لم يبين كيف تتداخل اللغات ولا الدوافع التى قد تدعو لمثل هذا التداخل فافتراض أن لهجة من اللهجات تستعير طريقة النطق بالماضى فقط دون مضارعه أو المضارع فقط دون ماضيه أمر بعيد الاحتمال وذلك لأن الأوزان لا تستعار وإنما الذى يستعار هو الكلمات وليس هناك من مسوغ يمكن معه أن تنتقل القبيلة أو الرجل فيها من قوله نعم ينعم بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع الى نعم ينعم بكسر العين فى الماضى وضمها فى المضارع (٤٠) ، وقد سبق أدلة لرأيه هذا :

(أ) من كلام ابن جنى نفسه من بعض القصص التى تقوم حجة عليه لا له فمن ذلك ما روى عن أبى حاتم قال : قرأ على أعرابى

(٣٩) المحتسب وتعليق المحققين ٢٨٧/٢ .

(٤٠) فى اللهجات العربية ط ٢ ص ١٥٣ ، ١٥٤ بتصرف يسير ومن

أسرار اللغة ط ٣ ص ٣٠ .

حجة عليه لا له فمن ذلك ما روى عن أبي حاتم قال : قرأ على أعرابي
بالحرم (طيبى لهم وحسن مأب) فقلت : طوبى فقال : طيبى قلت
طوبى قال طيبى فلما اشتد على قلت : طوطو فقال طى طى (٤١) .

(ب) نلاحظ فى اللهجات الحديثة أن الرجلين من أبناء لهجتين
مختلفتين قد يلتقيان ويصادق أحدهما الآخر زمانا طويلا وكل منهما
يلتزم لهجته وما نشأ عليه فإذا تأثر أحدهما بالآخر وأخذ يقلده فى
لهجته لسبب من الأسباب تكلم كل منهما بعد مران طويل ومخالطة
مستمرة لهجة واحدة أما أن تفترح اللهجتان وينشأ منهما لهجة ثالثة
فليس مما يقره المحدثون من الباحثين فى اللغات .

وقد اقترح الدكتور أنيس حلا لتلك المشكلة التى أعيت القدماء
أن تجمع كل الأفعال الثلاثية ماضيها ومضارعها ثم تبوب وتنسق
وينظر إليها على أنها تنتمى الى لهجات متعددة ، . . ، وقد قام هو
بنفسه بعملية الجمع والتبويب هذه متخذا القرآن الكريم ومعاجم
اللغة مصادر لبحثه وقد خرج من ذلك بنتائج يمكن حصر أهمها
فيما يأتى :

١ — الماضى المفتوح العين يكون مضارعه مضموم العين أو
مكسورها الا حين تكون لامه أو عينه من حروف الحلق فتفتح مع
استثناء الأفعال القرآنية : نزع — قعد — رجع — بلغ — زعم —
نفخ — نكح .

٢ — الماضى المكسور العين لا يكون مضارعه الا مفتوح العين .

٣ — جعل باب (فعل يفعل) بضم العين فيهما (الذى لم يعثر

فى القرآن الكريم له الا على فعلين كبر وبصر (فرعا لصيغة (فعل)
وأنه لا يلجأ اليها الا حين يراد المبالغة فى معنى الحدث .

٤ — لا يوجد فى القرآن الكريم باب (فعل يفعل) بكسر العين
فى الماضى والمضارع (٤٢) .

٥ — الأفعال المشتركة التى ورد لكل منها أكثر من باب ولم
يختلف معناها قسم الاشتراك بينها الى : الاشتراك بين بابى نصر
وضرب — بين بابى ضرب وفرح — بين بابى نصر وفرح — بين بابى
فرح وكرم — بين باب كرم وبابى ضرب ونصر ، وقد جعل لكل
من هذه الأقسام بابا أصليا واحدا يطرح ما عداه الا فى القليل
النادر الذى يأخذ وضعاً خاصاً ، وبنى هذا الحكم على تقسيم
المحدثين للأفعال الى اختيارية واضطرابية والاختيارية فى عرفهم هى
التى لنا اختيار فى حدوثها ولو كانت مما يعده القدماء لازماً كجلس
وقعد ، والاضطرابية عندهم بعكس ذلك وهى ما ليس لنا اختيار فى
حدوثها مثل كبر وضعف وقد لاحظ المحدثون أن كلا من هذين النوعين
يختلف عن الآخر فى صيغته فبينما يؤثر أحدهما حركة من الحركات
يؤثر الآخر حركة أخرى (٤٣) ، وبناء على ذلك حكم بأن الاشتراك فى
بابى نصر وضرب يجب أن ينسب الى لهجتين مختلفتين ، وربما
كانت تلك الأفعال من هذا النوع تستعمل فى لهجة واحدة ، أما

(٤٢) من أسرار اللغة ط ٣ ص ٤١ وفى اللهجات العربية ط ٢ ص ١٥٧ .

(٤٣) يفهم من تفسيره للأفعال ان الحركة للفعل الاختيارى تكون عادة
الفتحة فى المتعدى وبذلك يكون هو الأصل وفى الاضطرابى الكسرة والضمة
فى اللازم ويفاضل بينهما عند الاجتماع فتقدم الكسرة على الضمة فتعد
صاحبة الباب .

الاشتراك في بابى ضرب وفرح أو في بابى نصر وفرح فإذا كان الفعل من الأفعال الاختيارية حددنا له باب نصر أو ضرب وضربنا صفحا بباب فرح الذى نسبته له المعاجم أما اذا كان من الأفعال الاجبارية حددنا له باب فرح وضربنا صفحا عن باب نصر أو ضرب ، والاشتراك في بابى فرح وكرم يجعلنا نحكم بأنها من الباب الأول وحده ، فإذا كانت الأفعال المشتركة من باب كرم وبابى ضرب ونصر فسرناها على أن معناها من باب كرم قد قصد فيه المبالغة وأن الفعل من بابى نصر وضرب قد حول الى كرم للرغبة في جعل المعنى من الصفات الغريزية الثابتة^(٤٤) ، ونحن نجيب :

١ — بأن تداخل اللغات ليس عملية صناعية بحتة بل استمدتها ابن جنى من واقع اللغة وأتى بأمثلة مستعملة في العربية الفصحى والقراءات القرآنية وقد أبان ابن جنى عن الأغراض التى دعت العربى الى الاقتباس من لغة أخيه وهى كثرة الخلط معه لما يحتاجه فى حياته بجوانبها المتعددة وقد بينا ذلك بوضوح فى أسباب نشأة اللهجات فى اللغة بما يبرهن على أن ابن جنى تكلم عن دوافع الانقسام والأخذ عن الآخرين عربا وغير عرب .

٢ — القصة التى أوردها الدكتور أنيس رواية عن ابن جنى ان دلت^(٤٥) على امتناع تحول العربى عن لهجته الى لهجة غيره فهناك — فيما روى عن ابن جنى أيضا — قصصا كثيرة تدل على تحول اللسان من لهجة الى أخرى ويمكن أن ننقل القصة التى ذكرت عقب تلك القصة

(٤٤) من أسرار اللغة ط ١٩٥١ ص ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ وانظر مؤتمر المجمع اللغوى الدورة (١٦) ١٩٤٩ — ١٩٥٠ .

السابقة التي رواها الدكتور أنيس ونجتزىء بها عن غيرها :
« فقد روى أن أبا عمرو سأل أبا خيرة عن قولهم استأصل الله عرقاتهم
فنصب أبو خيرة التاء من عرقاتهم فقال له أبو عمرو : هيهات أبا خيرة
لأن جلدك » والأعرابي قد ينطق بالكلمة يعتقد أن غيرها أقوى في
نفسه منها ، ألا ترى أن أبا العباس حكى عن عمارة أنه كان يقرأ
« ولا الليل سابق النهار » بالنصب دون تنوين سابق قال أبو العباس :
فقلت له : ما أردت ؟ قال : سابق النهار بتنوين سابق فقلت له
غها قلته ؟ فقال : لو قلته لكان أوزن أى أقوى (٦٤) ، فكما أن
العربي يتمسك أحيانا بلغته ويعتصم بها قد ينتقل هو أو غيره الى
لغة أخرى فصيحة أو غيرها أو يتأثر بتلك اللغة بما يظهر في لهجته
التي يستعملها كما أوضح ذلك أبو الفتح ابن جنى .

٣ — تصور الدكتور أنيس لاثنتين يعيشان معا ثم لا تتأثر لهجة
أحدهما بلهجة الآخر تصور بعيد ، فالإنسان منا في حياته العادية
إذا عاش انسانا دون أن يسكن معه فقد تتسرب على مر الزمن بعض
خصائص لهجته اليه وقد ينطق بها أحيانا بلا شعور منه أو ارادة
وذلك واضح ملموس فما بالتا باثنتين يعيشان معا في بيت واحد ؟
أن ذلك ولا شك سيترك أثرا يعد خليطا من لهجتيهما ، ولم تنشأ
اللهجات العربية الا من هذه المخالطة بين العرب وغيرهم بما تعد به
خليطا من مواد وطرائق عربية ممزوجة بغيرها من سمات اللغات
الأخرى التي اتصلت بها وعاشرتها مع أهلها .

(٤٥) لأن الواضح منها تعنت هذا العربي في معارضة أبى حاتم .

(٤٦) الخصائص ٣٧٣/١ ، ٣٨٤ ، ١٣/٢ في قصة أبى خيرة .

على أن الدكتور أنيس نفسه يميل الى قبول معنى التداخل ويظهر ذلك من عبارات له تقيد توقعه لصحة هذا الرأي ، فقد دافع عن ابن جنى بقوله « لعل ابن جنى أراد بتداخل اللغات أنه قد يتصادف أن نجد في لهجة من اللهجات فعلا أو فعلين لا يتبعان طريقة الاشتقاق في الأفعال الأخرى مثل نعم ينعم بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع وحينئذ نعال مثل هذه الأفعال بأن الماضي أو المضارع غريب على هذه اللهجة أو أنه على هذه الصورة مستعار من لهجة أخرى تحت تأثير ظروف خاصة به ، وعندما وقف أمام الأفعال (نكح - نزع - رجع - بلغ - قعد - زعم - نفخ) ليفسرها أطلق لقلمه أن يقول : « يظهر أنها تنتمي في صيغتها للهجة أخرى غير اللهجة القرشبية ... وليس معنى هذا استعارة الصيغة أو طريقة الاشتقاق وانما معناه استعارة هذه الأفعال بصيغتها الشائعة في مصدرها الأصلي » .

وأنا أفهم من مجرد أنها مستعارة معنى التداخل والا فكيف يمكن تصور ذلك دون هذا المعنى ولا فرق أن تكون مستعارة بلفظها أو بصيغتها فمجرد الاستعارة يعطيها هذا المفهوم الواضح الواقعي ، على أن كلام الدكتور أنيس يدل على نظرة ليست قاطعة فعباراته تمتلئ بأسلوب : يظهر - وربما - ولعل - فاذا صح^(٤٧) وفي تعليقه على تقسيم الأفعال الذي اقترحه لم يكن جازما أيضا .

ولذلك يقول :

« ولعل من القبائل من كانوا يؤثرون صيغة (فعل يفعل) بكسر العين في الماضي وضمها في المضارع ولعل منها من كانوا يقولون (فعل يفعل) بضم العين في الماضي وفتحها في المضارع الى غير

(٤٧) ن أسرار اللغة ط ٣ ص ٣٠ ، ٣١ ، وفي اللهجات العربية

ط ٢ ص ١٥٩ .

ذلك من الاحتمالات التى ستكشف عنها بحوث المستقبل « (٤٨) .

(ج) التداخل فى الألفاظ :

وذلك بأن تضع قبيلة لفظا من الألفاظ لمعنى وتضع له قبيلة أخرى لفظا آخر فينتقل لفظ احدى القبيلتين الى الأخرى وتستعمله استعمالها للفظها (٤٩) ، ومن ذلك ما يلاحظ من اجتماع لهجتين عند رجل واحد. يورد لفظتين أو أكثر لمعنى واحد فى لغته وإذا كثرت على المعنى الواحد ألفاظ مختلفة فسمعت فى لغة انسان واحد فان أخرى ذلك أن يكون قد أفاد أكثرها أو طرفا منها ، من حيث كانت القبيلة الواحدة لا تتواطأ فى المعنى الواحد على ذلك كله ، هذا فى غالب الأمر (٥٠) ومعنى ذلك أن الترادف ينشأ من اختلاف اللهجات واجتماعها ويمكن ادخاله تحت (تداخل اللغات) (٥١) .

وقد يكون اللفظ واحدا مختلف الصورة من ناحية البنية وأحكامها الصرفية أو الصوتية فتستعمل احدى القبائل الصورة المستعملة للفظ عند غيرها من شقيقاتها ، فما يتعلق بالبنية والصرف كاستعمال فعل وأفعل بمعنى واحد فى قول الشاعر :

سقى قومى بنى مجد وأسقى نميرا والقبائل من هلال

(٤٨) وقد كان رأيه محل نظر من أعضاء المجمع اللغوى . انظر مؤتمر

المجمع الدورة (١٦) .

(٤٩) فقه اللغة د. نجا ٢٦/٤ .

(٥٠) اذ من الجائز أن تكون قبيلته قد وضعت الألفاظ جميعا لهذا

المعنى وذلك احتمال ضئيل . الخصائص ٣٧٠/١ — ٣٧٣ .

(٥١) هناك المشترك والمتضاد وفيه تجتمع عدة معان للفظ واحد

وبعضها ينشأ من اجتماع اللهجات أيضا فيمكن أن يسمى ذلك تداخلا .

واستعمال صلة الضمير مرة وعدم استعمالها مرة أخرى في قول الشاعر:

فظلت لدى البيت العتيق أخيلهو ومطواى مشتاقان له أرقان
واستعمال الصلة رأى الجمهور وحذفها لغة لأزد السراة .

ومما يتعلق بالناحية الصوتية : الابدال في مثل سكر طبرزل وطبرزن ، وأيم وأين للحية ، فتلك لهجات مختلفة كما يصرح ابن جنى^(٥٢) .

وقد اعترض الدكتور أنيس — كذلك — على تداخل اللغات في الألفاظ بمعنى أن العربى قد يستعمل خصائص من لهجة غيره مع لهجته ، فلكل لهجة صفات خاصة بها ، وليس من المرجح أن يجتمع في اللهجة الواحدة صفتان مختلفتان في أمر واحد^(٥٣) .

والواقع أن ذلك ليس بممنوع ، فالفرد منا ينتقل من بلدته ويذهب الى غيرها فتتغير على لسانه بعض النواحي الصوتية ويميل الى استخدام ألوان جديدة من البيئة التى انتقل اليها اما للحاجة أو للتظاهر ومجارات الأوضاع الجديدة وقد تصبح مع مرور الزمن طبيعية عنده^(٥٤) .

وتعترف جمهرة الباحثين بالتداخل ، فأستاذنا الدكتور نجاة يعترف بالتداخل ، ويعدده من نظرات ابن جنى الثاقبة في دراسته اللغوية ، ومن الأمور الهامة التى عرض لها ، لأنه أبان عن توليد أبواب جديدة لا تتفق والقواعد المعروفة نتيجة لاختلاط الاستعمالات

(٥٢) الخصائص ٧٠/١ وما بعدها .

(٥٣) في اللهجات العربية ص ١٥٢ .

(٥٤) مثل : عليه بفتح اللام وكسرهما ، عملت بفتح العين والميم وكسرهما ونحو ذلك مما نجده في بيئاتنا .

العربية الناجمة عن كثرة ارتحال العرب من مواطنهم طلبا للعيش الذي ينشدونه^(٥٥) ، وعقد فصلا خاصا من كتابه بعنوان « تداخل اللغات وتوافقها » بين فيه كيف تتداخل اللغات وأسباب ذلك ونتائجه^(٥٦) .

والأستاذ العلايلي يعترف أيضا بتداخل اللغات وعقد له فصلا في كتابه « مقدمة لدرس لغة العرب » وعده ذا أثر في توليد عدد من المواد والمشتقات الا أنه يقول :

أظن أن من الخطأ الشك في تأثيره وعمله ، كذلك أظن أن من الخطأ المبالغة في عمله الى الحد الذي يصطنعه دارسو اللغة اليوم .

ويفسر ما حكاه ابن جنى من باب التداخل في أبنية الأسماء مثل طهر فهو ظاهر وشعر فهو شاعر على أنه ليس من تداخل اللغات ، بل من تداخل الأوضاع بنسيان الخصوصية أو بتقاربها (قالوا أحب الرجل ومفعوله محبوب وحب وفاعله محب) واستغنوا بهذه المداخلة غير المقصودة عن حاب ومحب لتقارب الخصوصية بين المزيد والأصل ، وأكثر ما يأتي من ذلك يعد في نظره أثريات مضمحلة أو تنويعات لم تتعمم^(٥٧) .

ويتخذ الأستاذ العلايلي من التداخل طريقا الى الاستفادة من النظام الجديد الذي يحاول تطبيقه في اللغة العربية « ففي العمل اللغوي الجديد يمكن أن ندخل مثلاً في هلك يهلك بين بابي ضرب وطرب ، وباب ضرب هو الأصل ، وباب طرب يدل على المفاجأة ، فنداخل بينهما لافادة شيء يجيء تارة مفاجئاً وتارة على الطبيعة ،

(٥٥) فقه اللغة ط الجديدة ١٦/٤ ، ١٧ بتصرف .

(٥٦) المصدر السابق ٢٥ — ٢٧ .

(٥٧) مقدمة لدرس لغة العرب ٢٢٢ .

فاذا حللنا عليه (هلك) مثلاً دلت من باب (ضرب) على الهلاك الطبيعي ومن باب (طرب) على الهلاك الفجائى •

وفى التداخل على الهلاك مما لا ينتظر كالموت من الجرح اليسير بالتسمم ، ويسمى هذا العامل بعد تقريره على هذا الوجه بتداخل الأوضاع^(٥٨) •

ويفسر اختلاف أبنية الأفعال على أنها تمثل مراحل التطور التى مرت بها لغتنا العربية ، وأن العربى فى طور الاستقرار حاول تصحيح الماضى على الفتح والمضارع على الكسر ، وأمامت باب نصر والباب السادس ، وقرر الباب الثالث فيما كان حلقى العين أو اللام وبقية الأبواب يلجأ إليها لحاجات معنوية ، وما وقع حلقيا وليس من هذا الباب فأتى^(٥٩) •

والحق أن رأيه فى أبنية الأفعال وتطورها واستخدام التداخل فى الوضع اللغوى الجديد اقتراح لا نعلم أن علماء اللغة المحدثين قد وافقوه عليه •

(٥٨) المصدر السابق : ٢٢٩ •
(٥٩) المصدر السابق : ١٦٨ ، ١٦٩ •

البَابُ الثَالِثُ

التَّوْحِيدُ اللُّغَوِيُّ وَالْعَرَبِيَّةُ الْبَاقِيَّةُ

التوحد اللغوى بين اللهجات :

يحتاج الناس الى اتصال بعضهم ببعض أفرادا وجماعات وأهبا ، ولهذا الاتصال آثاره اللغوية ، فلهجات ولغات تلك الجماعات والأمم تتلاقى ويستفيد بعضها من بعض ، والتأثر الذى يعترى لهجات اللغة الواحدة قد يبدو عاديا حين لا يكون الاختلاط بين الطبقات كبيرا كلهجات القرى والمدن فى أية دولة ، فكل منها سمات تمتاز بها من الأخرى ، وبينها اشتراك فى مظاهر كثيرة تستخدمها من اللغة العامة ولذا لا تستعصى أحداها على الفهم خارج حدودها ، اللهم الا فى حالات العزلة التى تعيش فيها بعض القرى والأماكن النائية أو الأقاليم التى تفصل بعضها عن بعض أمور جغرافية واجتماعية فانها تؤدى الى ظهور سمات تنفرد بها لهجاتها ، وقد تستعصى على فهم غيرها من البلاد النائية عنها قرية كانت أو مدينة ، وحين تتجاوز اللهجات الخاصة فى المدن الكبرى والقرى المجاورة لها تزيد درجات التأثير ، ففى داخل المدن يكثر الاختلاط بين الطبقات ويحاول الأدنى تقليد الأرقى ، ومع ذلك تبقى لكل لهجة خصائصها المميزة ، وسكان القرى المجاورة للمدن يحاولون التخلّى عن خصائص لهجاتهم وتقليد المدينة ، لأن حضارة أهل المدن وثقافتهم تجعل الرغبة فى تقليدهم ملحة لدى الريفين •

وقد أجريت بحوث فى هذا الحقل أوضحت عوامل تفوق لهجة على أخرى ، وهى تعود فى معظمها الى الثقافة والحضارة والنفوذ والسلطان وعدد الناطقين ونحو ذلك فاذا انفردت أحداها بمزية بأن كانت أكثر ثقافة أو حضارة أو ذات نفوذ سياسى أو تجارى أو دينى واسع أو كثر عدد الناطقين بها فإن ذلك يدعو الى تغلبها على

أختها أو أخواتها من اللهجات الأخرى ، وقد حدث هذا كثيرا فى التاريخ اللغوى فاللاتينية التى صارت لغة ايطاليا المشتركة وأخيرا لغة العالم بأسره كانت لغة روما أولا وقبل كل شئ ، أى لغة المدينة فى مقابلة الريف المجاور واللهجات القاضية على السواء^(١) .

واللهجة الباريسية أصبحت لغة فرنسا بتغلبها على اللهجات الأخرى (فالفرنسية انما خرجت من العاصمة ومن طبقة اجتماعية يعينها من طبقات العاصمة وهى البرجوازية ، وقد استقرت فى القرن التاسع عشر وسلم بها القصر ثم الأقاليم والكتاب الكبار باستعمالهم اياها زودوها بالقدره على فرض نفسها نهائيا وعلى استمرارها لذلك لا نكاد نحس فيها أثرا للهجات)^(٢) .

ولهجة فلورنسا كانت مزاياها الذاتية ترشحها أكثر من غيرها للقيام بدور اللغة المشتركة اذ كانت أقرب من غيرها الى اللاتينية^(٣) . ولهجة فلورنسا (فى ايطاليا) لهجة المجتمع الراقى بهذه المدينة هى التى صارت لغة ايطاليا .

ولهجة قریش تغلبت على سائر لهجات الجزيرة العربية قبل الاسلام لتحقيق النفوذ السياسى والاقتصادى والدينى لها .

ويمكن أن تنشأ على أثر ذلك لغة مشتركة تحمل خصائص اللهجة المتغلبة وما بقى من خصائص اللهجات الأخرى المنحدرة .

وهذا التوحد اللغوى — الذى أشرنا اليه — يخضع لعوامل كثيرة أهمها :

(١) اللغة لفندريس : ٢٢٩ .

(٢) المصدر السابق : ٣٣٠ .

(٣) اللغة : ٣٣٥ .

١ - العامل السياسى :

فخضوع عدة مناطق لنظام سياسى واحد يؤدى الى تقارب لهجاتها ثم توحيدها فى لغة عامة ، فالساسة والحكام يجرّدون أحاديثهم العامة فى مختلف المناطق من المظاهر الصوتية والصرفية والمعجمية وغيرها مما يختص بلهجة قرية أو مدينة معينة أو طائفة حرفية ولو كان الحاكم من أبنائها ليكون ما يوجه الى الشعب مفهوما لدى كل الطبقات الاجتماعية ونلاحظ أن عاصمة الدولة تكون محط أنظار قاطنى المناطق الأخرى فيحاولون تقليد لهجاتها والتخلى عما تنفرد به لهجاتهم الأصلية ومن هنا تنشأ لغة عامة خالية الى حد كبير من خصائص اللهجات المحلية ، ويمكن أن نمثل لذلك بامتداد نفوذ الفرنسية التى كانت لهجة باريس ثم انتشرت فى جميع البلاد الداخلة فى المجال السياسى الفرنسى .

واللاتينية صارت لغة ايطاليا المشتركة ، وأخيرا لغة المجتمع الغربى بأسره^(٤) تبعا للنظام السياسى وذلك فى الامبراطورية الرومانية^(٥) القديمة وعدم خضوع الدولة لنظام سياسى واحد يضع الصعوبات فى طريق التوحيد اللغوى ، فألمانيا التى ظلت قرونا ولايات مستقلة سياسيا وبدون عاصمة مثل على عرقلة الحالة السياسية لظهور لغة عامة^(٦) .

وكانت تبدو آثار اللهجات المحلية فى عامية متعلمى الألمان حتى فى أيامنا هذه أكثر من غيرها من البلاد الأوربية^(٧) ، ولذا قام انتشار الألمانية المشتركة فيها على أسباب مستقلة عن كل وحدة

(٤) اللغة : ٣٢٩ .

(٥) اللغة والمجتمع د. محمود السمران ص ١٧٤ .

(٦) المصدر السابق : ١٧٤ .

(٧) اللغة : ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

سياسية ، فالألمانية المشتركة أولا وقبل كل شيء لغة كتابة تدين بنجاحها الى أسباب دينية كما تدين بأصلها الى الرغبة فى الاستعمار ، وكانت هناك حركة مارتن لوتر وترجمته للكتاب المقدس ، وهناك لغة المستشاريات فى المدن والامارات الألمانية ، والألمانية كانت تحتل الأراضى السلافية قدما بقدم وتحل محل اللغات السلافية فتكونت الألمانية المشتركة فى مدن الاستعمار فى ألمانيا الشرقية ، تلك اللغة التى وصلت بفضل الإصلاح الدينى الى أهميتها الأدبية واستقرت بفضل اكتشاف المطبعة وصارت لغة الكتابة فى ألمانيا المثقفة بأسرها^(٨) .

٢ — العامل الاجتماعى والاقتصادى :

تقوم بين جماعات الشعب روابط النسب والمصاهرة ، ويلتقون للتجارة وتبادل المنافع فى شتى المجالات ، وقد تنشب بينهم المنازعات ، وهذا يؤدى الى اختلاطهم وقوة الاتصال بينهم ولذلك أثره فى التقريب بين اللهجات وظهور لغة عامة تتلخص من السمات التى تنفرد بها كل لهجة .

ومن الأمثلة التى توضح أثر هذا العامل ما حدث للهجات الجزيرة العربية من توحيد — فى لغة عامة — قبل الاسلام بحوالى قرن ونصف أو قرنين من الزمان ، لما كان بين أهلها العرب من ارتباط فى النسب وعلاقات المصاهرة الوثيقة والجوار والتعامل التجارى وغيره من الصلات الاجتماعية .

٣ — العامل الأدبى :

الأدب وسيلة مهمة من وسائل التوحيد اللغوى ، فالأدباء من قصاص وشعراء يكتبون أدبهم بلغة يفهمها جميع الشعب بمختلف

(٨) المصدر السابق .

طبقاته ، ليروج ويذيع ، وتلك اللغة التى يكتبون بها تتخلص من الخصائص المتعلقة باللهجات المحلية لأى اقليم من أقاليم الدولة ، وهذا يهيب سبيل التوحد للهجات الجماعات المتعددة •

وقد سادت عند العرب لغة عامة صيغ بها النثر والشعر اللذين عنيت بهما الأسواق الأدبية كعكاظ وذى المجاز والمجنة ، وكم جرى التنافس والجارزة بين الشعراء فى هذه الأسواق ليحكم لهذا بالتفوق على ذاك وكانت تلك الأشعار مصدر امتاع للجماهير العربية ، وساعد ذلك على ظهور لغة مشتركة بين العرب جميعا قامت على أساس اللهجة القرشية وما استفادته من محاسن اللهجات الأخرى •

وفى أوروبا توحدت لهجات مشتركة من أصل أدبى محض مثل الايطالية التى استقرت لغة مشتركة ابتداء من القرن الرابع عشر بفضل هيئة الكتاب العظام وتأثيرهم مثل دانتي وبتزارك ولوكاشيو وذلك فى وقت لم يكن لايطاليا فيه أية وحدة سياسية ، وأغلب الظن أن هؤلاء الكتاب استعملوا اللغة التى كانت تتكلم حولهم ... واللغة التى رفعها (دانتي) الى مرتبة اللغة الأدبية والتى صارت لغة ايطاليا المشتركة كانت أولا وقبل كل شىء لغة مدينة فى فلورنسا ولغة المجتمع الراقى فى هذه المدينة^(٩) •

٤ - وسائل الاعلام :

لوسائل الاعلام كالاذاعة المسموعة والمرئية ودور الخيالة (السينما) والمسارح والصحافة وغيرها أثرها فى التوحد اللغوى فهى لسان حال الأمة والمعبر عن أغراضها السياسية والاجتماعية ، وهى تستخدم لغة أشبه بأن تكون عامة فيما يسمع أو يكتب على سواء فى الأقطار العربية — مثلا — تستخدم الفصحى وبعض

(٩) اللغة : ص ٣٣٥ •

الأساليب العامة التي يفهمها الجميع ، وتلك الوسائل — بلا شك — لها خطرها في التأثير على الناس وتكوين لغة عامة •

٥ — المدن الكبرى :

للمدن الكبرى أثرها في نشوء لغة مشتركة اذ تتطلع اليها أنظار سكان الأماكن المجاورة لها والبعيدة عنها فيكثر الغادون اليها من كل صوب ، وهم حين يلتقون داخل تلك المدن يحاولون — عادة — التخلي عن سمات لهجاتهم الأصلية ، ويميلون الى استخدام لغة عامة يفهمونها جميعا ، فاذا أضفنا الى ذلك أنهم يلتقون بالسكان الأصليين لهذه المدن أدركنا الى أي حد يمكن أن تبرز لغة عامة يستعملها الشعب كله •

فالدور الأساسي الذي آل الى أثينا بعد سقوط الامبراطورية الفارسية أدى الى ظهور لغة مشتركة مستمدة من اللهجة الأتيكية ولكن زاد من قوة الأتيكية واشعاعها شهرة شعرائها وفنانيها فكان لأثينا — بوصفها مركزا سياسيا وأديبا وفنيا على السواء — شرف تأسيس اللغة المشتركة التي ظلت منذ القرن الرابع قبل الميلاد حتى التاسع بعد الميلاد أداة للتفكير عند جميع 'الاغريقين' (١٠) •

وقد تكونت الانجليزية المشتركة في مدينة لندن التي ساعد موقعها على أن تكون ملتقى لمختلف اللهجات (هذا الى أن تكون اللغة المشتركة صادف وقوعه فترة نمو لندن المفاجيء حيث أخذت تلتقى بين أحضانها طوائف المهاجرين على اختلافهم ، يفدون عليها من الأقاليم ، ويمتزجون بالسكان السابقين ، هذه الهجرات أدت الى شحن اللغة المشتركة بآثار اللهجات حتى لتجد نطق الانجليزية في القرن السابع عشر لم يثبت بعد ، وأنه يشتمل على عدد كثير من وجوه الخلاف ، ولا تزال بقايا

(١٠) اللغة : ٢٨ ، ٣٢٩ •

منه موجودة حتى اليوم ، ولكن هذه الهجرة الإقليمية أنعشت تبادل السكان بين العاصمة والأقاليم ، ذلك التبادل المفيد الذى أدى أجل خدمة لانتشار اللغة المشتركة وإذا فاتجلترا تدين — أيضا — بتوحيد لغتها توحيدا نسبيا الى أهمية عاصمتها (١١) .

وفى مدينة القاهرة تتراحم اللهجات من مختلف أقاليم الجمهورية بلقاءات أصحابها ولذا تميل الى التوحد فيما يشبه أن يكون لغة عامة يفهمها الجميع .

٦ — الدين والعلم والثقافة والخدمة العسكرية :

فالدين يجمع الناس حول كتاب واحد يقرءونه ويتعبدون به ويطبّقون أحكامه ويدعوهم الى الاجتماعات العامة فى الصلوات والأعياد والحج وغيرها ولذلك أثره الكبير فى التوحد اللغوى .

ولا شك أن العلم والثقافة والخدمة العسكرية تؤدى دورها فى اتخاذ لغة عامة فدور العلم والثقافة وطلابها الذين يفدون من مختلف الأقاليم ويلتقون فى المدارس والجامعات وقصور الثقافة والمكتبات وما شاكلها ولقاءات الثكنات العسكرية كذلك له أثره فى تخلق هذه الطوائف عما لا يفهم من لهجاتها ويتجهون بذلك الى لغة عامة .

وقد حاول تيمورلنك أن يضع لغة لجيشه تسهل مهمة قواده ، ومع فشل تلك المحاولة فانها تدل على احتياج الجيوش الى نظام لغوى مفهوم لدى أوساطها المتباينة (١٢) .

وفى اطار هذه الأسباب الداعية الى توحيد النظام اللغوى فان العالم العربى قد توافرت له علاقات كثيرة اجتماعية ودينية وسياسية

(١١) المصدر السابق : ٣٣١ ، ٣٣٢ .

(١٢) اللهجات العربية للدكتور ابراهيم نجا ص ٢٤ ، ٢٦ واللغة

والمجتمع للدكتور السمران ص ١٧٢ ، ١٧٥ .

وأدبية وثقافية وربطت بين أرجائه الاذاعة المسموعة والمرئية
والصحافة وسبل المواصلات فبرزت فيه لغة مشتركة تتمثل في العربية
الفصحى التي تضيق هوة الخلاف بين اللهجات الدراجة المنتشرة فيه .

ولا ننسى أن نشير الى أن اللغة المشتركة التي تنشأ عن الأسباب
السابقة ونحوها لا تتخلص نهائيا من خصائص اللهجات المحلية ، بل
تبدو آثارها فيها وتنعكس عليها .

ويتجلى هذا الأثر واضحا في العربية الفصحى المعاصرة
واللهجات العامية المتفرعة منها ، وقد أشرنا — من قبل — الى ماتحويه
اللغات المشتركة في ألمانيا وانجلترا وفرنسا من آثار اللهجات المحلية
التي شاركت فيها (١٣) .

(١٣) انظر كتابنا : علم اللغة بين القديم والحديث ط ٢ من
ص ١٦٥ — ١٧٣ .

العربية الباقية

يقتضينا الحديث عن عوامل الانقسام والتوحد فى اللغة ، أن نعين موقف لغتنا العربية التى ورثناها عن أسلافنا من التوحد والانقسام •

فلغتنا العربية بدأت على ألسنة العرب الأولين وقبائلهم القديمة من أمثال (عاد) التى كانت تعيش فى جنوبى الجزيرة ، وثمود التى كانت تجاور الآراميين فى شماليتها •

وهذا التفرق للقبائل دعا الى ظهور لهجات عربية هنا وهناك ، الا أن قبائل الشمال تأثرت لهجاتها — فيما يبدو — بالآرامية التى هى احدى اللغات السامية — أخوات العربية — وقد وصلتنا نقوش تحمل بعض هذه اللهجات وتبين بعض معالمها الصوتية ، وخصائص القواعد والمفردات فيها •

ولما اندثرت القبائل القديمة المتحدثة بهذه اللهجات كانت بقايا منهم لا تزال تحمل لغة الآباء ، وتتحدث بها ، وعن طريقها نقلت الينا العربية الباقية •

واذا صح أن نطلق على اللهجات التى تحدثت بها قدامى القبائل العربية اسم (العربية البائدة) — لأنها قد بادت مع أهلها — فإننا نسمى اللغة التى وصلتنا بـ (العربية الباقية) لبقائها فىنا حتى اليوم •

وقد عاشت العربية فى شمالى الجزيرة (نجد والحجاز وتهامة) واستطاعت فى القرن السادس الميلادى أن تبسط نفوذها فى الجزيرة

كلها وتدخل اليمن مرة أخرى ، وتسيطر عليها وتمحو ما بقى فيها من لهجات ، وتحل محلها ، وهذا لأن أهلها العدنانيين استطاعوا أن يسيطروا على جنوبى الجزيرة بعد أن ضعف نتيجة الغزوات المتتالية من الفرس والأحباش ، وتبعهم الزحف اللغوى ، فتوحدت حينئذ لهجات الشمال والجنوب فى لغة عامة واحدة قبل الاسلام بحوالى مائة وخمسين عاما تقريبا^(١) .

واذا بحثنا عن أولية العربية الباقية فلن نستطيع الوقوف عليها لأن التاريخ اللغوى مجهول ولم تصلنا آثار ترشد إليه ، وكل ما نعرفه أنه توافرت لدينا نصوص أدبية — شعرا ونثرا — متكاملة القواعد والنظام اللغوى وهذا يعبر عن لغة بلغت شأوها من النضج والقوة لكنه لا يرشد الى فترة طفولة اللغة أيام كانت ساذجة ضعيفة غير مهذبة القواعد والتراكيب .

وهذه اللغة التى بلغت غايتها من النضج والتكوين هبى لها أن تنتشر فى الجزيرة العربية الواسعة حيث تختلف البيئات والعادات والتقاليد بين الشمال والجنوب ، والأحوال التى يعيش فيها أبناء العرب فى مواطنهم المتعددة ولذا لم تلبث أن انقسمت الى لهجات عديدة فى أنحاء الجزيرة .

ولم يعش العرب فى جزيرتهم منعزلين بعضهم عن بعض وانما كانوا يلتقون فى التجارة وفى الأسواق الأدبية التى يتبارى فيها

(١) قبل القرن الخامس الميلادى أخذت خصائص اللهجات العربية الشمالية القديمة واللهجات العربية الجنوبية القديمة تنصهر وتخضع لحسن العربية الفتية ولذوقها ومما لا جدال فيه أن ذلك الانتقال والتطور التدريجى للعربية قد حدث فى الحقبة التاريخية الواقعة بين القرنين الرابع والخامس الميلاديين ومن الجائز أن يكون ذلك قد حدث قبل القرن الثالث الميلادى ، انظر دراسات فى اللغة العربية د / خليل نامى ص ١٧ ، ١٨ .

الشعراء والأدباء ويقدمون نتاج قرائحهم ، وقد أدت لقاءاتهم المتعددة ، وسماع كل عربى اللهجات اخوانه من المناطق الأخرى الى أن يستفيد كل منهم من صاحبه من الناحية اللغوية كما يستفيد منه من النواحي التجارية والثقافية وغيرها .

وكان القرشيون يلتقون — كغيرهم من القبائل — باخوانهم العرب من كل مكان ، وقد ساعدت عوامل كثيرة على تهذيب لهجتهم ، وتهيئة الفرصة لها لتحتل الصدارة بين اللهجات العربية الأخرى ، وأهم هذه العوامل :

١. — نفوذهم الدينى :

كان القرشيون يحظون بتقدير العرب لهم ، لأنهم هم الذين يتولون سدانة البيت الحرام والقيام على شئونه ، وكانوا يستضيفون الحجاج ويقومون على سقايتهم^(٢) ، وتعليمهم مناسكهم^(٣) ، وبعد حادث أبرهة الأشرم توطد مركز قريش حتى قالت العرب عنهم : « أهل الله قاتل عنهم فكفاهم مؤونة عدوهم »^(٤) ، وهذا كله جعل لقريش سلطانا دينيا يعترف به العرب جميعا^(٥) حتى قيل عنهم « قريش أئمة الناس وهداتهم وأهل البيت وصريح ولد اسماعيل وقادة العرب »^(٦) .

٢. — نفوذهم التجارى :

انطلق القرشيون فى أنحاء الجزيرة وما حولها من الأقطار فى

(٢) السيرة النبوية ١٢/١ ، ١٢٥ ، ١٣١ وتاريخ الأمم والملوك ٢٦٠ / ٢ .

(٣) الخصائص ٣٣/١ .

(٤) السيرة النبوية ٥٠/١ وتاريخ الأمم والملوك ١٣٩/٢ .

(٥) تاريخ العرب العام ص ٥١ .

(٦) الطبقات الكبرى ٣٨/٢ ، ٨٦ والسيرة النبوية ١٥٢/٤ .

الشام وفارس والعراق ومصر والحبشة وكلهم ثقة واطمئنان لما لهم من مكانة بين العرب أساسها النفوذ الديني^(٧) .

وكانت أنشطتهم التجارية كبيرة وواسعة ففي رواية للطبري أن إحدى قوافلهم التجارية بلغت خمسمائة وألف بعير ومائة رجل ، ولا ريب أن هذه القافلة التجارية الكبيرة كانت تحتاج إلى أدلاء معرفة وخبرة بالصحراء وطرق التجارة وحراس يحمونها من السلب والنهب وكانت قريش تستخدم في ذلك رجالا من قبائل العرب المختلفة في الجزيرة ولا سيما البدو^(٨) .

وقد ازدهرت تجارة قريش ولا سيما بعد انهيار سد مأرب سنة ٤٥٠ م وطرد قبيلة خزاعة من مكة .

وكانت لهم سفن تنقل التجارة من الحبشة وإفريقية الشرقية عبر البحر الأحمر وكانت تنقل تجارتها وتجارة اليمن إلى أسواق فلسطين وتنقل تجارة الشام وحوض البحر المتوسط إلى الحجاز ونجد واليمن^(٩) ، وهكذا تجارة الأقطار الأخرى .

ولا ريب أن ذلك كله جعل لقريش مركزا تجاريا أثروا من وراءه ثروات طائلة ووطد صلاتهم بالقبائل العربية المختلفة .

وقد نزل القرآن الكريم مشيرا إلى رحلاتهم التجارية صيفا وشتاء قائلا : « لا يلاف قريش أيلافهم رحلة الشتاء والصيف » .

(٧) تاريخ الأمم والملوك ٢/٢٥٢ ، ٢٧٧ ، ٣٢٧ ، ٦٣/٣ ، ٥٦/٤ ، والطبقات الكبرى ١/٤٥ ، ٤٨ ، والسيرة النبوية ١/١٢٥ ، ٦٩/٢ ، ١٨٢ ، ١٨٠ ، ٢٨٨ ، وفتوح البلدان للبلاذري ١/٦٧ ومغازي الواقدي ١/١٦ ، ٢٧ .

(٨) السيرة ٢/١٨٢ .

(٩) الطبقات الكبرى ١/٤٣ وموسوعة التاريخ الاسلامي د. أحمد

شليبي ص ١٢٦ .

٣ — نفوذهم السياسى :

لا ريب أن القرشيين فى مكة حظوا باستقرار ونظام^(١٠) فى حياتهم الاجتماعية نتيجة لما تمتعوا به من نفوذ دينى واقتصادى واسع وقد تهيأ لهم طائفة من الزعماء الذين كانوا يتدخلون لفض النزاعات سواء بين بطون القبيلة المتعددة أو بين المتنازعين من غيرهم . وكانت مكة حرماً آمناً من ورد اليه لا يظلم ولا يعتدى عليه ، الى جانب ما كان لقريش من علاقات ودية طيبة مع القبائل المختلفة فى داخل الجزيرة وعلى أطرافها فى الطريق الى الشام أو العراق ولعل للنفوذ التجارى واستخدام بعض هذه القبائل فى شئون التجارة أثراً بينا فى تحقيق السيادة القرشية الى جانب ما تمتعوا به من نفوذ دينى أشرنا اليه من قبل ، وكانت لهم أحلاف كثيرة مع القبائل ، كل هذا جعل لهم سيادة سياسية بين العرب جميعاً حتى قال أبو بكر الصديق عقب وفاة النبي ﷺ والبحث فيما يخلقه : « لا تدين العرب الا لهذا الحى من قريش » .

٤ — نفوذهم اللغوى :

ونتيجة لكل ما سبق اتسع نفوذ القرشيين اللغوى فنمت لهجتهم وازدهرت وسادت اللهجات الأخرى فأصبحت لغة عامة للعرب جميعاً واستعملتها القبائل المختلفة فى تقاجها الأدبى الرفيع ، يقول الدكتور ابراهيم أنيس :

« فبيئة مكة قد هيئت لها ظروف وفرص بعضها دينى وبعضها اقتصادى واجتماعى مما ساعد على أن تصبح المركز الذى تطلعت اليه القبائل وشدت اليه الرحال قروناً قبل الاسلام وكان أن نشأت بها

(١٠) تاريخ الأمم والملوك ٢٦/٢ والسيرة ١١٥/١ ، ١٢٢ والطبقات الكبرى ٤١/١ ، ٤٢ ، ٨٢ وغيرها .

لغة مشتركة أسست في كثير من صفاتها على لهجة مكة ولكنها استمدت أيضا الكثير من صفات اللهجات» (١١) ومما سهل سبيل الغلب أن أهلها يعدوا عن التعصب لها ففتحوا أمامها لتستفيد من اللهجات الأخرى ما حسن وعذب ، وبهذا استطاعت أن تعبر عن كل حاجات الحياة وفنون الكلام وغنيت بكل الوسائل التي جعلتها مرنة تصلح لكل الأغراض (١٢) .

وسواء أكانت لغة قريش وحدها هي اللغة الفصحى أم أضيف إليها بعض اللهجات الأخرى لتكوين اللغة المشتركة فقد أصبحت لغة العرب جميعا قبل نزول القرآن الكريم لغة يحتبذونها في خطبهم وأشعارهم ونزل بها القرآن الكريم ففكسوى من شأنها ودعم من سلطانها .

وقد اعتبرت تلك اللغة أفصح اللهجات وأنضجها لما بعدت عن الأمور التي تخل بالفصاحة ولنستمع الى هذا الحوار الذي دار بين معاوية بن أبي سفيان ورجل من السباط حول أفصح الناس قال معاوية للرجل : أى الناس أفصح ؟ قال : قوم ارتفعوا عن رقة العراق وتياسروا عن كشكشة بكر وتيامنوا عن شبنشنة تغلب ليس فيهم غممة قضاة ولا طمطمانية حمير قال معاوية : من هم ؟ قال : قومك يا أمير المؤمنين قريش قال : صدقت فممن أنت ؟ قال : من جرم ، قال الأصمعي : وجرم من فصحاء العرب (١٣) .

وقد اعتبر ابن خلدون لغة قريش أفصح وأصرح من غيرها من اللهجات العربية « لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ثم

(١١) مستقبل اللغة العربية المشتركة ص ٨ .

(١٢) فقه اللغة د. وافي ص ١٤٠ .

(١٣) العقد الفريد ٢٠٧/١ ، وانظر : درة الغواص . ص ٢٤٩ —

من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبنى كنانة وغطفان وبنى أسد وبنى تميم^(١٤) .

ويوضح ذلك أن ابن جنى يعتبر مقياس الفصاحة قائما على صحة السليقة والبعد عن الأعاجم وعدم التأثير بهم ويتبين هذا من الفصل الذى عقده فى خصائصه بعنوان : (باب فى ترك الأخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر) يقول :

« ولو علم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم ولم يعترض شيء من الفساد للغتهم لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر وكذلك أيضا لو فشا فى أهل الوبر ما شاع فى لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة وخبالها وانتفاض عادة الفصاحة وانتشارها لوجب رفض لغتها وترك تلقى ما يرد عنها »^(١٥) .

وعلى هذا فليس اعتبار لهجة معينة أفصح من غيرها الا بمقدار بعدها عن مظاهر الفساد واللحن وقد تحقق هذا فى اللغة المشتركة التى كانت لسان العرب جميعا ولا مجال للقول بأن العصبية هى التى جعلتها أفصح من غيرها .

وأما تغلب اللغة العربية على لغات الأمم التى دخلت الاسلام فكان لعوامل دينية ولسماحة الاسلام وارادة المسلمين من هذه الأمم أن يؤدوا فرائضه بلغته وأن يحظوا بالمكانة فى الدولة الاسلامية الجديدة ولعوامل داخلية فى جوهرها الذى جعل الأجانب يعجبون بها ويطرائقها اللغوية .

يقول ابن جنى وقد بهرته العربية بسحرها وجمالها : « لو أحست العجم بلطف صناعة العرب فى هذه اللغة وما فيها من الرقة

(١٤) مقدمة ابن خلدون ص ٥٢٣ .

(١٥) الخصائص ٢٤٢/١ .

والدقة لا عذرت من اعترافها بلغتها فضلاً عن التقديم لها والتتويه منها» (١٦) .

ويقول أيضا :

« انا نسأل علماء العربية ممن أصله أعجمى وقد تدرب بلغته قبل استعراجه عن حال اللغتين فلا يجمع بينهما بل لا يكاد يقبل السؤال عن ذلك لبعده في نفسه وتقدم لطف العربية في رأيه وحسه » (١٧) .

وهذه شهادة عالم ثقة أدلى بها ليعين الدوافع التي جعلت المسلمين يتركون لغاتهم الأصلية ويتجهون الى العربية يتكلمونها ويتحدثون بها وهذا هو الذي جعل العربية تصرع لغات البلاد المفتوحة وتقضى عليها .

فالحق أحق أن يتبع وهو أن تفوق العربية كان لعوامل ذاتية من داخلها لا من خارجها .

وحقا ما قال الأستاذ العقاد :

« ان للأهم في تنافسها بالمناقب والمزايا ألوان من المفاخرة بلغاتها يضيق بها نطاق البحث ومعظم هذه المفاخر دعوى لا دليل عليها وحجتها الكبرى أنانية قومية تشبه أنانية الفرد في حبه لنفسه وإيثاره لصفاته بغير حاجة الى دليل أو مع القناعة بأيسر دليل ، ولكن الفصاحة العربية في دعوى أهلها مفخرة لا تشبه هذه المفاخر في جملتها لأن دليلها العلمي حاضر لا يتعسر العلم به والتثبت منه على ناطق بلسان من الألسنة ، ولا حاجة له في هذا الدليل الى غير النطق وحسن الاستماع » (١٨) .

(١٦) المصدر السابق ٥/٢ . (١٧) المصدر السابق ٢٤٣/١ .

(١٨) اللفة الشاعرة ص ٥٤ ، ٥٥ .

ولكن بعض الباحثين المحدثين يعارضون هذا الرأي غيرى بعضهم أن الذى جعل القدماء يقولون بسيادة القرشية سبب واحد هو أن النبى ﷺ من قريش أما ان قريشا لهم نحائزهم وسلائقهم التى طبعوا عليها فتلك مسألة يرفضها الدرس اللغوى الصحيح ، اذ أنه لا معنى لأن نقول : ان هناك لغة — مهما تكن — أكثر فصاحة من لغة أخرى (١٩) .

ويقول الدكتور جواد على منكرا أيضا :

« وأما قولهم ان هذه اللغة الفصحى هى لغة قريش ، لاجماع العرب كافة على أن لغة القرآن هى لغة قريش ، وعدم ظهور أحد أنكر هذا الاجماع أو جادل فيه رغم ما كان من الخصومات السياسية بين قريش وغيرها من قبائل مضر ، فقول لا يستند الى حجج تاريخية ، بل هو يصطدم مع واقع النصوص الجاهلية الواضلة الينا ، وبعضها نصوص لا تبتعد عن الاسلام بكثير ، وقد كتبت كلها بلهجات تختلف عن هذه اللغة الفصحى التى نزل بها القرآن ، وفى اختلافها عنها دلالة على أن الشعوب التى كتبت تلك النصوص لم تكن تكتب بعربية القرآن ، وفى هذه الدلالة تقنيذ لقول من قال ان لهجة قريش هى الفصحى التى عمت وسادت فى الجاهلية ، لا فى الحجاز ونجد فحسب بل فى كل القبائل » (٢٠) .

ويرى الدكتور تمام حسان أن الفصحى المشتركة هى لغة العرب جميعا ، وليست القرشية وحدها لأدلة :

١ — أن القرآن نزل بلسان عربى مبين ولم ينزل بلسان قريش ، ولو كانت الفصحى أصلها لهجة قريش لأشاد النبى ﷺ بفصاحة

(١٩) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية : ٤٢ .

(٢٠) الفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ٦٤٠/٨ .

لهجته ، منع أنه أشاد بفصاحة نفسه ، وأشار الى أنه نشأ فى سعد ابن بكر — من عليا هوازن — وليست أولى بالفصاحة من قريش ، وقد قال تعالى : (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) فإذا كانت إحدى الآيتين تفسر الأخرى فإن (قومه) هنا هم العرب جميعا لا قريش فقط •

٢ — كانت اللهجة قريش خصائص لم تشع فى الاستعمال العربى كتسهيل الهمزة وقد شاع تحقيقها فى النص القرآنى مما يدل على أن بالنص القرآنى ما ليس باللهجة قريش من الخصائص ويتحقق فى اللهجات الأخرى •

٣ — أن القرآن نزل على سبعة أحرف ، وتعددت قراءاته ، وفى القراءات ظواهر لغوية لم تشتمل عليها لهجة قريش •

٤ — خلو النصوص الأدبية الجاهلية من أثر لقريش ولم يسمع عن شاعر جاهلى قرشى فحل ، على حين نجد الشعر فى قبائل عربية شمالية وجنوبية حجازية ونجدية •

٥ — مخاطبة الرسول ﷺ للقبائل بلغاتها مشيرا الى أن هذه اللهجات لها من الفصاحة ما للهجة قريش ، ومن ثم لم يكن بها من افتقار الى الأخذ عن لهجة قريش ، ولم يكن بأهلها من احساس بالصنعة يدعوهم الى ذلك •

٦ — أن النحاة حين حددوا قبائل الفصاحة ، وجعلوا لهجاتهم مصادر فى النحو العربى ، لم يقصروا الأخذ على قريش ، بل لم يقبلوا الأخذ عن قريش وانما سمعوا ممن عداها من قبائل الحجاز ونجد ذاهبين الى سكان البرارى ممن كانوا أشد توحشا وجفاء وأبعد اذعانا وانقيادا وهم : قيس وقيم وأسد وطىء ثم هذيل •

٧ — فقدان السند التاريخي الذي يفيد أن لهجة قريش هي الفصحى المشتركة فدعوى جعل القرشية هي الفصحى افتراض يتعارض مع الحقائق المسلمة التي تقدمت (٢١) .

وهذه بذور لآراء استشرافية ، اذ يذهب بعض المستشرقين الى أن ما يسميه العلماء لهجة قريش يغلب على الظن أنه غير صحيح ، اذ من الصعب أن نتصور لقريش لهجة خاصة مع ما نعرفه من عدم بقائها في بيئة منعزلة عن القبائل الأخرى فقد كانت بيعتها موردا للقبائل العربية يأتون اليها للتجارة والحج والمفاخرة والمنافرة في الأسواق ، وكانت قريش بحكم زعامتها الدينية والاقتصادية دائمة الاتصال تقريبا بهذه القبائل ، وهلى هذا فان لهجة قريش يمكن أن يقال انه لا وجود لها وما هي في حقيقة الأمر الا خليط أو مزيج من لهجات القبائل الأخرى تكون على مر الزمن وانتهى به الأمر الى أن يكون لهجة البيئة الحجازية التي تسكنها قريش (٢٢) .

والحقيقة أن وقوع بعض الدخيل في القرشية لا يؤدي الى محو أصلها وتأصل الدخيل فيها ، وهذا زعم استشراقي لئولاء المستشرقين الذين يحاولون بكل الوسائل ادعاء أن الفصحى غير لهجة قريش .

والقرشية ليست بدعاً من اللهجات التي سادت لعوامل حضارية ، ففي كل اللغات حدث مثل ذلك كأن جارت الباريسية لغة فرنسا ولغة روما لغة ايطاليا بل لغة الامبراطورية الرومانية كلها .

وقد سادت القرشية الجزيرة قبل الاسلام حين عظم شأن قريش وتحقق نفوذها الواسع في مكة وما حولها بل في الجزيرة كلها .

(٢١) الأصول — الطبعة الاولى : ٧٨ — ٨١ بتصرف .

(٢٢) اللغة والنحو : ٤٢ ، ٤٣ .

ويقول الدكتور شوقي ضيف :

« فنحن لا نعدو الواقع اذا قلنا ان لهجة قريش هي الفصحى التي عمت وسادت في الجاهلية لا في الحجاز ونجد فحسب بل في كل القبائل العربية شمالا وغربا وشرقا وفي اليمامة والبحرين وسقطت الى الجنوب وأخذت تقتحم الأبواب على لغة حمير واليمن وخاصة في أطرافها الشمالية » وفي رأيه أن المستشرقين جانبهم التوفيق في الحدس والفرض حين رفضوا نظرية العرب في أن الفصحى هي عين اللهجة القرشية (٢٣) .

ويرى الرافعي أن نزول القرآن بلغة قريش يؤكد حقيقة السيادة القرشية يقول :

« الأصل أن القرآن نزل بلغة قريش لأن الرسول ﷺ قرشي ، وليكون هذا الكلام زعيم اللغات كلها كما استمازت قريش من العرب بجوار البيت وسقاية الحجاج وعمارة المسجد الحرام وغيرها من خصائصها » .

بيد أن الرافعي يبالغ في نسبة السيادة للهجة قريش الى حد زعم فيه أن القرآن لو نزل بغير ما ألفه النبي ﷺ من اللغة القرشية وما اتصل بها كان ذلك مغمزا فيه ، لأن العرب لا تستقيم لهم المقابلة حينئذ بين القرآن وأساليبه وبين ما يثرونه من كلام النبي ﷺ فيهبون ذلك على قريش ثم على العرب فتتشق الكلمة ثم يصير الأمر من العصبية والمشاحنة والبغضاء الى حال لا يلتئم عليه أبدا (٢٤) .

ويضطرب الرافعي في عرضه لفكرته عن نزول القرآن بلغة

(٢٣) تاريخ الأدب العربي — العصر الجاهلي د. ضيف ١٣٣/٩ ،

١٣٤ .

(٢٤) تاريخ آداب العرب ٦٢/٢ ، ٦٣ .

قريش ، فيقرر — مرة أخرى — أن هناك لغات أخرى نزل بها القرآن — الى جانب لهجة قريش — يقول :

« اللغات التي نزل بها القرآن غير لغة قريش هي لغة بنى سعد ابن بكر الذين كان النبي ﷺ مسترضعا فيهم ، وهي إحدى لغات العجز من هوازن ثم لغات جشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف ، وأولئك هم أفصح العرب جملة ثم خزاعة وهذيل وكنانة وأسد وضبة وكانوا على قرب من مكة يكثرزون التردد اليها ومن بعدهم قيس ومن جاورهم في وسط الجزيرة » (٢٥) .

ونحن حين نثبت الفصاحة لقريش لا ننفى عنها غيرها ، ومع ذلك بقيت آثار هذه اللهجات بارزة في القراءات القرآنية التي جاءت تيسيرا على الناطقين المسلمين في جميع الأمكنة والأزمان كما نقله ابن الجزري في النشر ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها كاف شاف » .

فالعرب كانوا يقرأون بلحونهم على تنوعها واختلافها من تحقيق الهمز وتخفيفه والمد والقصر والفتح والامالة والاظهار والادغام وضم الهاء وكسرها من عليهم واليهيم واستعمال الكلمات على أوجه مختلفة كبرىء وبراء وسرى وأسرى في قوله تعالى : (والليل اذا يسر) (٢٥) وقوله سبحانه (فأسر بأهلك) (٢٦) ، الى غير ذلك مما ذكرته كتب اللغة كالكمال للمبرد .

وفي كتب اللغة والنحو وردت شواهد وأمثلة لبعض هذه اللهجات التي مثلت بعض القواعد النحوية والظواهر اللغوية الصوتية والدلالية

(٢٥) الفجر الآية ٤ .

(٢٦) هود الآية ٨١ .

وغيرها مما يشهد أن بعضها له شهرة وذيوع وقوة فصاحة يمكن أن يحتج بها ويؤنس بنطقها كما قال ابن جنى : ان اللهجات كلها حجة •

فمن اللهجات البارزة : اللهجة التميمية والقيسية والأسديّة وغيرها من هذه القبائل التي اشتهرت بالفصاحة وورد ذكر أصحابها في كتب اللغة كالصاحبى والمزهر وغيرهما^(٢٧) ويعد الهمز صفة مستحسنة من صفات اللهجة التميمية بحيث أخذ به القرآن في صورته المشهورة التي نزل بها وان كان التسهيل احدى القراءات المعتمدة بها كذلك لكن الهمز أشهر •

ومن آثار اللهجات المختلفة التي لا تزال باقية وتشهد بواقعها اللغوى الظواهر اللغوية المشهورة كالاشتراك والتضاد والترادف وتعدد الأوجه الاعرابية لبعض الألفاظ فى التراكيب اللغوية والقلب والابدال وغيرها •

بل ان بعض الألفاظ تختلف من قبيلة الى أخرى ، وبعض هذه الألفاظ المنسوبة للهجات أخرى غير القرشية قد وقعت فى القرآن الكريم •

ويذكر بعض العلماء أن نحو أربعين لغة وقعت فى القرآن : قريش وهذيل وكنانة وخثعم وحمير ومدين ولخم وسعد العشيرة وحضرموت والعمالقة وانمار وغسان ومذحج وخزاعة وسبأ وعمان وبنو حنيفة وطىء وعامر بن صعصعة وأوس ومزينة وثقيف وجذام وبلى وعذرة وهوازن واليمامة^(٢٨) مما تضمنته لهجة قريش وما لم تتضمن •

وقد حاول الدكتور لويس عوض أن يرسم العصبية المتمثلة فى

(٢٧) تاريخ آداب العرب للراغى ١٣٢/١ •

(٢٨) المصدر السابق ٦٤/٢ •

لهجة قريش لأنهم آل النبي ﷺ ومنهم نشأ فنشأ الشرف معهم لهذه القبيلة ، وتمشى الشرف ، وتسرب الى لهجتهم فجعلت أفصح اللهجات جميعا وجعلت أساسا للغة التي نزل بها القرآن وتنوسيت جميع اللهجات الأخرى (٢٩) .

وقد توسع فقهاء اللغة العربية الأوائل وكثير من المتأخرين في اثبات ما جاء في الصحابي لابن فارس من أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها وكان عليهم أن يواجهوا مشكلة تعدد لهجات العرب التي كانوا يسمونها لغات في الموازنة مع لغة قريش التي نزل بها القرآن فاتفقت كلمتهم على أن لغة قريش كانت أرقى لغات العرب وجعلوا من لغة قريش معيار الصحة والفصاحة لا شك بسبب نزول القرآن بلغة قريش ، وبسبب سيادة بني قريش ولهجتهم بعد انتصار الاسلام على بقية القبائل العربية ولهجاتها (٣٠) .

وهذا الحديث الطويل قصد به الدكتور لويس الغض من شأن اللهجة القرشية — بخاصة — واللغة العربية — بعامة — والغض من شأن أصحاب تلك اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم والتقليل من أثرها في تكوين اللغة العربية ومحاولة ارجاع هذا الأثر الى العصبية للنبي ﷺ والى قبيلة قريش لا الى العوامل الحقيقية في تفوق هذه اللهجة وهى عوامل كثيرة : اجتماعية وسياسية ولغوية وكأن اللهجات المنزوية المقهورة انما قبرت — فى زعم الدكتور — بحسد السيف والجبروت والتسلط وغلبة قريش على بقية القبائل ونقول :

ان وجود النبي ﷺ فى الأمة العربية أمر جعلهم — بلا شك — أصحاب شرف وفخر وامتد هذا الشرف الى الأمة الاسلامية كلها

(٢٩) مقدمة فى فقه اللغة العربية : ٦٠ وما بعدها .

(٣٠) المصدر السابق ص ٦٧ .

بحمل رسالة الاسلام التي صححت مسار الحياة الانسانية وليس هذا تعصبا بل بيان لحقيقة الأمة التي تنشر دين الله وشريعة الحق. والعدل فهي — من هذا الجانب — مفضلة على الأمم الضالة الملوثة التي لا تعرف الله وحقوق الناس ولا تقيم العدل ، ولذا امتدح القرآن الكريم الأمة الاسلامية في اطارها العام ولم يخص العرب وحدهم حين قال :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » (٣١) .

أما أن العنصرية امتدت الى سيادة قريش على غيرها وسيادة لهجتها على سائر اللهجات واللغات الأخرى فهو غير وارد لا عن العرب ولا عن علماء العربية وما قاله الدكتور لويس محض افتراء .

فسيادة قريش ولهجتها لم تكن بعد الاسلام — كما تصور — بل من قبله وحقائق التاريخ ترشد الى ذلك ، وقد جاء الاسلام فوجد اللغة العامة — متمثلة في معظم المادة اللغوية القرشية — فنزل بها وكان هذا مسaire للواقع اللغوي الشائع في البيئة العربية آنذاك .

وعلماء العربية تكلموا عن واقع موجود ولم يكونوا متحاملين أو قائلين بشيء لا تؤيده الحقائق العلمية والآثار .

واذا كان الدكتور لويس قد اتهم أحمد بن فارس بالتعصب — ومن بعده ومن قبله علماء العربية الآخرين — حين عقد بابا في كتابه (الصاحبى) بعنوان : « باب القول في أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها » (٣٢) فسان الباحث المنصف يرى أن أحمد بن فارس لم

(٣١) آل عمران . الآية ١١٠ .

(٣٢) ص ٦ وما بعدها .

يكن متعصبا في هذا الباب الذي عقده بل كان بصدد بيان بعض
ما امتازت به العربية من غيرها من اللغات الأخرى ، ولم يرد تقضيل
عصيا ممقوتا •

والرجل لأنه فارسي الأصل يوازن بين العربية والفارسية التي
يعرفها فيقرر امتياز العربية بوقوع الألفاظ المترادفة فيها ذلك لأنها
تهيئ للمتكلم كثيرا من نواحي الابانة والايضاح بما لا يتيسر في
اللغات التي تخلو من الترادف فللسيف والأسد والفرس ألفاظ
مترادفة في العربية على حين أن الفارسية لا تعبر عن ذلك الا باسم
واحد ، يقول ابن فارس :

لو احتجنا الى أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية
لما أمكننا ذلك الا باسم واحد ، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات
كثيرة ، ومعلوم أن العجم لا تعرف للأسد اسما غير واحد ، وفي لغة
العرب أكثر من خمسمائة اسم ، وهكذا غيرها من الأشياء المسماة
بالأسماء المترادفة فأين هذا من ذاك ؟ كما يقرر امتياز العربية ببعض
مظاهر البلاغة ووجوهها كالاستعارة والكناية والتمثيل والقلب
والتقديم والتأخير وغيرها من السنن الذي يقع في القرآن وكلام العرب
شعرا ونثرا وذكر لذلك أمثلة •

كما يقرر أن العربية لا تجمع بين الساكنين وقد تجتمع في لغة
العجم وعندما قال ابن فارس : (ان القرآن نزل بلهجة قريش) لم
يكن ذلك تعصبا لأنهم أتباع النبي وذووه وبسبب نزول القرآن بها
بل لأن القريشية من قبل نزول القرآن الكريم كانت قد انتشرت بين
العرب وأصبحت لغة عامة لأسباب أخرى كثيرة : اجتماعية ودينية
وسياسية وتجارية لخصها ابن فارس حين قال :

« أجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء
بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشا أفصح العرب السنة وأصفاهم

لغة فقريش قطان الحرم وجيران البيت الحرام وولاته فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون الى مكة للحج ويتحاكمون الى قريش في أمورهم وكانت قريش تعلمهم مناسكهم وتحكم بينهم ولم تزل العرب تعرف لقريش فضلها عليهم وتسميها أهل الله لأنهم الصريح من ولد اسماعيل عليه السلام لم تشبههم شائبة^(٣٣) ، ولم تنقلهم عن مناسكهم ناقلة ، فضيلة من الله جل ثناؤه لهم وتشريفا اذ جعلهم رهط نبيه الأدنين وعترته الصالحين •

وهذا دون شك بيان لبعض المزايا التي اختصت بها لغة العرب ولا عيب في ذلك ولا تعصب على الاطلاق •

ولهذه المزايا قرر ابن فارس أن ترجمة القرآن أمر جد عسير اذ لا يمكن أن تحمل ألفاظ اللغات الأخرى المعانى التي تتضمنها التعبيرات القرآنية ذات المعانى الجامعة ، فيقرر أنه لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقل القرآن الى شيء من الألسنة كما نقل الانجيل عن السريانية الى الحبشية والرومية وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله — عز وجل — بالعربية لأن العجم لم تتسع في المجاز اتساع العرب^(٣٤) •

و « لا وجه لمن يجيز قراءة القرآن في صلاته بالفارسية ، لأن الفارسية ترجمة غير معجزة ، انما أمر الله — جل ثناؤه — بقراءة القرآن العربى المعجز »^(٣٥) وهذه شهادة من أحمد بن فارس الذى لم يكن شعوبيا في دعوته بل جهر بالحقيقة التي تقول :

ان مزايا العربية تجعل ترجمة نص القرآن غير صحيحة لأنها تفوت كثيرا من المعانى التي لا يمكن أن يعبر عنها اللفظ غير العربى •

(٣٣) انظر الصحبى ص ١٦ — ٢٥ •

(٣٤) المصدر السابق ص ١٧ •

(٣٥) المصدر السابق ص ٤٧ •

وهذا يدحض فرية الدكتور لويس فى نقله اجازة ترجمة القرآن
فهو بهذا يفتح مجالا فاسدا من مجالات دعاواه الباطلة •

ومن نص ابن فارس السابق نفهم أن قبيلة قريش سادت العرب
لعدة أمور :

١ — أنهم قطان الحرم وسدنة البيت ويلجأ اليهم سائر العرب
لتعلم الناسك وهذه السمة الدينية أكسبتهم تقدير العرب واحترامهم
وحققت لهم الزعامة الدينية وهذا قبل الاسلام بكثير •

٢ — ونتيجة الزعامة الدينية وعوامل أخرى — كالتجارة
والأسواق — أصبح لقريش زعامة سياسية على العرب ولا شك أن
ذلك جعل غيرهم من القبائل يقلدهم فى لغتهم فمن عادة المعجب أن
يقلد من يعجب به ومن عادة الطبقات الاجتماعية أن تخضع لصاحب
السلطان الأقوى فى كل شئ وتحاول تقليده^(٣٦) مما جعل كثيرا من
القبائل تترك كثيرا من مظاهر لهجاتها وتلجأ الى محاكاة القبيلة ذات
السيادة الطبيعية •

٣ — ثم أضاف ابن فارس الى ذلك أن القرشيين أنفسهم مع
مالهم من زعامتين دينية وسياسية كانوا غير متعصبين للهجته
فجعلوها تستفيد من لهجات اخوانهم العرب وتلك عادة لغوية تحققى الوفاء
الكامل بحاجات المجتمع المتحضر الذى اتسع ليشمل قبائل العرب
بأسرها فى مناطق الجزيرة الواسعة •

وكان للقرشيين اختيار وذوق رفيع فبعدوا عن كل شوائب
اللهجات التى تحول بينها وبين الفصاحة مما يعكر صفوها أو يشينها
يقول :

(٣٦) انظر كتابنا (علم اللغة بين القديم والحديث) ص ١٧٦
وما بعدها •

وكانت قريش — مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها —
إذا أتت الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم
وأصفى كلامهم فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى نحائزهم
وسلائقهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب (٣٧) .

وهذا دون ريب جمل للقرشية سيادة على غيرها من اللهجات
أفادها بالحسن الجيد وزحزح عنها القبيح الرديء حتى استوت في
صورة عامة سيطرت على اللهجات الأخرى وجعلتها تنزوى ، ويقتصر
تداولها على المجتمعات والبيئات الخاصة أما في المجتمع العام فقد
سيطرت لغة مشتركة معظم مادتها قرشي وبعضها من اللهجات
الأخرى ، ولما جاء الاسلام وجد العربية مستوية على سوقها في
اطار لغوى عام فنزل بها كتابه القرآن الكريم ، ولم يكن ذلك تعصبا
للهجة قريش على الاطلاق ، وقد تهيأت لها فوق الأسباب المشار
اليها قوة وسعة وهيبة وسلطان حينما حالفها الحظ بنزول القرآن
الكريم بها حيث اختار الله نبيه من رهط قريش ، وهذا هو ما ذهب
اليه ابن فارس وسائر علماء اللغة .

والذى يدل على أن القرشية ضمت اليها بعض مظاهر اللهجات
الأخرى ولم نثر عليها ثورة تحكم واستبداد أن القرآن اشتمل على
عناصر أخرى غير القرشية ، وقد أشار ابن فارس الى ذلك فذكر أن
القرآن جاء بلهجات اليمن كالأرائك في قوله سبحانه : (متكئين فيها
على الأرائك) (٣٨) فالأريكة — بلغة أهل اليمن — الحجلة فيها سرير
» الحجلة مثل القبة وحجلة العروس معروفة وهى بيت يزين بالثياب
والأسرة والنستور » (٣٩) وكذلك المعاذير فى قوله تعالى (ولو ألقى

(٣٧) الصحبى ص ٣٣ ، ٣٤ .

(٣٨) سورة الانسان الآية ١٣ .

(٣٩) الصحبى ص ٤٢ الأصل والتعليق .

معاذيره) (٤٠) هي السطور وأهل اليمن يسمون السطر المعذار (٤١) .

وبعد هذا البيان نرى أن علماء العربية لم يقصدوا بمدح القرشية أنها أشرف لغات الأرض قاطبة على سبيل التعصب ضد غيرها ، وإنما كان من باب بيان فضائل العربية ومزاياها ، ومن هنا يفسد حكم الدكتور لويس بأن كثرة التفاعلات بين العربية وغيرها من اللغات الأجنبية عنها هي التي أنضجت اللغة العربية انضاجاً عظيماً واكسبتها مرونة كافية ، وخصوصية أفرغتها في لهجة قریش وأمكنها ذلك وأهلها أن تكون وعاء لوحى عظيم فى عصر الرسول وأداة صالحة للتعبير الفكرى العميق حتى عصر ابن خلدون مما أهلها أن تقهر بعض ما جاورها من اللغات تماماً كما قهرت اللغة اللاتينية عديداً من لغات أوربا التى فتحتها الرومان حتى نهاية العصور الوسطى وظهور القوميات الحديثة فى بداية نحو (١٤٠٠) م .

فهذا الحكم — فى رأينا — أصبح غير ذى موضوع ، وأن ما بنى عليه يعد غير صحيح على الإطلاق بعد ما أوضحنا من صلات بين العربية وسواها من اللغات وأنها فرع اللغة النسامية ذات الخصائص المستقلة .

ونضيف فى تنفيذ هذا الزعم أن القرشية لم تكتسب الزعامة بين لهجات العربية نتيجة لما دخلها من ألفاظ هندية أوروبية أو مصرية قديمة بل ان الثابت تاريخياً ولغوياً أن زعامتها كانت نتيجة عوامل كثيرة هيأت لها سبيل الغلب كما ذكرنا .

وبهذا يثبت ما قرره علماءنا من أن للعربية خصائصها واستقلالها وإذا كانت قد انتفعت باتصالها بغيرها من اللغات فهذا فى حدود

(٤٠) سورة القيامة الآية ١٥ .

(٤١) الصاحبى ص ٤٢ .

القليل الذى لا يخل بشخصيتها على حد ما ذكر الجواليقى فى كتابه (المعرب) والشهاب الخفاجى فى كتابه (شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل) وأضرابهما من العلماء الذين أشاروا الى بعض الألفاظ التى نقلت الى العربية من اللغات الأخرى ، بل ربما أفادت العربية أكثر مما استفادت ، ويكفى أن نعلم أن نحو نصف اللغة الفارسية مستعار من اللغة العربية ، وأن نصف ألفاظ اللغة التركية مأخوذ اما من الفارسية أو من العربية^(٤٢) .

(٤٢) دلالة الألفاظ د. أنيس ص : ١٥١ .

البَابُ الرَّابِعُ

اختلاف اللهجات العربية ومظاهره

آثار اللهجات العربية ودراستها :

بدا الاختلاف اللهجي واضحا في الجزيرة العربية نتيجة لاتصال أهلها ولقاء بعضهم ببعض في التجارة والأسواق التي كانت تعقد للأدب والشعر وهم وان كانوا يلجأون في هذه الأسواق الى الفصحى فان لهم لهجاتهم التي كانت تتسرب الى منطقتهم في بعض الأحيان وكانوا يتكلمون بها في شئونهم الخاصة .

وكان الحجازي يلاقى التميمي وكلاهما من عرب الشمال وكان يلتقى بأهل اليمن وقد علمنا أن اليمن كان المصدر الأساسي لكثير من الهجرات التي كانت تتم من الجنوب الى الشمال وكانت رحلات أخرى تتم الى اليمن من الشمال ، وهنا وهناك اختلطت لهجات المهاجرين من كل صوب ولا بد أن جزيرة العرب باتساعها ورحابتها كانت مدعاة الى اختلاف البيئات مما هيا للهجات أن تنشأ وأن تتصارع فيما بينها حتى أدى ذلك الى سيادة لغة عامة بين العرب جميعا .

ولم يكن الخلاف جوهريا بين اللهجات العربية للصلة القائمة بين العرب ، وقد أورد ابن جنى ما يدل على أن الخلاف بين اللهجات في الفروع لا الأصول ، قال :

« فان قلت : زعمت أن العرب تجتمع على لغتها فلا تختلف فيها ، وقد نراها ظاهرة الخلاف ، أفلا ترى الى الخلاف في (ما) الحجازية والتميمية والى الحكاية في الاستفهام عن الأعلام في الحجازية وترك ذلك في التميمية الى غير ذلك ؟ قيل : هذا القدر من الخلاف لقلته ونزارته مختصر غير محتفل به ، ولا معيج عليه ،

وانما هو فى شىء من الفروع يسير ، فأما الأصول وما عليه العامة والجمهور فلا خلاف فيه ، ولا مذهب للطاعن به»^(١) وهذا فى اللهجات العربية الشمالية والجنوبية بعد التوحيد .

ومع توحيد هذه اللهجات تحت لغة عامة فان بقايا اللهجات كانت تجرى على الألسنة فى نطاق بيئاتها المتعددة وظهر أثرها فيما كان النبى ﷺ يفعله من مخاطبة كل الوفود والقبائل التى ترد عليه بلغاتها وحديثه ﷺ : (ليس من امبر امصيام فى امسفر)^(٢) مما قاله الرسول لبعض اليمنيين وفيه استعمل المصطفى ﷺ (ام) للتعريف مكان (ال) على طريقة اليمنيين وذلك يعرف فى اللهجات العربية باسم : (ططممانية حمير) وقد قال على - رضى الله عنه - : يا رسول الله : نحن بنو أب واحد وأم واحدة ونراك تكلم العرب بما لا نفهم أكثره ، فقال : (أدبنى ربى فأحسن تأديبى) .

وقد ظهر أثر هذه اللهجات فى قراءة القرآن الكريم فيما أوضحت بعض الأحاديث من صحة القراءة باللهجات العربية المتعددة والحديث الذى رواه البخارى ومسلم والنسائى عن أبى بن كعب واضح فى هذا الصدد وفى نهايته :

« أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف » .

(١) يستثنى من ذلك بعض المظاهر اللهجية فى اليمن قبل الاسلام بزمان طويل حين كان اللهجة اليمن خصائصها التى جعلت بعض اللغويين يكاد يرى أنها ليست من العربية فى شىء كما نقل ذلك عن أبى عمرو بن العلاء الذى يقول : (ما لسان حمير واقصى اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا) وابن جنى الذى يقول : (لساننا نثك فى بعد لغة حمير ونحوها عن لغة (بنى نزار) وابن خلدون الذى يقول : (وتغيرت عند مضر كثير من موضوعات اللسان الحميرى وتصريف كلماته الخ) . انظر كتابنا : اللغة العربية خصائصها وسماتها ط ٣ ص ١٤٠ ، ١٤١ .

(٢) شرح المفصل ٣٤/١٠ .

وقد أخذ العلماء يشرحون هذا الحديث ويبيّنون وجوهه وما أريد بالسبعة فيه حتى جعل السيوطي من ذلك بابا لعرض هذه الآراء واستيفائها وهي تربو على الثلاثين^(٣) .

ولما أخذ العلماء في كتابة اللغة وجمعها وتدوينها نظروا الى اللهجات على أنها شيء لا ينبغي الاهتمام به لأن المهم هو الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم ويمكن فهمه على أساس دراستها وكذلك فهم سنة النبي الكريم وهنا توافروا على الاهتمام بالفصحى ونبذ اللهجات كما خشوا أن يؤدي جمعهم للهجات الى عدم جمع الكلمة الاسلامية ونقض الوحدة بين الأمة وأخذ العلماء ينظرون الى اللهجات على أنها انحراف عن اللغة المثلى ونسبوها الى العامة والسوقة ورموا بعضها بالرداءة أو المذمة كما فعل ابن فارس في كتابه (الصاحبى) : (باب الردىء والمذموم من اللغات) واقتبس السيوطي كثيرا مما ذكر فيه من اللهجات وقد اقتصر رواة اللغة في الأخذ عن قبائل معينة بحجة أنها فصيحة دون غيرها مثل قيس وتميم وأسد وهذيل وكنانة وبعض الطائيين^(٤) .

وحين وضعت قواعد النحو واللغة لم ينظروا الى اللهجات الا على أنها تنضوى تحت اطار اللغة العامة : فحاول النحاة صهرها في بوتقتها ، واخضاعها للقوانين اللغوية العامة ان طوعا وان كرها ، فاذا تأبى عليهم رموها بالقبح أو الشذوذ أو الرداءة .

وقد روى ابن نوفل قال : سمعت أبى يقول لأبى عمرو بن العلاء : أخبرنى عما وضعت مما سمعته عربية ، أيدخل فيه كلام العرب كله ؟ فقال : لا ، فقال : كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ قال : أعمل على الأكثر وأسمى ما خالفنى لغات^(٥) .

(٣) انظر بحثنا عن القراءات وصلتها باللهجات في مجلة كلية اللغة العربية بالرياض العدد الثانى عشر .

(٤) المزمهر ٢١١/١ ، ٢١٢ .

(٥) المصدر السابق ١٨٤/١ ، ١٨٥ .

وقد ألفت في اللهجات بعض الكتب الخاصة التي تحددها وتبين بعض ألفاظها ، وكانت تسمى كتب (اللغات) وهي كثير منها كتاب (اللغات) للأصمعي ، وكتاب (اللغات) لأبي زيد الأنصاري وكتاب (اللغات) للفراء وكتاب (اللغات) لابن دريد وغيرها مما لم يصلنا ومما وصلنا منها كتاب (اللغات في القرآن) لاسماعيل بن عمر المقرئ^(٦) ، وكتاب (ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل) لأبي عبيد القاسم بن سلام^(٧) ، ويتصل هذان الكتابان بالنواحي الدلالية أكثر من غيرها ، ففيهما كثير من اللهجات المنسوبة لقريش وتهيم وهذيل وقيس وغطفان وثقيف وحمير والأزد وطيء وهمدان وخزاعة وحضرموت وخثعم ومذحج وسبأ الى غير ذلك ، وفي القرآن بعض الألفاظ غير العربية فارسية ورومية ونبطية وسامية .. الخ كذلك كتب التفسير وعلوم القرآن تحوى كثيرا من اللهجات^(٨) .

والى جانب ذلك المعاجم اللغوية فهي تشتمل على ثروة عظيمة من لهجات العرب كالجمهرة لابن دريد والتعذيب للأزهري ولسان العرب لابن منظور الذى جمع مواد اللغة العربية التي تبلغ ثمانين ألف مادة ، كذلك كتب النوادر كنوادر أبي زيد فيها بعض الجوانب اللهجية وكتب النحو كذلك وان كانت لا تهتم كثيرا باللهجات لأنها (تتناول اللغة بالتقنين والتنظيم ولو أعطى النحاة اللهجات حقها من الدرس لأراحونا من كثير من تأويلاتهم النحوية التي تبعد عن الفهم الصحيح للظاهرة اللغوية)^(٩) ، وفي كتاب سيبويه اشارات واضحة الى هذه اللهجات

(٦) حققه ونشره د. صلاح الدين المنجد ط الرسالة ١٩٤٦ م .

(٧) طبع مع تفسير الجلالين دار القلم ١٩٦٦ ونقل عنه السيوطى فى النوع السابع والثلاثين بالاعتقان ١٧٥/١ وما بعدها .

(٨) انظر البرهان فى علوم القرآن للزركشى والاعتقان للسيوطى وغيرهما .

(٩) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ٥٧ ، ٥٨ .

كأن يقول « قوم من العرب يقولون »^(١٠) أو ناس من العرب^(١١) أو بعض العرب الموثوق بهم^(١٢) الى غير ذلك ، وسيبويه يصف اللهجة أحيانا بأنها جيدة^(١٣) وأحيانا أخرى بأنها رديئة^(١٤) أو رديئة جدا أو ضعيفة أو قليلة خبيثة^(١٥) .

وقد اهتم النحاة المتأخرون باللهجات اهتماما كبيرا كابن مالك والرضى والسيوطى « ولا بد لنا من التنبية على أن الرواة والعلماء لم يدونوا اللهجات على مناطق العرب قبل تهذيب قريش للغة ولكنهم تناقلوا من ذلك أشياء كانت لعهد الاسلام وأشياء أصابوها فى أشعار العرب مما صحت روايته قبيل ذلك »^(١٦) .

وفى القرن الرابع بدت نظرية ابن جنى فى العناية باللهجات ، وعدها حجة اذا كانت موافقة للقياس أو مخالفة له ، فما وافقه قيس عليه ، وما لم يوافقه حفظ ولم يقس عليه ، وقد وضع تفصيل ذلك فى « باب فى اختلاف اللغات وكلها حجة »^(١٧) وهو يعنى بذلك جواز استعمال اللهجات جميعا .

وقد وضع ابن جنى فى هذا الباب قواعد لقبول اللهجة أو ردها .

١ — فتقبل اللهجتان أو اللهجات اذا كانت على قدر واحد من

-
- (١٠) الكتاب ١٦٤/١ .
(١١) المصدر السابق ٢٥٤/١ .
(١٢) المصدر السابق ٣٢٤/١ .
(١٣) المصدر السابق بتحقيق الأستاذ هارون ٨٢/١ ، ٢٠٥ ، ٤٠٧/٢ .
(١٤) المصدر السابق ط بولاق ٢٩٤/٢ .
(١٥) المصدر السابق ٣٥٨/٢ .
(١٦) تاريخ آداب العرب ١٢٠/١ ، ١٢١ .
(١٧) الخصائص ١٠/٢ والمزهر ٢٥٧/١ .

الاستعمال والقياس وهذا معنى قوله بقبول اللهجتين اذا كانتا فى
الاستعمال والقياس متدانيتين متراسلتين أو كالمتراسلتين •

وطبق ذلك على لغتى الحجازيين والتميميين فى (ما) فلغة
التميميين فى ترك اعمالها يقبلها القياس ، ولغة الحجازيين فى اعمالها
— كذلك — يقبلها القياس لأن لكل واحد من القولين ضربا من القياس
يؤخذ به ، ويخلد الى مثله (١٨) •

لكن لك أن ترجح احدهما على الأخرى اذا كانت أقوى قياسا
أو أكثر استعمالا فقال : لكن غاية مالك فى ذلك أن تتخير احدهما
فتقويها على أختها وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها وأشد
أنسابها •

ويصرح فى موضع آخر بأن التميمية أقوى قياسا من حيث كانت
عندهم كهل (١٩) •

ومع ذلك يفضل ابن جنى الأكثر استعمالا فى القرآن يقول :
(الا أنك اذا استعملت شيئا من ذلك فالوجه أن تحمله على ما كثر
استعماله وهو اللغة الحجازية ألا ترى أن القرآن بها نزل) •

(١٨) قياسها عند بنى تميم انها حرف مشترك بين الأسماء والأفعال
ومن حق الحرف المشترك أن يكون ميملا فهى كهل ، قال سيويوه : (واما
بنو تميم فيجرونبا مجرى أما وهل ، وهى القياس لأنها ليست بفعل وليس
ما كليس ولا يكون فيها اضممار) • الكتاب ٢٨/١ •

وقياسها عند الحجازيين شبهها بليس فى ثلاثة أمور : الدلالة على
النفى فى الحال ، ودخول كل منهما على المبتدأ والخبر ، واقتصران الخبر
بعد كل منهما بالباء مثل : ليس الله بكاف عبده ، — ما أنت بنعمة ربك
بمجنون •

(١٩) الخصائص ١٢٥/١ •

وليس معنى ذلك أنه يناقض نفسه لأنه جعل القضية دائرة على أساس الاختيار بين قوة القياس وكثرة الاستعمال وهو يفضل ما كثر استعماله على ما قوى قياسه •

أما ما تساويا فيه قياسا واستعمالا فأنت بالخيار فيه ، ومع ذلك وردت اللهجة التميمية في بعض القراءات كما في قراءة (ما هذا بشر) و (ما هن أمهاتهم) — بالرفع — ولذا قدم في كلامه الاستعمال على القياس •

٢ — اذا كانت احدي اللهجتين أكثر استعمالا ، وأقوى قياسا من الأخرى فالمختار الأكثر استعمالا الأقوى قياسا ، قال : فأما أن تقل احداهما جدا ، وتكثر الأخرى جدا فانك تأخذ بأوسعهما رواية . وأقواهما قياسا ، ألا تراك لا تقول : مررت بك — بفتح الباء — ولا المال لك — بكسر اللام — قياسا على قول قضاة : المال له — بكسر اللام — ومررت به — بفتح الباء — ولا تقول : أكرمتكش قياسا على لغة من قال : مررت بكش وعجبت منكش (٢٠) •

والأساس هو كثرة الاستعمال — على ما يبدو — وان اعتمد معه قوة القياس — ليزيد الأمر وضوحا — فالقياس على قول قضاة قياس لا يعضده كثرة الاستعمال ، مع أن كسر اللام يمكن أن يكون له وجه من القياس على المفرد الظاهر مثل (له) و (لزيد) والكشكشة ربما كانت موضحة للمؤنث وفارقة بيته وبين الذكر قياسا حال الوقف •

٣ — جواز استعمال اللهجة القليلة الاستعمال ، الضعيفة في القياس في الشعر والسجع ، وهو في نظر ابن جني مقبول عند الاحتياج

اليه وغير منعى عليه فهو فى ذلك جرى على لهجات العرب وسفنها ،
فلو استعملها انسان لم يكن مخطئا لكلام العرب ، لكنه يكون مخطئا
لأجود اللغتين ، والناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير
مخطئ .

والجودة تأتى بكثرة الاستعمال ، وقوة القياس ، وهذا فيما
وضع فى عصور الاحتجاج ، أما كلام المولدين فلا يحتج به (٢١) .

وهذا هو الأزهرى ينقل الروايات المتعددة عن قول العرب :
ماء ملح ومالح وأن المسموع كثيرا هو ملح لا مالح الذى لم يجيء
الا فى بيت العزاز :

بصرية تزوجت بصريا يطعمها المالح والطريا

ونقل عن يونس أنه لم يسمع أحدا من العرب يقول (مأوها
مالح) وأنه يقال : سمك مالح وأحسن منه سمك مليح ثم قال
الأزهرى :

هذا وإن وجد فى كلام العرب قليلا فهمى لغة لا تنكر (٢٢) .

وهذا مما أعطى اللهجات أهمية لغوية يمكن أن يفاد منها فى اللغة
والقراءات ويبعد بها عن الذم والتجريح ، وكانت منطلقا لرد نقد
النحاة لبعض القراءات وادعاء مخالفتها للفصاحة (٢٣) .

ولكننا لو ألقينا نظرات فاحصة على دراسة ابن جنى للهجات

(٢١) المصدر السابق ١٢/٢ .

(٢٢) التهذيب ٩٨/٥ ، ٩٩ .

(٢٣) انظر بحثنا عن القراءات وصلتها باللهجات .

وهو من هو فى اللغة والنحو لوجدناه يسلك الطريق السديد فى معرفة اللهجات واحتجابه بها ولها فلم يكن نحويا عاديا يجمع ثم يكتب بطريقة تقليدية بل اعتمد على مصادر موثوق بها فى الوصول الى هدفه وهى مشافهة الأعراب (٢٤) .

وقد لاحظ الدكتور الراجحي ذلك صفة واضحة عند ابن جنى فقرر « أن أبا الفتح يدرك ما للمصدر البشرى من قيمة كبيرة فى استقاء اللغة ، هذا المصدر الذى يعتمد عليه دارسو اللهجة فى المقام الأول والذى يسمونه the informer و الفرق بين المشافهة لمصاحب اللهجة وبين روايتها بطريق السماع عنه (٢٥) وقد نقل قوله فى ذلك :

« فليت شعري اذا شاهد أبو عمرو وابن أبى اسحاق ويونس وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه وأبو الحسن وأبو زيد وخلف الأحمر والأصمعي ومن فى الطبقة والوقت من علماء البلدين وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها وتقصد له من أغراضها ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور ما لا تؤديه الحكايات ولا تضبطه الروايات فتضطر الى قصود العرب وغوامض ما فى أنفسها حتى لو حلف منهم حالف على غرض دلته عليه اشارة لا عبارة لكان عند نفسه وعند جميع من يحضر حاله صادقا فيه غير متهم الرأى والنحيضة والعقل (٢٦) فلا غرو — اذا — أن يكون للهجات نصيب كبير فيما وصلنا له من آثار علمية .

وكان ظهور اللهجات فى كتب ابن جنى ثمرة من ثمرات فكره وعلمه الغزير فقد درس اللغة وأبرز سماتها الخاصة وملامح جمالها

(٢٤) انظر ص ٢٩٤ من رسالتنا للدكتوراه عن (ابن جنى اللغوى) .

(٢٥) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص ٦١ .

(٢٦) الخصائص ٢٤٨/١ .

وحيوتها وتوليدها واتساعها بمظاهرها المتعددة من الأصوات والاشتقاق والقياس والدلالة بما تشمله من معان متطورة ومتقابلة أو متلاقية وكل ذلك له صلة باللهجات التي هي المصدر الوثيق لكل ما وضع من مبادئ وما أرسى من دعائم وقد حرص دائما على بيان هذه الصلة في دراسته لها ، والباحث يرى في كتبه لهجات للقبائل الآتية : قيس — بنى سليم — هذيل — عقيل — الحجاز وتميم — الأنصار — أزد السراة — بنى كلاب — بنى أسد — ربيعة — هذيل ، وهذه اللهجات لها ما يسوغها من البيئة التي نشأ بها أصحابها فهناك بيئة البادية وبيئة الحاضرة ولكل منهما آثار على أهلها جسميا واجتماعيا وفكريا كما أن لها أثرا ملحوظا في كلامها واتجاهاتها الصوتية والمعنوية ولا ريب أن عالما ابن جني قد أورد هذه اللهجات ليوضح خصائص العربية وسماتها المميزة أو ليحتج بها لقراءة وصفت بالشذوذ عند غيره .

وقد أبرزت كتب لغوية متعددة ألوانا ومظاهر من اللهجات العربية ككتاب فقه اللغة لابن فارس وفقه اللغة للثعالبي والأماشي للقسالي ، وأدب الكاتب لابن قتيبة وشرح الفصيح للبطليلوسي ولابن درستويه ولابن خالويه ومعجمات اللغة وغيرها .

وكان أصحاب هذه المؤلفات يعبرون عنها (باللغات) ولم يظهر مصطلح اللهجات واضحا إلا في العصر الحديث الذي برزت فيه دراسة اللهجات واعتنى بها كثيرا وظهرت فيها البحوث العلمية الجادة .

وقد وردت إلينا بعض الشواهد القليلة من الأبيات الشعرية وبعض الآثار الأدبية الأخرى التي تحمل طابع اللهجات المنزوية المقهورة ، ويتمثل ذلك في بعض ما ورد من الآثار التي صحت روايتها في العصر الجاهلي والاسلامي أو ما سمعه الرواة من أفواه العرب المعاصرين لهم في البدو والحضر .

ولم يكن هم رواة اللغة حصر أنواع اللهجات وجمع كل نصوصها
وشواهدا والعناية بحفظها من عوادي الزمن لتؤكد الجوانب اللغوية
المتنوعة بين القبائل وتجعل لها تاريخا يوضح آثارها وملامحها
وصفاتها وما عرض لها من تغير مع مرور الزمن على لسان القبائل
الناطق بها وما بينها من صلات القرب أو البعد •

ولو أنهم فعلوا ذلك لأفادوا العربية افادة كبيرة لتفسير أمورهم
والغامض من أسرارها •

مظاهر اختلاف اللهجات

ان الناظر فيما وصل اليها من آثار هذه اللهجات يجدها تتنوع بين ما يتصل بالجانب الصوتي وما يتصل بالجانب الدلالي .

فما يتصل بالجانب الصوتي يتجلى فى الاختلافات التى تبدو فى تغير بعض الحروف والحركات من قبيلة الى أخرى أحيانا ، وهذا ما يطلق عليه اللغويون اسم (الابدال)^(١) وعلى ذلك تختلف بنيتها وصيغتها ، كما يمكن أن تختلف الحركات الاعرابية وغيرها من وجوه النحو بين القبائل ، ويمكن أن يتقدم حرف على آخر فيما يسمى ظاهرة (القلب المكانى) ، وقد يلاحظ الاختلاف بين القبائل فى حذف بعض الحركات أو الحروف أو زيادتها ، وهذا كله يتعلق بالجانب الصوتي .

أما ما يتصل بالجانب الدلالي فيبدو فى اختلاف القبائل العربية فى معانى الألفاظ وتنوع دلالتها وقد نشأ عن تنوع الدلالة ظهور المشترك والمتضاد والمترادف فى ألفاظ العربية .

ومن ذلك ما روى أن أبا هريرة — وهو دوسى —^(٢) قال له النبى ﷺ يوما : ناولنى السكين — وكانت قد وقعت من يده — فالتفت أبو هريرة يمينه ويسرة ولم يفهم المراد بلفظ السكين ، فكرر له القول ثانية وثالثة ، فلم يفهم ، ثم قال أبو هريرة : ألمدينة تريد ؟ فقل له : نعم ، فقال : أو تسمى عندكم سكيना ؟ ثم قال : والله لم أكن سمعتها الا يومئذ .

(١) ستحدث — ان شاء الله — عنه تفصيلا بعد قليل ونتحدث أيضا عن أهم المظاهر الأخرى .

(٢) دوسى بطن من الأزد .

وقد ينفرد عربى ببعض ما تقدم دون أن نعرف القبيلة التى
سمع منها ذلك بأن تجمع العرب على نطق معين أو معنى خاص ، ثم
يسمع من أحدهم ما يخالف ذلك مما لم يسمع من غيره .

وقد ذكر ابن جنى بعض ذلك فى خصائصه فى أبواب منها :
(باب فيما يرد عن العربى مخالفا لما عليه الجمهور)^(٣) و (باب
فى الشئ يسمع من العربى الفصيح لا يسمع من غيره)^(٤) ، وقد
ذكر ابن جنى تفسير هذا الوارد بأنه إذا كان العربى فصيحاً فى غير
ذلك وكان ما جاء به مما يقبله القياس إلا أنه لم يرد به استعمال
إلا من جهة ذلك الإنسان فإن الأولى فى ذلك أن يحسن الظن به
وإلا يحمل على فسادہ . . . ويمكن أن يكون ذلك قد وقع إليه من لغة
قديمة قد طال عهدا ، وعفا رسمها ، وتآبدت معالمها^(٥) .

وأما أن يكون شيئاً ارتجله كالب أن أحمر الذى تبنت الشهادة
بفصاحته ، والأعرابى إذا قويت فصاحته وسمت طبيعته تصرف
وارتجل ما لم يسبقه أحد قبله به ، وقد حكى عن رؤبة وأبيه أنهما
كانا يرتجلان ألفاظا لم يسمعاها ولا سبقا إليها ، وما قيس على
كلام العرب فهو من كلامهم ، فيحمل الأمر على ما يبدو وإن كان
يحتمل غير ذلك ، فمن شهرت فصاحته يقبل منه ما يورده ، ويحمل
أمره على ما عرف من حاله ، لا على ما عسى أن يكون من غيره ، وذلك
كقبول القاضى شهادة من ظهرت عدالته ، وإن كان يجوز أن يكون
الأمر عند الله بخلاف ما شهد به ، فالقاضى مأمور بحمل الأمور على
ما تبدو لا على العمل بما عند الله لأنه لم يقع له به العلم^(٦) .

(٣) الخصائص ٣٨٥/١ — ٣٩١ .

(٤) المصدر السابق ٢١/٢ — ٢٨ وانظر ما نقله السيوطى فى

المزهر ٢٥٥/١ .

(٥) المصدر السابق ٣٨٦/١ .

(٦) المصدر السابق ٢٣/٢ — ٢٧ .

أما إذا كان ما سمع منه يخالف القياس كرفع المفعول ، وجسر
الفاعل ، ورفع المضاف اليه ، فينبغي أن يرد ذلك لأنه جاء مخالفا
للقياس والنساع جميعا .

وإذا كان العربى الذى سمع منه ذلك مضعوبا فى قوله مألوبا
منه لحنه وفساد كلامه فالصواب أن يرد ذلك عليه ولا يقبل منه (٧) .

وإذا سمع ما هو ضعيف فى القياس من عدد كثير فالمحتمل أحد
أمرين :

١ — أن يكون من نطق به لم يحكم قياسه على لغة آبائهم .

٢ — أن يكون السامع قصر فى استدراك وجه الصحة .

٣ — أن يكون هذا الضعيف الوجه قد تسرب الى لسان هذا
الفصيح من لغة غير فصيحة فاسدة الأصل ترددت على سمعه كثيرا
فسرت فى كلامه ، مع صحة لغته فى غيرها ، فكأنه جمع بين لغتين ،
الأولى فصيحة هى لغته ، والأخرى فاسدة انتقل لسانه اليها فى هذا
الأمر. الفاسد فقد يتوهم من يسمع فصاحته أن يقبل منه الفاسد
ويدخل عليه ظنا أنه فصيح كلغته السائدة .

وهذا جائز إذا سلمنا بأن العربى ينتقل لسانه ، وقد ينتقل الى
لغة فصيحة أحيانا ، وإلى لغة فاسدة أحيانا أخرى .

ويستبعد ابن جنى الاحتمال الثالث باعتبار أن العربى الفصيح
ينفر من الخطأ فى اللغة ، فلا يطاوعه لسانه عليه (فالفصيح إذا
عدل به عن لغة فصيحة الى أخرى سقيمة عافها ، وله ييها بها) .
وقد جرب ذلك ابن جنى بأن سأل أبا عبد الله الشجرى — وهو
أعرابى فصيح — ومعه ابن عم له دونه فى الفصاحة يسمى غصنا ،

(٧) المصدر السابق ٣٨٧/١ ، ٣٩١ .

فقار لهما : كيف تحقران حمراء ؟ فقالا : حمراء ، قال لهما :
فسوداء ؟ قالا : سويداء ، ووالى ابن جنى من ذلك أحرفا أخرى ،
وهما يجيئان بالصواب قال ابن جنى : فدست فى ذلك (علباء)
فقال غصن — الضعيف فى الفصاحة — : (علياء) ، وتبعه
الشجرى ، فلما هم بفتح الياء تراجع كالمذعور ، ثم قال : آه :
عليى ، ورام الضمة فى الياء •

ودلل ابن جنى بذلك على أن العرب — ولا سيما أهل الجفاء
وقوة الفصاحة — يستتكرون خلاف اللغة استتكارهم زيغ الأعراب ،
ويتنبهون الى زيغ الأعراب أكثر من خلاف اللغة لاعتمادهم على
سماع لهجات كثيرة غير ما ينطقون به من ألسنة اخوانهم المجاورين
لهم أو البعيدين عنهم^(٨) •

(٨) الخصائص ٢/٢٥ ، ٢٦ •

الفصل الأول

الابدال وأثره في اللهجات

تعريفه : في اللغة مصدر أبدلت كذا من كذا اذا أقمته مقامه^(١) والأصل فيه : جعل شيء مكان شيء آخر^(٢) .

وفي الاصطلاح : جعل حرف مكان آخر مع الابقاء على سائر أحرف الكلمة^(٣) . وينظر اليه اللغويون على أنه جعل حرف مكان آخر أو حركة مكان أخرى .

والابدال نوعان :

١ - مطرد عند جميع العرب وهذا اذا استوفى شرطه وجب

(١) شرح التصريح ٣٦٦/٢ ولسان العرب ٥٠/١٣ ، ٥١ .

(٢) اللسان ٥٠/١٣ .

(٣) في كتب التصريف تفريق بين الابدال والتعويض والقلب وبيان للنسبة بينها فهي تعرف الابدال بأنه : جعل حرف مكان آخر مطلقا والتعويض بأنه جعل حرف خلفا عن حرف آخر أو أكثر سواء كان المعوض في غير مكان المعوض عنه مثل عدة وابن أو في مكانه نحو اضطبر ومخريج في تفسير مستخرج ، فكل ابدال تعويض ولا عكس ، والقلب هو : جعل حرف من حروف العلة والهمزة مكان حرف منها مثل قام وقائم فكل قلب ابدال ولا عكس ، وقد خرج التعويض عن تعريف الابدال بقيد المكان . وخرج القلب بقيد الاطلاق اذ هو يختص بكون المبدل في مكان المبدل منه ولا يختص بحروف العلة ، ومن راعى الاختصاص جعل بينها التباين . انظر الأشموني مع الصبان ٢٧٩/٤ ، ٢٨٠ ، والتصريح ٣٦٦/٢ والخصائص ٢٦٥/١ ، ٢٦٦ والأشباه والنظائر ١٢٣/١ - ١٢٥ ومقدمة الابدال لأبي الطيب اللغوي ٩/١ .

تتفيذه وهو الخاص بحروف (هـ د ت م و ط ي ا) وقد تكفل علم الصرف بدراسته .

٢ — الابدال غير المطرد ، وهو الذى لا يخضع لشرائط خاصة بحيث اذا لم ينفذ عد مخالفه مرتكبا سبيل الشذوذ وهذا لا يكون عند العرب جميعا ولكن يتنوع بين القبائل^(٤) فقبيلة تقول أن وأخرى عن وهذا هو الذى تتنوع عن طريقه اللهجات العربية ويمكن الانتفاع به فى دراستها كما يمكن الربط بين الألفاظ المتشابهة فى اللغات السامية^(٥) فالعربية والسريانية والعبرية وغيرها من أخواتها ترجع الى لغة واحدة هى السامية الأم الا أنها اختلفت لاختلاف البيئات والأحوال وأحيانا يكون هذا الابدال قياسيا ، فالتاء فى العربية تقابلها الشين فى العبرية والتاء فى السريانية فـ (يثب) العربية يقابلها (Yashav) العبرية و (Yateb) السريانية وأمثلة هذا التبادل كثيرة فى الأخوات الساميات^(٦) .

كما يمكن الربط عن طريق الابدال بين اللغات الانسانية بعضها وبعض يكشف أوجه التشابه والاختلاف فى الأصوات كما فى (Cable) الانجليزية و (كبل) و (حبل) فى العربية ويترتب عليه انتقال الكلمات من لغة الى أخرى وهذا يكشف عن تفرع اللغات الانسانية من أصل واحد ويمكن اجراء مثل هذا النوع من البحوث الابدالية بين العربية واللغات الأخرى وتحديد الأصل فى هذه اللغات والمنقول وهى عملية مطروحة للبحث والدراسة لكنها تحتاج الى حيدة علمية ودلائل موضوعية لاثبات الأصالة والفرعية فى اللغات ولعلنا نستطيع

(٤) فقه اللغة د. نجا ص ٢٦ ، ٢٧ واللهجات العربية ص ٥٥ .

(٥) فقه اللغة للدكتور محمد المبارك ص ٥٠ .

(٦) الفلسفة اللغوية لجورجى زيدان ص ٣٦ ، ٣٧ وفيه امثلة

للإبدال فى العبرية والآشورية .

— ان شاء الله — أن نقوم بنوع من هذه البحوث فى دراسة مقارنة بين العربية وغيرها لنضع الحقيقة الناصعة أمام العيون بسبق العربية لسواها من اللغات الأخرى واثبات قدمها الراسخة فى وضع الألفاظ والدلالات اللغوية .

لهذا وغيره من المزايا كانت تلك الظاهرة مثار البحث بين علماء اللغة .

آراء العلماء في الابدال

لما كانت ظاهرة الابدال تمثل قدرا كبيرا في تفسير ما قيل انه من اللهجات العربية أرى من الضرورة العلمية ذكر آراء العلماء في قضية الابدال ، وما حكموا فيه بتطور الألفاظ بعضها عن بعض أو ما نشأ منها عن طريق اختلاف اللهجات ، وأسباب هذا الحكم أو ذاك .

وقد أولى ابن جنى هذه الظاهرة عناية فائقة في بعض كتبه ، ونسب اليه رأى أصبح شائعا في أوساط اللغويين ممثلا للرأى القديم عند علماء اللغة العرب ، ولذا كان علينا أن نورد رأيه مدعما بأدلته ، ونبين من تابعه عليه من القدامى والمحدثين ، ثم نذكر علاجا حديثا لهذه المشكلة اللغوية ليتضح تفرع الألفاظ العربية المختلفة في بعض الحروف وطرق نشأتها ، هل حدثت بطريق الابدال والتطور الصوتى أو المعنوى أو نشأت عن لهجات متعددة لا صلة لاحداها بالأخرى ، وبهذا نكشف نوع الصلة بين بعضها وبعض . ونضع أساسا صالحا للتفسير اللغوى الذى نرتضيه فيما حدث من اختلاف لفظى أو معنوى بين القبائل فيما يمكن تفسيره على أنه من الابدال أو اختلاف اللهجات .

رأى ابن جنى :

ان ابن جنى قد عرض للأبدال كظاهرة لغوية لها أهميتها فخصص لها قدرا كبيرا من مؤلفاته — كما ذكرنا — ويكفينا دلالة على هذا الاهتمام قوله في اعترامه أن يشرح كتاب يعقوب بن السكيت في القلب والابدال « ونحن نعتقد ان أصبنا فسحة أن نشرح كتاب يعقوب بن السكيت في القلب والابدال فان معرفة هذه الحال فيه

أمثل من معرفة عشرة أمثال لغته وذلك أن مسألة واحدة من القياس أنبل وأنبه من كتاب لغة عند عيون الناس^(٧) .

ورأى ابن جنى يتلخص فى أنه نظر الى كل كلمتين اتحدتا فى جميع الحروف الا حرفا واحدا واتحدتا فى المعنى على أنهما تارة يكونان من الابدال وأخرى من اختلاف اللغات (اللهجات) وقد وضع مقياسا للحكم على الكلمتين متى تكونان من قبيل الابدال ومتى تكونان من اختلاف اللهجات ؟

« فمتى أمكن أن يكون الحرفان جميعا أصليين كل واحد منهما قائم برأسه ثم يسخ العدول عن الحكم بذلك فان دل دال أودعت ضرورة الى القول بابدال أحدهما من صاحبه عمل بموجب الدلالة وصير الى مقتضى الصنعة^(٨) ، وقد تبين من كلامه العديد فى سر الصناعة والخصائص أن مقياسه هو أن اللفظين اذا تساويا فى الاستعمال والتصرف « فليست بأن تجعل أحدهما أصلا لصاحبه أولى منه بحمله على ضده » وعلى هذا فكل لفظة لغة لقوم بأعيانهم يقول فى سر الصناعة : علث الطعام — وغلثه والنشوع والنشوغ لغات كلها لاستوائها فى الاطراد والاستعمال^(٩) ويقول فى الخصائص « هتلت السماء وهتنت هما أصلان ألا تراهما متساويين فى التصرف يقولون

(٧) الخصائص ٨٨/٢ .

(٨) المصدر السابق ٨٢/٢ .

(٩) المصدر السابق ٢٤٧/١ ، ٢٤٨ ، علث. وغلث الطعام : خلطه ، والمادتان مذكورتان فى المعاجم (اللسان ٤٧٤/٢ ، ٤٧٨) ولعل احدهما ناشئة عن الأخرى بطريق التصحيف ، ومادة (نشع) — بالعين — فى المعاجم دون الغين ، والنشوع هو السعوط والوجور الذى يوجره المريض أو الصبي والسعوط فى الأنف والوجور فى الفم ، ويقال : نشع الطيب : شمه (اللسان ٢٣٢/١) .

هتنت السماء تهتن تهتانا وهتلت تهل تهتالا وهي سحائب هتن وهتل (١٠) ويقول في موضع آخر : « فأما قولهم اناء قربان وكربان اذا دنا أن يمتلىء فينبغي أن يكونا أصلين لأنك تجد لكل واحد منهما متصرفا أي قارب أن يمتلىء وكرب أن يمتلىء (١١) فمن النصوص السابقة نفهم وجهة نظره فيما اذا تساوت الكلمتان في التصرف والاستعمال وهي أن تكون كل منها لغة (لهجة) ، أما اذا لم تتساو الكلمتان تصرفا واستعمالا بأن كانت احدهما أكثر تصرفا أو أدور استعمالا فانهما حينئذ من قبيل الابدال وتكون الكلمة الكثيرة التصرف أو الاستعمال هي الأصل (١٢) والقليلة هي الفرع (١٣) وهذا يتضح لنا أيضا من كلام ابن جني نفسه يقول في الخصائص « رجل خامل وخامن النون فيه بدل من اللام ألا ترى أنه أكثر وأن الفعل عليه تصرف وذلك قولهم خمل يخمل خمولا وكذلك قولهم قام زيد قم عمرو الفاء بدل من الثاء في ثم ألا ترى أنه أكثر استعمالا » (١٤) ويقول في سر الصناعة « وأما

(١٠) ٨٢/٢ بتشديد التاء المفتوحة في هتن وهتل وتتفق اللام والنون في المخرج وهو طرف اللسان مع اللثة العليا وبينهما الراء وتتفقان في جميع الصفات وهذا يسوغ التبادل بينهما وقد جزم ابن جني بأنهما أصلان يعني أنهما في لهجتين مختلفتين وليس من الابدال وقد ورد في كتب اللغة ما يؤيد أنهما لهجتان ونسبت الكلمات التي باللام إلى أهل الحجاز وتميم وقيس وكثير من أهل نجد ، ونسبت الكلمات التي بالنون إلى بني سعد من مضر وبعض كلب (البحر ٣١٨/١ والتعذيب ٢٩٤/١٥ والقلب والابدال ٢٨٧) .

(١١) ٨٦/٢ ولا مانع من التبادل بين القاف والكاف لأنهما من مخرج واحد وهو أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى ويتفقان في الانفتاح والأصوات والهمس — على رأي المحدثين في القاف ، ويمكن نسبتهما إلى اللهجات أيضا ، ولعل القاف مناسبة للقبائل البدوية لأنها من الأصوات المستعالية والكاف للقبائل الحضرية لاستئناس الكاف وريقتها .

(١٢) المبدل منه . (١٣) المبدل .

(١٤) ٨٤/٢ ولا مانع من التبادل بينهما لتوافر العلاقة الصوتية فهما شفويان ومتفقان في جميع الصفات ما عدا الذلاقة للفاء والأصوات للثاء ، ويجوز أن تكون كل منهما أصلا دون النظر إلى حكم لابن جني بأصالة الثاء لكثرة التصرف ، ومن الجائز نسبتهما إلى اللهجات على أن تكون الفاء للحجاز والفاء لميم .

قولهم فى الدرع نثرة ونثلة فينبغى أن يكون الراء بدلا من اللام لقولهم نثل عليه درعه ولم يقولوا نثرها فاللام أعم تصرفا فهى الأصل « (١٥) ويقول فى موضع آخر « يقال تركته وقيذا أو وقيظا والوجه عندى والقياس أن تكن الظاء بدلا من الذال لقوله عز اسمه والموقوذة بالذال ولقولهم وقذة يقذه ولم أسمع وقظه ولا موقوظة فالذال اذا أعم تصرفا فلذلك قضينا بأنها هى الأصل « (١٦) .

ويمكن بعد هذا أن نقول ان رأى ابن جنى هو : الكلمتان المتحدتان فى جميع الحروف ما عدا حرفا واحدا يكونان .

١ - من الابدال : اذا أمكن الحكم بأصالة احدى الكلمتين وفرعية الأخرى وذلك — كما نقلنا عنه — اذا كانت احدى الكلمتين أكثر تصرفا أو استعمالا من صاحبيتها ، وهذا يمكن حدوثه عند قبيلة واحدة أو عند العرب جميعا .

٢. - من اختلاف اللهجات : اذا لم يمكن الحكم بأصالة احدى

(١٥) ٢٠٦/١ ومعانى السائتين مقاربة ، فيما تدوران حول الترقيق ونقل الشيء من مكان الى غيره ، ونثر معروفة فى الترقيق ونثل : منها نثل الركبة أخرج ترابها ، ونثل كنانته : أخرج ما فيها من النبل ، ونثل اللحم فى القدر وضعه فيه مقطعا ، ومقياس التصرف ليس هو الأساس لمعرفة الأصل فيجوز أن يكون كل من الراء أو اللام أصلا أو أن اللام نشأت لثغة عن الراء أو كل منهما أصل فى لهجتين مختلفتين والراء لتميم واللام للحجاز (التهذيب ٣٨٢/٢ ، ٩١/٨ ، ٣٥٥/١٢ ، ١٥٨/١٣ ، ٢٥٧) .

(١٦) ٢٣٣/١ والقبائل سائغ بينهما لاتفاقهما فى المخرج والصفات ما عدا الاستعلاء والاطباق فى الظاء والاستفال والانفتاح فى الذال ، وحكم ابن جنى بكثرة تصرف الكلمة بالذال غير سديد لكثرة تصرف الكلمة بالظاء أيضا كما ورد فى المعاجم (القاموس ٤٠٠/٢) واللائق بالأمر أن تكون الظاء فى بيئة بدوية تميل الى التخخيم والأصوات المستعلية المطبقة ، وأن تكون الذال من خصائص بيئة حضرية تميل الى الترقيق والأصوات المستقلة المنفتحة .

الكلمتين وفرعية الأخرى ، وذلك بأن نتساوى الكلمتان تصرفا واستعمالا ويكون عنده قبائل متعددة •

وهذا الحكم المبني على الشيوخ وكثرة التصرف قد تعرض لنقد علماء اللغة فوجهته غير صالحة لأن تكون مقياسا علميا سديدا وقد ناقش هذه الفكرة أستاذنا الدكتور نجا وأثبت عدم صلاحيتها وحدد وجوه الضعف في نقاط نجلها فيما يلي :

١ — مقياس التصرف لا ينبغي أن يعول عليه لجواز الاستغناء عن تصرفات الكلمة القليلة التصرف بتصرفات كلمة أخرى أو أن الكلمة متصرفة ولم يصل إليها الرواة ويعقب أستاذنا على ذلك بقوله « وعلى هذا فعدم الاشتقاق في الظاهر لا يصح أن يكون مقياسا معولا عليه في الحكم بالفرعية لما سبق » •

٢ — كثرة الاستعمال الذي يعتبره أصحاب هذا الرأي مقياسا للأصالة والفرعية لا يسير وفق أمر مطرد حتى نتخذه مقياسا لهذا الأمر فالكلمة قد تنتشر في عصر وتهمل في غيره مما يجعل الكلمة معرضة للأصالة والفرعية ثم يقول معقبا « وهذا ما يجعل ذلك الأساس غير مستساغ » (١٧) •

على أننا نلاحظ أن ابن جني نفسه قد أحس بضعف هذا المقياس في قرارة نفسه وظهر في تطبيقه له بما يؤكد لنا تشككه في صلاحيته : يقول في سر الصناعة : وقالوا خطر بيده يخطر وخطر يخطر فالغين كأنها بدل من الخاء لكثرة الخاء وقلة الغين وقد يجوز أن يكونا أصليين إلا أن أحدهما أقل من صاحبه (١٨) ، ويقول في الخصائص « فأما قولهم

(١٧) اللهجات العربية ٥٧ وفقه اللغة ٢٩/٤ •

(١٨) ٢٤٧/١ ، ظاهر أن العلاقة الصوتية تسوغ التبادل بين الخاء والغين فكلاهما من حروف الحلق من أنفاه وتقفقان في الرخاوة والاستعلاء ، ويبدو أن الاختلاف — هنا — ناشئ عن اختلاف اللهجات ، والغين للبدو ليلهم إلى الحروف المجهورة والحاء للحضر ليلهم إلى المهوس وهو المشهور في كتب اللغة •

ما قام زيد بل عمرو وبن عمرو فالنون بدل من اللام ألا ترى الى كثرة استعمال (بل) وقلة استعمال (بن) والحكم على الأكثر لا على الأقل هذا هو الظاهر من أمره ولست مع هذا أدفع أن يكون (بن) لغة قائمة براسها^(١٩) ، ففي النضين السابقين دليلك واضح على عدم اعتداد ابن جنى بهذا المبدأ وتشككه فيه .

وقد أوضح أستاذنا الدكتور نجا أن ابن جنى ومن تابعه قد تخلوا عن التزام هذا المقياس فيما ورد عنهم مما يجعلنا لا نوقن بالتزامه وحكى عن ابن جنى قوله فى سر الصناعة : « وقد قلبت تاء افتعل دالا مع الجيم فى بعض اللغات فقد قالوا اجتمعوا فى اجتمعوا واجدز فى اجتر ومنه قول الشاعر :

فقلت لصاحبى لا تحبسانا بنزع أصوله واجدز شيحا

« وهذا يعطينا صورة صادقة عن ضعفه » على حد تعبير أستاذنا^(٢٠) ولكننا عندما ننظر فيما كتبه ابن جنى عن الإبدال نجد أنه يستعمل مقياسه فى بيان الأصل والفرع فلعله قد رجع عن رأيه السابق بعد ما دون نظريته وأجراها تطبيقا على كثير من الألفاظ التى تصدق عليها .

ويشترط ابن جنى لتطبيق رأيه السابق تطبيقا صحيحا أن يكون الحرفان المختلفان فى الكلمتين متقاربى المخارج ويقوى ذلك بالتماثل أو التقارب فى بعض الصفات أيضا .

ويمكن ادراك هذه الحقيقة فى مواضع كثيرة من أهم مؤلفاته

(١٩) ٨٤/٢ .

(٢٠) اللهجات العربية ٥٨ وفقه اللغة العربية ٢٩ وسر الصناعة (باب الدال) ٢٠١/١ .

اللقى أشرتا إليها ومن ذلك قوله « القلب في الشروف، إنما هو فيما تقتارب منها وذلك الدال، والطاء والقاء والذال والطاء والشاء والهاء والهمزة والميم والنون وغير ذلك مما تدانت مخارجة^(٢١) وقوله في موضع آخر : وتحو من هذا التقريب في الصوت قولهم في سبقت حبقت وفي سقت صقت وفي سلق صلق وفي سويق صويق وذلك أن اللقاف حرف مستعمل والسين غير مستعمل إلا أنها أخذت اتحاد المستعملة فحذروا السين من اللقاف بأن قلبوها إلى أقرب الحروف إلى اللقاف من مخرج السين وهو الصاد^(٢٢) ، وكثيرا ما عبر ابن جنى في الأبدال بأن هذا الحرف أخ لهذا الحرف فالراء أخذت اللام والياء أخذت الميم والزاي أخذت الصاد وهكذا^(٢٣) ، وهذا الشرط أساسي لتحقيق الأبدال ولذلك رأينا لا يذكر في كتبه شيئا مما لم يتحقق فيه هذا الشرط مما تباعدت مخارجة مثل خلع وجلع : ذهب حيلوه^(٢٤) والزحائف

(٢١) سر الصناعة ١/١٩٧ .

(٢٢) المصدر السابق ٢٠١ ولا مانع من التبادل بين السين والصاد لأنهما من مخرج واحد هو طرف اللسان مع أصول الثنايا السنية بجانب اشتراكهما في الهمس ومع ذلك فالحتمال اللجات أبر قائم ، وقتاثر السين بأصوات الاطباق فتطلب إليها ونسبت هذه الظاهرة إلى قوش ، ويقول أبو حيان : انه اللغة الجيدة (البحر ١/٢٥) ولعل هذه الظاهرة أن تنسب إلى أهل البادية أجدر فصول الاطباق فيه من الوضوح ما يتناسب مع البيئة الصحراوية (اللجات العربية في القراءات القرآنية ص ١٥٠) وقد نسب ذلك إلى قوم من تميم هم بلعنبر أو إلى قوم من اليمن (الجمرة ٢/١٥٤ ، ١٦٣) وربما كانت الصاد متطورة عن السين في لهجة البدو (الكتاب : باب ما قلب فيه السين صاداً في بعض اللغات ٤/٤٧٩ ، وسر الصناعة ١/٢٢٠) .

(٢٣) الخصائص من ص ١٤٧ إلى ص ١٥٣ ج ٢ .

(٢٤) اللسان ٩/٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٣٠ والعلاقة الصوتية بعيدة مع الربط بينهما للملازمة ما وربما دخل ذلك التصحيف (من أسرار اللغة ص ٥٢) .

والزحاليق وفي صدره على حسيقة وحسيكة^(٢٥) ولم يتنازل ابن جنى عن هذا الشرط في أى مثال من أمثله على هذه الظاهرة اللغوية^(٢٦) ، وربما أضاف إليها مقويا لها اشتراكها في بعض الصفات كما قال عن ابدال التاء من السين في النسات وأكيات يريد الناس وأكياس « فأبدلت السين تاء لوافققتها إياها في الهمس والزيادة وتجاور المخرج »^(٢٧) ويقول في موضع آخر : معللا لقلب التاء تاء في افتعل من الثريد « وانما قلبت تاء لأن التاء أخت التاء في الهمس فلما تجاورتا في المخرج أرادوا أن يكون العمل من وجه واحد فقلبوها تاء وأدغموها في التاء بعدها ليكون الصوت نوعا واحدا^(٢٨) ويبدو من ذلك أن ابن جنى يقصد بتقارب المخرج اتحادها أو تجاورها .

(٢٥) المزهري ٢٦٨/١ والزحاليق آثار تزلج الصبيان من أعلى إلى أسفل ، وفي اللسان ٣٩٢/١٠ : الحسيقة والحسيكة : الغيظ والعداوة والعلاقة متباعدة بين الفاء والكاف ولذا فهما من اللهجات ، فالصوت الشديد للقبائل البدوية والرخو للحجازية .

(٢٦) لم يتنازل ابن جنى عن هذا الشرط بمعنى البعد البعيد كالأمثلة المذكورة والا فانه قال بابدال السين من الشين في مثل سده وشدده وهما متباعدان مخرجا ، ويظهر أن ابن جنى يلاحظ هذا التباعد بين السين والشين فيشك في ابدال بينهما ، ولذلك لم يصرح في باب السين بأنها تبدل من غيرها ، وقال : ينبغي أن تكون السين بدلا منها بأسلوب التضعيف كما نرى ، ولم يلتزم ذلك كثير ممن رويوا الفاظ هذه الظاهرة من القدماء كابن الطيب اللغوي انظر كتابه ابدال ج ١ صحائف ٢٠٥ — ٢٥٢ ومقدمة محققه ص ١٠٤ ، ١١ .

(٢٧) سر الصناعة ١٧٢/١ .

(٢٨) المصدر السابق ١٨٩ ، وذلك مثل قولهم : اترد وهو مترد وجاء عكس ذلك بقلب التاء ثاء : اترد ومترد واثار واثنى . ونرى أن ابدالهما أمر مستقيم لقرب مخرجيهما إذ التاء من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا والثاء من طرفه الا انه يحتك ويتصل بأطراف الثنايا العليا نفسها فالفرق طفيف جدا والحرفان يتفقان في صفات كثيرة وهي الهمس والاستفال والانفتاح والاصمات والثاء حرف يحتاج الى مجهود عضلي في نطقه مما دعانا الى تسهيله والنطق بالتاء سهل سريع مما جعله يتناسب مع أهل البادية الذين يميلون الى الأصوات

ويتصل بتمام رأى ابن جنى فى هذا الموضوع أن تكون الكلمتان متحدتى المعنى والاشتقاق والا فإذا كان المعنى مختلفا أو كان الاشتقاق مختلفا ولكنه أدى الى تركيب اشتبه فيه ظاهر اللفظين فلا يعتبر هذا من الإبدال كما صرح ابن جنى فى مواضع كثيرة فمن الأول ما ذكره عن كلمتى (ثوم وفوم) قال « وذهب بعض أهل التفسير فى قوله عز اسمه وفومها الى أنه أراد الثوم فالفاء على هذا بدل عنده من الثاء والصواب عندنا أن الفوم الحنطة وما يختبز من الحبوب يقال فومت الخبز أى خبزته وليست الفاء على هذا بدلا من الثاء » (٢٩) ، ومن الثانى ما ذكره عن كلمتى (حثثوا وحثثوا) فى التعليق على قول الشاعر :

كأنما حثثوا حصا قوادمه أو أم خشف بذى شت وطباق

قال « فأما الحاء فبسيطة من الثاء وبينهما تفاوت يمنع من قلب احداهما الى أختها وينقل عن أبى على أسناده قوله : وانما حثث أصل رباعى وحثث أصل ثلاثى وليس واحد منهما من لفظ صاحبه الا أن حثث من مضاعف الأربعة وحثث من مضاعف الثلاثة فلما تضارعا

الشديدة ، على حين يميل الحضر الى الأصوات الرخوة (فى اللهجات العربية د. أنيس ص ١٠٠ — ١٠٧) وربما وقع التصحيف بينهما مثل فى لسانه رثة والصواب بالتاء ولث السويق والصواب بالتاء ، ويحيى ابن اكرم وهى بالثاء (ثقيف اللسان ٨) — ٥٣ باب التصحيف الى ص ٧٣) .

(٢٩) المصدر السابق ٢٥٢/١ ، ولا مانع . كما ذكرنا — من وقوع التبادل بين الثاء والفاء للتقارب فى الخارج والاتفاق فى بعض الصفات ، ولكن اختلاف معنى اللفظين يؤكد عدم الإبدال كما ذهب اليه ابن جنى ووجد فى معاجم اللغة ففيها : الفوم : الزرع أو الحنطة وأزد السراة يسمون السنبل فوما وقال بعضهم : الفوم الحمص لغة شامية والفوم الخبز أيضا يقال : فوموا لنا أى اختبروا وينقل ابن منظور عن الفراء أن الفوم لغة قديمة وهى الحنطة والخبز معا . (اللسان ١٥/٣٥٧) .

بالتضعيف الذى فيها اشتبه على بعض الناس أمرهما ، ثم يقول : وهذا هو حقيقة مذهبنا — وإذا قامت الدلالة على أن حثث ليس من لفظ حثث فالقول فى هذا وفى جميع ما جاء منه واحد وذلك نحو تملل وتملك ورقرق ورقق وصرصر وصرر (٣٠) .

موقف العلماء من هذا الرأى :

ونحن اذا استعرضنا آراء العلماء من قدامى ومحدثين فى حل هذه المشكلة اللغوية فاننا نجد من سار على درب ابن جنى كما نجد فى الوقت نفسه من خالفه وربما كانت الموافقة له أو المخالفة فى جانب من الموضوع وهذا يقتضينا أن نناقش أهم هذه الآراء لنقف على مدى الموافقة أو المخالفة فقد وافق ابن جنى فى رأيه السابق بجوانبه المختلفة ابن سيده وابن يعيش (٣١) وان كان يبدو لنا من حديث ابن سيده عن الابدال نوع من عدم الدقة ، ومما يؤيد وجهة نظر ابن جنى قول ابن سيده : وأذكر الآن شيئاً من المعاقبة وأرى كيف تدخل الياء على الواو والواو على الياء من غير علة (عند القبيلة الواحدة من العرب) واما لافتراق القبيلتين فى لغتين فأما ما دخلت فيه الواو على الياء والياء على الواو لعل فلا حاجة الى ذكره فى هذا الكتاب لأنه قانون من قوانين التصريف (٣٢) ويشترط ابن سيده توافر التقارب بين الحروف حتى يصح الابدال فهو يقول : فأما ما لم يتقارب مخرجا ألبته فليل على حرفين غير مقاربين فلا يسمى بدلا (٣٣) .

(٣٠) المصدر السابق ١٩٧/١ ، ١٩٨ ، واضح أن ابن جنى لم يتل بالابدال لبعد المخرج وان اتفقت الاء والحاء فى الصنات ، وهى الهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح والاصمات ونحن مع ابن جنى فيما ذهب اليه اذ لابد أن تكون المخرج متقاربة للحكم بالابدال ولابد كذلك أن تكون الكلمتان متحدتين معنى واشتقاقا .

(٣١) اللهجات العربية د. نجا ص ٥٦ وفقه اللغة العربية ٢٧/٤ .

(٣٢) المخصص ١٩/١٤ .

(٣٣) المصدر السابق ٢٧٤/١٣ .

وابن سيدة كابن جنى يرى أنه لابد من اتحاد المعنى فى اللفظين حتى يمكن عدهما من باب الابدال ولا بد أن يكون المعنى حقيقيا لا تجوز فيه فبعض العرب يقول جسم الودك وجمد الماء ولا يقال جسم الماء ولا جمد الودك وكان الأصمعى يخطئ ذاك الرمة فى قوله :

ونقرى سديف الشحم والماء جامس^(٣٤)

وعلى هذا فاذا قال بعضهم جسم الودك وجمد فليس هذا بدلا اذ مع تباعد مخرج السين والداال فى اللفظين لا يمكن انجمع بين معنييهما الا على ضرب من المجاز^(٣٥) ، وفكرة الأصالة والفرعية غير واضحة عنده ولهذا رأيناه يعقد فى الفصل الواحد أبوابا مختلفة فمناه البدل ومنه ما يجرى مجرى البدل وياب الحرف الذى يضارع به حرف من موضعه والحرف الذى يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه وباب ما يجيء مقولا بحرفين وليس بدلا وباب المحول من المضاعف^(٣٦) وابن يعيش ينقل فى شرح المفصل كلام ابن جنى وأمثله وينبه على تقارب المخارج والمصنفات بين المتبادلين ويحكم بالأصالة والفرعية تبعا لكثرة التصرف والاستعمال حسب ما عرفناه عن ابن جنى^(٣٧) ومن ذلك ما قاله فى ابدال الطاء من التاء فى نحو اصطبر وفحصت برجلي قال : فأبدلوا من التاء طاء لأنهما من مخرج

(٣٤) السديف : السنام المقطع وقيل شحمه . الودك : الدسم وجسم وجمد بمعنى واحد وقيل الجموس للودك والجمود للماء والجامس من النبات ما ذهب غرضته ورطوبته فولى وجسا . اللسان ٣٤١/٧ ، ٣٤٢ ، ٤٧/١١ ، ٤٨ ، ٤٠٠/١٢ ، ٤٠١ .

(٣٥) المخصص ٢٨٧/١٣ .

(٣٦) المصدر السابق ٢٦٧/١٣ — ٢٩٠ .

(٣٧) انظر شرح المفصل ٧/١٠ وما بعدها .

واحد^(٣٨) وقال عن ابدال الهاء من الهمزة انهم « أبدلوها منها ابدالاً صالحاً على سبيل التخفيف اذ الهمزة حرف شديد مستقل والهاء حرف مهموس خفيف فمخرجاها متقاربان الا أن الهمزة أدخل منها في الحلق قالوا هرقت الماء أى أرقته ... الخ^(٣٩) وقال « قالوا مازلت راتماً على هذا الأمر أى راتباً حكى ذلك عن أبى عمرو بن العلاء فالميم بدل من الباء لكثرة الباء وقصرها الا تراك تقول رتب يرتب فهو راتب أى ثابت ولا تقول رتم يرتم فى هذا المعنى فكانت الباء هى الأصل وقالوا رأيت من كثم وكثب أى من قرب حكى ذلك يعقوب فالباء ينبغى أن تكون أصلاً والميم بدلاً منها لعموم تصرف الكثب وأنه يقال قد أكثب لك الأمر ورماء من كثب أى من قرب^(٤٠) .

(٣٨) المصدر السابق ٤٦ ، ٤٧ . للتاء والطاء والذال علاقة صوتية تسوغ التبادل بينها فالمخرج واحد وقد يقتضى تجاور التاء مع حروف الاطباق ابدال التاء طاء لمناسبتها فى الاستعلاء والاطباق مع أنها اخت التاء فى المخرج وفحصت — بالطاء — تنسب الى تميم الذين يفضلون الصوت المستعلى المطبق ، فى حين تنسب التاء الى الحجازيين الذين يفضلون الصوت المستقل المهموس .

(٣٩) المصدر السابق ٤٢ ، لا مانع من حدوث التبادل بين الهمزة والهاء لتداني المخرج فهما من حروف الحلق ويتفقان فى صفات الاستقلال والانفتاح والاصمات ويمكن أن تكون بعض العرب نطقت باحداهما والآخرين بالثانية ونسبت بعض الكلمات بالهاء الى طيىء (اللهجات العربية ٦٥ ، ٦٦) .

(٤٠) المصدر السابق ٣٥/١٠ ، وانظر سر الصناعة (مخطوطة الازهر) الوجه الثانى من الورقة ٨١ فقد نقل كلام ابن جنى مع تغيير قليل ، والراى الذى قاله ابن يعيش هو راى ابن جنى وهو اجازة ابدال بين الباء والميم والباء هى الأصل لكثرة تصرفها فى المثالين ، وأجاز ابن جنى كون كل منهما أصلاً مستقلاً عن الآخر قال : (ويحتمل الميم فى هذا عندى أن يكون أصلاً غير بدل) لتصرفات أخرى ذكرها هناك ، والباحث فى المعاجم يرى لكل من (رتب ورتم) معانى خاصة بها مع اتفاقهما فى الدلالة على معنى الإقامة والثبوت حقيقة أو مجازاً ، وكذلك (اكثب واكثم) تشتركان فى معنى القرب الذى يجمع بينهما وليست الباء أكثر تصرفاً من الميم كما ذكر ابن جنى ، وعلى هذا يجوز أن تكون كل من الباء والميم بدلاً من الأخرى أو أن كلا منهما مستقل عن الآخر خاص بقوم دون قوم لاختلاف مادة الاشتقاق .

وكثير من المحدثين لم يزدوا على ما قبله ابن جني شيئا وان
اختلفوا معه عرضا وأسلوبا فيرى بعضهم — كما يرى ابن جني —
تقسيم الألفاظ التي تحمل اسم هذه الظاهرة قسمين :

١ — فبعضها من الابدال : اذا كانت هناك علاقة صوتية •

٢ — وبعضها من غيره اذا لم توجد هذه العلاقة « وأغلب الظن
حينئذ أن الصورتين تنتميان الى منبعين مختلفين وأن كلا منهما أصيل
في ذاته وليس مثل هذه الكلمات الا مثل كل المترادفات (٤١) »

يقول الدكتور أنيس « حين نستعرض تلك الكلمات التي فسرت
على أنها من الابدال حيناً أو من تباين اللهجات حيناً آخر لا نشك
لحظة في أنها جميعاً نتيجة التطور الصوتي أي أن الكلمة ذات المعنى
الواحد حين تروى لها المعاجم صورتين أو نطقين ويكون الاختلاف
بين الصورتين لا يجاوز حرفاً من حروفها نستطيع أن نفسرها على أن
احدى الصورتين هي الأصل والأخرى فرع لها أو تطور عنها غير أنه
في كل حالة يشترط أن نلاحظ العلاقة الصوتية بين الحرفين المبدل
والمبدل منه (٤٢) والعلاقة الصوتية التي أرادها الدكتور أنيس هي
القرب في المخرج أو الصفة إذ انه « شرط أساسي في كل تطور
صوتي (٤٣) » ، ويقول الدكتور الصالح عقب نقله رأي الدكتور أنيس
السابق « ورأي المحدثين — على جرائته — أسلم اتجاهها وأصح نتيجة
من رأي تلك الطائفة من المتقدمين الذين ذهبوا الى اكثار العسب من
الابدال كأنه سنة أو عادة وكأن النطقين المختلفين عندهم متساويان
يوضع أحدهما مكان الآخر وكأنهم يعتمدون هذا الابدال اعجاباً به
وتقنناً فيه (٤٣) » ، ولكن الدكتور الصالح يعتمد في العلاقة الصوتية

(٤١) من أسرار اللغة ط ٣ ص ٥٩ .

(٤٢) المصدر السابق ط ٣ ص ٥٩ .

(٤٣) دراسات في فقه اللغة ٢٣٩ .

المخرج لا الصفة فهو يقول « فقد لوحظ فيها الأمر الأهم وهو اتفاق المخرج أما اختلاف الصفة فليس بذى بال لأن المعول فى معرفة نوع الصوت ودرجة ايقاعه على العضو الذى خرج منه من بين أعضاء جهاز النطق وليس على الطريقة أو الكيفية التى تم بها انطلاق هذا الصوت. فالدال والتاء حرفان نطعيان كلاهما يخرج من سقف غار الحنك الأعلى المسمى بـ « النطع » فهما اذا متجانسان وعلى هذا المعول فلا خير بعد هذا أن توصف التاء بالاطباق والاستعلاء وهما صفتان تويتان على حين توصف الدال بالصفتين المضادتين الضعيفتين الانفتاح والاستفال^(٤٤) وقد صرح الدكتور شاهين بأنه (لا يكون الابدال ابدالاً حقا الا اذا كان بين البديل والمبدل منه علاقة صوتية كقرب المخرج أو الاشتراك فى بعض الصفات الصوتية كالجهر والهمس والشدة والرخاوة)^(٤٥) .

وقد قسم الدكتور أنيس الكلمات التى توجد بينها علاقة صوتية أقساما ثلاثة :

١ — كلمات روى كل منها بنطقين ونسب كل نطق الى بيئة معينة : فمتى أمكن معرفة الأصل والفرع حكمنا بذلك وبحثنا عن سر التطور الصوتي^(٤٦) وان لم يمكن « نستعين بالقوانين الصوتية وتطورها للحكم على أى الصورتين هو الأصل وأيها هو الفرع ويكون حكمنا حينئذ مرجحا لا مؤكدا »^(٤٧) .

٢ — كلمات روى لكل منها نطقان ونسب أحد النطقين لبيئة معينة ولم ينسب النطق الآخر : نعتمد لمعرفة الأصل والفرع منها على كثرة التصرف والاستعمال وورود النص القديم مشتملا على

(٤٤) المصدر السابق ٢٤٥ .

(٤٥) القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ٧٣ .

(٤٦) من أسرار اللغة ط ٣ ص ٦٥ .

(٤٧) المصدر السابق ص ٦١ .

الصورة الشائعة يؤكد لنا الأصلة بين النطقين أما حين نفتقد النص فالأصلة عن طريق الشيوخ مرجحة رجحانا كبيرا ولا يصح الرجوع عن هذا الا اذا أثبت قوانين تطور الأصوات مثل هذا الاعتبار^(٤٨) .

٣ — كلمات روت المعاجم لكل منها نطقين متساويين فى الفصاحة والشيوخ ولا ينسب أحد النطقين لبيئة معينة : اذا أمكن معرفة الأصل من الفرع حكمنا بذلك والا اعتمد الكثير التصرف والاستعمال أصلا لصاحبه » فاذا ورد لأحد النطقين نص قديم اعتبرناه الأصل .. أما حين يرد كل من النطقين فى نصوص قديمة فكثرة الشواهد الخاصة بأحد النطقين ترجح فى الغالب أصالته^(٤٩) .

فالدكتور أنيس يضع لمعرفة الأصل والفرع — بعد تحقق العلاقة الصوتية — مقياسا له جانبان :

١ — معرفة المتقدم فى وجوده على الآخر فاذا وجد ما يدل على سبق أحدهما زمنا كان هو الأصل والثانى هو الفرع .

٢ — اذا لم يعرف المتقدم من المتأخر فيحدد الأصل بكثرة شيوخه وتصرفه والفرع بضد ذلك .

وهذا لم يزد على رأى ابن جنى شيئا فقد جعل — مثله — معرفة الأصل من الفرع مرهونة بورود الدليل الذى يبين أسبقهما^(٥٠) معتمدا على الشيوخ وكثرة التصرف .

وقد تابعه أيضا فى اعتماد المقياس السابق الدكتور الصالح فهو يقول « ومقياسنا فيما ورد بوجوهين لتمييز الأصل من الفرع هو كثرة

(٤٨) من أسرار اللغة ط ٣ ص ٦٢ .

(٤٩) المصدر السابق ٦٣ .

(٥٠) سر الصناعة ٢٢١/١ .

الشواهد المتعلقة بأحد الوجهين فما أكثر الأمثلة على كُثْبِ والأقطار
واللثام وما أقلها في كُثْمِ والأقتار واللفام^(٥١) .

فهذا كله يؤكد أن الرأي الحديث لا يختلف عن القديم
إلا أسلوباً فقط وهو يروى الحقيقة التالية :

اللفظان على الصورة المعروفة يكونان :

١ — من الإبدال إذا وجد مسوغه وهو التقارب الصوتي وهذا
عند قبيلة واحدة أو عند العرب جميعاً أو أحد اللفظين في قبيلة
والآخر في غيرها .

٢ — من اختلاف اللهجات : إذا لم يتحقق هذا التقارب وشأنها
شأن كل المترادفات على أن الحكم الفيصل — كما قرروا — لمعرفة
الأصل من الفرع هو الشيوع وكثرة التصرف .

واعتقد بعد هذا الإفصاح التام — أن ذلك هو رأي ابن جنى
نفسه مع اختلاف طفيف .

وكأن الدكتور أنيساً قد أحس بذلك حين قال معبراً عن رأي
ابن جنى « وأخيراً تعرض ابن جنى في الفصل الرابع إلى أن بعض
الكلمات قد تختلف بنيتيها وذلك بأن يستعمل أحد الحرفين المتقاربين
مكان صاحبه ثم ضرب أمثلة لذلك مثل طبرزن وطبرزل ودهمج ودهنج
وخامل وخامن وبنات مخر وبناب بحر ، ومثل هذه الكلمات يمكن أن
تنتمي إلى لهجات متعددة أو إلى لهجة واحدة ولكن في جيلين مختلفين
من أبنائها على أن ابن جنى لم يحدثنا في هذا الفصل عن معنى تقارب
الصوتين ووجه الشبه بينهما من الناحية الصوتية^(٥٢) .

(٥١) دراسات في فقه اللغة ص ٢٧١ .

(٥٢) في اللهجات العربية ط ٢ ص ١٥٥ .

ونقد الدكتور أنيس لابن جنى بأنه لم يوضح معنى تقارب الصوتين في الفصل الذي ذكره غير مسلم فقد أوضح أنه هو تقارب المخارج والصفات في مواضع كثيرة ذكرت بعضها عند بيان رأيه وتفصيلاته^(٥٣) .

ويرى فريق آخر من العلماء قدامى ومحدثين أن ألقاظ هذه الظاهرة نشأت من اختلاف اللهجات .

وعلى رأس القدماء الذين قالوا بذلك أبو الطيب اللغوي فقد قال : ليس المراد بالاببدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف وإنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة تتقارب اللفظتان في لغتين والمعنى واحد حتى لا يختلفا إلا في حرف واحد ، قال والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طورا مهموزة وطورا غير مهموزة ولا بالصاد مرة وبالسین أخرى وكذلك ابدال لام التعريف ميما والهمزة المصدرة عينا كقولهم في نحو أن عن لا تشترك العرب في شيء من ذلك إنما يقول هذا قوم وذاك آخرون^(٥٤) .

وقد أوضح لنا هذا الرأي أستاذنا الدكتور نجبا في كتابيه اللهجات العربية وفقه اللغة وقال بعد عرضه لرأى أبى الطيب ومناصريه : وهذا الرأي يفهمنا أن الابدال لا يكون إلا من قبائل متعددة^(٥٥) .

ويوافق أبا الطيب في هذا الرأي من القدامى ابن السكيت وأبو محمد البطليوسي وابن خالويه وأبو على القالى : فقد نقل السيوطى عن هؤلاء ما يؤكد ميلهم الى هذا الرأي وأخذهم به .

فنقل من كتاب ابن السكيت أمثلة من بينها ما اتضح فيها رأيه

(٥٣) انظر ص ١٢٣ وما بعدها من هذا الكتاب .

(٥٤) المزهري ٢٢٢/١ .

(٥٥) اللهجات العربية ص ٥٦ وفقه اللغة العربية ص ٢٧ .

وهو أن الابدال ينشأ من اختلاف اللهجات يقول فى ابدال الهمزة من العين والأسن قديس اللحم وبعضهم يقول العسن^(٥٦) ويقول بعد ذلك بقليل : وذأى البقل يذأى بلغة أهل الحجاز ولغة نجد ذوى يذوى^(٥٧) وكذلك قوله : الأثافى ولغة بنى تميم الأثائى^(٥٨) ونقل عنه السيوطى فى خاتمة هذا الباب (الابدال) وقال ابن السكيت : حضرني أعرابيان من بنى كلاب فقال أحدهما انفحة وقال الآخر منفحة ثم افترقا على أن يسألا جماعة أشياخ من بنى كلاب فاتفق جماعة على قول ذا وجماعة على قول ذا وهما لغتان^(٥٩) .

وأما أبو محمد البطليوسى فيقول فى شرح الفصيح : ليس الألف

(٥٦) المزمهر ٢٢٢/١ وعبرة القاموس الاسن بقية الشحم ، والواقع أن الابدال يكون من الهمزة الى العين كثيرا لأن العين أسهل من الهمزة ، والابدال عادة يتجه نحو السهولة لا العكس ، وإن كانت الشعوب تختلف فى احساسها بالثقل والخفيف من الحروف فالهمزة أخف فى النطق الإنجليزى من العين وعند العربى بالعكس ، وربما أبدلت الهمزة من العين فى بعض اللهجات مثل يا ابد الله — فى عبد الله — فى لهجة مكة وهو قليل (سر الصناعة ١٢١/١) .

(٥٧) المصدر السابق ٢٢٣/١ ، لا توجد علاقة صوتية تسوغ التبادل والمسألة ترجع الى اختلاف اللهجات بين الحجاز وتميم وكان الأصل أن الهمز للتميميين واحرف العلة للحجازيين واشباه كل من البدو والحضر ولكن النسبة هنا وردت بعكس ذلك وهذا مما يوضح عدم الاطراد فى الظواهر اللغوية (انظر ابدال الهمزة من حروف العلة والعكس فى هذا الكتاب) .

(٥٨) المصدر السابق ٢٢٤/١ ، الأثافى والأثائى : الحجارة التى تنصب ويوضع عليها القدر ، وقد رجح ابن جنى أن تكون الثاء بدلا من الفاء لكثرة تصرف الفاء ولو مع بعد الاشتقاق إذ ورد أثفية ولم يرد أثية ، ولكن ذكرت المعاجم تصرفات للكلمتين فيمكن أن تكون أثافى من (ثفا يثفو) تبع أو من (أثف الرجل) تبعه أو من (أثف القدر) وتشترك معها (أثائى) فى ذلك الاشتقاق ، ويمكن أن تكون (أثائى) من (أث يئث ويؤث) إذا كثر والتف وفى هذا المعنى ثبات الشيء فى موضعه ويقال : تأث الرجل المكان إذا لم يبرحه ، وبهذا تختلف المادتان معنى واشتقاقا فلا ابدال بين الكلمتين ، وربما أفاد هذا أن كلا منهما لهجة لطائفة من العرب فالفاء للحجاز والثاء لتميم .

(٥٩) المزمهر ٢٢١/١ إذ لا علاقة بين الهمزة والميم فلا ابدال .

فى الأرقان ونحوه مبدلة من الياء ولكنهما لغتان ومما يدل على أن هذه الأحرف لغات ما رواه اللحيانى قال : قلت لأعرابى أتقول مثل حنك الغراب أو مثل حلكه فقال لا أقول مثل حلكه^(٦٠) ، وقال أبو بكر بن دريد قال أبو حاتم قلت لأم الهيثم كيف تقولين أشد سوادا من ماذا ؟ قالت من حلك الغراب قلت أفقولينها من حنك الغراب قالت لا أقولها أبدا^(٦٠) وقد ذكر ابن خالويه فى شرح الفصيح ما يقرب من هذا قال : أخبرنا ابن دريد عن أبى حاتم عن الأصمعى قال : اختلف رجلان فى الصقر فقال أحدهما بالسین وقال الآخر بالصاد فتحكما الى أعرابى ثالث فقال أما أنا فأقول الزقر بالزاي قال ابن خالويه : فدل على أنها ثلاث لغات^(٦١) . ويؤكد لنا رأى القالى قوله فى أماليه : يقلل : هرت الثوب وهرده وهرطه ثلاث لغات^(٦١) .

وقد أيد هذا الرأى من المحدثين فريق من العلماء على رأسهم أستاذنا الدكتور ابراهيم نجا فهو يقول — بعد أن أفصح لنا عن آراء العلماء فى هذا الشأن وناقشها مناقشة علمية دقيقة « فالحق أحق أن يتبع وهو أن الابدال ينشأ من اختلاف اللغات كما ذهب الى ذلك أبو الطيب اللغوى^(٦٢) ، وممن ذهب الى

(٦٠) المصدر السابق ٢٢٩/١ .

(٦١) المصدر السابق ٢٢٩/١ ، ولا مانع من التبادل بين الزاي والسين والصاد لاتحاد المخرج وهو طرف اللسان مع اصول الثنايا السفلى وتشترك فيما بينها فى الرخاوة والصغير والاصمات ، ويجوز أرجاع هذا التبادل الى اختلاف اللهجات وينسب اللغويون النطق بالزاي والصاد الى القبائل البدوية كقبائل عذرة وكعب وبنى القين (البحر ١/٢٥) وازد عمان وبنى العنبر ، كما تنسب السين الى الحجاز وهذا لأن الاصوات المجهورة والمستعلية تناسب البدو والمهموسة والمستقلة تناسب الحضر . وبين الدال والتاء والطاء علاقة صوتية تسوغ التبادل ويمكن أن تعود الى اللهجات على أن التاء للحضر والدال للبدو لمناسبة المهوس للحضر والمجهور للبدو والطاء تناسب البدو كذلك لاستعلائها واطباتها .

(٦٢) اللهجات العربية ٥٨ وفقه اللغة العربية ٣٠/٤ .

هذا الرأي من المحدثين الدكتور السامرائي يقول بعد أن عرض آراء العلماء في الإبدال وأريد أن أخلص من هذا العرض لأقوال الأقدمين والمحدثين في هذه المشكلة إلى أن العربية قد اشتملت على لغات عدة هي لغات القبائل المختلفة وطبيعي أن يحصل الخلاف بين هذه اللغات لاختلاف البيئة وعلى هذا فسان كثيرا مما حمل على الإبدال داخل ضمن هذه اللغات وعلى هذا فليس هناك إبدال بل هناك اختلاف بين العربين فالذي يقول (صراط) لا يقولها بالسین سراط والعكس حاصل أيضا (٦٣) .

ويقول قبل ذلك بقليل : أريد أن أقول ان اللغة فطرة وبداهة فالذي يقول مدحه لا يمكن أن ينسرح لسانه فيقول مدحه والعكس صحيح أيضا (٦٤) ، وهذا يشرح رأيه بوضوح وهو أن الإبدال ينشأ من اختلاف اللهجات ، ويعتبر هذه النظرة هي النظرة الصحيحة فيقول : وعلى هذا فلم نعدم أن نجد بين الأقدمين من نظر إلى هذه المشكلة النظر الصحيح فقد قال أبو الطيب اللغوي الحلبي : ليس المراد من الإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف وإنما هي لغات مختلفة (٦٤) ... الخ ويضيف الدكتور السامرائي « إلى رأيه العلاقة الصوتية فلا بد من التقارب بين الحروف المختلفة في لهجات الناطقين من قبائل متعددة وإن لم تكن على طريق الإبدال ، فقد نقل قول ابن السيد البطليوسي — مع شرحه — « ان الحرف الأضعف يقلب إلى الأقوى ولا يقلب الأقوى إلى الأضعف » .

ثم عقب عليه بقوله : وما ذكره ابن السيد صحيح في كون تقارب المخرج هو الذي يؤدي إلى هذه المعاقبة (٦٥) .

(٦٣) التطور اللغوي التاريخي ص ١١١ .

(٦٤) المصدر السابق ص ١٠٨ .

(٦٥) المصدر السابق ص ١١٣ .

ويرى هذا الرأى أيضا الدكتور على عبد الواحد وافى ويشترط أن يتقارب الصوتان فى المخرج أو يتحدا فى جميع الصفات ما عدا الاطباق مثل أسود حالك وحانك وخامل الذكر وخامن الذكر^(٦٦) ، ويذكر من أمثلة الاتفاق فى الصفات ما عدا الاطباق تناوب الصاد والسين بمثل ساطع وصاطع والسرائ والصراط^(٦٧) ، ثم يقول : « ويرجع السبب فى كثير من ظواهر هذا التناوب الى اختلاف التقابل فى النطق بأصوات الكلمة فمادة كشط مثلا كانت تنطقها قریش بالكاف على حين أن أسدا وتميما كانت تنطقها بالقاف »^(٦٨) وقد وافقه أستاذنا الدكتور العزازى فى كل ما ذهب اليه^(٦٩) الا أنه أفرد له بابا خاصا عنوانه بالابدال أو الاشتقاق الأكبر ولعل ذلك جمع بين موقفين وهناك غير هؤلاء كثير لا يتسع المقام للإشارة الى أقوالهم^(٧٠) .

ويلاحظ أن هذا الرأى على الرغم من أنه يجعل ألفاظ هذه الظاهرة من اختلاف اللهجات لا ينسب أن التقارب بين الحروف ملحوظ فيها وهذا يشير الى تطور صوتى وان كان بين لهجات متعددة .

وبعد استعراضنا لكل هذه الآراء ومناقشتنا لها نحس أنه لا بد لنا من نظرة واعية وعميقة ومن تحليل علمى دقيق نتبع به الظواهر المختلفة والدواعى الكثيرة التى أحاطت وتحيط باللغة ونشأة مفرداتها والأحوال التى عاشت فيها ومرت بها فى مراحلها التاريخية المتعددة حتى نصل الى الحقيقة ونستنتج القانون الذى ينظم حوادثها ان

(٦٦) فقه اللغة د. وافى ص ١٧٨ .

(٦٧) المصدر السابق ١٧٩ .

(٦٨) المصدر السابق ص ١٧٩ .

(٦٩) فقه اللغة للدكتور العزازى ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٧٠) انظر مثلا فقه اللغة للمبارك ص ٥٠ وغيره .

كان لها تاتون مطرد وهذا يعتبر المفتاح لعلم الاستقار الذي يكشف
الصلة بين كلمات، تفاعدت أصولها (٧١) .

أسباب الابدال :

هناك عوامل متعددة ساعدت على وجود هذه الظاهرة وقد أشار
العلماء إلى كثير منها وإن مال كل منهم إلى واحد أو أكثر ومحاولة
تتبع معظمها حتى نستطيع تفسير ما ورد من الألفاظ هذه الظاهرة فربما
رجع اللفظان إلى واحد أو أكثر من تلك العوامل ولا مانع من ذلك
إذا هذه الأسباب غير متعارضة ، والذي جعلنا — كغيرنا من الباحثين —
تفكر في هذا التفسير هو وجود بعض تلك الألفاظ في لغتنا العربية
غير متسوية إلى قائلها بل تضطرب المراجع في نسبتها فهي أحيانا من
لسان قريش وأخرى من لسان تميم وثالثة من لسان غيرهم من قبائل
العرب (٧٢) .

وبعد عرضنا للأسباب وتحليلها علميا نحاول تطبيقها على
الكلمات التي يمكن تطبيقها عليها في إطار دراستنا للهجات العربية .

أولا : اختلاف اللهجات :

المعروف أن العرب سكنوا الجزيرة العربية وتفرقوا في أقطابها
وبيناتها الطبيعية والاجتماعية مختلفة بين بدو وحضارة ولذلك
— بلا ريب — أثر كبير في تعدد اللهجات واللغة عادة اجتماعية
وخروج الفرد عليها يلقي مقاومة من المجتمع تأخذه بعقل (٧٣) ومن
هنا صرح العلماء « بأن الذي يقول مدحه لا يمكن أن ينسرح لسانه
فيقول مدحه والعكس صحيح أيضا (٧٤) » وقد مر بنا من الروايات

(٧١) المصدر السابق ص ٣٩ .

(٧٢) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ص ١٠١ وانظر

ما يقرب من هذا في الأصوات اللغوية ص ١٥١ .

(٧٣) اللغة والمجتمع د. وافي ص ٤٢٢ .

(٧٤) التطور اللغوي التاريخي ١٠٨ .

اللغوية ما يؤكد تمسك الجماعات الانسانية بالنطق المتعارف بينها كرواية أبى حاتم عن أم الهيثم من حلك الغراب أو حنكه فقالت لا أقول من حنكه أبدا^(٧٥) وكذلك رواية أبى حاتم عن الأصمعي : اختلف رجلان في الصقر ... الخ ، واختلاف اللهجات في الواقع يعد عاملا مهما في تفسير هذه الظاهرة فالقبائل البدوية مثلا تميل الى الأصوات الشديدة في نطقها وهو أمر طبيعي يلتئم مع ما عرف عن البدوى من غلظة وجفاء في الطبع وبهذا يتميز نطقهم بسلسلة من الأصوات القوية السريعة التي تطرق الآذان كأنما هي فرقعات متعددة في حين أن أهل المدن المتحضرة يميلون الى رخاوة تلك الأصوات الشديدة بوجه عام ... فالباء والطاء والذال والكاف وغيرها من الأصوات الشديدة تستعمل في أفواه المتحضرين على الترتيب فاء ، سينا ، زايا ، شينا^(٧٦) ويمكن — بناء على ذلك — تفسير عدد غير قليل من الألفاظ التي عدت من الابدال ، ولو أن اللغويين نسبوا كل لفظ الى قائله لقلل ذلك من خطر تلك الظاهرة ووجودها .

ثانيا : التطور الصوتي :

يرجع كثير من علماء اللغة — ومنهم ابن جنى — قدرا كبير من أمثلة الابدال الى التغيرات الصوتية وذلك لعلاقة بين الحروف المتبادلة في المخرج أو الصفات وان اختلفوا في تحديد هذه العلاقة فكلمات اللغة تتألف من أصوات ينسجم بعضها مع بعض يقول الأستاذ فندريس « في كل لغة ترتبط الأصوات بعضها ببعض ارتباطا وثيقا فهي تكون نظاما متجانسا مغلقا تنسجم أجزاؤها كلها فيما بينها هذه هي أول قاعدة من قواعد الصوتيات وهي ذات أهمية قصوى لأنها تثبت أن اللغة لا تتكون من أصوات منعزلة بل من نظام من

(٧٦) في اللهجات العربية ط ٣ ص ١٠٠ ومن أمثلة ذلك عكوب الطير وعكوف الطير ، والنات والناس والدغدغة والزغزغة . انظر المصدر السابق ص ١٠١ ، ١٠٥ ، ١٨٦ وهذا مجرد فرض امكان حصول ذلك .

الأصوات (٧٧) وان الانسجام والتآلف يقتضى بعض التبدلات الصوتية باختلاف الناطقين وبيئاتهم وتبعاً لنواح (طبيعية فسيولوجية ونفسية معاً) (٧٨) ، بل ان هذا الاختلاف فى النظام الصوتى « يتغير ان قليلاً وان كثيراً من سن الى أخرى » (٧٩) وقد أكد لنا المحدثون أنه ليس بين أبناء اللغة الواحدة اثنان ينطقان نطقاً متماثلاً فى كل الصفات (٨٠) وهذا التطور يؤدى الى وجود صيغ جديدة وفى البيئة الواحدة قد تستعمل هذه الصيغ بجانب القديمة فى فترة معينة ثم بعدها تبقى الجديدة وحدها فى عالم الاستعمال وقد توجد صيغتان فى بيئة واحدة اذا استعملت الأخرى غير الشائعة على طريق المحاكاة أو اتجاها الى اللغة المثالية أما فى البيئات المتعددة فلا مانع من وجود كل فى موضعه ولهذا التطور الصوتى عوامل كثيرة ساعدت عليه نتحدث عنها بالتفصيل فيما يلى :

(أ) أعضاء النطق : ان جهاز أعضاء النطق هو الذى يختص باخراج عدد لا يحصى من الأصوات (٨١) ، وقد حاول بعض العلماء أن يعزو التبدلات الصوتية الى هذا الجهاز من نواح متعددة وسنقف منها جميعاً الموقف العلمى الصحيح .

١ - اختلاف أعضاء النطق باختلاف الشعوب : ينسب بعض العلماء التطور الصوتى الى اختلاف أعضاء النطق فهى « تختلف فى تكوينها واستعدادها ومنهج تطورها تبعاً لاختلاف الشعوب وتنوع الخواص الطبيعية المزود بها كل شعب والتي تنتقل عن طريق الوراثة من السلف الى الخلف (٨٢) وهذا يعنى أن لكل شعب جهازاً مكوناً على

(٧٧) اللغة ٦٢ . (٧٨) المصدر السابق ص ٩١ .

(٧٩) المصدر السابق ص ٦٦ واللغة بين الفزد والمجتمع

(جيسرسن) ٣٥ ، ٣٦ .

(٨٠) الأصوات اللغوية ص ١٧٠ .

(٨١) التجويد والأصوات ص ٨ .

(٨٢) علم اللغة د. وفى ص ٢٧٤ .

نمط خاص يجعله قادرا على اصدار الأصوات بطريقة معينة تختلف عن الشعوب الأخرى ، ولكن هذه النظرية لم يثبتها علم التشريح . لقد برهن معظم علماء التشريح على أن أعضاء النطق عند الإنسان تتحد في جميع تفاصيلها من وجهة نظر علم التشريح وعجز بعض الشعوب عن نطق بعض الحروف ليس دليلا على اختلاف أعضاء النطق فعجز الانجليزى عن نطق العين أو الضاد أو القاف لا يعنى أن جهاز النطق عندهم قد خلق على طبيعة لا تمكنه من النطق بهذه الحروف بل ان العادات الصوتية التى نشأ عليها والبيئة الاجتماعية من حوله هى التى جعلته لا ينطق بها فالجهاز الصوتى مستعد لاصدار جميع الأصوات بلا استثناء كل ما هناك أنه يحتاج الى المرن عليها فلو أن طفلا انجليزيا نشأ فى بيئة عربية لنطق بهذه الأصوات كاملة الخارج والصفات كما ينطقها العربى تماما » وقد ثبت بالتجربة أن مدرس (الفوناتيک) يستطيع أن يعلم تلاميذه أى صوت من الأصوات فى أى لغة من لغات العالم مع شئ من المرن والشرح العلمى دون أن يصحب عضلات نطق التلاميذ أى تغير فى تكوينها التشريحي « (٨٣) . وعلى كل حال فلا بد أن يكون هناك تأثير ما — وان لم يوجد اختلاف واضح — لأننا قررنا أن النطق يختلف من انسان لآخر والطفن يختلف عن أبويه اللذين يقلدهما تقليدا ناقصا كما يقول الدكتور المبارك وقد وصف الأستاذ (قندريس) هذا التغير بأنه « خطير النتائج لأنه لا يبشر بشئ أقل من انقطاع التوازن فى النظام الصوتى » (٨٤) ، وإذا كان هذا فى بيئة واحدة وشعب واحد فلا ريب أن الخلاف بين الشعوب يكون أكثر وضوحا تبعا لما يحيط بالفرد فيها من مؤثرات واستعداد لأعضاء الجهاز الصوتى .

٢ — تطور أعضاء النطق : حاول بعض العلماء أن يطبق على

(٨٣) الأصوات اللغوية ص ١٧٢ .

(٨٤) اللغة ص ٦٥ .

الجهاز الصوتي نظرية النشوء والارتقاء فلا بد أن يتطور كما يتطور كل ما في الكون ولذلك تأثيره في الأصوات وقد ذكرنا أن النظام الصوتي يتغير من سن إلى أخرى^(٨٥) ويقول الدكتور وافي إن هذا أمر مقرر فسائر أعضاء نطقنا تختلف عما كانت عليه عند آبائنا الأولين إن لم يكن في تكوينها الطبيعي فعلى الأقل في استعداداتها. وذلك تبعه تطور في أصوات الكلمات وقد كشف ذلك جماعة من العلماء على رأسهم هرمان بول ورسلو الذي تجرى حقائقه بالوسائل القديمة وبوسيلة الأجهزة الحديثة^(٨٦) ، ولكن الدكتور المبارك ينقض ذلك بقوله « إن ما ادعاه بعضهم من تطور الجهاز الصوتي تطورا مطردا محدود اذ لا برهان له عليه »^(٨٧) ويبدو لنا أن التغير الذي يعترى كل ما في الكون يشمل أعضاء النطق أيضا وإن كان هذا التغير بنسبة ضئيلة غير ملحوظة إلا أنها تترك أثرا ما .

٣ — عيوب أعضاء النطق : قد يولد الإنسان مصابا بعلّة تمنع أعضاء الكلام عن تأدية وظيفتها وقد يعرض للإنسان في أثناء حياته مرض يتسبب في أحداث عيب في أعضاء النطق وهذا يؤثر في حديثه والمعروف أن الرواة كانوا يتحرون جمع اللغة عن القبائل الفصيحة ولم يكن لهم اتجاه إلى النظر في أعضاء النطق للتحقق من سلامتها وكانوا يكتفون بالأخذ عن العربي الواحد كما قرر ابن جني^(٨٨) وربما كان هذا العربي الذي شهد له بالفصاحة مصابا بلكنة تسببت في تغيير بعض الأصوات وربما انتقلت الكلمة على هذا النحو إلى التراث اللغوي فاللغة اللسانية تتسبب — ولا ريب — في ابدال بعض الحروف فالراء تتحول عند الألتخ إلى غين أو همزة أو لام فكلمة

(٨٥) المصدر السابق ص ٦٦ .

(٨٦) الفونيتيك التجريبي علم اللغة د. وافي ص ٢٧٠ ، ٢٧١ وفقه.

اللغة له ص ١٣٠ .

(٨٧) فقه اللغة ص ٤٠ .

(٨٨) الخصائص ٢/٢١ .

يأربى قد تنطق ياغبى ويأبى ويالبى^(٨٩) وقد عزا الأستاذ جورجى زيدان إلى عيب أعضاء النطق معظم ما عرف من ألفاظ هذه الظاهرة وقال « وهى فى الغالب نتيجة علة طبيعية فى أعضاء النطق »^(٩٠) وجعل ذلك عاماً فى جميع الأمم ولكننا نرى فى هذا القول مبالغة وإن كنا نوافقه موافقة عامة على أن لهذه العلة أثراً ما قد يتسبب فى ابدال بعض الكلمات على أن الأستاذ فندريس يقول أن التغير الذى يعتبره اللغوى هو التغير الذى يظهر فى كلام مجموعة من الأفراد ثم يقول ولكن لابد من تفرقة بين التغيرات الفردية والتغيرات المشتركة بين جميع الأطفال فى نفس الجيل فقد يحدث أن أحد الأطفال لا يستطيع النطق ببعض الأصوات نتيجة لاستعداد خبيث موروث أى أن يكون عنده بعبارة أخرى نقص فى النطق هذه الحالات من النقص الفردى فى غالب الأحيان لا تعنى غير الطيب وغاية ما يعنى العالم اللغوى من أمرها أنه قد يستدل بها على اتجاهات اللغة^(٩١) .

(ب) المكان والزمان : تؤثر الطبيعة التى تحيط بالإنسان فى سماته الخلقية وسائر تصرفاته ومنها اللغة اذ هى لون من التصرف ولا ريب أن اللغة فى بلد زراعية تختلف فى اتجاهها عنها فى بلد صناعية أو صحراوية أو جبلية أو ساحلية ويمكن أن نرى ذلك واضحاً فى البيئة العربية اذ كان البدو يعيشون حياة لا تعرف الاستقرار على حين كانت طائفة منهم تسكن المدن التى تتصل بما يجاورها عن طريق التجارة والثقافة فاختلقت فى اتجاهها اللغوى على ما نرى فى اختلاف لهجات البدو والحضر فى الجهد العضلى والأناة والسرعة فى النطق والفروق النطقية بينهم مثبتة فى كتب اللغة .

(٨٩) ومن أنواع اللغات الرتبة والبأبة والتممة والفأفة . المزمهر

٢٦٥/٢ وتاريخ آداب العرب ١/١٥٤ .

(٩٠) الفلسفة اللغوية ٣٩ ، ٤٠ .

(٩١) اللغة ص ٦٩ ، ٧٠ .

كَمَا أَنَّ انتقال اللغة من جيل إلى آخر يصلح به شيء من التغيير في النظام الصوتي فالطفل منذ نشأته يحاول أن يقلد أباه أو يتعلم منه « وأغلب الظن أن استعدادات الطفل الموروثة تلعب دورها في هذا التعلم ولكن يمكننا أن نقدر دون عناء العوارض التي يمكن أن تتعرض لسلامة النطق في كل جيل^(٩٢) وعلى مر الزمن يحدث تقليد الأبناء للأباء تبدلات في الحروف مهما بالغ السلف في تلقينهم وتعليمهم وهذا لا تسلم منه لغة في العالم ولكن هناك عوامل أخرى قد تقلل من هذا التأثير كالتكتابة والتلقين في المدارس^(٩٣) وقد حظيت اللغة العربية الفصحى بما لم تحظ به لغة على الإطلاق فقد بذل أهلها وعلماءها جهدا كبيرا في الحفاظ عليها ووصف أصواتها وصفا دقيقا وكان ذلك اهتماما بالقرآن الكريم الذي نقل إلينا أصوات العربية حتى فيما قبل القرآن من آماد بعيدة^(٩٤) أما اتجاه المحادثة الدارجة فقد سار على النمط العام التطوري وبهذا ندرك أن البيئة الطبيعية ومرور الزمن يؤثران على الجماعة البشرية بما يحدث بعض التغيرات في لغتها ومن بينها تبدلات تعترى الأصوات مما يسبب ظهور ألفاظ تحمل اسم ظاهرة الابدال •

(ج) الحياة الاجتماعية :

١ - العزلة والاختلاط الاجتماعي : تتأثر اللغة - كغيرها من وسائل الحياة - بقاء الإنسان بالآخر وانعزاله عنه فاذا قدر لطائفة من البشر أن تعيش في مكان لا صلة له بالآخرين - لأن طبيعة البيئة الجغرافية كالجبال والآكام أو صعوبة المواصلات والبعد عن العمران أو غير ذلك قد عزلتهم عن غيرهم - فان هذا يؤثر على سلوك هذه الطائفة ومنه الاتجاه اللغوي الذي يأخذ شكلا يخالف الاتجاهات الأخرى عند بقية الشعوب وربما عزل فريق من أهل اللغة الواحدة عن

(٩٢) اللغة ص ٦٤ •

(٩٣) فقه اللغة للمبارك ص ٤٠ •

بقية بنى جلدتهم فتحدث بعض اختلافات وتطورات صوتية بينهم وبين اخوانهم من أبناء لغتهم^(٩٤) وقد يكون لذلك أثر فى الابدال .

كما أن الاختلاط بصورة التى تحدثنا عنها — فى لقاء أصحاب اللهجات — يؤثر فى اختلاف الأداء الصوتى وانقسام اللغة الى لهجات وعن طريق هذا الاتصال بين الشعوب وأبناء اللغة الواحدة ، « كانت الانقلابات السريعة فى تطور بعض اللغات لأن الشعب الذى يتخذ لغة جديدة يطبق عليها — أحياناً — عوائد النطق فى اللغة التى تركها^(٩٥) فيمكن قراءة صفحة من الفرنسية وقد بدا عليها طابع النطق الانجليزى أو الألمانى^(٩٦) وإذا تكلم الانسان لهجة أجنبية تعرض للأخطاء بسبب التردد فى صيغة الكلمات^(٩٧) وهذا حدث للعربية فى تفرعها الى لهجات وتأثرها باللغات التى اتصلت بها وبخاصة بعد الفتوحات الواسعة وإن التأثير الواقع من تلك اللغات واللهجات بعضه — ولا شك — صوتى وإن الحروف التى تكون بين الحروف العربية لخير شاهد على ذلك^(٩٨) .

٢ — الثقافة والحضارة : هذا العامل له اتصال بسابقه إذ ينشأ عن طبيعة شعب لجيرانه ألا يعرف تطور الحياة ونوازعها الجديدة وثقافتها المتعددة التى تنشأ بين الحين والآخر كما أن اتصال الشعوب وتبادل الثقافات عن طريق المعاملات الودية أو الغزو يؤدى الى رقى الشعوب وتقدمها وحضارتها وهذا — بنوعيه — له أثر فى النواحي اللغوية وبعضه يتصل بالأصوات وقد حدث ما يشبه ذلك للعربية

(٩٤) المصدر السابق ص ٤٩ .

(٩٥) فى اللهجات العربية ط ٢ ص ١٨ .

(٩٦) اللغة ٨١ ، ٨٢ .

(٩٧) المصدر السابق ص ٦٣ . (٩٨) المصدر السابق ص ٨١ .

(٩٩) انظر كتاب سيويه باب الادغام وكتابتنا « أصوات اللغة العربية » .

الفصحى وقت نشأتها ونموها تأثرا بالثقافة والحضارة ونجم عن ذلك بعض أمثلة الابدال •

٣ — الحالة النفسية : ان الجو النفسى للفرد والمجتمع تظهر بعض آثاره على النطق فقد يكون اللفظ رقيقا ضعيفا وقد يكون قويا ذا جرس ويقدر سرور الانسان أو حزنه واستقراره وعدمه تكون ألفاظه معبرة فمن وضوح أو غموض ومن تفخيم أو ترقيق الى غير ذلك من وسائل التعبير اللغوى ومظاهره ويعزو بعض العلماء تطور الأصوات من شدة الى رخاوة أو العكس الى الحالة النفسية التى يكون عليها الشعب « فالشعب حين يميل الى الدعة والاستقرار تميل أصوات لغته الى الانتقال من الشدة الى الرخاوة فاذا اعتر الشعب بقوته وجبروته مال الى العكس^(١٠٠) وكما يحدث ذلك للجماعة يحدث للأفراد فيختلف نطقهم عن ذويهم من أبناء لغتهم وهذا ذو أثر أيضا فى ظاهرة الابدال •

٤ — عوامل اجتماعية أخرى : وهى كثيرة قومية ودينية وعصبية وغيرها وقد يتسبب ذلك أو بعضه فى احياء صوت مهجور واماتة صوت مولد أو هجر صوت قديم وتوليد آخر وهذا يترك اثرا على ما يعيش من أصوات اللغة « فالرغبة فى العودة الى الفصحى فى بلاد العربية فى العصر الحاضر هى التى عادت ببعض الحروف من الشكل الذى آلت اليه كالهزة بدل القاف فى كثير من المدن العربية والباء والذال والمطاء فى لفظها العامى الى نطقها القديم الفصيح^(١٠١) وقد كان القرآن الكريم عاملا دينيا دعا الى الحفاظ على اللغة العربية وأصواتها بطابعها القديم — كما ذكرنا — وقد تعصبت القبائل العربية اللهجات المتعددة ونحن نعرف الصراع الطويل الذى حدث

(١٠٠) الأصوات اللغوية ١٧٤ .

(١٠١) فقه اللغة للمبارك ص ٤١ .

بينها حتى استطاعت القرشية التغلب عليها بعد أن أثرت فيها اللهجات الأخرى^(١٠٢) وكم تصارعت أيضا مع اللغات التي اتصلت بها بعد الفتوح الإسلامية ولا شك أن هذا وغيره له آثار يتعلق بعضها بظاهرة الابدال •

ثالثا : دواع لغوية :

هناك عوامل لغوية متعددة ذات أثر في الابدال نتحدث عن

أهمها :

١ — تفاعل الأصوات : هو تأثر الصوت اللغوي بما يجاوره قبله أو بعده من الحروف وهذا يشمل ما يسمى بالمماثلة والمخالفة والمتناوب بين الأصوات وهاك بيانها :

(أ) المماثلة : حروف الهجاء منها ما يأتلف ومنها ما يختلف ولا بد من تحقيق التآلف بين الحروف عند تركيب الكلام حتى يتحقق الانسجام الصوتي فتتمكن أعضاء النطق من التقوه به فإذا تجاوز حرفان متنافران غير أحدهما ليقتربا من الآخر أو يتحد معه مخرجا أو صفة « وهذه ظاهرة شائعة في كل اللغات بصفة عامة غير أن اللغات تختلف في نسبة التأثير وفي نوعه^(١٠٣) وهذا التأثير واقع في اللغة العربية قديهما وحديثها كما يقول أستاذنا الدكتور نجاة^(١٠٤) كانقلاب النون الساكنة ميما إذا وليها باء وتحول تاء الافتعال طاء مما أوله صوت مطبق كما في عمبر وشمباء واصطبر واطلع واظلم ونحو ذلك مما أدنى فيه الصوتان أحدهما من الآخر^(١٠٥) وهذا التأثير متفاوت الدرجة فقد لا يعدو أن يكون مجرد انقلاب الصوت من الجهر الى الهمس أو العكس وأقصى ما يصل اليه الصوت في تأثره بما يجاوره

(١٠٢) اللهجات العربية د. نجاة ص ٥١ ، ٥٢ .

(١٠٣) الأصوات اللغوية ١٢٦ .

(١٠٤) التجويد والأصوات ٢٩ .

(١٠٥) الخصائص ٢/ ١٤٠ ، ١٤٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ وغيرها .

أن يفنى فى الصوت المجاور فلا يترك له أثرا» (١٠٦) ، وقد قسم علماء اللغة المحدثون هذا التأثير الى رجبى وتقسمى وذلك حسب الصوت المتأثر بالآخر :

(ب) المخالفة : الأحوال اللغوية مختلفة فقد يكون الصوتان مقبولين فى موضع غير مقبولين فى موضع آخر لاعتبارات خاصة ومن ذلك أن الحرفين المتماثلين قد تبقى صورتاهما فى اللفظ اذا كان ذلك لا يحتاج الى مجهود عضلى كبير وقد يقلب أحدهما الى حرف آخر اذا احتاجا الى هذا المجهود توفيرا للجهد وتحقيقا للسهولة فالأول مثل قطع وعلم بتشديد العين والثانى مثل أملى وتظنى فالأول مقبول لأن ادغام الحرف فى الحرف أخف عليهم من اظهار الحرفين ألا ترى أن اللسان ينبو عنهما معا نبوة واحدة (١٠٧) ، والمثلان فى غير الادغام ثقيان لما فى النطق بهما من تحرك اللسان ورجوعه الى مكانه الأول فهو شبيه بمشى المقيد كلما تحرك خطوة رجع أخرى (١٠٨) فلا انكار للتخفيف بابدال أحد المتماثلين ياء (١٠٩) ولأن الصوت مع نقيضه أظهر منه مع قرينه ولصيقه ولذلك كانت الكتابة بالسواد فى السواد خفية وكذلك سائر الألوان (١٠٧) ، واذا كان ذلك فى المثلين فالثلاثة أولى وهذا هو معنى المخالفة التى أوضحها المحدثون وقد أشار اليها سيبويه فى (باب ما شذ فابدل مكان اللام ياء لكراهية التضعيف وليس بمطرد) ومثل لها بقولهم تسريت وتظنيت وتقصيت . . وأصلها تسررت وتقصت (١١٠) ونبه ابن جنى أيضا على استئثار المثلين حتى قلبوا أحدهما فى نحو أميلت — وأصلها أمليت — وقولهم لا وربك لا أفعل يريدون لا وربك لا أفعل (١١١) ويرى الدكتور أنيس أن هذه الظاهرة

(١٠٦) الأصوات اللغوية ص ١٣٠ .

(١٠٧) الخصائص ٢/٢٢٧ .

(١٠٨) فقه اللغة د. العزازى ١٦٦ — ١٧١ .

(١٠٩) الخصائص ٢/٢٣٢ .

(١١٠) الكتاب ٣٠١/٢ . (١١١) الخصائص ٢/٢٣١ .

قد شاعت فى كثير من اللغات السامية وليست الا تطورا تاريخيا للأصوات (١١٢) ويذكر أن كثيرا من الكلمات التى تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة يتغير فيها أحد الصوتين الى صوت لين طويل — وهو الغالب — أو الى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين فى بعض الأحيان ولا سيما اللام والنون وهو يرى — كذلك — أن المخالفة « لا تكاد تتم الا حين يتجاوز صوتان متماثلان من أصوات الاطباق أو الأصوات الرخوة على أن المخالفة قد تكون فى النادر من الأحيان بين الأصوات الشديدة مثل (اجار) التى روى فيها (انجار) (١١٣) وكذلك (اجاص) روى فيها — أيضا — انجاص (١١٤) فالمخالفة تجرى بين الحروف التى تحتاج الى جهد عضلى وفى غير ذلك يبقى المثلان دون تغيير كاللامين والنونين فلا تتناولهما عملية المخالفة الا فى النادر من الأحيان (١١٤) .

(ج) التناوب بين الأصوات : تبين من ملاحظة ظواهر التطور فى مختلف اللغات الانسانية ان الأصوات المتحدة النوع القرية المخرج تميل بطبيعتها الى التناوب وحلول بعضها محل بعض فكل صوت عرضة بطبعه لأن ينحرف الى صوت لين آخر وكل صوت ساكن عرضة بطبعه لأن ينحرف الى صوت ساكن متحد معه فى مخرجه أو قريب منه (١١٥) ففي العربية تناوبت أصوات اللين القصيرة (الفتحة — الكسرة — الضمة) فمثل (يعوم — يسمع — يلطم — يضرب — محمد — تعبان) تغيرت حركاتها الفصحى بأخرى فى العامية المصرية وحدث كذلك تناسخ فى أصوات اللين الطويلة نفسها وبخاصة فى الألف اللينة اذا أميلت فى لغات بعض القبائل العربية القديمة

(١١٢) الأصوات اللغوية ١٥٢ .

(١١٣) بمعنى سطح المنزل وفى حديث الهجرة واستقبل الناس النبى ﷺ على الأناجير .

(١١٤) المصدر السابق ص ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ .

(١١٥) فقه اللغة للدكتور وائى ١٣٦ ر .

(ومنها قریش) وتمال الآن فى لهجات القبائل العربية النازحة الى مصر وفى بعض اللهجات فى بلاد الشرقية والأصوات الساكنة كذلك ففى عاميتنا حلت الدال فى (دبور) محل الزاى فى (زنبور) الفصحى ، والسين فى (يسداً) محل الصاد فى (يصدق) الفصحى وهكذا ، ومثل ذلك حدث فى اللغات الأوربية (١١٦) .

٢ - الاشتقاق : قد تتفق كلمتان فى ظاهر أمرهما فى جميع الحروف الا حرفاً واحداً وأصلهما - فى الحقيقة - مختلف لأخذ كل منهما من أصل معين وقد ضرب ابن جنى لذلك أمثلة متعددة كما فى حثوا وحثثوا وآديته وأعديته فاذا أدركنا أصول الإلتقاط على هذا النحو أمكننا تفسير ألفاظ كثيرة ظن أنها من الابدال .

٣ - تغير المعنى : تتغير معانى الألفاظ من آن لآخر تبعاً للأحوال التى تمر بها اللغة ويتطور المعنى باحدى الصور الثلاث التى لا رابع لها (توسيع المعنى - تضيقه - انتقاله) (١١٧) « وينحرف الناس - عادة - باللفظ من مجاله المألوف الى آخر غير مألوف حين تعوزهم الحاجة فى التعبير وتتراجع المعانى فى أذهانهم أو التجارب فى حياتهم ثم لا يسعفهم ما ادخروه من الألفاظ وما تعلموه من كلمات (١١٨) ثم يشيع ذلك المجاز حتى يصبح مألوفاً ويعد جينئذ من الحقيقة وتظل تلك الدلالة القديمة ملازمة للفظ فى حدود ضيقة ويكون اللفظ دلالتان أو استعمالان - وكلاهما من الحقيقة - غير أن احدى الدالتين تكون أكثر شيوعاً من الأخرى بل قد يصل الأمر الى أن تصبح الدلالة القديمة من الندرة وقلة الاستعمال بحيث تستدعى الانتباه وتكاد تعد بمثابة المجاز حين تقارن بالدلالة الجديدة الشائعة المألوفة (١١٨) ، وفى هذه اللغة الشاعرة توجد كلمات كثيرة بقى معناها

(١١٦) علم اللغة د. وافي ص ٢٩٠ - ٢٩٣ .

(١١٧) دور الكلمة فى اللغة ١٦٥ .

(١١٨) دلالة الألفاظ د. انيس ص ١٢٦ واللغة والمجتمع د. وافي

الحقيقى مع شيوع معناها المجازى على الألسنة حتى ليقع التباس فى أيهما السابق وأيها اللاحق فى الاستعمال^(١١٩) ، فالعزة يوصف بها المكان المنيع والرجل المنيع فالعزى فى الحالين غير السهل المباح^(١٢٠) ، وكلمة رأس التى تطلق على رأس الانسان ورأس الجبل ورأس النخلة ثم أخيرا رأس الحكمة^(١٢١) ، وهكذا نرى أن المعانى تتجدد وتتطور وبخاصة فى لغتنا المبنية على المجاز وهذا التطور المعنوى قد يتسبب فى مساواة لفظ بآخر فيتفق معه فى المعنى وقد يتصادف أن تتفق — حيث — الكلمتان فى جميع الحروف إلا حرفا واحدا وقد يكون أحد المعنيين مجازا إلا أنه عرف واشتهر فكأنه حقيقة بكثرة الاستعمال على ما سبق وقد يكون من ذلك ما جزم به ابن جنى من اختلاف المعنى بين كلمتى ثوم وفوم وإن الفاء ليست بدلا من التاء لاختلاف المعنى وتوحيده المعاجم فيما ذهب إليه^(١٢٢) ولو أن اللغويين حاولوا الفصل بين المعانى وبيان حقيقتها ومجازيها وصلة هذه المعانى بعضها ببعض لأدى ذلك الى تفسير قدر كبير من الألفاظ التى تدخل فى ظاهرة الابدال .

٤ — التصحيف والتحريف : هذا العامل يرجع الى عصر تدوين اللغة وكتابتها^(١٢٣) فان الحروف العربية تنقسم الى مجموعات متشابهة والتصحيف خاص بنقط الحروف المتشابهة فى الشكل مثل (ب ت ث — ج ح خ — د ذ — ر ز — س ش — ص ض ط ظ — ع غ — ف ق)^(١٢٤) فان صور تلك الحروف واحدة ولا يفرق بعضها عن بعض فى الكتابة الحديثة إلا النقط ومقدارها والتحريف خاص برسم

- (١١٩) اللغة الشاعرة ص ٣٩ .
- (١٢٠) المصدر السابق ص ٤١ .
- (١٢١) فى اللهجات العربية ص ١٩٣ .
- (١٢٢) سر الصناعة ٢٥٢/١ والقاموس ١٠١/٤ ، ١٨٧ .
- (١٢٣) التصحيف والتحريف (للعسكرى) ص ٩ .
- (١٢٤) الزهر ٢٥٥/١ — ٢٦٧ واللغة العربية كائن حتى ص ٥٧ .

الحروف المتشابهة وشكلها مثل (د ر ب — د ل — ذ ز — ز ن) في الحروف المقاربة الصورة و (ل ع — م ق) في الحروف المتباعدة الصورة (١٢٥) .

والتصحيف قسمان تصحيف الخط وتصحيف النسم فالأول ينشأ عن اختلاط نقط الحروف المتشابهة — كما سبق — ومن صور الابدال التي يمكن فيها ذلك « رجل صلب وصلت » والدبر والدثر والكرت والكرب ورغات ورغاب وجاص وجاض والنافجة والنافحة (١٢٤) وقد وقع أصحاب المعاجم في كثير من هذا اللون من التصحيف (١٢٦) ، والثاني ينشأ من نطق الأحرف المتقاربة مخرجاً أو صفة وهي — غالباً — لا تتشابه رسماً عند إهمال نطقها مثل (ء ه — ب م — ت ط — ث س ف — ج ش — د ض — ذ ز ظ — س ص — ق ك) ومن صور الابدال التي يتوهم فيها ذلك اتمال واتمهل ومن كتب ومن كثم والاقطار والاقطار والوطث والوطس واللتام واللفام والوقيذ والوقيظ (١٢٧) وقد وقع التصحيف والتحريف من علماء ورواة أفذاذ أمثال الخليل والأصمعي وأبي عمرو بن العلاء وأبي زيد وأبي عبيد وغيرهم كثير (١٢٨) وشرح ابن جني بوقوع التصحيف والتحريف في بعض أمثلة الابدال في فصل التحريف (١٢٩) ومن كلامه فيه « قالوا لا بل ولا بن وقالوا : قام زيد فم عمرو كقولك ثم عمرو وهذا وإن كان بدلاً فإنه ضرب من

(١٢٥) تحقيق النصوص ونشرها . ٥٢ .

(١٢٦) مما يمثل ظاهرة الابدال في المعاجم ويحتل فيه التصحيف ما ورد في باب البزء من القاموس مثل (جفأه وحفأه صرعه ، خفأه اقتلعه فضرِبَ به الأرض ، جلاً بالرجل : صرعه ويثويه رملاه ، حلأه بالأرض صرعه وبالسيف ضربه ، سلساً وشلساً دعا الحمار ليشرب . رأت الطيباء : يصبغت بأنفائها ، زازا الظليم : مشى مشرعاً رافعاً رأسه وذنبه الخ .

(١٢٧) انظر المخصص باب البدل ٢٦٧/١٣ وما بعدها .

(١٢٨) المزمع ١٨١/٢ وما بعدها .

(١٢٩) المخصص ٤٣١/٢ .

التحريف^(١٣٠) واعترف المحدثون بأن بعض ما وقع فيه الإبدال من ذلك كالدكتور الصالح^(١٣١) والأستاذ جورجى زيدان^(١٣٢) والدكتور أنيس^(١٣٣) فليس من التجنى اذاً أن نرجح أن بعض الكلمات التى قيل لنا ان بينها ابدالاً لا تمت للإبدال بأية صلة بل هى وليدة التصحيف^(١٣٤) والتحريف .

٥ — صنع الألفاظ واختلاقتها : لقد حدث هذا الخلق والابتداع فى اللغة ولا سيما تراثها الأدبى وعلى رأسه الشعر فقد كانت قبائل العرب ذات عصبية كثيرة ومفاخر وأمجاد فحاولت كل منها أن تظهر بشرف ومجد أعظم من الأخرى ولذلك اخترع بعضها القصائد ونسبتها الى أجدادها الأوائل تحقيقاً لما تهدف اليه ، يقول ابن سلام « لما راجعت العرب فى الاسلام رواية الشعر بعد أن اشتغلت بالجهاد والغزو واستقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم وكان قوم قد قلت وقائعهم وأشعارهم فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوتائع والأشعار فقالوا على ألسن شعرائهم ثم كانت الرواية بعد فزادوا فى الأشعار التى قيلت وليس يشك على أهل العلم زيادة ذلك ولا ما وضعوا ولا ما وضع المولدون وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من ولد الشعراء أو الرجل ليس من ولدهم فيشك ذلك بعض الاشكال^(١٣٤) ويفهم من نص ابن سلام السابق أن الرواة زادوا فى الآثار الأدبية. واتهم بذلك خلف الأحمر وحمام الراوية^(١٣٥) ولا ريب

(١٣٠) المصدر السابق ٢/٤٤٠ .

(١٣١) دراسات فى فقه اللغة ٢٦٨ — ٢٧١ .

(١٣٢) اللغة العربية كائن حتى ٥٦ ، ٥٧ .

(١٣٣) من أسرار اللغة ٥٣ — ٧٠ .

(١٣٤) طبقات فحول الشعراء ٣٩ — ٤١ والمزهر ٨٦/١ ، ٨٧

ويقول ابن سلام أيضاً — وفى الشعر المسموع مفتعل موضوع كثير لا خير

فيه . الطبقات ٥ ، ٦ والمزهر ٨٥/١ .

(١٣٥) طبقات فحول الشعراء ٣٩ — ٤١ .

أن اللغة بألفاظها تعتمد على التراث الأدبي وبخاصة الشعر الذي كان يحتل الصدارة في البيئة العربية ويسرى على الألسنة في جميع الأصقاع فتنتشر لذلك الألفاظ ولو كانت في أبيات مصنوعة وقد قال الخليل « ان النحارير ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب ارادة اللبس والتعنيث^(١٣٦) وقد أورد السيوطي أمثلة كثيرة لكلمات مصنوعة في أبواب متعددة من مظهره^(١٣٧) ومن ذلك عنشج : ثقل وخم وضهيد : الرجل الصلب والألظ : نبت^(١٣٨) وغير ذلك كثير .

وقد ذكر الأستاذ السامرائي أن السعة التي أضيفت للمعجم العربى بطريقة الابدال قد توسع فيها وربما دخلها شيء من التجوز والتوسع والكذب وذلك أنك تجد الكثير مما عرض له الابدال كما نص عليه الأقدمون يفتقر الى الشاهد الصحيح وضرب لذلك أمثلة — من المعاجم — منها بعير ميلند ، ومكلند : اذا كان شديدا وقد ابلندى يبلندى ابلندادا واكلندى يكلندى اكلنداء اذا اشتد^(١٣٩) ثم قال وما أظن أن العربية تفيد من هذه السعة غير المقتضاة^(١٤٠) ويؤلفنا أن هذا حكم مطلق يجب تخصيصه بما روى عن ليس من أهل الضبط والاتقان^(١٤١) وبعد هذا نقول لا يبعد أن تكون بعض الألفاظ المخترعة قد اضيفت الى اللغة وكان لها أثرها في ظاهرة الابدال .

وهذه الأسباب التي عرضناها تعد أساسا صحيحا لتفسير ظاهرة الابدال وبيان صلتها باللهجات العربية نشأة وظهورا وستحاول تطبيقها على بعض ألفاظ هذه الظاهرة مما له مصطلح لهجى أو لغوى

(١٣٦) العين ٥٩/١ والمزهر ٨٥/١ .

(١٣٧) انظر مثلا ٥٢/١ — ٥٦ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٨٥ — ٩١ ، ١٠٦ —

١١١ ، ١٢٠ — ١٢٤ .

(١٣٨) المزهر ٦٣/١ — ٦٧ ، ١٢٠ — ١٢٤ .

(١٣٩) لسان العرب ٦٥/٤ ، ٣٨٥ .

(١٤٠) التطور اللغوى التاريخى ١١٥ .

معروف ، وفى بحث آخر نحاول — ان شاء الله — تطبيقها على ما ورد من ألفاظ قيل فيها بالابدال مما لم يضع له العلماء مصطلحا لهجيا أو لغويا .

ويتسع الابدال ليشمل مظاهر كثيرة لاختلاف اللهجات فبعض القبائل تفضل حرفا معيناً ، فى حين أن قبائل أخرى تفضل حرفا آخر .

وبعض القبائل تفضل حركة معينة فى حين أن غيرها يفضل حركة أخرى .

ولذا سنتكلم عن أهم مظاهر هذين النوعين فيما له مصطلح لهجى أو لغوى ونفسر قدرنا صالحا مما ورد فى كتب اللغة من أمثلة لهما نراها جديرة بالدرس والبحث . ونحللها تحليلا علميا مبنيًا على ما صح من المقاييس التى وضعها القدامى والمحدثون من علماء اللغة ونبين بالحجة والدليل الرأى الجدير بالاتباع .

أولا : الابدال في الحروف

وقع الابدال في بعض الحروف عند القبائل المختلفة ، وبعضه وضع له اللغويون مصطلحا لهجيا ، أو مصطلحا لغويا .

وقد وصفت بعض هذه الظواهر الابدالية بأنها من مستبشع اللغات ومستبجح الألفاظ وذلك بعد أن هذبت اللغة ، وأطبقت العرب على النطق الحر والأسلوب المصفى^(١) .

ومن ذلك : الكشكشة والكسكسة والفحفة والعننة والاستنطاء ونحو ذلك مما ذكره ابن فارس تحت عنوان (باب اللغات المذمومة)^(٢) وذكره السيوطي — نقلا عنه — تحت عنوان : (معرفة الردى والمذموم من اللغات)^(٣) .

الكشكشة :

يجعل بعض العرب بعد كاف الخطاب في المؤنث شيئا فيقولون في : رأيتك : رأيتكش ، وفي بك : بكش ، وفي عليك : عليكش^(٤) وهؤلاء الناطقون — كذلك — طوائف ، فمنهم من يثبت الشين حالة الوقف فقط حرصا على البيان فاذا وصلوا حذفوا وهو الأشهر ، ومنهم من يثبتها في الوصل أيضا ، ومنهم من يجعل الشين مكان الكاف ، ويكسرهما في الوصل ويسكتها في الوقف فيقولون في مررت بك اليوم : مررت بكش اليوم ، وفي مررت بك في الوقف : مررت بش ، قال الشاعر :

-
- (١) تاريخ آداب العرب ١/ ١٤٠ .
 - (٢) الصاحبى : ٣٥ .
 - (٣) المزهري : ١/ ٢٢١ .
 - (٤) الجوهري : ١/ ١٥٣ .

فعينا ش عيناها وجيـدش جيـدها ولكن عظم الساق منش دقيق
وأنشـد ابن الأعرابي :

على فيما أبتغى أبغيش بيضاء ترضيني ولا ترضيش
وتطبي ود بنى أبيش اذا دنوت جعلت تتبيش
وان نأيت جعلت تدنيش وان تكلمت حنت في فيش
حتى تنقى كتنقى الديش

وجاء قلب الكاف شينا في غير كاف الضمير^(٥) في (الديك)
لضرورة القافية قال ابن جنى بعد ذكره الأبيات : فشبه كاف الديك
لكسرتها بكاف ضمير المؤنث^(٦) .

وقال الراجز :

أى غلام لش علود العنق ليس بكياس ولا جد همق
لش : لك ، وهى لغة لبعض العرب^(٧) .

وعليها قرأ بعضهم (قد جعل ربش تحتش سريا)^(٨) .

وتنسب الكشكشة لأسد وهوازن ، وقال ابن فارس : هى فى
أسد ، ونسبها بعضهم الى تميم وبعضهم الى ربيعة ومضر^(٩) .
ويعد سبيويه من أوائل من ذكر هذه اللهجة ، يقول : واعلم أن
ناسا من العرب يلحقون الشين ليبيّنوا بها الكسرة فى الوقف ، وذلك
قولهم : أعطيتكش وأكرمكش ، فاذا وصلوا تركوها ، وانما يلحقون

(٥) مجالس ثعلب ١١٦/١ . (٦) سر الصناعة ٢١٧/١ .

(٧) التهذيب ٢١٦/٢ . (٨) مريم ٢٢ .

(٩) الكامل ٣٧١/١ قال المبرد : انهم التميميون الذين منهم عمرو
ابن تميم ، والصاحبى ٢٤ والاساس ٨٢٢ ، والمحكم ٣٩٧/٦ ، ٣٩٨ وشرح
المفصل ٤٨/٩ والمزهر ٢٢١/١ وانظر سر صناعة الاعراب ٢١٦/١ ، ٢٣٥
وفقه اللغة للثعالبي ١٢٩ .

الشين في التانيث ، لأنهم جعلوا تركها لبيان التذكير^(١٠) .

واضافة الشين عند الوقف على المؤنث ، لأن الكسرة تخفى عند الوقف فأرادوا بيانها بإبدالها شينا أو بزيادة شين بعد الكاف .

ويروى سيبويه — كذلك — قلب الكاف شينا في الوصل مثل : أنش ذاهبة ومالش ذاهبة ، يريد : أنك وما لك^(١١) وقد نسبها الى تميم وناس من أسد^(١٢) .

والحاق الشين بعد الكاف أو إبدالها منها لتوافقهما في كثير من الصفات كالهمس والاستفال والانفتاح والاصمات مع تقارب المخارج فالكاف من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى والشين من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى^(١٣) .

وبعض المحدثين يرى أنه لابد في الكشكشة أو الكسكة أن تحل الشين أو السين محل الكاف ليتمكن أن تعد هذه الظاهرة من ظواهر اللهجات ، إذ ليس هناك ما يسوغ أن تقتض الكاف بصوت آخر في حالة الوقف ، بل الأقرب الى القوانين الصوتية وطبيعة اللهجات أن يحل صوت محل آخر^(١٤) .

ونرى أنه لا يتحتم ذلك مطلقا ، إذ بعض اللهجات تريد حرفا وبعضها تنقص ، ولا شيء في ذلك .

الكسكة :

يجعلون بعد الكاف أو مكانها في خطاب المؤنث سينا كالشكشة فيقولون أعطيتكس وأكرميتكس وأبوس وأمس في (أعطيتك وأكرميتك

(١٠) الكتاب ١٩٩/٤ ، ٢٠٠ .

(١١) الكتاب ١٩١/٤ وانظر مجالس ثعلب ١١٧/١ وسر الصناعة

٢١٤/١ .

(١٢) انظر كتابنا : أصوات اللغة العربية .

(١٣) في اللهجات العربية د. أنيس : ١٢٢ .

وأبوك وأمك) وورد عن معاوية حين سئل : من أشصح الناس ؟ قال : قوم تياسروا عن كسكسة بكر أى ابدالهم السنين من كاف الخطاب حين يقولون : أبوس وأمس يريدون : أبوك وأمك وبعضهم يزيد السين بعد الكاف فى الوقف مثل : مرت بكس أى بك^(١٤) والكسكسة لبكر وأسد وربيعه ومضر^(١٥) ومنع الحريرى نسبتها الى ربيعة ومضر^(١٦) ، وصاحب القاموس يذكر أنها لقميم^(١٧) ، وقيل نسبت لهوازن^(١٨) ونرى أنها تنسب لهؤلاء جميعا .

ويحاول بعض المحدثين أن يفسر الكشكشة والكسكسة على أنها صوت مركب (ch) ثم قلبت الشين سينا فى الكسكسة يقول : فالأصل فى هذه الظاهرة أن تكون الكاف للمؤنث حتى تجتذب الكسرة الكاف الى الأمام ، فتقلب الى نظائرها من أصول الثنايا فتصير (ch) أى شجرية ، وبعد ذلك صارت (تس) وقلب الشين سينا مطرد فى اللغات السامية ، فضمير الغائب « شون » فى الأكادية و « سون » فى بعض اللغات العربية الجنوبية^(١٩) .

وادعى بعضهم أن قلب الكاف سينا أو شينا أو صوتا مركبا (تس - تش) يتمشى مع قانون الأصوات الحنكية الذى يقرر أن الأصوات تنتقل من أقصى الحنك (الطباق) الى الشفتين ، فالكاف على هذا التفسير تصير سينا^(٢٠) .

-
- (١٤) النهاية فى غريب الحديث والائر ١٧٤/٤ .
(١٥) الكامل ٣٧١/١ وقد نسبها المبرد فيما يختص بقلب كاف الخطاب للمؤنث سينا الى بعض بكر ومثله فى فقه اللغة للثعالبي ١٢٩ وسر الصناعة ٢١٤/١ والصاحبي ٢٤ فيما يختص بزيادة سين بعد كاف المؤنث فى الوقف والمفصل ٩/٧ وشرح شافية ابن الحاجب ٣٨١/٢ وفى التهذيب : الكسكسة لغة من لغات العرب تقارب الكشكشة ٤٣٠/٩ .
(١٦) درة الفواص فى أوهام الخواص : ٣٥ .
(١٧) ٦٢٥/٢ وانظر الاقتراح للسيوطى ٨٣ والمزهر ٢٢١/١ .
(١٨) الخصائص ١٢/١ ومجالس ثعلب ٨١/١ .
(١٩) اللهجات العربية فى التراث ٣٦٤/١ .
(٢٠) الأصوات اللغوية ص ٧٩ .

ونرى أن هذا غير صحيح ، لأننا لم نسمع به مطلقا على طريقة النطق والكتابة ، ولم يرد فى كتب القدماء ، وإن شاع ذلك فى بعض النطق الحديث بالجزيرة العربية^(٢١) ولا يفسر القديم بالحديث للخلل الواقع فى النطق الحديث بما أبعده عن الفصحى ، ولا يحتج به فقد تغير نطق بعض الأصوات وشوه تشويها خطيرا ، فقد تحول - - - فى نطق أهل الرياض - صوت الكاف - أول الكلمة الى (تس) مثل : كيف حالك (تسيف حالك) وفى وسط الكلمة كذلك ، فكلمة (باكر) تنطق هناك (باتسر) فلا يعول على هذا النطق المحرف لتفسير الفصحى من كلام العرب •

ويرى بعضهم أن الكسكة والكشكة حدثتا نتيجة للتطور فى مرحلتين :

الأولى : انتقال الكاف الى الصوتين المزدوجين : تس وتش •

والثانية : تطور الصوتين المزدوجين الى السين الخالصة تارة والشين الخالصة تارة أخرى^(٢٢) وهذا كلام لا يسنده الدليل العلمى أو التاريخى •

الشنشنة :

ورد هذا اللفظ فى كتب اللغة ولكن ليس بالمعنى الاصطلاحى المعروف فى المعجمات أن الشنشنة : الطبيعة والخلق والسجية وفى المثل :

شنشنة أعرفها من أخزم من يلقي آساد الرجال يكلم^(٢٣)

(٢١) فى منطقة الخليج والسعودية .

(٢٢) اللهجات العربية فى التراث ص ١٢٣ .

(٢٣) مجمع الأمثال ١٥٣ واللسان ١١٠/١٧ والعين ٢٢٠/٦ .

وفى الاصطلاح : جعل الكاف شيئا مطلقا سواء كانت لمذكر أو لمؤنث^(٢٤) وسواء كانت أصلية أو زائدة مثل : لبيش اللهم لبيش فى لبىك^(٢٥) والديش فى الديك^(٢٦) وقد سمع بعض أهل اليمن فى الحج يقول (لبيش اللهم لبيش) • ويرى بعض المحدثين أن ما يسمى بالشنشنة هو صوت بين الجيم والثسين أو هو الصوت المركب (تش) Ch المعروف فى الانجليزية ، ولأن العرب لا يعرفون طريقة كتابة هذا الصوت فانهم كتبوه تارة بالكاف وثانية بالثسين وقيل — أيضا — ان الكاف فى أى موضع من الكلمة حينما يأتى بعدها صوت لين أمامى فانها تقلب الى نظيرها من الأصوات الحنكية (أصوات وسط الحنك) •

ونحن لا نرتضى هذين التفسيرين لمخالفتها لطبيعة نطق الأصوات العربية وخصائصها لأن العربية لا تعرف الحروف المتداخلة أو المركبة بين حروفها وقد ماتت الأصوات التى بين بين منها •

ونسبت فى العقد الفريد لتغلب ففیه فى خبر الرجل — من السماط — الذى كلم معاوية عن أفصح العرب قوم تيامنوا عن شنشنة تغلب^(٢٧) ، وتنسب أيضا الى بكر بن وائل ، وقد نسبها ابن دريد والقلقشندي الى حمير^(٢٨) ولكنها شائعة فى القبائل اليمنية وهى تنسب الى أهل البداوة منهم ، وما زالت حتى الآن فى اللهجة الشحرية والمهرية والقطرية وحضرموت •

(٢٤) لهجات العرب لأحمد تيمور ص ١٢٣ •

(٢٥) المزهرة ٢٢٢/١ وتاريخ آداب العرب ١٤١/١ ومميزات لغات العرب ١٣ •

(٢٦) الجاسوس ١٨٣ •

(٢٧) ٤٧٥/٢ ، ٣٢٠/٣ •

(٢٨) الجمهرة ٢٣٨/١ ، ٧٧/٣ وصبح الأعشى ١٦٠/١ •

النعنة :

ورد في بعض كتب القدماء أن النعنة قلب الهمزة عينا (٢٩) ،
ويقول ابن دريد : النعنة حكاية كلام نحو قولهم : عننة تميم ،
لأنهم يجعلون الهمزة عينا (٣٠) ويقول السيوطي : أنهم يجعلون الهمزة
المبدوء بها عينا (٣١) ومن ذلك قول الشاعر :

أعن ترسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم

وقال جرير العود :

فما أبى حتى قلن يا ليت عننا تراب وعن الأرض بالناس تخسف

وقال الآخر :

تعرضت لى بمكان حل تعرضا لم تأل عن قتلا لى (٣٢)

وقال :

فنحن منعنا يوم حرس نساعكم غداة دعانا عامر غب معتل (٣٣)

ومن ذلك : الأسف والعسف .

ومما ورد من ذلك مما وقعت فيه الهمزة عينا : كعص أى كأس
بمعنى أكل يقال : كعصنا عند فلان وكأصنا أى أكلنا ، قال أبو حاتم :

(٢٩) العين ١٢١/١ وفقه اللغة للثعالبي ١٢٩ والأمل للقيلى ٨١/٢ .

(٣٠) الجهرة ١٦٠/١ . (٣١) المزهري ٢٢٢/١ .

(٣٢) قال ابن جنى : يجوز أن يكون أراد (أن قتلا لى) فأبدل الهمزة عينا (سر الصناعة ٢٣٧/١) ويجوز أن يكون أراد الحكاية كأنه حكى النصب الذى معتادا من قولها فى بابها أى كانت تقول : قتلا قتلا ثم حكى ما كانت تلفظ به ، سر الصناعة ٢٣٦/١ ، ٢٣٧ ، واللسان ١٧٨/١٦ .

(٣٣) الجهرة ٢٣٨/١ ، ٧٧/٣ وسر الصناعة ٧٥/١ والخصائص ٤١١/١ والمزهري ٢٢٣/١ .

هي همزة قلبت عينا لأن بنى تميم ومن يليهم يحققون الهمزة حتى
تصير عينا (٣٤) .

ومما ذكره الخليل في العين : الخبع : الخبء في لغة تميم
يجعلون بدل الهمزة عينا (٣٥) .

وحكى عن بنى تميم : هذه خباعنا ، يريد خباؤنا ، ويقال :
خبع الرجل في المكان إذا دخل فيه ، وأحسب أن هذه العين
همزة (٣٦) .

ولا تزال هذه الظاهرة قائمة في بعض اللهجات الدارجة في
صورها المشار إليها أولا ووسطا وآخرها .

ففي مدن تهامة يقولون : (عالة) في (آلة) و (العمام)
في (الامام) (٣٧) ومن ذلك في لهجات صعيد مصر (اسعل
وسعال) بدل (اسأل وسؤال) و (لح) مكان : (لا) .

ويرى بعض الباحثين أن العننة تكون في (أن وأن) لكثرة
استعمالهما وطولهما بالصلة (٣٨) وبعضهم كالقراء وابن فارس يخصها
بالهمزة المفتوحة في (أن) المشددة النون ، ففي لسان العرب « لغة
قريش ومن جاورهم (أن) وتميم وقيس وأسد ومن جاورهم يجعلون
ألف (أن) إذا كانت مفتوحة عينا يقولون : أشهد عنك رسول الله ،
فاذا كسروا رجعوا الى الألف (٣٩) وابن جنى يرى ذلك — أيضا —

(٣٤) الجهرة ٧٦/٣ .

(٣٥) العين ١٤١/١ .

(٣٦) الجهرة ٢٣٧/١ ، ٢٣٨ .

(٣٧) في اللهجات العربية : ١١١ .

(٣٨) سر الصناعة ٢٣٤/١ وشرح المفصل ١٤٩/٨ .

(٣٩) اللسان ٣١٤٣/٤ (عن) والتهذيب ١٢٢/١ وشرح المفصل

١٦٨/١ ، ١٤٩/٨ وانظر الصاحبى ٢٤ والمغنى ١٣٠/١ .

فيذكر أن بنى تميم يقولون فى موضع (أن) : (عن) فيقولون :
ظننت عن عبد الله قائم ، وقال : ان مجيء النون فى العننة يدل
على أن ابدالهم اياها هو فى همزة (أن) دون غيرها •

وقولهم : عننة مشتق من قولهم : عن عن فى كثير من
الواضع^(٤٠) الا أن عالمنا ابن جنى يذكر أنهم أبدلوا الهمزة فى
غير (عن)^(٤١) سواء كانت أولا أو وسطا •

ويرى الدكتور ابراهيم أنيس أن اشتراط البدء بالهمزة أو أن تكون
مفتوحة ليس له ما يبرره^(٤٢) من الناحية الصوتية ، وانما الذى يبدو
أن يكون أقرب الى الاحتمال هو أن هذه القبائل كلها من البدو ، وكانت
تميل الى الجهر بالأصوات لتجعلها واضحة فى السمع أيا كان موضعها
من الكلمة وبأى حركة تحركت^(٤٣) •

ويتهم القدماء الذين قصرُوا العننة على الهمزة المبدوء بها بأن
مبنى رأيهم على الرواة الذين استقرأوا أمثلة هذه الظاهرة استقراء
ناقصا ، والأمر فى كل رواية لا يعدو أن يكون حكما خاصا مبنيا على
مثل خاص سمعه الراوى دون استقراء لباقي الحالات^(٤٤) •

ويبدو لنا أنه اتهم الرواة دون دليل ، والقدماء لا ينكرون ابدال
العين من الهمزة فى الأول والوسط والآخر ، ونصوص القدماء
السابقة تشهد لذلك وان خصها بعضهم بالابتداء •

(٤٠) سر الصناعة ٢٣٧/١ •

(٤١) المصدر السابق ٣٤٠/١ •

(٤٢) كذا بالأصل والصواب (يسوغه) مكان (يبرره) •

(٤٣) فى اللهجات العربية : ١١ •

(٤٤) المصدر السابق : ١١ •

وقد نسب بعض العلماء العنعة الى تميم خاصة ، ومنهم الخليل
ابن أحمد والأصمعي^(٤٥) وابن فارس^(٤٦) وابن جنى^(٤٧) وجعلها
ابن دريد في تميم ومن يليهم^(٤٨) وينسبها بعضهم الى تميم وقيس
وأسد^(٤٩) .

ولكن كثرة النصوص الواردة بالعنعة ونسبتها الى قبائل متعددة
يؤدى بنا الى القول بكثرة القبائل البدوية التى شاركت تميما فى قلب
الهمزة عينا والاشارة الى تميم ، لأنها أكبر القبائل فى شرقى
الجزيرة .

والانتقال من الهمزة الى العين ممكن لأنهما أختان تخرجان من
الحلق فالهمزة من أقصاه والعين من وسطه^(٥٠) .

وهى مناسبة لطبيعة البدو الذين يحتاجون الى نبرة عالية ،
لاتساع الصحراء والعين مجهورة ، أما الهمزة فهى — فى أدق
الآراء — لا مجهورة ولا مهموسة أو هى مهموسة على رأى بعض
المحدثين^(٥١) .

الفحفة :

هى قلب الحاء عينا مطلقا^(٥٢) سواء كانت حاء حتى أو غيرها ،
فى لغة هذيل يجعلون الحاء عينا فيقولون فى مثل : حلت الحياة لكل حى :

-
- (٤٥) سر صناعة الاعراب ٢٣٤/١ .
(٤٦) الصحبى : ٣٥ .
(٤٧) سر الصناعة : ٢٣٤/١ .
(٤٨) الجهرة ١٦٠/١ .
(٤٩) تهذيب اللغة ١١١/١ وتاج العروس ٢٨٢/٩ .
(٥٠) الكتاب ٤٣٣/٤ وسر الصناعة ٥٢/١ .
(٥١) الوجيز فى فقه اللغة للانطاكى : ٢٠٠ وانظر كتابنا : اصوات
اللغة العربية .
(٥٢) سر الصناعة ٢٤٦/١ والمزهر ٢٢٢/١ والأمالى ٧٠/٢ .

علت الحياة لكل عى ، وعلى لغتهم قرأ ابن مسعود (عتى حين) فى قوله تعالى (حتى حين) ، ونقل صاحب النهاية أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه — بلغه أن ابن مسعود يقرئ الناس بلغة هذيل « عتى حين » فقال : ان القرآن لم ينزل بلغة هذيل فأقرئ الناس بلغة قريش^(٥٣) وقال الزمخشري : وفى قراءة ابن مسعود « ليسجتنه عتى حين » وهى لغة هذيل ، وعن عمر رضى الله عنه أنه سمع رجلا يقرأ (عتى حين) فقال : من أقرأك ؟ قال : ابن مسعود ، فكتب اليه : ان الله أنزل هذا القرآن بلغة قريش فلا تقرئهم بلغة هذيل والسلام^(٥٤) وورد عنهم أيضا : وجلست عنده عتى الليل •

وبعض الباحثين يرى أن الفحفة خاصة بحاء (حتى) •

يقول أستاذنا الدكتور ابراهيم نجدا : المشهور فيها ابدال الحاء من حتى عينا ، وذكر القراءة (عتى حين) ونقد من فريق من الباحثين أن الابدال ليس مقصورا على حاء حتى مثل : اللعم البؤمر الخ ثم يقول : وهذا النقل ضعيف لأنه لم يرد لنا من نصوص العرب وشواهدهم ما يجعلنا نقبل وجهتهم ، ومع هذا فقد رأينا ابن مسعود قد اقتصر على ابدال الحاء من (حتى) ولم يبدلها من (حين) فلو كان لا يبدال عاما لقرأ بالعين فى كلتا الكلمتين فدل ذلك على أن الفحفة خاصة بحاء حتى^(٥٥) •

ولكن يبدو لنا أن ظاهرة قلب الحاء عينا مطلقا ثابتة لورود ذلك فى أمثلة لغوية ضمتها المعاجم اللغوية مثل بحر وبعثر وروى اللحياني قولهم : عصد الرجل اذا مات وحكى عن أبى ضبة قال :

(٥٣) : النهاية ١٨١/٣ •

(٥٤) : الكشف ٣١٩/٢ •

(٥٥) : اللهجات العربية د. نجا ٨٢ •

لغتنا حصد ولغة الأكثر عصد^(٥٦) . وهذا التبادل كثير مثل ، الحبكة
والعبكة وهى الحبة من السوق^(٥٧) وضبحت الخيل وضبعت الى
غير ذلك .

ويرى بعض المستشرقين أن (عتى) — فى لغة هذيل — لها
صلة بكلمة (عدى) الموجودة فى بعض اللغات السامية وفى العربية
الجنوبية القديمة ، وكذلك الكلمة العبرية (عد) بمعنى حتى فالحاء
تقابل العين والتاء تقابل الدال أى أننا أمام صورتين لكلمة واحدة احدهما
تتضمن على صوتين مهموسين والأخرى تتضمن على نظيريهما من
المجهورات وحينئذ يمكن تفسير هذا على أن الصورة المشتقة على
المهموسات صورة حضرية وأن الأخرى صورة بدوية ولا تكون هناك
فى هذه الحالة ظاهرة عامة تدعى الفحفة^(٥٨) وقد روى عن العرب
قلب الحاء عينا فى غير (حتى) مثل : علت العياة لكل عى وقولهم :
(اللحم الأعمر أعسن من اللحم الأبيض) فى اللحم الأحمر أحسن
من اللحم الأبيض^(٥٩) وتتسبب هذه الظاهرة لهذيل أو بعض
بطونها ولثقيف^(٦٠) وقد وجد هذا القلب فى الآية فى مصحف ابن
مسعود ومصحف الربيع بن خثعم .

والحاء والعين من مخرج الحلق ويتفقان فى صفات الاستفال
والانفتاح والاصمات إلا أن العين مجهورة ، والحاء مهموسة والحاء
رخوة والعين صوت متوسط بين الشدة والرخاوة فأمكن تبادلهما ،

(٥٦) الابدال لأبى الطيب ٢٤٦/١ .

(٥٧) الزهر ٤٦٦/١ .

(٥٨) فى اللهجات العربية د. أنيس ١٠٩ .

(٥٩) مميزات لغات العرب : ١٣ وفى اللهجات العربية : ١٠٨ .

(٦٠) انظر المصادر فى هذا الموطن وابن عقيل ١٢/٣ ط دار الفكر
ولسان العرب ٣٢٨/٢ . حيث يقول : فى (عتى) هذلية ثقفية .

ولذا قال ابن جنى « لولا بحة فى الحاء لكانت عينا »^(٦١) ويقول فى المحتسب مشيراً لظاهرة الفحفة :

« العرب تبدل أحد هذين الحرفين من صاحبه لتقاربهما فى المخرج كقولهم بحثر ما فى القبور أى بعثر »^(٦٢) وضبعت للخيل أى ضبعت وهو يحنظى ويعنظى اذا جاء بالكلام الفاحش فعلى هذا يكون (عتى وحتى) لكن الأخذ بالأكثر استعمالاً وهذا الآخر جائز وغير خطأ .

والمعروف أن فى قبيلة هذيل ميلا الى البداوة ، اذ كانت مجاورة لبعض البدو على حين أن ثقيف من القبائل الحضرية ، وربما نسبت لها لتأثرها بمن ينطقها لكن بغض المحدثين ينفى وجود هذه الظاهرة وبنى هذا النفى على أمور :

١ — أن قصة قراءة ابن مسعود للآية (عتى حين) مشكوك فى صحتها فكيف ينهى عمر ابن مسعود عن القراءة بالعين مكان الحاء فى هذه الآية مع ما نقله عمر نفسه من استحسان الرسول ﷺ قراءة ابن مسعود حينما كان يسمر عند أبى بكر وكان عنده عمر فخرج رسول الله ﷺ وعمر وأبو بكر معه فاذا رجل قائم يصلى فى المسجد فقام رسول الله ﷺ يسمع قراءته فقال عمر : فلما كدنا أن نعرف الرجل قال : « من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم معبد » (يعنى ابن مسعود) .

٢ — لم يسمع قلب الحاء عينا عن هذيل فى غير هذه القراءة

(٦١) سر الصناعة ٢٤٦/١ وتكلم عن هذه القراءة فى (حتى) فيقول : أبدلت العين من الحاء فى بعض المواضع قرا بعضهم (عتى حين) يريد : حتى حين .

(٦٢) المحتسب ٣٤٣/١ .

المروية والمثال واحد لا يكى لاثبات اللهجة ، وهناك آيات أخرى كثيرة لم تبدل فيها الحاء عينا .

٣ — نقل عن ابن مسعود القراءة بإبدال العين حاء في بعض الآيات في مثل قوله تعالى : « أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور » - قرأها (بعثر) بالحاء وهذا نقيض القراءة السابقة في (حتى حين) .

٤ — وقوع القراءة بإبدال الحاء عينا في (حتى حين) في مصحف الربيع بن خثعم مما يدل على أن هذه الظاهرة ليست مختصة بهذيل .

٥ — نسبة هذه الظاهرة الى هذيل تبعا لابن مسعود لأنه قرأ بها نسبة غير مقبولة لأن قراءة القاريء قد لا تعتبر لغة قومه فابن محيصن وابن كثير يقرآن (ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا) بياء واحدة وهي لغة تميم مع أنهما مكيان فقد خالفا بذلك لهجة قومهما وبذلك فانه لا يتعين أن تكون قراءة ابن مسعود ممثلة للغة قومه الهذليين^(٦٣) على أن قبيلة هذيل متصلة بالحجاز ومساكنها قريبة منها والفحفة ظاهرة بدوية مما يبعد نسبة هذه اللهجة الى تلك القبيلة .

٦ — التسمية نفسها تحمل على الشك في وصف القدماء لهذه الظاهرة فكلمة الفحفة اذا نظر اليها في ضوء مصطلحات الكسكسة والمعجعة نرى أن الحرف الثانى في كل من هذين المصطلحين هو

(٦٣) اللهجات العربية د. انيس ١٠٨ ، ١٠٩ واللهجات العربية في التراث ٣٧٢ ، ٣٧٣ .

الحرف المقلوب اليه. وكان مقتضى هذا أن يكون معنى الفحفة قلب العين الى الحاء لا العكس^(٦٤) .

ولكننا نرى أن هذا النفي غير صحيح فالثبوت في قراءة لا يؤدي الى اسقاطها الا اذا كان معتمدا على أوجه عدم صحة النقل وطرق الرواية وذلك لم يتوافر لصاحب النفي .

كما أن اعتداد الرسول بقراءة ابن مسعود يؤكد صحة الرواية وليس دليلا على نفيها وهو توجيه للقارئ للاتجاه الى الصفة العامة الغالبة وان صحت القراءة بغيرها أو يقرأ القرآن على وجوه كثيرة تبعا لتعدد القبائل وتيسيرا على الناطقين من المسلمين حسب لهجاتهم ، لكن في مقام التعليم يلجأ الى الأقوى .

ولم يقتصر أمر هذه اللهجة على مثال واحد بل ورد غيره كما أن ما نقل عن ابن مسعود من القراءة بقلب العين حاء يؤكد صحة هذا النوع من التبادل ولا ينفي عكسه بل يؤيده من لجوء القبيلة الى كل منهما لما بين الصوتين من تقارب يدعو الى جذب أحدهما الى صاحبه .

كما أن نسبة هذه الظاهرة الى غير هذيل دليل على صحتها وعلى انتشارها في مواطن عدة وهذا يثبتها ولا ينفيها .

ولذا نرى أن النفي دليل لا يعتد به .

المعجزة :

هي جعل الياء المشددة جيما فيقولون في تميمي تميمج ، وكذلك الياء المخففة الواقعة بعد العين مثل : الراعي خرج معج في قولهم :

(٦٤) في اللهجات العربية ١٠٨ .

الراعى خرج معى^(٦٥) وقال ابن فارس : وكذلك الياء المشددة تحول جيما فى النسب ، يقولون : بصرج وكوفج^(٦٦) .

ويقول السيوطى : ومن ذلك العججة فى لغة قضاة يجعلون الياء المشددة جيما يقولون فى تميمى : تميمج^(٦٧) . وقال أبو عمرو ابن العلاء : قلت لرجل من بني حنظلة : ممن أنت ؟ فقال : فقيمج قال : قلت : من أيهم ؟ قال مرج يريد : فقيمى ومرى ، وقال يعقوب : بعض العرب اذا شددت الياء جعلتها جيما^(٦٨) ، وفى حديث ابن مسعود : فلما وضعت رجلى على مذر أبى جهل قال : أعل عنج أى تنح عنى^(٦٩) .

ومن ذلك قول الراجز : قال الأصمى : حدثنى خلف قال : أنشدنى رجل من أهل البادية :

خالى عويف وأبو عالج
المطعمان اللحم بالعشج
وبالغداة كسر البرنج
تقلع بالود وبالصيصج

أراد : على — العشى — البرنى — الصيصى^(٧٠) .

(٦٥) يقول الرضى : ويبدل ناس من بنى تميم الجيم مكان الياء فى الوقف شديدة ، كانت الياء أو خفيفة . شرح الشافى ٢٨٧/٣ .
(٦٦) الصحبى ٣٧ وشرح المفصل ٢٠/١ .
(٦٧) المزه ٢٢٢/١ والتهذيب ٦٨/١ .
(٦٨) سر الصناعة ٩٢/١ والابدال لآبى الطيب ٢٥٧/١ .
(٦٩) انظر النهاية ٢٩٤/٣ ولسان العرب ٦١/٦ ومذر كمعظم التقا .
القاموس (نمر) .

(٧٠) الاشمونى ٢٨١/٤ وابدال ابن السكيت ٩٥ ورواه ابن جنى عمى بدل خالى وروى غيره فلق وكتل وقطع مكان كسر وكلها بمعنى اجزاء الشئ والبرنج بفتح الياء وسكون الراء : من انواع التمر الجيد والود : الود ، والصيصى : جمع صيصة وهى القرن والفعل تقلع مبنى للمفعول . انظر سر الصناعة ١٩٢/١ .

ومن ذلك ما أنشد ابن الأعرابي :

كأن فى أذناهن الشول من عبس الصيف قرون الأجل
يريد : الأيل •

وأنشد الفراء :

بكيت والمحترز البكج وانما يأتى الصبا الصبح
يريد : البكى والصبى (٧١) •

وفى الأمالى : ويمكن أن يكون (جار) لغة فى (يار) كما
قالوا : الصهاريج والصواب الصهارى وصهريج وصهرى لغة
تميم (٧٢) •

وقد تقلب الياء المخففة جيما فى مثل قول الشاعر :

يارب ان كنت قبلت حجتج فلا يزال شاحج يأتك بج
أقمر نهات ينزى وفرتج

فالأصل : حجتى — بى — وفرتى (٧٣)

وكذلك قول هميان بن قحافة السعدى :

يطير عنها الوبر الصهاجا

يريد الصهاجى — من الصهبة — (٧٤) فحذف احدى الياعين وقلب

(٧١) سر الصناعة ٩٣/١ ولهجات العرب لأحمد تيمور ١٨ •

(٧٢) الأمالى ٢١٧/٢ •

(٧٣) سر الصناعة ١٩٣/١ وشرح شافية ابن الحاجب ٥١٦/٤ •

(٧٤) الوبر أو الشعر الصهاجى : ما فيه شقرة •

الآخرى جيما للشافية (٧٥) ، وبعضهم اشترط أن تجتمع الياء مع العين (٧٦) ولكن الظاهر فيما ورد من أمثلة عدم اشتراط ذلك .

كما أن الياء المشددة التي تبدل جيما يطلق عليها مصطلح (العججة) اذا وقعت آخر لا وسطا ، وقد خصها بعضهم بحالة الوقف دون الوصل وبعضهم جعلها فيهما معا فمن الأولين سيويو والسيرافى وابن يعيث والرضى ومن الآخرين ابن جنى والقالى والزمخشري (٧٧) .

والمشهور نسبة هذه الظاهرة الى قضاة (٧٨) وناس من تميم أو ناس من بنى سعد من تميم ونسبها صاحب الأمالى وابن السكيت الى فقيم وحنظلة (٧٩) ونسبها الفراء فى الياء المخففة الى بنى دبير من بنى أسد ونسبها أبو زيد لأهل اليمن ، والأصمى الى طيء فى الياء المشددة ، والى بعض بنى أسد فى الياء المخففة (٨٠) ونسبت كذلك الى هذيل ، كما نقل عن ابن مسعود (٨١) .

(٧٥) سر الصناعة ١٩٣/١ والابدال لابن السكيت ٩٥ وشرح الشافية ٢١٦/٤ .

(٧٦) الصحاح ٣٢٨/١ والابدال لابن السكيت ٩٥ ومعجم الشعراء للمرزبانى ١٩٧ .

(٧٧) فى لسان العرب : والعججة فى قضاة كالعننة فى تميم يجعلون الياء جيما مع العين ٣٨/٨ (عجج) وفى مادة (شجر) روى تسبثها لناس من بنى سعد فى الوقف خاصة فاذا وصلوا لم يبدلوا كذلك فى كتاب سيويو ١٨٢/٣ .

(٧٨) الكتاب ١٨٢/٤ وشرح الشافية ٢٨٧/٢ واللسان (عجج) .

(٧٩) الأمالى ٨٩/٢ والابدال لأبى الطيب ونوادى أبى زيد ١٦٤ .

(٨٠) الابدال لأبى الطيب ٢٥٧/١ ، ٢٥٨ .

(٨١) لسان العرب ٦١/٦ .

وهكذا نرى اختلاف القبائل فى طريقة قلب الياء جيما ومواطنه
ويعمل سيبويه لهذه الظاهرة بأن الياء خفية فأبدلوا من موضعها أبين
الحروف (٨٢) .

ويعد ذلك القدامى من الأبدال النادر أو القليل (٨٣) أو
الشائع (٨٤) وقد ذكروا أن بين الياء والجيم علاقة صوتية ، لأنهما
من مخرج واحد هو وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى
أو أنهما قريبا المخرج وتشتركان فى بعض الصفات كالجهر والاستفال
والانفتاح والاصمات والنجم أدخل من الياء ولذا كان الانتقال من
الياء الى الجيم سائعا وفى الجيم بعض الشدة التى تتناسب مع
البدو (٨٥) ويجرى الوصل مجرى الوقف (٨٦) .

وبهذا يتضح أن هذا الأبدال من خصائص بعض اللهجات
البدوية ، فطوىء تسكن أواسط نجد وحنظلة من أكبر القبائل
التميمية تنسب الى حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم
وفقيم بطن من دارم من تميم العدنانية ، وبنو سعد من تميم
وبنو أسد من القبائل البدوية .

(٨٢) يقول سيبويه : انهم يبدلون الجيم مكان الياء لانها خفية
فأبدلوا من موضعها أبين الحروف . الكتاب ١٨٢/٤ .

(٨٣) شرح التصريح ٣٦٧ والأشمونى ٢٨١/٤ .

(٨٤) الأشمونى ٢٨٢/١ .

(٨٥) انظر الكتاب لسيبويه باب الادغام .

(٨٦) شرح الشافية ٢٨٧/٢ .

الوتنم :

قلب السين تاء عند أهل اليمن فيقولون في الناس « النات »^(٨٧)
قال الشاعر :

يا قاتل الله بنى السنعلة عمرو بن يربوع شرار النات
ليسوا أعفاء ولا أكيات

ويقال : ان ابدال السين تاء من قبيح البدل أو من قبيح
الضرورة^(٨٨) وبعضهم يقول انه نادر^(٨٩) أو على البدل الشاذ .

ولكن حكى عن أبي عمرو أن قلب السين تاء لغة وذلك قد ورد
في قراءة الناس : النات في قوله تعالى « قل أعوذ برب الناس »
وقال انها لغة قضاة^(٩٠) .

ويقول الرجل لعدوه : لا بأس عليك : تأمينا له وهذا في اللغة
العامية وعند حمير يقال (لبات) وعليه قول الشاعر :

شربنا اليوم اذ غضبت غلاب بتسييد وعقد غير مين
تتادوا عند غدرهم لبات وقد بردت معاذر ذي رعين^(٩١)

ولبات بلغتهم : لا بأس ، قاله الأزهري^(٩٢) .

(٨٧) الزهر ٢٢٢/١ .

(٨٨) النوادر في اللغة لأبي زيد : ٣٤٥ ، ٤٢٣ .

(٨٩) شرح الشافية ٢٢١/٣ .

(٩٠) مختصر في شواذ القراءات لابن خالوية : ١٨٢ .

(٩١) غلاب : قبيلة . ذي رعين : حميرى ذكره صاحب الأسالي في
الحديث عن غزو تبع الحميرى بلاد العجم .

(٩٢) التهذيب ١٠٩/١٣ ، ١١٠ .

ويقال : الكرم من توسة وسوسة أى من خليقته ، ورجل حفيئاً
وحفيساً : ضخم البطن قصير^(٩٣) .

وأورد ابن جنى (ست) فى سدس والنيات وأكيات فى الناس
وأكياس وطست فى طس وختيت فى معنى خسيس ، وبذلك يتبين
أن السين أبدلت تاء فى أول الكلمة ووسطها وآخرها .

وأوضح ابن جنى رأيه فى أن السين قلبت تاء فيما ذكر ففى المثال
الأول قلبوها تاء لتقرب من الدال التى قبلها والتاء مع ذلك حرف مهموس
كما أن السين مهموسة فصار التقدير : سدت فلما اجتمعت الدال والتاء
وتقاربتا فى المخرج أبدلوا الدال تاء لتوافقها فى الهمس ثم أدغمت التاء
فى التاء فصارت (ست) كما ترى^(٩٤) ، وكذلك تحدث عن البوائى ، ففى
الناس وأكياس أبدلت السين تاء لموافقها إياها فى الهمس والزيادة
وتجاوز المخرج ، وفى ختيت أبدلوا السين تاء ، وقد أكد الدكتور أنيس
هذا التقارب الصوتى وقال : انهما يكادان يكونان متماثلين فى المخرج
كما أن كلا منهما صوت مهموس ولم يبق إذا الا أن يلتقى طرف
اللسان بأصول الثنايا العليا التقاء محكما فاذا افترقا سمعنا التاء
واذا لم يكن الالتقاء محكما ففى السين^(٩٥) .

ونحن نلمح بعدا بين الحرفين فبينهما فى المخرج الصاد والزاي
ولكن اشتراكهما فى طرف اللسان ربما كان سببا ليذا التبادل ، وإذا
رجعنا الى ما قاله علماء اللغة نجد أن هذا من قبيل اللغات المختلفة
فبعض العلماء يجعل ذلك الذى هو ابدال السين تاء لهجة تسمى بالوتم

(٩٣) الأملى ٦٨/٢ .

(٩٤) سر الصناعة ١٧١/١ — ١٧٣ .

(٩٥) فى اللهجات العربية ١٠٥ .

وتنسب إلى أهل اليمن^(٩٦) ، ونسبها بعضهم إلى خثعم وزبيد من قبائل اليمن البدوية^(٩٧) ، وهذا يؤكد أن ما ورد من هذه الأمثلة من اختلاف الناطقين إذ ليست العلاقة بين التاء والسين قوية تسوغ التبادل وبالرجوع إلى المعاجم في كلمتي ختيت وخسيس نجد أنهما من مادتين مختلفتين — اشتقاقاً ومعنى — ففي مادة (خت) : الخت الطعن مداركة وموضع والخت محرك الفتور في البدن والختيت الخسيس والناقص وأخت استحيا وفلانا أخس حظه^(٩٨) ، وفي مادة (خس) : وخس نصيبه جعله خسيساً دنيئاً حقيراً وخسست — بالكسر — خسة وخساسة إذا كان في نفسه خسيساً والخساسة بالضم علالة الفرس والقليل من المال وتخاسوه تداولوه وتبادلوه^(٩٩) — فدلالة المادة الثانية على النقص والخسة والحقارة واضحة وحقيقية ودلالة المادة الأولى عليها من قبيل المجاز والتوسع المعنوي ونظراً لاختلاف المعاني — كما ترى — لم يكن هناك ابدال وانا هو اتفاق معنوي تطوري .

وقد ورد في لسان العرب أن الطس والطسة بفتح الطاء وكسرها لغة في الطست وقال : ومن العرب من يثقل الطسة ويظهر الهاء ، وأورد صاحبه رأياً ثالثاً نقله عن أبي عبيد فقال : قال أبو عبيد : ومما دخل في كلام العرب الطست والثور والطاجن وهي فارسية كلها^(١٠٠) .

وعلى هذا فالواضح أن كلمة الطست كلمة أجنبية معربة هذبت على هذا الوضع ونطقها قوم طس وآخرون طست فلا ابدال في الحقيقة بل اختلاف في طريقة التعريب .

-
- (٩٦) انظر ما سبق ص ١٨١
 - (٩٧) في اللهجات العربية ١٠٥
 - (٩٨) القاموس المحيط ١٤٧/١
 - (٩٩) المصدر السابق ٢١٠/٢
 - (١٠٠) لسان العرب ٤٢٨/٧ ٤٢٩٠٤

وفى موضع آخر أوضح ابن جنى أن التاء تقلب سينا عكس
الأول — فى قول العرب :

استخذ فلان أرضا بمعنى اتخذ^(١٠١) ، وقد فسر ابن جنى
هذا المثال على وجهين فقال :

وفى ذلك عندنا قولان :

أحدهما : أنه يجوز أن يكون أصله اتخذ بوزن افتعل من قوله
عز وجل (لو شئت لتخذت عليه أجرا) ثم انهم أبدلوا التاء الأولى
التي هى فاء افتعل سينا كما أبدلوا التاء من السين فى ست لأن أصلها
سدس فلما كانت التاء والسين مهموستين جاز ابدال كل واحدة منهما
من أختها •

والقول الآخر : أنه يجوز أن يكون أراد استخذ أى استفعل
فحذفت التاء الثانية التي هى فاء الفعل كما حذفت التاء الأولى من
قولهم : تقى يتقى وأصله اتقى يتقى فحذفت التاء الأولى
التي هى فاء •

ورأينا أن الابدال غير مستساغ هنا لأن مخرجى التاء والسين
مختلفان — كما عرفنا — وهما مختلفتان فى الشدة والرخاوة
والصغير ، وإن كان الدكتور أنيس أجاز وقوع الابدال بينهما •

وعلى ما نرى فاما أن يكون استخذ لغة فى اتخذ ، وتكون السين
من خصائص البادية وتلحق بما يسمى (الوتم) أو نرجح القول
الثانى لابن جنى •

الاستطاء :

جعل العين الساكنة نونا اذا جاورت الطاء ، فأعطى يقال فيها : أنطى^(١٠٣) ومنه فى قراءة شاذة قرأ بها الحسن وطلحة وابن محيصن وغيرهم وهى قراءة مروية عن رسول الله ﷺ : (انا أعطيناك الكوثر.) ومنه قوله صلى الله عليه وسلم — فى حديث الدعاء — « لا مانع لما أنطيت ولا منطى لما منعت » ومن كلامه ﷺ : « اليد العليا المنطية واليد السفلى المنطاة »^(١٠٣) وقوله ﷺ : « اليد المنطية خير من اليد السفلى » وكتب ﷺ الى وائل بن حجر : « وأنطوا الثبجة » وقال عليه السلام لرجل : « أنطه كذا » يريد أعطه^(١٠٤) وقال الأعشى :^(١٠٥)

جسادك خير جساد الملوك تصان الحلال وتنطى الشعير^(١٠٦)

وواضح أن هذه الظاهرة جاءت فيما وليت فيه الطاء العين ، ولكن الدكتور أنيس يرى أن هذه الظاهرة وهى قلب العين

(١٠٢) المزهـر ٢٢٢/١ والاقتراح ٥٠٤ واللسان (نطا) .

(١٠٣) البحر المحيط ٥١٩/٨ .

(١٠٤) النهاية ٧٦/٥ والبحر المحيط ٥٠٩/٨ والفائق ٧٦/٥ (نطا) والانطاء : الاعطاء . اللسان ٤٦٥/٦ .

(١٠٥) من بنى قيس بن عامر .

(١٠٦) البحر المحيط ٥١٩/٨ والامالى ٧٥/١ قال أبو على القالى : وقرأت على أبى بكر بن دريد فى شعر الأعشى : جسادك فى الصيف فى نعمة انظر الديوان ص ١٤٩ .

الساكنة نونا ليست خاصة بذلك ولم يكن الأمر مقصورا على الفعل (أعطى) بل يتعلق بنطق كل عين سواء وليها (طاء) أو صوت آخر ، فلعل من القبائل من كانوا ينطقون بهذا الصوت بصفة خاصة نطقا أنفميا ، وذلك بأن يجعلوا مجرى النفس معه من الفم والأنف معا فتسمع العين ممتزجة بصوت النون وليست فى الحقيقة نونا بل هى (عين)

وفى زعمه أن الرواة قد سمعوا هذه الصفة ممثلة فى الفعل (أعطى) فأشككت عليهم ولم يصفوها لنا على حقيقتها^(١٠٧) .

ولكننا نرى أن هذا اتهام للمقدماء من الرواة الموثوق بهم دون دليل ، فهم وصفوا ما سمعوه ، وما ادعاه الدكتور أنيس من حدوث الاستنطاء فى غير المروى دعوى بلا دليل ويكفى ما ورد من أمثلة ليكون هو الأساس الذى ينبنى عليه تحقق هذه الظاهرة .

وإذا كان القلب فى الحروف إنما هو فيما تقارب منها مخرجا أو صفة^(١٠٨) فإن العين والنون متباعدان مخرجا ، ولكن بينهما تقارب فى بعض الصفات وهى الجهر والتوسط والاستقلال والانفتاح وعلى ضوء هذا يسوغ التبادل بينهما ، لكننا لا ننظر الى العلاقة الصوتية لاختلاف اللهجات وربما كانت بقايا لهجية متخلفة بعد تهذيب اللغة .

ويرى الدكتور السامرائى أن « ملاك الأمر فى هذه النون أنها لم تكن مقابلة للعين فى أعطى وإنما جاءت من أن الفعل هو (آتى) بمعنى (أعطى) ثم ضعف فصار (آتى) بتشديد القاء ومعلوم أن فك الادغام فى العربية وفى غيرها من اللغات السامية يقتضى ابدال

(١٠٧) فى اللهجات العربية : ١٤٢ .

(١٠٨) سر الصناعة ١/ ١٩٧ .

النون بأحد الحرفين المتجانسين كما تقول في العربية (جندل) من (جندل) بتشديد الدال وهذا معروف (١٠٩) .

ويرى أحد المستشرقين أن أنطى مقابل للفعل (نطا) العبرى بمعنى مد يده الى فلان فقد صار الفعل على وزن (أفعل) فى العربية بزيادة الهمزة (١١٠) .

ويرى الدكتور عبد الرحمن أيوب أن فى العربية الفعل (ناط) بمعنى أسند الأمر لانسان ما ليقوم به والفعل فى العبرية (ناتا) وهو فى الأمهرية مزيد عليه الهمزة كالفعل العربى (أعطى) ووجود النون فى العبرية فاء للفعل والميم فى الأثيوبية دليل على أن المادة الأصلية للفعل العربى (ن ط ي) (١١١) .

وهى آراء لا يسندها واقع الكلمة العربية التى قرئ بها فى القرآن الكريم ناشئة عن الفعل (أعطى) فى البيئة العربية .

وقد نسب الاستقطاء الى سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس (١١٢) والأنصار وفى اللسان أنها لغة أهل اليمن ، وفى البحر المحيط عن التبريزى (١١٣) أنها لهجة العرب العاربة (١١٤) قال : ان (عنى) بالنون

(١٠٩) دراسات فى اللغة د. السامرائى ٢١٧ .

(١١٠) فى اللهجات العربية د. أنيس ١٤٢ والمستشرق هو : رابن .

(١١١) العربية ولهجاتها ٥١ .

(١١٢) لعلها بنو قيس بن عامر من القحطانية . معجم القبائل العربية لكحالة ١٧٢/٣ .

(١١٣) المزهرة ٢٢٢/١ وتاج العروس ٢٥٨ ، ٢٥٩ ومميزات لغات العرب : ١٥ .

(١١٤) البحر المحيط ٥١٩/٨ عند شرح قوله تعالى : (انا اعطيناك الكوثر) .

فى (أنطيناك) هذه اللغة مكان العين فحسن وان (عنى) البدل الصناعى
فليس كذلك بل كل واحد من اللغتين أصل بنفسه للتصرف فلا يقال
الأصل العين ثم أبدلت النون منها •

وهى لهجة لا يزال بعض البدو ينطق بها فى الصحراء (١١٥)
كأعراب الفيوم الذين يرجعهم بعض الباحثين الى أصل عربى وأنهم
من بنى سعد (١١٦) ولعلها تناسب بيئة البدو •

الطمطمانية :

يذكر بعض اللغويين أن الطمطمانية معناها العجمة (١١٧) أو أن
يكون الكلام مشبها لكلام العجم قال الشاعر :

تبرى له حول النعام كأنها حرق يمانية لأعجم طمطم (١١٨)

وهى ابدال لام التعريف ميما •

يقول الثعالبي : الطمطمانية تعرض فى لغة حمير كقولهم : طاب
امهواء يريدون : طاب الهواء (١١٩) •

وفى حديث أبى هريرة : أنه دخل على عثمان وهو محصور
فقال : الآن طاب امضرب أى حل القتال أراد طاب الضرب فأبدل لام
التعريف ميما وهى لغة عربية يمانية (١٢٠) •

(١١٥) مميزات لغات العرب ١٥ •

(١١٦) لغة هنيل ١١٥ •

(١١٧) الفائق ٤٥٩/٢ •

(١١٨) الكامل ٢٣٥/١ •

(١١٩) فقه اللغة وسر العربية ١٢٩ ومجالس ثعلب ٧٣/١ •

(١٢٠) النهاية ١٥٠/٣ •

ويفرق ابن الأثير بين قلب النون الساكنة ميما مع الباء فى مثل
عبر وشنباء وأنبيئهم وهو ما يسمى بالاقلاب — عند علماء الأداء —
وبين قلب لام التعريف ميما فى مثل طاب الهواء وهى الطمطمانيّة
ويجعل النون لأهل اليمن فيقول : وفى كتابه صلى الله عليه وسلم لوائل بن حجر :
من زنى مم بكر فاصعقوه مائة أى اضربوه وأصل الصقع الضرب
على الرأس وقيل : الضرب بباطن الكف ومم بكر لغة لأهل اليمن
ومثله مم ثيب الخ ...

فقلب النون ميما أما مع بكر فلأن النون اذا سكنت قبل الباء
فانها تقلب ميما فى النطق نحو عبر وشنباء وأما مع غير الباء فانها
لغة عربية يمانية كما يبدلون الميم مع لام التعريف^(١٢١) وأهل اليمن
على هذا يبدلون النون ميما فى مثل مم بكر .

وروى عن شمر أنه سأل امرأة حميرية عن بلادها فقالت : النخل
قال ولكن عيشتنا امقمح — امفرسك — امعنب^(١٢٢) امحماط طوب أى
طيب ...

ويقول الحريرى :

« وقد روى عن حمير أنهم يجعلون آلة التعريف (أم) فيقولون :
طاب امضرب يريدون : طاب الضرب ، وجاء فى الآثار فيما رواه
النمر بن قولب أنه صلى الله عليه وسلم نطق بهذه اللغة فى قوله : ليس من امبر
امصيام فى امسفر^(١٢٣) .

وأنشد أبو عبيد : ونسب : الى بجير بن عتيمة المطائى :

ذاك خليلى وذو يواصلنى يرمى ورائى بامسهم وامسلمة

(١٢١) النهاية ٤٢/٣ ، ٣٦٣/٤ .

(١٢٢) المزهرة ٢٣٩/١ . وانظر التهذيب ٤٢٤/١ ولسان العرب

٣٦٣/١٢ .

(١٢٣) درة الغواص ص ٢٤٩ والنهاية ٣٠٣/٣ والخصائص ٤١١/١ .

أراد : بالسهم والسلمة وهى من لغات حمير (١٢٤) .

فأم هى أداة التعريف بلغة أهل اليمن بمعنى الألف واللام والألف فيها ألف وصل تكتب ولا تظهر اذا وصلت ولا تتنوع كما تقطع ألف أم ، وفى البيت السابق وصل الميم باللام وبتول الأزهري : والوجه ألا تثبت الألف فى الكتابة لأنها ميم جاءت بدل الألف واللام للتعريف (١٢٥) .

ويروى ثعلب عن الأخفش أنه سمع قائلًا يقول : قام امرجل ، يريد : قام الرجل قال ثعلب : هذه لغة للأزد مشهورة (١٢٦) .

ويقول الأشمونى : مثل (ال) (أم) فى لغة طيء (١٢٧) وتبدل اللام فى أداة التعريف ميم — سواء كانت (أل) شمسية أم قمرية كما ذكرنا فى الحديث السابق ليس من امبر الخ وقام امرجل فهذا الابدال حادث فى كلام اليمنيين فيما فيه (أ ل) مطلقا (١٢٨). ولكن ابن هشام فى المعنى يذكر أن بعض طلبة اليمن حدثه بأن اليمنيين لا يبدلون اللام ميم فى (أل) الشمسية ويخصون ذلك بأل القمرية قال (حكى لنا بعض طلبة اليمن أنه سمع فى بلادهم من يقول : خذ الرمح واركب امفرس ولعل ذلك لغة لبعضهم لروايتها فى امسيم وامسلمة وفى الحديث ليس من امبر الخ دخلت على النوعين) (١٢٩) .

والثابت ابدالها فى الشمسية والقمرية على سواء ورواية الطلبة ليست حجة لأنها تعبر عن طريقة اليمنيين المحدثين وربما حدث تغير لغوى وتأثر بعرب الشمال ولا سيما فى هذه العصور المتأخرة .

(١٢٤) التهذيب ٤٤٧/١٢ واللسان (سلم) .

(١٢٥) التهذيب ٦٢٥/١٥ .

(١٢٦) مجالس ثعلب ٥٨/١ .

(١٢٧) شرح الأشمونى ٥٩/١ .

(١٢٨) وانظر الهمع للسيوطى ٢٧٣/١ .

(١٢٩) مغنى اللبيب مع حاشية الأمير ٤٧/١ .

وقد جعل ابن جنى ابدال اللام ميما شاذاً لا يسوغ القياس عليه (١٣٠) لأنه لم يسمع غير الحديث : (ليس من امبر امصيام فى امسفر) وراوى الحديث هو النمر بن تولب الذى يقال : انه لم يرو عن رسول الله ﷺ غير هذا الحديث (١٣١) .

ونحن نرى تقارباً بين اللام والميم يسمح بالتبادل بينهما ، ولكن لأنهما لهجة مخالفة للشائع عدت شاذة تحفظ ولا يقاس عليها لكن ما سمع منها يحكى على ما هو عليه ، وقد نسبها الى حمير (١٣٢) غير واحد من الباحثين القدامى والمحدثين ، وبعضهم نسبها الى أهل اليمن أو طيء أو الأزدي وكلها قبائل يمنية جنوبية (١٣٣) لأن الأزدي من قحطان وطيء كذلك وهى قبائل كانت تسكن جنوب اليمن ، ونسبتها الى اليمن مشهورة .

(١٣٠) الخصائص ١/١١١ .

(١٣١) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ٨١ الوجهان ، وربما بنى ابن جنى رأيه على بعد مخرجيهما ولكن شيئاً آخر يسوغ هذا التبادل وقد ورد الحديث فى مسند الامام أحمد بلهجة حمير وهو حديث كعب بن عاصم الأشعري : حدثنا عبد الله عن أم الدرداء عن كعب بن عاصم الأشعري وكان من أصحاب السقيفة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ليس من امبر الحديث .. مسند أحمد ٥/٣٤٤ وورد الحديث بلام التعريف فى فتح البارى ٧/٩ ، ١١ فى كتاب الجهاد والسير والمغازى والصيغة الاولى ربما كانت فى التحدث الى يمينين ولعل اختلاف الرواية لاختلاف المقام الذى قيلت فيه .

(١٣٢) انظر المغنى لابن هشام ١/٤٧ والهمع ١/١٧٩ .

(١٣٣) النهاية ٣/١٣٩ والبيان والتبيين ٣/٢١٣ ومغنى اللبيب ١/٤٧ ، ٤٨ والهمع ١/٧٩ ودرة الفواص ٤٩ والأشبهونى ١/٩٦ ، ٩٧ وشرح الشافعية ٣/٢١٥ واللهجات العربية د. نجا ٤٨ وفى اللهجات العربية د. انيس : ١٤٢ عزاءها هؤلاء الى طيء وعزاءها ثعلب فى المجالس الى الأزدي ونسبها ابن يعيش فى الفصل ٩/٢٠٠ وابن منظور فى اللسان ١٠/٨٣ الى اليمن .

وبعض المحدثين ينبكر أن ينسب إبدال اللام ميما في أداة التعريف الى حمير لأن الحميريين لا يستعملون ذلك في التعريف ، وانما أداة التعريف عندهم (ن) أو (ان) ويزعم أن الحديث المروى في ذلك ضعيف أو مكذوب وضعه اللغويون شاهدا على الطمطمانية وأن الرسول تكلم بلسان حمير ، ويرى أن تنسب هذه الظاهرة الى بعض عشائر طيء^(١٣٤) ولكن ما رآه هذا المحدث غير صحيح ، لأنه رمى الحديث بالضعف والكذب دون دليل من علم الحديث ويتجرؤ غير مقبول ، مع أن الحديث صحيح روته الكتب المعتمدة ، فقد ورد في مسند الامام أحمد بن حنبل^(١٣٥) وفي موطأ الامام مالك^(١٣٦) وفي منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقى^(١٣٧) واللفقهاء استدلال بهذا الحديث في شأن المسافر .

وقد نسبت الطمطمانية الى حمير والى اليمن^(١٣٨) .

وزعم بعض الباحثين أن علماء العربية خلطوا بين اليمن وحمير وربما أنهم فعلوا ذلك لعدم معرفتهم باللغة الحميرية فظنوا أنها هي اليمنية والحق أن الحميرية شيء واليمنية شيء آخر^(١٣٩) .

والواقع أن هذا المدعى من التفريق بين حمير واليمن غير صحيح ، فاليمنية تشمل الحميرية ، وحمير كبرى الدول اليمنية وتنسب

(١٣٤) الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٥٧٦/٨ .

(١٣٥) ٤٣٤/٥ .

(١٣٦) ٩٨/٢ .

(١٣٧) هامش مسند احمد ٣٤٤/٣ .

(١٣٨) شواهد العينية على الاثموني ٩٦/١ وشرح الفصل ٢٠/٩ .

(١٣٩) اللهجات العربية في التراث ٣٩٩/١ ودراسات في اللغة العربية

د. خليل نامي : ٤٥ .

اليها اللهجات اليمنية فيقال اللهجات الحميرية أحيانا والسبئية أحيانا
أخرى (١٤٠) .

وبين اللام والميم نسب قريب إذ هما من الأصوات الذلقية
والمخارج متقاربة وبينهما اشتراك في بعض الصفات كالجهر والتوسط
بين الشدة والرخاوة — خلافا لسيوييه في اللام فانها شديدة عنده —
والاستتال والانفتاح (١٤١) .

(١٤٠) انظر كتابنا : اللغة العربية خصائصها وسماتها .

(١٤١) انظر كتابنا : أصوات اللغة العربية .

الامالة والفتح^(١)

الامالة : أن تتحو بالفتحة نحو الكسرة ، فتميل الألف ان كان بعدها ألف نحو الياء والا فالمال الفتحة وحدها مثل : نعمة وبسحر ورأيت خبط رياح ومن عمرو والفتى ، والهدى ، وملهى ، وأرطى^(٢) ، وباع ، وعالم ، وكاتب ، والضحي ، وشمال^(٣) وسريال (وانا اليه راجعون)^(٤) ونحو ذلك^(٥) .

هذا هو النوع المشهور بين القراء حتى ليكاد يفهم عند اطلاق اسم الامالة لدى الباحثين فى القراءات واللغة .

وقد أضاف ابن جنى الى ذلك ألوانا أخرى من الامالة :

١ - الفتحة المالة نحو الضمة :

وهى التى تكون قبل ألف التثخين نحو الصلاة والزكاة ودعا وغزا ، وقام وصاغ وقال : كما أن الحركة أيضا هنا ، قبل الألف ، ليست فتحة محضة ، بل هى مشوبة بشيء من الضمة ، فذلك الألف التى بعدها ليست ألفا محضة ، لأنها تابعة لحركة هذه صفتها ، فجرى عليها حكمها .

(١) قد يسمون الامالة الكسر والبطح والاضجاع ، ويسمون الفتح النصب .

(٢) الأرطى : شجر من شجر الرمل اللسان ط بيروت ٣٢٥/١ .

(٣) الشمال والشمال واحد بمعنى اليد الشمال ، والشمال : الناقة الخفيفة السريعة . اللسان ٣٧١/١١ .

(٤) فإذا كانت الفتحة وحدها — بدون ألف — أمليت نحو الكسرة مثل نعمة وبسحر ، وان كانت مع الفتحة ألف — أى بعدها — ذهبته الى جهة الياء كالفتى ونحوه ، وسيأتى شرح الامالة فى الأمثلة بعد .

(٥) سر الصناعة ٥٨/١ ، ٥٩ والأشمونى ٢٢٠/٤ — ٢٣٥ ، وأوضح المسالك مع المنار ٣٥٠/٢ — ٣٥٩ ، والنشر ٣٠/١ .

وامالة الفتح الى الضم لم يشتهر بين القدماء ولكن ابن جنى أوضحه على الصورة السالفة وقال : ان لح الامالة فيه هو الذى تسبب فى أنهم كتبوا الصلوة ، والزكاة والحيوة ، بالواو ، لأن الألف مالت نحو الواو ^(٦) ويقصد بذلك كتابتها فى المصحف العثمانى ^(٧) . .

٢ — الكسرة المشوبة بالضممة :

نحو : قيل ، وبيع ، وغيض ، وسيق ، فكما أن الحركة ، قبل هذه الياء ، مشوبة بالضممة ، فالياء بعدها مشوبة بروائح الواو .

وهذا قد تعرض له القدماء ، عند حديثهم عن بناء الفعل للمجهول ، وسموه بالاشمام ، يقول الأشمونى شارحا كلام ابن مالك : (واكسر أو اشمم فا) فعل (ثلاثى أعل . . عينا) واويا أو يائيا ، فقد قرئ : « وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء » بهما ، والاشمام هو : الايتان بحركة بين الضم والكسر ، وقد يسمى روما .

ويقول الصبان : الحركات ست : الثلاث المشهورة ، وحركة بين الفتحة والكسرة ، وهى التى قبل الألف الممالسة ، وحركة بين الفتحة والضممة ، وهى التى قبل الألف المفخمة ، فى قراءة ورش ، نحو : الصلاة والزكاة ، والحيوة ، وحركة بين الكسرة والضممة ، وهى حركة الاشمام ، فى نحو : قيل ، وغيض ، على قراءة الكسائى ^(٨) .

(٦) غير أن ابن جنى يقول بامالة نحو دعا وغزا (الى الياء) لأنها تثول الياء عند البناء للمجهول نحو دعى وغزى — بضم الفاء وكسر العين — وهو عند سييويه مطرد ، وقال المبرد : انه قبيح . اما الاسم ذو الواو مثل الصلاة والزكاة فلا يمال عندهم . انظر : الاشمونى ٢٢٢/٤ ، ٢٢٣ ، ٢٣١ .

(٧) سر الصناعة ٥٦/١ ، ٥٩ ، ٦٠ .

(٨) الاشمونى مع الصبان ٦٢/٣ ، ٦٣ .

والاشمام فصيح وان كان قليلا^(٩) وقد قرىء به فى القرآن الكريم : « ولما أن جاءت رسلنا لوطا سىء بهم » قرأ الجمهور (سىء) بكسر السين ، وأشماها نافع وابن عامر والكسائى ، وهكذا : « سيئت وجوه الذين كفروا » أشمها الضم أبو-جعفر والحسن ، وأبو رجاء ، وشيبة ، وابن وثاب ، وطلحة ، وابن عامر ، ونافع ، والكسائى^(١٠) .

وعلى الرغم من حديث القدماء عن ذلك فانهم لم يفصحوا عن الامالة الموجودة فى هذا المسلك اللغوى ، ولكن ابن جنى أوضحها .

٣ — الضمة المشوبة بالكسرة :

مثل : مررت بمذعور ، وابن بور ، نحوت بضمة العين ، والباء نحو كسرة الرء ، فأشمتها شيئا من الكسرة ، وكما أن هذه الحركة قبل هذه الواو ليست ضمة محضة ، ولا كسرة مرسلة فكذلك الواو ، أيضا ، بعدها ، هى مشوبة بروائح الياء .

ومثل ذلك : الفعل المبني للمجهول الأجوف فان بنى فقعس ، ودبير ، يضمون أوله ، فتقلب ألفه واوا ، فيقال فى باع : بوع ، وفى حاك : حوك كقول الشاعر :

ليت وهل ينفع شيئا ليت ليت شبابا بوع فاشتريت
وكقول الآخر :

حوكت على نرين اذ تحاك تختبط الشوك ولا تشاك

وبعض القبائل يميل الضمة فى الفعلين — وأمثالهما — نحو الكسرة ، وليس ذلك من الشيوخ والكثرة ، كغيرها من اللهجات^(١١) .

(٩) المغنى فى تصريف الأفعال ٢٠٢ .

(١٠) المصدر السابق ٢٠٣ .

(١١) الأسمونى ٦٣/٢ واللهجات العربية د. نجا ٧٧ .

وقد شرح ابن جنى الأسرار اللغوية الباعثة على حدوث الامالة من الفتحة الي غيرها من أخواتها ، وهى الكسرة والضمة ، دون العكس ، بأن نحى بالكسرة والضمة نحو الفتحة .

وقد اعتمد حديثه ، على أن الفتحة هى أول الحركات ، وأدخلها فى الحلق ، والكسرة بعدها ، والضمة بعد الكسرة ، فعند النطق بالفتحة تمر بمخرج الياء ، والواو ، لأنهما فى طريقها ، فجاز أن تشمها شيئاً من الكسرة ، أو الضمة ، ولو تكلفت أن تشم الكسرة ، أو الضمة ، رائحة من الفتحة ، لاحتجت الى الرجوع الى أول الحلق ، فكان فى ذلك انتقاض عادة الصوت ، بتراجعه الى ورائه ، وتركه التقدم الى صدر الفم ، والنفوذ بين الشفتين فلما كان فى اشملم الكسرة ، أو الضمة ، رائحة الفتحة ، هذا الانقلاب والنقض ، ترك ذلك فلم يتكلف ألبتة (١٢) .

وأما انتحائهم ، بالضمة نحو الكسرة ، وان كان فيه رجوع الى الراء ، فلأن بين الضمة والكسرة ، من القرب ، والتناسب ما ليس بينها ، وبين الفتحة ، وهو — مع ذلك — قليل مستكره ، ألا ترى الى كثرة : قيل وبيع ، وغيض ، وقلة : نحو : مذعور وابن بور .

وهذا الدليل قوى ، لأن الرجوع الى الخلف ، صعب على اللسان ، وجواز ذلك بين الضمة ، والكسرة ، راجع الى اشتراكهما فى معنى الثقل ، وطبيعة التكوين المخرجى ، الأمر الذى يجعل كلا منهما ، يشبه الآخر من هذا الاتجاه ، فيصير الجو مهيناً ، لاستقبال واسطة بينهما عن طريق الامالة ، فأما الفتحة ، فهى حركة مستعذبة ، وهى

(١٢) سر الصناعة ١/ ٦٠ ، ٦١ وقد بنى ابن جنى هذا التحليل الصوتى على ما لاحظته من أن الحلق ، والفم يفتحان مع الألف وأن الأضراس وجنبتى اللسان ، وظهره مع الحنك الأعلى تكون لها صورة خاصة ، حال النطق بالياء ، وأن الشفتين تستديران عند بروز صوت الواو ، فلأجل ذلك جعلها مرتبة على الوضع المذكور ، وعليه بنى احساسه بالانتقاض لصعوبة تحقيق خصائص كل منها ، حال الرجوع الى الخلف .

طريق آخر غيرهما ، فامتنع الرجوع منهما اليها ، للبعد الصوتي ، وعدم القدرة على مباشرة النطق ، على الهيئة المطلوبة ، ومع جواز امالة الضمة الى الكسرة ، فانه أمر مستكره ، على ما بينا .

وقد وصف القدماء ظاهرة الامالة ، وأوضحوا أسبابها ، على نحو فتح الطريق أمام المحدثين ، ليقولوا كلمتهم حسب نظريات علم الأصوات الحديث^(١٣) .

فقد ذكروا لها أسبابا عدة ، وجعلوا السبب الرئيسى ، منها : هو التناسب ، يقول الأشمونى : (اعلم أن الغرض الأصلي منها هو التناسب ، وقد ترد للقتبيه على أصل أو غيره ، كما سيأتى^(١٤) وذلك أن النطق بالفتحة ، والألف ، تصعد واستعلاء ، وبالكسرة والياء ، انحدار وتسفل ، فاذا أملت الألف قربت من الياء ، وامترج بالفتحة طرف من الكسرة ، فتصير الأصوات من نمط واحد ، فى التسفل والانحدار^(١٥) وعبر عن ذلك ابن جنى بقوله « لضرب من تجانس الصوت^(١٦) » وجعل سيبويه هذا التقريب التماسا للخفة^(١٧) .

كما عللوا لذلك بسببين آخرين ، أحدهما لفظى وهو : الياء ، والكسرة ، وثانيهما ، معنوى وهو : الدلالة على ياء أو كسرة ، وبينوا — من خلال ذلك — أن أسباب امالة الألف ثمانية :

١ — انقلابها عن الياء مثل : الفتى ، والهدى وهدى ، واشترى .

(١٣) انظر فى اللهجات العربية د. أنيس ٤ — ٥٩ وغيرها ورسالة الدكتور عبد الفتاح شلبى للماجستير عن الامالة فى القراءات واللهجات العربية .

(١٤) الأشمونى ٢٢٠/٤ ، ٢٢١ .

(١٥) المصدر السابق ٢٢٠/٤ ومنار السالك ٣٥٠/٢ والنشر ٣٥/١ .

(١٦) سر الصناعة ٥٨/١ وشرح المفصل ٥٤/٩ .

(١٧) كتاب ١١٧/٤ وانظر المفصل — نقلا عنه — ٥٤/٩ ، ٥٥ .

٢ — مآلها الى الياء ، فى بعض التصارييف كألف ملهى وأرطى
وغزا ، لقولهم : ملهيان ، وأرطيان ، وغزى بالبناء للمفعول^(١٨) .

٣ — كون الألف مبدلة من عين فعل يؤول عند اسناده الى التاء
الى قولك (فلت) بكسر الفاء ، سواء كانت تلك الألف ، منقلبة عن
عن ياء ، نحو : باع ، وكال ، وهاب ، أم عن واو مكسورة ، كخاف
وكساد .

٤ — وقوع الألف بعد الياء ، متصلة كبيان ، أو منفصلة بحرف ،
كشييان ، وجادت يداه ، أو بحرفين ، أحدهما الهاء ، نحو : دخلت
بيتها .

٥ — وقوع الألف قبل الياء كبايعته ، وسأيرته .

٦ — وقوع الألف بعد الكسرة ، منفصلة اما بحرف ، نحو :
كتاب وسلاح ، أو بحرفين ، أحدهما هاء نحو : يريد أن يضربها ، أو
ساكن نحو : شمال وسرداح^(١٩) أو بهذين وبالهاء نحو :
درهمك .

٧ — وقوع الألف قبل الكسرة ، نحو : عالم ، وكاتب .

٨ — ارادة التناسب ، وذلك اذا وقعت الألف ، بعد ألف فى
كلمتها ، أو كلمة قارنتها ، قد أميلتا لسبب ، فالأول كرايت عمادا ،
وقرأت كتابا ، والثانى كقراءة أبى عمرو والأخوين (والضحى)
بلامالة ، مع أن ألفها عن واو الضحوة لمناسبة (سحى) وما بعدهما .

(١٨) لذلك مستثنيات معروفة فى فن الصرف .

(١٩) السرداح : الناقة الطويلة ، وقيل : الكثيرة اللحم ، والسرداح
المكان اللين وأرض سرداح : بعيدة والسرداح : الضخم أو القوى الشديد
التام . اللسان ٤٨٢/٢ .

كما أن الفتحة تمال لوقوعها قبل حرف من ثلاثة :

١ - الألف : وقد مضت ، وشرطها : ألا تكون في حرف ، ولا في اسم يشبه ، « وذلك لأن الامالة نوع من التصرف وهو لا يدخل الحرف ولا ما يشبهه » .

٢ - الراء : بشرط كونها مكسورة ، وكون الفتحة في غير ياء ، وكونهما ، متصلتين ، نحو : من الكبر ، أو منفصلتين بساكن غير ياء ، نحو : من عمرو ، ورأيت خبط رياح .

٣ - هاء التانيث : وانما يكون هذا في الوقف ، خاصة ، كرحمة ، ونعمة ، لأنهم شبهوا هاء التانيث بألفه (٢٠) ، لاتفاقهما في المخرج ، والمعنى ، والزيادة ، والتطرف والاختصاص بالأسماء ، وعن الكسائي امالة هاء السكت - أيضا - نحو : (كتابيه) والصحيح المنع ، خلافا لتعلب ، وابن الأنباري (٢١) .

وقد نظر المحدثون الى هذه الأسباب المختلفة ، وفسروها تفسيراً يتناسب مع طبيعة التطور ، الذي خضعت له اللغة العربية ، كسائر اللغات ، والكائنات في تاريخها الطويل .

فالمعروف أن الامالة اشتهرت عند قبائل شرقى الجزيرة ووسطها مثل : أسد ، وعبد القيس ، وتميم ، وتغلب ، وطى ، وبكر ابن وائل .

كما اشتهرت على ألسنة قراءة الكوفة ، بالعراق في القرن الثانى الهجرى ، أمثال : حمزة ، والكسائي ، وخلف .

(٢٠) أى يآلف التانيث مثل ذكرى ونحوها .

(٢١) انظر في كل هذه الأسباب : الأشمونى وأوضح المسبالك ، واللفظ لابن هشام ، وانظر كتب القراءات مثل النشر واتحاف فضلاء البشر وغيرهما .

كما كان لها تأثير واضح — أيضا — على ألسنة علماء الكوفة ، وأهلها ، واستمر ذلك حتى عصر أبي عمرو الداني ، في القرن الخامس الهجري ، فقد قيل للكسائي : انك تميل ما قبل هاء التانيث فقال : هذا طباع أهل العربية قال الحافظ أبو عمرو الداني : ان الكسائي « يعني بذلك » (٢٢) ان الامالة لغة أهل الكوفة ، وهي باقية فيهم الى الآن ، وهم بقية أبناء العرب » (٢٣) .

وهؤلاء وأولئك متأثرون بالقبائل العربية التي هاجرت الى العراق من شرقي الجزيرة ، ووسطها ، وهم أرباب الامالة السابقون .

وهذه القبائل بدوية ، تميل الى عدم وضوح الأصوات ، والخلط بينها ، ولا ريب أن الامالة تخلق بين الصوتين ، فهي تجعل الفتحة قريبة من الكسرة ، والألف قريبة من الياء ، وهكذا تقرب الأصوات ، أو تتجانس ، ويحدث التناسب بينها .

وهذا يساعد على سرعة النطق ، وعدم بذل مجهود عضلي كبير ، وهو من خصائص البدو .

ويبدو أن الامالة ، كانت شديدة ، لدى قبائل وسط الجزيرة ، لتوغلهم في البداوة وبعدهم عن الحضار ، على حين كانت خفيفة لدى قبائل شرقيها ، لمتاخمتهم لمدن العراق (٢٤) .

أما الفتح — كما يسمونه وهو عدم الامالة — فانه يؤدي الى فصل الأصوات ، واعطاء كل منها حقه من النطق ، وهذا يحتاج الى

(٢٢) الاشارة الى امالة ما قبل هاء التانيث .

(٢٣) النشر ٨٢/٢ .

(٢٤) في اللهجات العربية ٩٠ ، ٩١ .

جهد عضلى كبير ، وهو من صفات المتحضرين الذين يميلون الى الأناة ، وعدم السرعة فى النطق ، وحياتهم المستقرة تدعوهم الى بذل مجهود أكبر ، لابرار الأصوات فى صورة واضحة ، متناسقة •

ولذلك اشتهر الفتح عن قبائل غربى الجزيرة ، من سكان الحجاز كقريش ، وثقيف ، وسعد بن بكر ، والأنصار ، وكنانة ، وهوازن •

والامالة والفتح ، حركتان تدخلان ضمن أصوات اللين ، سواء كانت الحركة قصيرة كامالة الفتحة ، أو طويلة ، كامالة الألف ، والفرق بين القصيرة والطويلة ، فى الأصوات اللينة ، لا يعدو أن يكون فرقا فى المدة ، التى يستغرقها النطق بكل منهما •

واللسان ، مع الفتحة ، يستوى فى قاع الفم ، ومع الكسرة يرتفع الى أقصى درجة فى الارتفاع بحيث لا يصدر حفيفا •

فعند استواء اللسان ، فى قاع الفم توجد حالة الفتح ، وعندما يرتفع ينشأ وضع الامالة •

وتبعاً لمقدار الارتفاع تكون الامالة شديدة أو خفيفة •

فالذى يلاحظ أن وضع اللسان عند الحضرى يختلف عنه عند البدوى ، فهو عند الأول مستوفى قاع الفم ، وهو عند الثانى مرتفع فى اتجاه الحنك الأعلى ، وهذا يحمل الإشارة بأن العرب كانت تتخير لنطقها ما يتفق مع طبيعتها الاجتماعية •

وقد قسم الدكتور ابراهيم أنيس الامالة الى نوعين مختلفين :

١ — صوت لين خالص ، تكون من صوت لين مركب •

٢ — تغير فى مقياس صوت من أصوات اللين •

وقال : اننا « نلاحظ الحالة الأولى ، حين يكون صوت اللين طويلا ،

ومنقلبا عن أصل ، من أصول الكلمة ، يأتيا كان أو واويا ، ففى مثل
الفعلين : باع ، وقال ، يظهر أنه قد أتى عليهما حين من الدهر كان
ينطق بهما (بيع وقول) ثم تطور الصوت الأول (ai) الى (e)
والصوت الثانى (au) الى (o) أى أن فتحة فاء الكلمة فى
الفعل الأول ، قد أميلت الى الكسرة ، وأنها فى الفعل الثانى ، قد
أميلت الى الضمة •

وعلى هذا اذا قيل لنا : ان من أسباب امالة ألف المد ، كون
أصلها ياء ، كما فى (باع) وجب أن نفهم من هذا أن الأصل اليائى ،
قد تطور أولا ، الى الامالة ، ثم تطورت الامالة الى الفتح ، أى أن
المراحل التى مر فيها مثل هذا الفعل (باع) هى (بيع) ثم (امالة)
ثم (فتح) فالصوت المركب (ai) قد تطور أولا الى (a)
ثم الى (e) وهكذا يرجح الدكتور أنيس أن بعض الكلمات العربية التى
اشتملت على ياء أصلية ، قد تطورت أولا الى الامالة ، ثم الى
الفتح (٢٥) •

واستنبط من هذا أن قبائل الحجاز التى عرف عنها الفتح ، قد
قطعت مرحلة أخرى ، فى تطور لهجاتها ، على حين أن بعض القبائل
فى وسط الجزيرة ، وشرقها قد احتفظت بمرحلة الامالة ، التى هى
أقدم حين تكون الياء ، أصلية فى الكلمات •

ويرجع السر فى احتفاظ البدو بهذه الظاهرة ، الى أنهم عرفوا
بها ، فتعصبوا لها •

وقارن بين هذا النطق الفصيح ، وبين ما تطورت اليه بعض
اللهجات الدارجة فى مصر فى مثل كلمات (ليه وايه) ففى الفيوم

(٢٥) للاقتصاد فى الجهد العضلى ، والميل الى السهولة التى يلجأ
اليها الانسان فى معظم ظواهره الاجتماعية •

يقولان لاه ، وعشان آه و (شىء) (ai) تطورت الى (شىء) (e)
بل يقولون : شاء عجيب (٢٦) .

لما حين تعرض الامالة ، لغير أصل من أصول الكلمة ، كامالة
الفتحة أو امالة ألف المد غير المنقلبة عن أصل ، فليس هذا الا نوعا
من الانسجام بين أصوات اللين ، لتقليل الجهد العضلى ، وهو منسوب
الى القبائل البدوية أيضا ، لأن الحضريين يميلون الى وضوح
الأصوات وفصلها (٢٧) .

وقد استنتج — بناء على هذا — أن كلمة (كتاب) — كما ينطق
بها بغير امالة — أقدم فى نسجها منها مع الامالة .

ومن هنا انتهى الى أن امالة الفتح الى الكسر ، يجب فى الحقيقة
أن يعزى الى أحد عاملين :

١ — الأصل اليائى .

٢ — الانسجام بين أصوات اللين .

وجعل من الثانى الانتقال من الكسر الى الفتح فى تلك الأفعال
الثلاثية التى رويت لنا مرة ، مثل : فرح ، وأخرى مثل : فتح ، دون
تغير فى معناها مثل : خطف ، خبط ، قنط ، وصورة فرح أقدم ،
وقد تطورت الى صورة فتح ، ليتحقق الانسجام بين الحركات (٢٨) .

وتطور الأصوات ، وانتقالها من حال الى حال ، لا يؤمن بها
بعض القدماء ، كابن جنى ، فهو لا يعترف بأن ما قرروه أصلا ، كان
مستعملا فى زمن ما ، يقول : هذا الموضع كثير الايهام لأكثر من

(٢٦) فى اللهجات العربية ٥٤ — ٥٧ .

(٢٧) المصدر السابق : ٩١ .

(٢٨) المصدر السابق ص ٥٧ ، ٥٨ .

يسمعه ، لا حقيقة تحته ، وذلك قولنا : الأصل ، فى قام ، قوم ، وفى باع : بيع ، وفى طال : طول ، وفى خاف ونام وهاب : خوف ، ونوم وهيب ، وفى شد : شدد ، وفى استقام : استقوم ، وفى يستعين : يستعون ، وفى يستعد : يستعد ، فهذا يوهم أن هذه الألفاظ ، وما كان نحوها ، مما يدعى أن له أصلا ، يخالف ظاهر لفظه ، قد كان مرة يقال ، حتى أنهم كانوا يقولون فى موضع : قام زيد : قوم زيد ، وكذلك : نوم جعفر ، وطول محمد ، وشدد أخوك يده ، واستعد الأمير لعدوه وليس الأمر كذلك ، بل بضده ، وذلك أنه لم يكن قط مع اللفظ به الا على ما تراه ، وتسمعه .

وانما معنى قولنا : انه كان أصله كذا : أنه لو جاء مجيء الصحيح ، ولم يعلل لوجب أن يكون مجيئه (على ما ذكرنا) فأما أن يكون استعمل وقتا من الزمان كذلك ثم انصرف عنه ، فيما بعد الى هذا اللفظ ، فخطأ ، لا يعتقده أحد من أهل النظر^(٢٩) .

ولسنا مع ابن جنى فى كل ما قال ،

فهو يدعى أن الأصول المتروكة لم تستعمل مطلقا ، فى أى زمن مضى ، ولو أنه حدد ذلك بما بعد عصر تهذيب اللغة ، ونزول القرآن الكريم بها ، لكان حكمه مقبولا .

أما وقد أطلق القول بذلك فى كل الأزمان دون تحديد ، فانه غير دقيق ، اذ يختلف أمر اللغة ، أبان نشأتها ، عنه بعد اكتمالها ، ونزول القرآن الكريم بها .

فقد كانت ، الأصوات ، والمفردات ، والتراكيب ، — فيها أول أمرها — غير ناضجة ، ففيها الأصوات المتتافرة ، والكلمات الحوشية ،

(٢٩) الخصائص ٢٥٦/١ ، ٢٥٧ .

والتراكيب السقيمة ، وقد تخلصت من كل ذلك بعد صراع اللهجات •
بنشأة لغة عامة مهذبة تكلم بها العرب جميعا ، ونزل بها كتاب الله
العزیز •

ولو قبلنا رأى ابن جنى من بعض جوانبه فسلمنا له بأن بعض
هذه الأصول لم يستعمل يوما ما ، فأننا لا نستطيع أن نسلم له ،
أن الأصول جميعها لم تستعمل مطلقا ، إذ أن بعض هذه الأصول
لم يزل يستعمل — بعد عصر تهذيب اللغة — ، فهي بقايا تدل على
أن أصولا أخرى كانت تستعمل كذلك ثم تغيرت واستقامت على
منهج قويم •

ويعترف ابن جنى باستعمال بعض هذه الأصول القديمة قبل
التهذيب فيقول : « اعلم — مع هذا — أن بعض ما ندعى أصليته ،
من هذا الفن ، قد ينطق به على ما ندعيه من حاله ، ومن ذلك :
أطولت ، وضننوا ونحوهما فاتها تخرج هكذا منبهة على أصل الباب ،
وشد وذن ، وفر ، واستعد ، واطمأن ، الأصل فيها : اشدد ،
واضنن ، وافرر ، واستعدد ، واطمأنن ، فهذان الاستعمالان —
بالادغام والفتك — كما يقول — لغتان حجازية وتميمية (٣٠) •

فالذى نؤمن به أن التطور ، قد عمل عمله ، فى اللغة العربية ،
حتى تهذبت ، واكتمل نموها ، فى لغة عامة ، نزل بها القرآن الكريم •

وقد اعتقد ذلك رأى الأستاذ عبد الله العلايلي الذى قال :
« أن كل هذه التقديرات ليست الا حيلة المتحيل ، وأما هى من الوجه
الحق ، فليست بأكثر من كونها أثرا من آثار التطور العام ، الذى
تخضع له كل لغة ، فى سيرها الارتقائى ، وتبقى هذه البواقى ،
والتخلفات ، لأسباب مكانية وظرفية ، أو لأن التطور لم يتم دورته »

بما يكفى لأن يأتى على كل موائل الوجود المعضوم» (٣١) .

ويقول أيضا : « ليس الاعلال من اصطناع النحاة ، بقدر ما هو من عمل العربى ، وعمل النحاة ، تصرف أسلوبى فقط ، لأن الاعلال حقيقة راهنة ، فى صميم اللغة ، وهذا يدل على رقى عقلية العرب » (٣٢) .

كما قرر التطور فى حركات الكلمة ، وقال : انه ليس افتراضا ، بل بقى فى العربية ، ما يدل عليه ، ولذلك قيل : ليس فى كلام العرب (فعل) بكسر الفاء وضم العين الا حبك ، وشرح هذا المثال عندنا : أن أصله (حبك) بكسر الحاء وضم الباء ولما قضت العربية ، باستثقال هذا البناء ، ولامتته ، نقلوا كلماته ، بأحد وجهين ، أما اتباع الفاء للعين ، (حبك) بضمتين واما اتباع العين للفاء (حبك) بكسرتين ولما كان الاتباع فى المضم قليلا نظن بأن العربية قد قصدت أن تستقر عليها بالكسر ، ويقول العاليلى : لكن الجمع بين الكسر والضم ، لازما حيث كان ينبو الطبع عنه ، فاهمل (٣٣) .

وهذا يؤيد وجهة النظر السابقة فى القول بالتطور اللغوى : بما فى ذلك تطور صيغ الامالة فيما رآه الدكتور أنيس .

وقد جنى الدكتور أنيس تفسيره للنوع الأول من تلك الصيغ على أساس سكون الياء ، أو الواو ، فى الأصل ، على حين يذكر القدماء أن الأصل فى مثل هذه الصيغ حركة العين .

قال ابن جنى : « كان الأصل فى قام : قوم ، وفى خاف : خوف ، وفى طال : طول ، وفى باع : بيع : وفى هاب : هيب ، فقاما

(٣١) مقدمة لدرس لغة العرب ١٧٩ ، ١٨٠ .

(٣٢) المصدر السابق ٢١٦ ، ٢١٧ .

(٣٣) المصدر السابق ص ١٨٢ .

اجتمعت ثلاثة أشياء متجانسة ، وهى الفتحة ، والواو ، أو الياء ، وحركة الواو ، والياء ، كره اجتماع ثلاثة أشياء متقاربة ، فهربوا من الواو ، والياء ، الى لفظ تؤمن فيه الحركة ، وهو الألف وسوغها — أيضا. — انفتاح ما قبلها (٣٤) .

واذا جاز هذا الاحتمال ، فلعل العرب قد استتقلوا النطق ، مع توالى أشياء ، متجانسة ، فبعضهم تخلص من ذلك بالقلب ألفا ، وبعضهم الآخر تخلص بالامالة .

أما تفسيره للنوع الثانى ، الذى قصد به التناسب ، فهو مبنى على أن الامالة مرحلة متأخرة فى بعض الكلمات .

ومع فقدان الدليل التاريخى ، فى مثل هذه الأحوال ، فإننا لا نمنع أن يكون شئ من التطور — لاختلاف بعض القبائل عن بعض فى النشأة وعوامل الاجتماع — قد اعترى اللغة ، وموادها فى نشأتها الأولى ، وقد صار ذلك اتجاها لهجيا فيما بعد ، وقد استقرت الأولى لدى البدو . وانتشرت الثانية فى الحضر ، ولجأت اليها اللغة النموذجية ، للوضوح ، والفصل بين الأصوات ، ومخارج الحروف ، والحركات ، التى هى من أخص خصائص الحضارة ورقى الاجتماع .

وأما تجويز المتأخرين من النحاة ، والقراء ، للأمرين ، — الامالة والفتح — فى الألفاظ التى يمكن تحقيقها غيها ، فذلك ليس راجعا الى جوازه بين العرب ، الأولين ، بحيث كان الواحد ، أو الطائفة

منهم ، تتطق بالكلمة ، طورا مماله ، وطورا آخر مفتوحة ، لأنه
ممتنع عليهم ، كما بينا •

وانما الجواز الذى أرادوه بالنسبة للسان العرب بعد أن أصبح
لغة عامة ، لا قبلية^(٣٥) فمن الجائز لنا الآن أن ننطق بأى الصورتين ،
فكل منهما لهجة عربية صحيحة منذ بدايتها ، ولذا لا يجوز أن نرمى
المتأخرين بالخطأ فى قولهم بجواز الامالة^(٣٥) •

(٣٥) الامالة فى القراءات واللهجات العربية ١٠١ وجمع الجوامع
ط ١٣٢٧ ج ٢ ص ٢٠٠ •

الهمز والتسهيل

الهمزة : صوت يخرج من أقصى الحلق كما يقول علماءنا القدامى ومن الحنجرة — على ما توصل اليه علم الأصوات — وهى صوت مجهور شديد عند القدماء ، ولا مجهور ولا مهموس — على ارجح الآراء فى العصر الحاضر — وينطبق معها الوتران تماما ثم ينفرجان فيخرج صوت له دوى وانفجار وفرقة شديدة ، ولذا كانت تحتاج الى مجهود عضلى كبير حال نطقها ، ولذا وجدنا العرب يختلف بعضهم عن بعض فى نطقها والتمسك بها فى كلامهم ، فوجدنا منهم من يحققها ، ووجدنا منهم من يخففها بابدالها بحرف من جنس حركة ما قبلها أو جعلها بين بين أو حذفها^(١) والهدف من ذلك التخفيف فى هذا الصوت القوي بتحويله الى أصوات لينة ليتمكن نطقها بيسر وسهولة ، ولكن فريقا من العرب تعود نطق الأصوات الصلبة فتدسك بها ومع ما يبدو من هذا التبادل الشكلى لا توجد علاقة صوتية تسوغ ذلك :

١ — فالألف صوت انطلاقى مجهور أى حركة أو مصوت على نقيض الهمزة •

٢ — والهمزة من الحنجرة والواو من أقصى اللسان والياء من وسط اللسان مع ما يحاذى الموضعين من الحنك والاعلى •

٣ — والهمزة صوت انفجارى شديد وهما انطلاقيان (لينان) •

٤ — والهمزة صوت ذو وجود صوتى وسياقى (فونوتيكى وقونولوجى) أما هـا فتوجد هـا انطلاقى سياقى (قونولوجى) فحسب مهـا تـكـن أحوال وجودهـا فى المادة اللغوية •

(١) المقتضب : ٥٢/١ •

هـ - الهمزة صوت مجهور أو لا هو بالمجهور ولا بالمهموس وهما مجهوران إلا في حالة خاصة وهي حالة الوقف على مثل الصفو والسعى حيث يمكن أن يتعرضا للهمس في هذا الموقع ، وهو ما يقع أحيانا لحركات أواخر الكلمات في حالة ما سماه القدماء بالروم ، وهي حالة من حالات الوقف (٢) .

وتبعا لهذه الفروق كان للمحدثين من العلماء نظرات أخرى الى حوادث الابدال بين الهمزة والواو والياء والألف ومن هؤلاء (هنري فليش) فقد ذكر ان سبب الابدال هو الاحداث الصوتية التي تلتزم بها اللغة العربية الفصحى وتفسر جانبا من علم الصرف وأهم مبادئ هذه الاحداث ما يلي :

(أ) من ناحية المقطع : كراهة الاحتفاظ بصوت طويل أو مزدوج في المقطع المقفل مثل : احمار - وقراءة (ولا الضالين) فهما في الأصل : احمار - ولا الضالين - فتجنبنا المقاطع الجديدة بإبدال الألف همزة ، وفي مثل وجوه ووسادة (wo) - (we) يتمكن الصوت المزدوج فيكره ولذا تبدل الواو همزة فيقال : أجوه ، اساده .

(ب) من ناحية عدم التوافق بين الفونيمات : كراهة النطق بالصوامت الضعيفة مع مصوت من جنسها أو بعض ما يغيرها والصوامت الضعيفة مع مصوت من جنسها تتمثل في الواو مع الضمة والياء مع الكسرة ومع بعض ما يغيرهما كالواو مع الكسرة .

(ج) من ناحية طبيعة الأصوات الساكنة : ضعف الواو والياء بين المصوتات .

(٢) القراءات القرآنية : ص ٨٨ والأصوات اللغوية ص ٣ .

وقد طبق فليش قاعدته على حالات الابدال ونرى ضعف هذه القاعدة لما يلي :

١ - لم يفرق فليش - بمقياسه السابق - بين أنواع الابدال الواجب والجائز والشاذ ولم يفصح عن سبب الوجوب وغيره .

٢ - لم يستطع فليش تفسير ابدال الهمزة تفسيراً وافياً فهناك أمثلة كثيرة مثل : ووعد وووفى والظبي والدلو ونأى وآى (جمع آية) توجد فيها التراكيب المكروهة التى ذكرها وهى wi - yi - wu ومع ذلك لم تقلب همزة .

٣ - اعتبر فليش ما سوى التراكيب الصوتية ayi - awi - awu يقاس عليها وفى ذلك يدخل التركيبان aya - awa وهما تركيبان خفيفان غير مكروهين لولا أن القياس قد وحد النموذج اللغوى وقد نص القدماء على كراهة العرب النطق بمثل هذه التراكيب أيضاً وصرح بذلك ابن جنى فقال :

« وانما كان الأصل فى قام قوم وفى خاف خوف وفى طال طول وفى باع بيع وفى هاب هيب فلما اجتمعت ثلاثة أشياء متجانسة وهى الفتحة والواو أو الياء وحركة الواو والياء كزه اجتماع ثلاثة أشياء متقاربة فهربوا من الواو والياء الى لفظ تؤمن فيه الحركة وهو الألف وسوغها انفتاح ما قبلها » (٣) .

وفى الأمثلة التى ذكرها ابن جنى يوجد التركيبان aya - awa وقد عدهما مكروهين ولم يقل بالقياس على النموذج اللغوى وبذلك تقل الحاجة الى منهج فليش بالقياس الموحد .

وكان ممن خرج على الأقدمين وثار على رأيهم من المحدثين الدكتور شاهين فقد قال « القدماء أخطأوا في تصور الابدال فيما سبق لسبب بسيط هو عدم وجود العلاقة الصوتية المشروطة لحدوث الابدال »^(٤) ، وعلى أساس هذه التخطئة حاول أن يفسر المسألة برأى جديد يقول « واننا لنقرر ابتداء أن أساس الحل في رأينا لن يتأتى الا من طريق التحليل الصوتي للعناصر المركبة أعنى تحليل المزدوج أولا الى عناصره البسيطة ومن طريق هذا التحليل نستطيع التعرف على ما تبقى من العناصر الصوتية وما حذف منها كما نستطيع تحديد وظيفة الهمزة في السياق الصوتي »^(٥) ، وقد أقام نظرية جديدة لتفسير ابدال الهمزة على أساس النبر وأوضح مبادئ تتعلق بالمشكلة وهي خصائص نطقية تكونت للسان العربى من أهمها ما يأتى :

١ — الأصل والأغلب فى الوقف السكون ولكنهم لم يطبقوا ذلك منهجيا بل اعتبروا حروف العلة وأشباهاها سواكن لا حركات ولئن جاز ذلك بالنسبة لأشباه حروف العلة فانه لا يجوز بالنسبة لحروف العلة نفسها الا لضرورة نحوية أو دلالية .

٢ — قالوا لا يبتدأ بساكن بل بهتحرك ولكنهم لم يعتبروا الحركة الا اذا كانت تابعة لحرف وبدهى أنهم أخرجوا حروف العلة وأشباهاها من جملة الحركات مع أننا نرى أن حروف العلة تكبير للحركات .

٣ — العرب كانوا يكرهون النطق بمقاطع مفتوحة متوالية وبذلك تفسر كراهيتهم لتوالى الحركات الذى يضعف النظام المقطعى^(٦) .

(٤) القراءات القرآنية ص ٧٧ .

(٥) المصدر السابق ص ٧٨ .

(٦) المصدر السابق ص ٧٨ ، ٧٩ .

وعلى هذا يتضح رأى المؤلف فى ان الهمز كان لدى العرب ذا وظيفتين : الهروب من تتابع الحركات ، والمبالغة فى النبر فيتحول بذلك نبر الطول الى نبر قوتر^(٧) وعلى هذا الأساس قرر نظريته ، ولتقريرها نقول :

الهمزة اما بدل من واو أو ياء أو ألف ، فاذا كانت الواو أو الياء فى كلمة فاما أن تكون فى أولها أو وسطها أو آخرها كما قررنا ، فاذا كانت فى آخرها مثل كساء وبناء يقول الدكتور شاهين انه لا ابدال فى هذا بل ان العربى يكره الوقف على مقطع مفتوح ويريد اقفاله فأحل الهمزة محل صوت اللين لا على سبيل الابدال بل من أجل تصحيح نهاية الكلمة^(٨) ويقرر انه لا توجد واو ولا ياء وانما هو ضمة أو كسرة فبالتحليل الصوتى لكلمة كساء ترى Kisaw ← Kisa ← Kisa ، ويتأكد ذلك بالنطق فنحن نقول كساو فننطق ضمة بعد الألف وبناء فننطق كسرة بعد الألف فالمقطع مفتوح وان بدا شكليا أو الواو والياء ساكنتان ، والحقيقة أن الملتقى فتحة طويلة ٢٠ ضمة أو كسرة وليست هناك واو أو ياء فالمقطع مفتوح فلما أريد اقفاله للوقف حولت الحركة الى همزة ، وقد فسر ألف التأنيث الممدودة بذلك فقال انها تحولت الى همزة لكراهية العرب الوقف على مقطع مفتوح^(٩) ، وقد جعل الدكتور شاهين الوقف بالهمزة مثل حبلاً ورأيت رجلاً وهو بضرباً والوقف بهاء السكت مثل قه وارمه وغلامهوه وغلامكيه وواجعفره هربا من المقطع المفتوح ، فالمقطع قد أقفل بصوت لا وظيفة له سوى الاقفال وهما منشابهان الهمزة والهاء اذ هما من الأصوات الحنجرية ويود الدكتور شاهين لو أطلق

(٧) المصدر السابق ص ٨٠ .

(٨) المصدر السابق ص ٨٢ .

(٩) المصدر السابق ص ٨٤ .

على الهمزة اسم السكت مثل الهاء^(١٠) ، وإذا كانت الواو أو الياء في وسط الكلمة مثل قاول وبياع وقلويد وعجأوز ونياف وسياود فإنه يفسر الابدال في ذلك بأنه أتى بالهمزة هرباً من تتابع الحركات فقاوّل بالكتابة الصوتية qawil وبياع bayi ثم أصبحتا bau, qauil فيتبين من ذلك التقاء ثلاث حركات متتابة ، ففي الأول (قاول) الفتحة الطويلة والضمّة القصيرة والكسرة القصيرة وفي الثاني (بيع) الفتحة الطويلة والكسرتان القصيرتان ولذلك نبر المقطع الثاني بالهمز فصار qai,il قائل ، bai بائع^(١١) ويفسر الدكتور توالى الحركات أيضاً بأنواع أخرى من النبر .

١. — قول وبيع ليس فيهما موقع نبر .

٢. — قول وبيع بتشديد العين — مزدوج اكتسب مناعة بالتشديد وهو توتر نبرى^(١١) .

٣. — خطايا تغير النبر الى طول انحرّة وهذا عند من لا ينبرون^(١١) .

٤. — وقد وصف نوعاً من النبر لا تحول معه الواو أو الياء وسط الكلمة همزة وانما يفصل بين عنصري المزدوج بالهمز بعد أن كانا متصلين وهذا من خصائص الناطق البدوي وقد لجأ الى ذلك نتيجة شعوره بأن الانزلاق بين الحنصر الأول من عنصري المزدوج الى الحنصر الثاني لا يحقق صورة النبر كما تعودها فكان الهمز وسيلة الى ذلك دون أن يسقط من المزدوج شيئاً ، وهذا يتأتى في مثل الكلمات الآتية ونوضحها بالكتابة الصوتية هكذا :

خطوات ←	xutuut	←	xutuut
تفاوت ←	tafaut	←	tafa' ut

(١٠) المصدر السابق ٨٥ ، ٨٦ .

(١١) المصدر السابق ص ٨٨ ، ٨٩ .

turi' anni	←	turianni	اما ترينى ← ترئنى
ma'itun	←	maitun	انهم مايتون ← مائتون
durri' un	←	durriun	درى ← درىء
ta' ammamu	→	ta - i - ammamu	تيمموا ← تأمموا

وسقط فى المثال الأخير من الحركة الثلاثية عنصرها الثانى (١٢) من (aia) وهذا من أجل النبر (١٣) ، أما اذا وقعت الواو فى أول الكلمة مثل وواصل ووعاء ووقتت ووجوه فقد فسرہ على أنه قد نبر الى الهمز لعدم امكان النطق بحركة فى بدء الكلمة ولو كتبنا الكلمة الأولى وواصل كتابة صوتية نجد أنها تبدأ بحركات يصعب نطقها وهى WAW ASIL وتكتب عند التحليل الى Ua - Ua - Sil فنبر المقطع الأول فصارت كتابتها a - wasil (١٣) ومن هنا رد سبب الهمز فيما سبق ونحوه الى الاتجاه العام السابق وهو كراهة أن تبدأ الكلمة فى العربية بحركة (١٤) .

أما ابدالها من الألف فى مثل ولا الضالين وشابة ودابة ونحوها مما وقعت فيه حركة طويلة بعدها صوتان ساكنان فقد فسرہ على أساس النبر فيقول : ونفسرها نحن بما سبق أن قررناه من أن النبر فى لسان قبائل البادية يأخذ صورة التوتر على حين يأخذ صورة الطول فى لسان غيرهم من الحضريين (١٥) ، وفى مثل ساق وباز ويوقنون ونحوها مما وقعت فيه حركة طويلة بعد صوت ساكن أو لين مزدوج عند همزها يقرر أيضا نفس المبدأ فيقول لا يمكن تفسيره بغير

(١٢) المصدر السابق ص ١٣٠ ، ١٣١ .

(١٣) المصدر السابق ص ٩١ .

(١٤) المصدر السابق ص ١٢٩ .

(١٥) المصدر السابق ص ١٢٨ .

النبر الذى تعودته السنة بنى أسد ، هذا هو اتجاهه العام
وان كان قد تعرض الى أن ما نحن بصدده من أمثلة الهمزة هو من
الأحداث الصوتية اللهجية فذكر أن مثل ولا الضالين لغة كما قال
أبو حيان وأبو الفتح^(١٦) ونسب بعض الهمز السابق الى بنى أسد
وهم من قبائل وسط الجزيرة وشرقيها^(١٧) .

نظراتنا حول رأى الدكتور شاهين :

لقد تناول الدكتور شاهين الموضوع وفسره على أنه لا ابدال
فيه ولكن النبر هو الذى تسبب فى هذا التغيير ، ولكن مقاييسه لم تف
بالمطلوب من التفسيرات والتوجيهات :

١ - وفيه ثلاث نقاط :

(أ) تحدث الدكتور شاهين عن الواو والياء فى آخر الكلمة
وقال ان السبب فى احوال الهمزة محلها فى هذه الحال هو أن العربى
يكره الوقف على مقطع مفتوح ويريد اقفاله والواقع أن الكلمات لم
توضع فى الأصل لتستعمل مفردة بل لتستعمل فى تراكيب تؤدي معنى
مقصودا وعلى هذا فالوصل هو طريق استعمال ألفاظ اللغة لا الوقف
فاذا قيل كساو الصيف خفيف وبنائ البيت ثابت الدعائم مثلا فليس
هنا وقف على مقطع مفتوح وكذلك لو نطقنا كساو وبنائ (بالفتوين)
لم يوجد المقطع المفتوح أيضا .

(١٦) المصدر السابق ص ١٢٦ ، ١٢٧ وقراءة اشتروا الضلالة لغة
عند الكسائى وهى عند البصريين لحن فالظاهرة لهجية وان لم تقبلها
قواعد البصريين ويزيد أمرها وضوحا نسبتها الى قبيلة غنى من قبائل
وسط الجزيرة (يهزون ما لا يهز) كما يقرره صاحب اللسان ١٧/١
ورثاث زوجى - لبأت بالنحج الخ .

(١٧) المصدر السابق ص ١٢٨ .

(ب) ثم لماذا لم تقلب كل من الواو والياء همزة في مثل غاي ورأي وطاو وراو مع تحقق ما قال فيها لو فرضنا حالة الوقف ؟ ولماذا لم يحدث ذلك في مثل التراخي والفيافي والتسامي مع وقوع الياء طرفا ووجود المقطع المفتوح في حال الوقف أيضا ؟ •

(ج) على مقياس الدكتور شاهين لا نجد تفسيراً لاختلاف حالات التثنية والجمع المتعددة من وجوب بقاء الهمزة في مثل قراء وقلبها واوا في مثل صحراء وترجيح أحدهما في مثل كساء وبناء وعلباء ، ولو سلمنا له بأنه يعلل للألفاظ المفردة فإنه قد علل لنحو حمراء بأنها نبرت لأقفال المقطع وكان يمكن أن يقفل بطريق آخر مثل حبلاً فيقال حمراً مثلاً ؟ فلم يختص كل بطريق ؟ على أنه قد تبع بروكلمان في أن علامة التانيث تطورت على النحو التالي à - a - ah - at ومعنى ذلك أن العربي كان ينطق بها حمرة — تم حمرة — ثم حمري ، ثم حمراء ، وهذا التطور لا دليل عليه ومع ذلك فلو تصورنا صحته لأمكن أن يقفل المقطع فيقال حمرة — أو حمرة بالرجوع الى أصل سابق وبهذا يتبين عدم دقة رأيه المذكور •

٢ — وقد تحدث أيضاً عن الواو والياء في وسط الكلمة وسبب تغييرهما الى همزة بأنه لتتابع الحركات ورأيه ذلك ينطبق على نحو قاول وبائع فعلى أمر وهما مثل قائل وبائع اسمى فاعل فلماذا فرق بينهما ؟ ، كذلك يماثل عجائز ونيائف جداول وقساور ومعاول ومقاول فما الفرق الذي سبب القلب أولاً ومنعه ثانياً ؟ ، مع تحقق قانونه فيه وهو تتابع الجركات مما يستدعي الهرب منه الى النبر بالهمزة ولم يحدث •

٣ — على أنه لم يفرق بين ما يجب وما يجوز وما يمتنع من الهمز في الألفاظ التي وجدت فيها واو أو ياء أولاً فبعضها يجب همزه مثل

وواصل — وواق — وولى وبعضها يجوز مثل وسادة — وشاح —
وجوه وبعضها يمتنع مثل واصل — يواقيت — وورى •

ولست مع المحدثين فى اعتبار الواو والياء غير المدتين حركتين
فان التقسيم المقتضى يؤكد اعتبارهما صوتين ساكنين مثل : يقع ويذر
ووزن ووعد فكل من الكلمات السابقة مكون من ثلاثة مقاطع كل
منهما مكون من صوت ساكن : لين قصير وفى مثل : وجوه لا يمكن
الاعتراف بأن الواو مجرد حركة لأنه اذا كانت كذلك فقد قلبت
الضمة (u) على هذا الفرض همزة فى أجوه ، ومن أين أتت
ضمة الهمزة بعد القلب المذكور ؟

وبذلك نتأكد أن طريقة الأقدمين أشمل وأضبط •

-ولسنا نشك لحظة فى أن ما تعودده اللسان العربى فى معاملته
للواو والياء والهمزة ناشئ عن بعض الكراهات التى لم يألّفها غير أن
أسباب هذه الكراهات تحتاج فى الحقيقة الى شيء من التحليل
يكشف عن مدى ما تحتويه من ثقل أو تنافر يلجأ الناطق حياله الى
المخالفة أو التصرف بصورة ما هربا من هذا الذى يكرهه (١٨) •

وتخفيف حرف العلة بالقلب همزة هو ما رآه الأقدمون وتألّوا
به وذلك متحقق أيضا فى تخفيف الهمزة وتحويلها الى واو أو ياء أو
ألف وذكر ابن سيدة أن شيوخ ابدال الهمزة لشبهها بحروف العلة
من جئات الحذف وجعلها بين بين وقلبها على حركة ما قبلها ومن أجل
أنها من أقصى الحلق فاذا أبدلت أولا جرى اللسان الى جهة القدام
فهذا يطرد عليه الابدال فلاجتماع الشيئين من مناسبة حروف العلة
وأنها من أقصى الحلق يستمر بها اللسان لاخراج الحرف جاز أن
تبدل من غيرها (١٩) •

(١٨) المصدر السابق ٧٨ •

(١٩) المخصص ٥٦٨/١٣ •

وقال أيضا أن حروف العلة تقلب لطلب الخفة والكثرة والمناسبة ،
وقد تحدث علماء الصرف عن هذا النقل حتى انهم قالوا فى تعريف
الاعلال :

تغيير حرف العلة بالقلب أو التسكين أو الحذف للتخفيف (٢٠) .

وعدوا الهمزة من حروف الاعلال وقالوا : انها حرف شديد
مستثقل يخرج من أقصى الحلق فلذلك الاستثقال شاع فيها التخفيف
لنوع من الاستحسان (٢١) ومن هنا منع وقوع الهمزة فى كلمة فاء
وعينا معا أو عينا ولاما معا وعلى ذلك ابن جنى بثقل الهمزة فكيف
بالمهزتين معا ، قال فى سر الصناعة : « وانما لم تجتمع الفاء والعين
ولا العين واللام همزتين لثقل الهمزة الواحدة لأنها حرف سفل فى
الحلق ويبعد عن الحروف وحصل طرفا فكان النطق به متكلفا فاذا
كرهت الهمزة الواحدة فهم باستكراه الثنتين ورفضهما — لا سيما
اذا كانتا مصطحبتين غير مفترقتين فاء وعينا أو عينا ولاما — أخرى
فلهذا لم تأت فى الكلام لفظة توالى فيها همزتان أصلا ألبتة (٢٢)
فلهذا كان الإبدال بين الهمزة وتلك الحروف الثلاثة ولأجله أيضا
خففت الهمزة بتسهيلها وجعلها بين بين وكل ذلك من ضروب التخفيف
وألوانه .

والهمزة لأنها صوت حنجري شديد مما يناسب البيئة البدوية
وهى قبائل وسط الجزيرة وشرقها فهى أساسا من لهجات تميم وقيس
وبنى أسد ومن جاورهم والتسهيل فى أصله لهجة البيئة المتحضرة
وهم أهل الحجاز وبخاصة قريش فى مكة والأوس والخزرج فى
الديعة .

(٢٠) شرح الشافية للحسينى ١٨٥ .

(٢١) شرح الشافية للعصام ص ١٥٠ .

(٢٢) سر الصناعة ٨١/١ .

ولم يكن الحجازيون جميعا يعيدون عن تحقيق الهمز الى تسهيله
يبل منهم من استهواه تحقيقه وهم من سماهم سبيويه (أهل
التحقيق) فكانوا ينطقون بالهمز كاخوانهم من القبائل المخففة له .

يقول سبيويه : « وقد بلغنا أن قوما من أهل الحجاز من أهل
التحقيق يحققون نبىء وبريئه وذلك قليل ردىء » (٢٣) .

ومن قبائل الحجاز (عكل) التى هى من طابخة ، وطابخة من
خندف التى سكنت الحجاز ونسب اليها ابن جنى (ترقؤه) فقال
انها لغة لبعض عكل (٢٤) .

ومما يدل على مناسبة الهمز للبدو لثقل الهمزة أن ابن جنى قال :
ان بعض من تقوى لغته ويتعالى تمكينه وجهارته دون أن يطفى به
طبعه ويتخلى به اعتماده ووطؤه يدل من الألف همزة فيحملها
الحركة التى كان كلفا بها ومصانعا بطول المدة عنها فيقول شأبة
ودأبة (٢٥) وسمعها بعضهم من بنى كلاب (٢٦) .

وقد حاول ابن جنى تفسيرها بأنه كره اجتماع الساكنين الألف
والحرف الأول من المضعف بعدها فحركت الألف لالتقاءها فانقلبت
همزة لأن الألف حرف ضعيف واسع المخرج لا يتحمل الحركة فاذا
أضطروا الى تحريكه قلبوه الى أقرب الحروف منه وهو الهمزة (٢٧) .

(٢٣) الكتاب ١٧٠/٢ واللسان ١٤/١ : اتى النبى صلى الله عليه
وسلم رجل فقال له : يابىء الله قال الرسول صلى الله عليه وسلم له :
« انا معشر قريش لا ننبر » . التهذيب ٢١٥/١ .

(٢٤) الخصائص ٢٠٧/٣ .

(٢٥) المصدر السابق ١٢٦/٣ .

(٢٦) اللسان ١٤/١ .

(٢٧) سر الصناعة ٨٢/١ .

وهو صورة من صور التوتر النبرى على لسان بعض البدو (٢٨) .
وقد قال عيسى بن عمر : ما آخذ من قول تميم الا بالنبر وهم
أصحاب النبر وأهل الحجاز اذا اضطروا نبروا (٢٩) .

والمراد بالنبر الهمز وقد كانت قبائل العرب يتأثر بعضها ببعض
فى الهمز والتسهيل فيمكن أن نجد أمثلة قد سهلت فيها الهمزة فى بيئة
نجد والعكس فى بيئة الحجاز فقد قرأ أهل الكوفة قول الحق سبحانه :

« ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » بالياء والتخفيف (٣٠)
(ومن يوت) .

وكذلك قرئت هذه الآيات : (قال يا آدم أنبيئهم بأسمائهم)
أنبيهم — (واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن
مستيزئون) — مستهزون — بغير همزة (٣١) وتخفف بنو أسد لرؤف
وأهل مكة من أهل الحجاز يحققون بعض الهمزات كبرىء ونبىء .

وهذا كله دليل على تأثر هذه القبائل بعضها ببعض فى الهمز
والتسهيل بحيث انتشر ذلك على لسان القبائل ولا سيما بعد التوحد
اللغوى .

(٢٨) القراءات القرآنية ١٩٨ .
(٢٩) اللسان ٢٢/١ ، والكتاب ٥٣/٣ .
(٣٠) مختصر الشواذ ص ١٧ .
(٣١) المصدر السابق ص ٢ وما بعدها .

إبدال الهمزة من حروف العلة

الأمثلة التي تتبادل فيها الهمزة وحروف العلة لها صور منها ما يكون واجبا ومنها ما يكون جائزا ومنه ما يعد شاذاً *

ومن أمثلة ذلك ::

١ — أمثلة تبدل فيها الهمزة وجوبا : حمراء وصفراء وصحراء
— علاء — كساء وقضاء وبغاء — عباءة وصلاة — عطاءة — علباء
وحرباء — أولى *

٢ — أمثلة تبدل فيها الهمزة جـوازا : أقتت ووقتت — أجـوه
ووجوه — اشاح ووشاح ، اعاء ووعاء — اسادة ووسادة — أناة
ووناة — أسماء ووسماء — آلل ويلل — رثبال وريبال — أدـه ويده *

٣ — أمثلة تبدل فيها الهمزة شذوذا : الخبالين — جان — شأبة
— دأبة — اشعال — ادهأمت — أبيض — المشتق — أحب المؤقدان الى
مؤسى — العالـم — الخأتم — نأر — قوقأت الدجاجة — حلات
السويق — رثأت المرأة زوجها — لبأ الرجل بالـحج^(١) — سواتهما ،
أفى السوتنتنة^(٢) — ربا^(٣) *

والذى يبدو أن هذا الإبدال لا تسوغه علاقة صوتية ، وقد
أوضح بعض المحدثين المفارقات بين حروف العلة الثلاثة وبين الهمزة
من عدة وجوه كما ذكرنا *

(١) ينظر فى هذه الأمثلة : سر الصناعة ٨٢/١ — ١١٥ والخصائص
١٤٢/٣ — ١٤٩ والمحتسب ١٤٦/٢ ١٤٧ ، ٣٣١ ومواضع أخرى متفرقة
فيه والمفصل ٩/١٠ وما بعدها .
(٢) المحتسب ٧٢/١ .
(٣) المصدر السابق ٤٤/٢ .

ويقسم القدماء الهمز — كالأمثلة المذكورة — الى واجب وجائز موافق للقياس فهو لذلك مطرد والى مخالف له فلا يطرد ، وقد اطرده عنهم قلب ألف التانيث همزة ، وابدال الهمزة من الواو والياء منه ما يكون واجبا قياسيا ومنه ما يخرج عن القياس وذلك فى موضعين : أحدهما : أن تقر الهمزة الواجب تغييرها فلا تغيرها والآخر : أن ترتجل همزا لا أصل له ولا قياس يعضده ، فم أمثلة الأول : خطائى ومنه قولهم : غفر الله له خطائئه ودريئة ودرائى ، ومن الثانى أمثلة كثيرة ذكر بعضها هنا كالعالم والسأسم والخاتم وكلا النوعين غير مقيس^(٤) وكله شاذ غير مطرد فى القياس^(٥) وقبال أبو العباس : قلت لأبى عثمان : أتقيس ذلك ؟ قال : لا ولا أقبله^(٦) .

والتفسير الحق يجعل الأمثلة التى وصفت بالجواز والشذوذ من اختلاف اللهجات ولم يكن ذلك بعيدا عن فهم بعض القدماء فقد نبه عليه ابن جنى بعبارات واضحة تفيد أن هذا التعبير أو ذاك لهجة عربية فيقول — معلقا على قراءة : (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان) يالهمز — : حكى أبو العباس عن أبى عثمان عن أبى زيد قال : سمعت عمرو بن عبيد يقرأ (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان) فظننته قد لحن حتى سمعت العرب تقول : شأبة ودأبة ويؤكد ذلك بشعر سمع عن العرب من مثل قوله :

وبعد انتهاض الشيب من كل جانب

على لمتى حتى اشعال نهيمها^(٧)

وهذا ليثبت وروده بأدلة واقعية تفيد أنه لهجة عربية يتكلم بها

(٤) الخصائص ١٤٢/٣ وما بعدها .

(٥) سر الصناعة ١٠٢/١ .

(٦) المصدر السابق ٨٣/١ .

(٧) المصدر السابق ٤٧/١ والمحاسب ٤٧/١ .

ويقول عن مثل العالم والخاتم انه « قد حكى عنهم » فالى من يعود الضمير ؟ انه لا شك عائد الى العرب الذين يدأب على ذكر اسمهم في هذا الموضوع كأن يقول — فيما سبق هذا : فان قيل : فلم قلبت العرب لام فعلى — بفتح الفاء اذا كانت اسما وكان لامها ياء — واوا الخ وقوله : فالجواب : أنهم انما فعلوا ذلك الخ^(٨) .

وهذا كلام يفصح عن أن هذا التحقيق للهمز وعدمه لهجتان عربيتان مسموعتان عن فريقين لكل منهم اتجاه في النطق غير أن ابن جنى لا يكاد يفصح عن اسمى الفريقين اعتمادا منه على أن قارئه كتبه على معرفة بلهجات العرب .

ويذكر الأزهري أن عطاء لغة في عظاية واعاء نغة في وعاء^(٩) ونسب صاحب البحر الى هذيل قولهم في (وعاء) : (اعاء) عند تفسيره قوله تعالى : (من وعاء أخيه)^(١٠) قال : وقرأ ابن جبير (من اعاء) بابدال الواو المكسورة همزة كما قالوا : اشاح واسادة في وشاح ووسادة وذلك مطرد في لغة هذيل يبدلون من الواو المكسورة الواقعة أولا همزة^(١١) وتنسب أيضا لتميم^(١٢) وكذلك همزها بنو عقيل ، ومثلها الحوت في الحوت همز شاذ وينسب همز المشتق لبعض بنى سليم ، نقل الأزهري عن الفراء قال : سمعنا أعرابيا من بنى سليم يتشد :

فانها حيل الشيطان يحتل

وقال وغيره من بنى سليم يقول : يحتال بغير همز .

(٨) سر الصناعة ٩٩/١ ، ١٠٠ .

(٩) التهذيب ١١٨/٣ .

(١٠) يوسف ٧٦ .

(١١) البحر ٣٣٢/٥ .

(١٢) الابدال لابن السكيت ص ٥٦ ، ٥٧ .

قال : وأنشد بعضهم •

يا دار مى بدكاديك البرق سقيا وان هيجت شوق المشتاق

وغيره يقول المشتاق (١٣) •

وعد من همز التوهم همز ما لا همز فيه اذا ضارع المهموز روى ذلك الفراء عن بعض العرب قال : وسمعت امرأة من غنى (١٤) تقول : رثأت زوجى بأبيات كأنها لما سمعت : رثأ اللبن ذهبت الى أن مرثية الميت منها قال : ويقولون : لبأت بالحج وحلأت السوق فيغلطون لأن حلأت يستعمل فى طرد الوارد عن الماء ومنعه منه يقال : حلأته عن الماء : طردته ومنعته وحلأ السوق : حلاه همزوا غير مهموز لأنه من الحلواء ، وورد فى اللغة : لبأت — بتشديد الباء وتاء التأنيث — وقع اللبأ وهو أول اللبن — فى ضرعها ، ويقال : لبأ بالحج — كلبى ، فكأنه من اللبأ « (١٥) •

وفى شأبة ودأبة نسب الهمز الى بنى كلاب وعقيل وتميم وهذيل (١٦) وعلى ذلك وصف بالشذوذ لخروجه على القواعد •

ونسب الهمز فى (جؤن) الى عقيل ، وهم فرع من تميم (١٧) والى تميم والكلمة بالواو لأهل الحجاز (١٨) ، وبعضهم يصف الكلمة بالواو بأنها خطأ يقولون : (جونة والصواب جؤنة وجمعها جؤن) (١٩) •

(١٣) التهذيب ٢٤١/٥ (حال) •

(١٤) غنى من قيس وهى من القبائل التى تميل الى الهمز • جمهرة انساب العرب ص ٢٤٤ •

(١٥) التهذيب ١٢٤/١٥ ، ٦٨٣ ، ٢٣٤ والقاموس ١٣/١ ، ٢٨ •

(١٦) المصدر السابق ٦٩١/١٥ باب الهمز وتحقيقه والدرر اللوامع ٢٣٠/٢ والمنصف ٢٨١/١ •

(١٧) التهذيب ٤/١١ وقلائد الجمان ص ٢١٠ •

(١٨) المزهرة ٢٧٦/٢ •

(١٩) تثقيف اللسان ص ٨٥ •

وقال أبو بكر الأنباري : الحدأ جمع الحدأة وهو طائر ... وقال أبو حاتم : أهل الحجاز يخطئون فيقولون لهذا الطائر : الحديا وهو خطأ ويجمعونه الحدادي وهو خطأ ، قال الأزهري : وروى عن ابن عباس أنه قال : لا بأس بقتل الحدو والأفعو للمحرم فكأنه لغة في الحدأ والحدياتصغير الحدو^(٢٠) . لكن لا يصح وصف ذلك بالخطأ لأنه لهجات.

وهي لغة أهل اليمن^(٢١) وكذلك آخذه وواخذه لغة لأهل اليمن^(٢٢) ، والطائيون كانت مساكنهم باليمن قبل أن يجاوروا بني أسد^(٢٣) فانتقلت معهم الظاهرة بعد الرحيل وأهل الحجاز أوصدت الباب إذا أطبقت عليه شيئاً وتميم تقول آصدت^(٢٤) .

إبدال حروف الة من الهمزة

إبدال الواو :

١ — من همزة أصلية كأن تكون الهمزة مفتوحة وقبلها ضمة فتبدل تخفيفاً مثل جون في جؤن وسولة في سؤلة وفي تخفيف : هو يضرب أباك : هو يضرب وباك : وفي تخفيف : هو يقتل أخاك : هو يقتل وخاك فالواو هنا مخرصة وليس فيها شيء من بقية الهمزة^(٢٥) .

وتقول أيضاً في آخيت وأخيت : فالواو بدل من الهمزة لأن

(٢٠) التهذيب ١٨٧/١١ ، ١٨٨ .

(٢١) المصباح المنير ص ٨ ، ٩ .

(٢٢) المصدر السابق ص ٦ .

(٢٣) معجم ما استعجم ٦٠/١ وقلائد الجمان ص ٧٢ .

(٢٤) المزهري ٢٧٧/٢ .

(٢٥) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثاني من الورقة ص ١٠٩

وانظر التهذيب ٢٠٤/١١ .

لام الكلمة واو فهي مأخوذة من الأخوة ولا توجد كلمة فاؤها ولاهما
واو وقرأ ورش وأبو جعفر (لا يواخذكم الله باللغو) (٢٦) .

٢ — من همزة مبدلة كقولك في تخفيف : يملك أحد عشر هو
يملك واحد عشر ، وفي يضرب أناة : يضرب وناة وذلك أن الهمزة
في أحد وأناة بدل من واو وأصله وحد لأنه من الواحد وامرأة
أناة من الونى وهو القتور (٢٧) .

٣ — من همزة زائدة مثل أن تقول : غلام وحمد في غلام أحمد
وفي هو يكرم أصرم هو يكرم وصرم فالهمزة في أحمد وأصرم
زائدة (٢٨) .

إبدال الألف :

١ — إذا التقت همزتان الأولى مفتوحة والثانية ساكنة تبدل من
الثانية ألف مثل آدم وآمين وهذا الإبدال واجب .

٢ — اجتماع الهمزتين المتحركتين في أول الكلمة مثل أنذرتهم
يجوز تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وبألف بين الهمزتين وحذف الأولى
منهما إذا فهم المعنى .

وفي هذه الآية اجتمعت همزة الاستفهام وهمزة القطع في الفعل
(أنذر) وفيها عدة أوجه : (٢٩)

(٢٦) سورة البقرة الآية ٢٢٥ وانظر الاتحاف ١١٧ .

(٢٧) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٠٩ وانظر
التهذيب ٢٠٤/١ .

(٢٨) المصدر السابق (دار الكتب) ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ والأزهر ،
الوجه الثانى من الورقة ص ١٠٩ وانظر القاموس ٤/٣٩٦ ، ٤٦٧ .

(٢٩) الاتحاف ٤٤ ، ١٢٥ . والنشر ٣٦٣ .

— قرأ بتحقيق الهمزتين عاصم وحمزة والكسائي وغيرهم
وبتحقيق الأولى وتسهيل الثانية ورش من طريق الأصبهاني وابن كثير
ورويس وغيرهم ، ومعنى تسهيل الهمزة جعلها بين بين يقول سيبويه :

« اعلم أن كل همزة مفتوحة كانت قبلها فتحة فانك تجعلها اذا
أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة وتكون بزنتها محققة غير
أنك تضعف الصوت ولا تنتمه وتخفى لأنك تقربها من هذه الألف » (٣٠) .

وقرأ بألف بين الهمزتين آنذرتهم ابن عباس وعبد الله بن أبي
اسحاق وهشام في أحد طرقه .

وقرأ بحذف الهمزة الأولى الزهري وابن محيصن ، وتحذف لدلالة
المعنى عليها وثبوت ما عادلها وهو (أم) (٣١) .

• وهناك قراءة بحذف الهمزتين (سواء عليهن نذرتهن) .

ونسب تحقيق الهمزتين الى تميم وتسليها بين بين الى أهل
الحجاز وادخال ألف بينهما الى بعض الحجازيين والى بعض تميم ،
وقال سيبويه :

« أهل الحجاز يخففونهما جميعا » (٣٢) .

٣ — ابدال الهمزة ألفا في مثل رأس وقرأت وأخطأت واحبنتأت
وشأمل فتصير ألفا تقول فيها : رأس — قرأت — أخطأت — احبنتأت
— شامل وفي الحديث : ارجعن ما زورات غير ماجورات ، فأنت مخير
— هنا بين التحقيق وعدمه — في حالة سكون الهمزة وفتح ما قبلها

(٣٠) الكتاب ٥٤١/٣ ، ٥٤٢ وشرح السيرافي وسر الصناعة ٥٣/١ .

(٣١) البحر ٤٨/١ والإتحاف ص ٤٤ .

(٣٢) البحر ٢٧/١ والكتاب ٥٥٠/٣ ، ٥٥١ .

وهو ابدال قياسى ، ويرى الكوفيون فى الحديث أنه انما أريد به ازدواج الكلام لقوله ماجورات^(١١) وفى الهمزة المفتوحة المتحرك ما قبلها مثل ملاً يجوز تسهيلها بقلبها ألفا وهو ابدال غير قياسى لأن مخرج الهمزة وكثيراً من صنفاتها تختلف عن الألف ، ولذا يعد من باب اختلاف اللهجات •

إبدال الياء : وهو على أرجه :

١ — واجب : اذا اجتمعت همزتان والأولى منهما مكسورة تقلب الثانية ياء مثل ايمان وايلاف مصدرى آمن وآلف وهذا لون من الابدال القياسى الواجب •

٢ — جائز : يجوز فيه تحقيق الهمزة وتسهيلها بقلبها ياء وهو نوعان :

(أ) قياسى : يتحقق فى كل همزة سكنت وانكسر ما قبلها فاذا أردت تخفيفها قلبتها ياء خالصة فتقول فى تخفيف ذئب وبئر : ذيب وبير ، وكما اذا انفتحت وانكسر ما قبلها مثل بئر ومئر بكسر الأول وفتح الثانى ، تقول فيهما : بير ومير ، وفى تصغير : أقؤس وأرؤس : أقيس وأريس •

(ب) غير قياسى : كما أبدلوا الهمزة ياء لغير علة طلباً للتخفيف مثل : قرئت وتوضيت فى تخفيف قرأت وتوضأت وكما قال زهير :
جرىء منى يظلم يعاقب بظلمه سريعا وان لا ييىد بالظلم يظلم
أراد : يبدأ فأخرج الكلمة الى ذوات الباء •

(٣٣) سر الصناعة (الأزهر) ١٢٨ ، ١٢٩ وانظر اللسان ١/ ١٢٤ ،
١٢٨ ، ١٥٢ ، ١٩٠ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ .

ومثله قول الآخر :

وكفت أذل من وتد بقاع بشج رأسه بالفهر واجى

فأجراها وصلا ولو كانت همزة أو نويت همزة ما جاز أن يأتى
بها وصلا • وكذلك قول الشاعر :

إن السباع لتهدغن فوارسها والناس ليس بهاد شرهم أبدا

أبدل الهمزة ياء ضرورة^(٣٤) •

ويخضع تخفيف الهمزة بإبدالها واوا للنظرة السابقة فهي تعود بنا
الى اللهجتين المشار اليهما •

والقدماء يفسرون ذلك على الابدال ، فالهمزة هي الأصل فى
الأسلوب العربى والواو التى أبدلت منها تعد دخيلة عليها وكأنهم بذلك
يعدون الهمز صفة من صفات اللغة المشتركة النموذجية لا صلة له
باللهجات من قبل •

وتذكر معجمات اللغة هذا الاتجاه ، يقول صاحب اللسان :

« ورجل سؤله : كثير السؤال وأصل السؤل الهمز عند العرب
استثقلوا ضغطة الهمزة فيه فتكلموا به على تخفيف الهمزة^(٣٥) وقال
ابن برى : الهمز فى جؤنة وجؤن هو الأصل والنواو فيها منقلبة عن
الهمزة فى لغة من خففها^(٣٦) وكان الفارسى يستحسن ترك الهمزة
وأصله الهمز^(٣٧) ولكن الهمز — كما ذكرنا — لون من ألوان النبر

(٣٤) سر الصناعة (دار الكتب) ص ٣٧٩ ، ٣٨٠ •

(٣٥) اللسان ٣٣٩/١٢ •

(٣٦) المصدر السابق ٣٥٧/١ •

(٣٧) القاموس ٢٤٦/٤ •

لجأت اليه القبائل البدوية كبنى تميم وينسب التسهيل للقبائل الحضرية كبعض أهل الحجاز وعلى هذا فلا إبدال بين الهمزة والواو ولا صحة لما يقال فى المعجمات وغيرها من ان الهمزة فى أناة بدل من الواو فى وناة^(٣٨) وانما يقال : انهما لهجتان عربيتان غاية الأمر أن الواو لهجة أهل التخفيف من الحضر والهمز فى الأصل لهجة بنى تميم ومن على شاكلتهم وعلى هذا قيل أحدث الله ووحدته ورجل أحد ووحد «^(٣٩)» .

وفى إبدال الهمزة ألفا أو ياء نلاحظ الاتجاه اللهجى فى مثل رأس وأخطأت وملاً وذئب وأقوُس وأرؤُس ونحوها عند تسهيلها وان كان القدامى سموا بعضه إبدالاً قياسياً — حال سكون الهمزة — وسموا بعضه الآخر إبدالاً غير قياسى — حال تحريك الهمزة .

فأكثر العرب تحقق الهمزة الساكنة المتحرك ما قبلها ولكن تميماً تميل الى تخفيفها بإبدالها مدة من جنس حركة ما قبلها واستعمال التخفيف فى غير ذلك غير مقيس حقاً ، فإبدال الهمزة المفتوحة ألفا غير قياسى وإبدال الهمزة ياء فى مثل قرئت وتوضيت طلباً للخفة غير قياسى كذلك ولذا ينص اللغويون على عدم جواز وضع ياء مكان الهمزة يقول صاحب اللسان « ولا تقل أخطيت وبعضهم يقوله »^(٤٠) و « لا تقل توضيت وبعضهم يقوله »^(٤١) .

والقياس — كذلك — يمنع أن تحذف الهمزة كما فى (يبد) فى قول زهير وقلبها ياء حتى ساغ له أن يستخدمها وصلاً فى قافية البيت وقد قلبها الشاعر ياء ثم حذفها فى (هاد) فى البيت الأخير .

(٣٨) اللسان ٢/٢٩٨ .

(٣٩) المصدر السابق ٤/٤٦٥ .

(٤٠) المصدر السابق ١/٥٩ .

(٤١) المصدر السابق ١/١٩٠ .

فهذه التصرفات غير قياسية ولا مطردة إذ لا نقرب فى هذه
المواضع الا بشروط خاصة تعرف فى فن التصريف ، ولعل ذلك
الموصوف بالشذوذ هو من سمات أصحاب التسهيل من القبائل العربية
ولعله لمخالفته القواعد العامة حدث من بعضهم دون بعض ويؤيده
قول ابن سيدة :

« ان قول العرب أخطيت ليس بتخفيف قياسى وانما هو تخفيف
بدلى محض لأن همزة أخطأت ساكنة قبلها فتحة فتحة فصورة تخفيف
الهمزة التى هذه نصبتها أن تخلص ألفا محضة فيقال : أخطأت كقولهم
فى تخفيف كأس : كأس (٤٢) »

وأما الأمثلة الأخرى فتخضع لقانون اللغة النموذجية المشتركة
التي اتخذت الهمز من مبادئها •

اببدال حروف العلة بعضها من بعض

اببدال الواو من الألف والياء :

(أ) من الألف :

من ألف أصلية : مثل الى ولدى (اسمى رجلين) تشبيهما :
الوان ولدوان والوات (اسم امرأة جمعا) فألفاتيا أصول غير زوائد
ولا مبدلة (٤٣) ولما سمي بها انتقلت الى حكم الأسماء (٤٤) وهذا هو
القانون وبه وصى التصريفيون (٤٤) •

ومن ألف مبدلة : وهى على ثلاثة أضرب :

(٤٢) المحكم ٩/١ •
(٤٣) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ص ١٠٦ •
(٤٤) المصدر السابق (الأزهر) الوجه الاول من الورقة ص ١١٠ •

- ١ — مبدلة من واو مثل عصوى وقنوى فى الاضافة الى عصا وقتنا •
- ٢ — مبدلة من ياء مثل : فتوى وسروى فى النسب الى فتى وسرى •
- ٣ — مبدلة من همزة مثل : تصغير آدم على أويدم وجمعه على أوادم وأصله أأيدم وأآادم •
- ٤ — من ألف زائدة مثل : ضويرب وضوارب فى تحقيق ضارب وجمعه جمع تكسير (٤٥) •

(ب) من الياء :

- ١ — من ياء أصلية : مثل موقن وموسر (وكل ياء مفردة ساكنة قبلها ضمة) ومثل سيد وميت وغازية ومحنية وقالوا : مقضو عليه ومنهجو عن المنكر والحيوان أصل لامة ياء لأنه لا يوجد فى كلامهم كلمة عينها ياء ولامها واو كما هو رأى الخليل وسيبويه خلافا لأبى عثمان المازنى •
- ٢ — من ياء مبدلة : فأصل مصدر ضارب ضيراب لو سميت به ثم صغرته قلت ضويرب •
- ٣ — من ياء زائدة : مثل بيطر وسيطر تقول عند بنائهما للمجهول : بوطر وسوطر (٤٦) •

إبدال الألف من الواو والياء :

- ١ — إبدالها منيها أصلين : نحو قام وغزا وباع ورمى وربما خرج شئ من ذلك على أصله تتبيها على أصل الباب نحو : حوكة

(٤٥) سر الصناعة (دار الكتب) ٢٩٦ — ٣٠٠ .

(٤٦) المصدر السابق ٣٠٠ — ٣٠٥ .

وخونة وقود وصيد وحيد^(٤٧) .

٢ — ابدالها منهما منقلبتين نحو (رحوى) اسم رجل اذا رخمته مثل يا حار (على لغة من ينتظر) قلت : يارحا — تحذف ياء النسب فتبدل الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فالألف حينئذ بدل من الواو وهذه الواو بدل من ياء رحيان ومثله ترخيم ملهى على تلك اللغة ، ونحو ذلك فى الياء المنقلبة مثل أعطى وأغزى قلبت الواو ياء اذ أصلهما (أعطو — أغزو) فصار (أعطى — أغزى)^(٤٨) ثم قلبت الياء ألفا للسبب السابق ، وكأن تبني من قرأ على مثال (دحرج) فتقول : قرأى فالألف الأخيرة بدل من ياء هى بدل من همزة حسب مراحل معلومة فى فن التصريف .

٣ — ابدالها منهما زائدتين ، فمن الواو مثل أن تسمى رجلا (عنوق) ثم ترخمه على يا حار (لغة من ينتظر كما سبق) فتقول : يا عنا (اذ أصله يا عنو) الا أن الواو تقلب ألفا لأنه لا يوجد فى العربية اسم آخره واو قبلها ضمة فالألف هنا بدل من الواو الزائدة ومن الياء مثل زميل اسم رجل تقول فى ترخيمه على يا حار : يا زما فتحذف احدى ميميه وتقلب ياءه الساكنة ألفا ومثله : سلقى وجعبي فى سلقيت وجعبيت فالألف هنا — كذلك — بدل من الياء الزائدة^(٤٩) .

(٤٧) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٢٩ والصيد : عدم الالتفات كبرا كما يفعل بعض الناس أو من داء كذلك الذى تصاب به الأبل فلا تستطيع أن تلوى أعناقها ، والحيد : ما شخص من نواحى الشيء (أى : نتأ وبرز) . وله معان أخرى . انظر : اللسان ١٣٦/٤ ، ١٣٧ ، ٢٥٠ .
(٤٨) أغزى الرجل : حمله على أن يغزو أو أعطاه دابة يغزو عليها ، وقال سيويوه : وأغزيت الرجل أمهله وأخرت ما عليه من الدين . اللسان ٣٦٠/١٩ .

(٤٩) سر الصناعة (الأزهر) ١٣٠ وسلقة سلقا وسلقاء : طعنه فائقاه على جنبه يقال : طعنته فسلقته اذا القيته على ظهره وربما قالوا سلقيته سلقاء — بالكسر — يزدون فيه الياء كما قالوا : جعبيته جعباء من جعبته أى صرعه . اللسان ٢٦٠/٦ ، ٢٨/١٢ ، ٣٣٠ والقاموس ٢٥٥/٣ .

ومن قلب الياء والواو ألفا قلبا غير قياسى : القلب فى يئأس الى
ياعس وفى يوجل الى ياجل ونحو ذلك من قول الشاعر :
تبت اليك فتقبل تابتي وصحت ربي فتقبل صامتى
أى توبتى وصومتى •

« قلبوا فى ياعس وياجل وان كانت انواو والياء ساكنة
طلبيا للخفة » وأما صوغ المضارع على الطريقة السابقة فهو
اكتفاء بأحد جزئى العلة وهو لهجة عربية ، ومسألة الابدال فى ذلك
غير متحققة لعدم توافق الألف والواو والياء مخرجا وصفة فهى
لهجات وليست من باب الابدال فى شىء ، فلو او طبيعة تختلف عن
الألف تماما حتى منع علماء العروض ان تتناوب الألف معها فى
قافية القصيدة الشعرية وكذلك لا يمكن تناوبها مع الياء — ردفين
ويجوز ذلك بين الواو والياء للتقارب بين صوتيهما الموسيقى على أن
علم اللغة الحديث قد دعم ذلك ببراهين تثبت عدم صحة التبادل بينهما
وهذا يرجح أن تلك الاختلافات ترجع الى اختلاف القبائل الملهجة
بها •

ابدال الياء من الألف والواو :

(أ) كل ألف انكسر ما قبلها أو وقعت قبلها ياء التثنية قلب
ياء مثل قيتال وضيراب مصدرى قاتل وضارب وحميليق ومفيتيح فى
تصغير حملاق ومفتاح •

(ب) كل واو سكنت غير مدغمة وانكسر ما قبلها^(٥٠) قلبت ياء
مثل ميقات وكذلك اذا سكنت فى المفرد ووقع بعدها فى الجمع ألف
وقبل الواو كسرة واللام صحيحة مثل ثياب وحياض فان اختلفت هذه
الشروط لم تقلب كما فى موزين وموازن وعوض وطول — لاختلال

(٥٠) سر الصناعة (دار الكتب) ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ .

القاعدة الأولى — وطوال وزوج وزوجة — بكسر الزاى وفتح الواو —
ورواء وطواء جمعى ريان وطيان — لاختلال القاعدة الثانية •

(ج) اذا قعت الواو لاما لفعلى وصفا مثل : عليا ودنيا^(٥١) •

(د) اذا تطرفت الواو رابعة فصاعدا مثل : أعيطت ،
واستقصيت^(٥٢) •

كل ذلك هربا من الواو^(٥٣) •

(هـ) اذا اجتمعت الواو مع الياء وسبقت احدهما بالسكون
قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء — بشروط أخرى — كما فى سيد
وميت (تقدمت الياء) وفى لية وطيبة (تقدمت الواو) ومن الشروط
الهامة لذلك القلب أن تكون كل منهما أصلية فى موضعها^(٥٤) فان كانت
عارضة (غير لازمة) لم يحدث القلب والادغام المذكوران وذلك قولهم
فى بناء فاعل من سرت وبعث للمفعول فتقول : سوير وبويع لأن
الواو ليست لازمة لزوالها بالرجوع الى بناء الفعل للمعلوم ، كذلك
ديوان واجليواذ (فى أحد استعمالاته) لأن الياء قبلها غير لازمة
لأنهم قالوا : دواوين لما زالت الكسرة على أن بعضهم قد قال :
دياوين فأقر الياء مع زوال الكسرة وأجرى غير اللازم مجرى
اللازم •

وعالم اللغة يرى فى قلب الواو ياء — على الرغم من زوال
الكسرة قبلها — اتجاها خاصا بلهجة أهل الحجاز فيما يسميه بأسلوب
(المعاقبة) التى نتحدث عنها فيما يأتى :

(٥١) المصدر السابق ص ٣٧٨ •

(٥٢) المصدر السابق ص ٣٧٩ •

(٥٣) المصدر السابق (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤١ •

(٥٤)

أن يسكن السابق من واو ويا واتصلا ومن عروض عريسا
قياء الواو اقلبن مدغما وشذ معطى غير ما قد رسما

التبادل بين الياء والواو (المعاقبة)

صنع ابن جنى كتابا فى التبادل بين الياء والواو وسماه المتعاقب فقال : فى لحوت العود ولحيته : قشرت ما عليه من اللحاء : وقد ذكرت ذلك فى كتابنا الموسوم بالمتعاقب^(١) وقال أيضا : وأتيت — أيضا — فى كتابى الموسوم بالمتعاقب على كثير من هذا الباب^(٢) وجعل لها ابن سيدة موضعا فى المخصص^(٣) ، وابن السكيت فى اصلاح المنطق^(٤) ونظم ابن مالك بعض ألفاظها فى تسعة وأربعين بيتا^(٥) .

والمعاقبة هى : أن تدخل الياء على الواو والواو على الياء من غير علة ، فأما ما دخلت فيه الواو على الياء والياء على الواو لعله فليس من ذلك لأنه قانون من قوانين التصريف^(٦) .

ومن هذا التعريف يبدو أن المعاقبة لا تتحقق الا بأمرين :

١ — أن يكون الانتقال من الواو الى الياء والعكس ليس ناشئا عن علة صرفية موجبة فلا يدخل فى المعاقبة نحو ميزان وميقات من الوزن والوقت لأن الواو قلبت ياء لعله تصريفية هى سكونها وانكسار ما قبلها ، وكذلك قول الحق تبارك وتعالى (كذبت ثمود بطغواها) فإبدال الواو من الياء هنا خاضع لقاعدة صرفية هى أن (فعلى) اذا كانت اسما ولامها ياء تقلب الياء واوا مثل تقوى ، أما اذا كانت فعلى صفة فان ياءها تبقى دون تحول الى الواو مثل (صديا) لاشتداد العطش .

-
- (١) الخصائص ٢٦٤/١ .
(٢) المصدر السابق ٢٦٦/١ .
(٣) المخصص ١٩/١٤ — ٢٦ .
(٤) اصلاح المنطق ١٣٥ — ١٤٥ .
(٥) المزهرة ٢٧٩/٢ — ٢٨٢ .
(٦) المخصص ١٩/١٤ .

وقد صرح بعض العلماء بانتفاء العلة التصريفية في أمثلة المعاقبة فقال ابن جنى : ان أهل الحجاز يقولون للصواغ : الصياغ ، وفي ذلك دلالة على ما نحن بسبيله ، ووجه الاستدلال فيه انهم كرهوا التقاء الواوين — لا سيما فيما كثر استعماله — فأبدلوا الأولى من العينين ياء ، فصار تقديره : الصيواغ ، فلما التقت الواو والياء على هذا أبدلوا الواو للياء قبلها فصار (الصياغ) وقلب الياء الثانية لا يستتكر لأنه كان عن وجوب ، وذلك لوقوع الياء ساكنة قبلها ، فهذا غير بعيد ولا معذر منه ، لكن قلب الأولى — وليس هناك علة تضطر الى ابدالها أكثر من الاستخفاف مجردا — هو المعتد المستتكر المعول عليه ، المحتج به ، فلذلك اعتمدناه و (فيه) تلعب بالحرف من غير قوة سبب ، ولا وجوب علة ، فأما ما يقوى سببه ويتمكن حال الداعى اليه فلا عجب منه ، ولا عصمة للحرف وان كان أصليا دونه^(٧) .

وقد يكون حلول الياء محل الواو أو العكس ناشئا عن نسيانهم أصل اللفظ ، يقولون (الديمة) بقلب الواو ياء لسكونها وكسر ما قبلها ، فاذا زال الكسر عادت الواو ، كما في (دوموا) لانفتاح ما قبلها قال الشاعر :

هو الجواد ابن الجواد ابن سبل

ان دوموا جاد وان جادوا وبـل

وقد ورد عن بعض العرب (ديموا) في (دوموا)^(٨) وذكر ابن جنى أن بعض العرب ظن أن الياء أصلية وليست منقلبة عن واو فلم يروها مع أن (دوموا) من الدوام فالواو أصلية وكان يجب الرجوع اليها بعد زوال الكسرة وفتح ما قبلها وهذا من البدل

(٧) الخصائص ٢/٦٥ ، ٦٦ بشيء من التصرف .

(٨) الخصائص ١/٣٥٥ والتصريف اللوكي ص ٢١ وانب الكاتب

الذى يلتزمون به مع ذهاب العلة الموجبة له (٩) .

٢ — أن يكون المعنى واحداً فى الصيغة الواووية والصيغة اليائية ولذا لا يعد من التعاقب ما اختلف معناه فالكور : المبنى من الطين والكير الرق الذى ينفخ فيه (١٠) فلا معاقبة هنا .

وتأتى المعاقبة فى الألفاظ المفردة بصيغها المتعددة وتأتى فى المثنى وتأتى فى الجمع وتأتى فى الأفعال وسواء كانت الواو والياء أصيلتين أو زائدتين :

١ — فى المفردات بصيغها المتعددة مثل سريع الأوبة والأيبة وصيغة فعول مثل هذا الكذاب الأثوم والأثيم (١١) وجعلته على حنديرة عني وحندورة عني (١١) .

وفى الحديث « ذات حوزان وعبيثران » هو نبت طيب الرائحة من نبت البادية ويقال عبوثران بالواو وتفتح العين وتضم (١٢) .

٢ — من المعاقبة فى المثنى : رحوان ورحيان (١٣) .

٣ — من المعاقبة فى الجمع ذادغوات قلب الأخلاق ودغيات (١٣) .

٤ — وفى الأفعال مثل : مالك تتحوز منى كما تتحوز الحية وتحيزت الى فئة وتحوزت وساغ الرجل طعامه يسيغه ويسوغه (١٤)

(٩) التصريف الملوكى ص ٢٢ .

(١٠) المزهر ٢/٢٦٠ .

(١١) المخصص ٢٥/١٤ .

(١٢) النهاية ١٦٩/٣ .

(١٣) المخصص ٢٥/١٤ .

(١٤) أدب الكاتب ٤٦٥ والمخصص ١٩/١٤ ، ٢٠ .

وسحوت الطين على الأرض وسحيته أى تشرفته وكتوت الرجل وكتيته وحنوت العود وحنيته وعزوت الرجل وعزيته إذا نسبته الى أبيه ويقال : ساخت الأرض تسوخ وتسيخ ورد ذلك فى حديث سراقه فى الهجرة^(١٥) من باب فعل يفعل مثل حسب يحسب وقيل هو من باب باع يبيع^(١٦) .

ومثله طاع له يطوع ويطيع فهو طائع إذا أذعن وانقاد^(١٧) .

ويرى اللغويون أن كل موضع تستعمل فيه الكسرة والضمة أو الياء والواو فالأولى منهما للحجازيين والثانية للتميمين غالباً وسموا ذلك (معاقبة) ومما ورد فى كتب اللغة من اختلاف الحركتين : رضوان ورضوان ، وقنية وقنية ، وأسوة وأسوة ، وقدوة وقدوة ، وصبية وصبيان ، وصبية وصبيان بكسر الحرف الأول وضمه ومما ورد من اختلاف الحرفين : صيام وصوام ، ونيام ونوام ، وصياغ وصواغ ، والمياثر والمواثر ، والمياثق والمواثق ، وحيث وحوث ، وطغيت وطغوت ويضيرنى ويضورنى ، وعزيته وعزوته ، ولغيت ولغوت ، وان بينهما لبينا ويونا والعجاية والعجاوة ودامت السماء تديم وديمت ، ودامت تدوم ودومت والدوام .

ومن ذلك فى القراءات قراءة عمر بن الخطاب (الله لا اله الا هو النحى القيام)^(١٨) أصله القيوم فلما التقت الواو والياء ، وسبقت

(١٥) النهاية ٤١٦/٢ .

(١٦) المصدر السابق ١٤١/٣ .

(١٧) المصدر السابق ١٤٢/٣ .

(١٨) سورة البقرة الآية ٢٥٥ والمحاسب ١٧٥/١ — ومختصر شواذ القراءات لابن خالويه ص ١١ ومعانى القرآن للفراء ١٩٠/١ .

الأولى بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء وقد قرأ عمر على لهجة الحجاز لأنه قرشى^(١٩) وقرىء (جعل الله الكعبة البيت الحرام قواما للناس)^(٢٠) فى قياما .

وقوله تعالى : (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا)^(٢١) وقد رسمت بالياء فى المصحف وأصلها دوارا .

وقرىء قوله تعالى : (ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان)^(٢٢) يقال : طاف يطيف ويطوف طيفا وطوفا فهو طائف ثم سمي بالمصدر ومنه طيف الخيال الذى يراه النائم^(٢٣) .

وفى الحديث (فصل ما بين الحلال والحرام الصوت والدف) .
يرد اعلان النكاح وذهاب الصوت والذكر به فى الناس يقال له : صوت ، وصيت أى ذكر ، والدف الذى يطبل به ويفتح ويضم^(٢٤) .

وفى حديث آخر « ما من عبد الا وله صيت فى السماء » أى ذكر وشهرة وعرفان^(٢٥) .

وفى الحديث « ان مما يفتت الربيع ما يغيل أو يغول » .
أى يهلك من الاغتيال وأصله الواو ويقال غاله^(٢٦) يغيله ويغوله هكذا روى بالياء والواو وهما متقاربان .

(١٩) تفسير الطبرى ١٥٥/٦ .

(٢٠) المائدة ٩٧ .

(٢١) سورة نوح الا ٢٦ .

(٢٢) سورة الأعراف الآية ٢٩ .

(٢٣) النهاية ١٥٣/٣ .

(٢٤) النهاية ٥٨/٣ .

(٢٥) المصدر السابق ٦٤/٣ .

(٢٦) المصدر السابق ٣٩٤/٣ .

وفى الحديث : « كفى بالمرء اثماً أن يضيع من يقوت » أى من
عَلَزَمَهُ نَفَقَتَهُ وَيُرَوَّى (من يقيت) على اللغة الأخرى^(٢٧) .

وورد أنه صلى الله عليه وسلم كتب لوائل بن حجر : إلى الأقوال
العباهلة وفى رواية الأقيال^(٢٨) .

وفى الحديث « أكذب الناس الصواغون »^(٢٩) وفى رواية
الصياغون على لهجة الحجاز وحديث عائشة (أن عمر دىخ الكفرة)
يعنى أذلهم وقهرهم ويقال دوىخ وديخ بمعنى واحد^(٣٠) .

وبعض هذه الصيغ يكون أكثر استعمالاً من الأخرى أو أكثر
تصرفاً^(٣١) وكل ذلك وأشباهه مما تعاورت عليه الياء والواو ينسب
ما هو بالياء إلى الحجازيين وما هو بالواو إلى التميميين غالباً^(٣٢)
ومما يؤيد ذلك ما ورد فى حديث وفد تميم إلى النبى ﷺ الذى نزلت
فيه سورة الحجرات « رأيت المريض إذا حان فوطه » أى موته
بالواو هذا يدل على البداوة وقد ذكر ابن الأثير أن المعروف أنه
بالياء^(٣٣) .

ونسبت بعض الكلمات بالياء لتميم وبالواو للحجاز ومما ورد من
ذلك (قنيان) — عند تميم — وقنوان عند الحجاز^(٣٤) و (قصيا) — عند

(٢٧) المصدر السابق ١١٩/٤ .

(٢٨) المصدر السابق ١٢٢/٤ ، ١٣٣ .

(٢٩) المصدر السابق ٦٤/٣ ، صاغ الشيء : هياه على مثال مستقيم
ويقال : صائغ وصياغ وصواغ وجعلوا أكذب الناس لمواعيذهم الكاذبة
ومطلهم وقيل : أراد الذين يزخرفون الحديث والكذب . القاموس ١١٤/٣ .

(٣٠) النهاية ١٧٤/٢ .

(٣١) يقول ابن الأثير عند ذكر الحديث (وتديفون القطيغاء) أى
تخلطون والواو فيه أكثر من الياء النهاية ١٧٤/٢ .

(٣٢) المخصص ١٩/٤ ، ٣٦ والمزهر ٢٧٦/٢ ، ٢٧٧ ، ١١٣/١ .

ودراسات فى فقه اللغة ٩٦ — ١٠١ .

(٣٣) النهاية ٤٨٥/٣ .

تميم — و (قصوى) عند الحجاز (٣٥) — الهدايا جمع هدية ولغة
أهل المدينة هداوى (٣٦) ونسبت المعاقبة الى غير هؤلاء من العرب فقد
نسبت الى طيء أنشد ثعلب لرجل من طيء *

نحن الى الفردوس والشيردونها وايهاث عن أوطانها حوث حلت
قال أبو العباس : هذه لغته (٣٧) وبعضهم نسب (حوث) الى
طيء أو تميم (٣٨) *

والكلوة لغة فى الكلية نسبت لأهل اليمن (٣٩) *

ويقال : عبوت المتاع عبوا : اذا عبيته لأهل اليمن (٤٠) *

والنيرج والنورج (٤١) : لغتان الأخيرة لأهل اليمن (٤٢) *

— وقد وردت بعض النصوص التى نفهم منها حدوث المعاقبة فى
القبيلة الواحدة أو عند العرب جميعا *

من ذلك ما ذكره ابن سيدة من أن المعاقبة تحدث عند القبيلة
الواحدة وعند القبيلتين قال (وأرى كيف تدخل الياء على الواو والواو

(٣٤) التهذيب ٣١٥/٩ *

(٣٥) المصدر السابق ١٢٩/٩ *

(٣٦) المصدر السابق ٣٨٢/٦ وقال أبو زيد : الهداوى لغة عليا
معد ولغة سفلاها الهدايا والمراد بعليا معد : أهل العالية أو عليا مضر
وهم أهل الحجاز ومضر هو مضر بن نزار بن معد وسفلاها : تميم أو أهل
نجد . جمهرة أنساب العرب ص ١٠ *

(٣٧) المجالس ٥٦٦/٢ *

(٣٨) المحكم ٣٨٤/٣ واللسان ٤٤٤/٢ *

(٣٩) التهذيب ١٨٥/١ والمصباح ٥٤٠/٢ *

(٤٠) الجمهرة ٣١٧/١ *

(٤١) آلة من حديد وخشب يداس بها الطعام *

(٤٢) التهذيب ٣٨/١١ وديوان الأدب ٣٦/٢ *

على الياء من غير المعاقبة عند القبيلة الواحدة واما لافتراق القبيلتين في اللغتين (٤٣) .

ويذكر الأزهري : أنا أمحوه وأمحاء وطىء تقول : محيته محيا ومحوا (٤٤) .

وأهل اليمن يقولون للذئب القلوب والقلب قال شاعرهم :
أيا جحمتا بكى على أم واهب قتيلة قلوب ببعض المذائب
وقال آخر :

أتيح لها القلب من أرض قرقرى
وقد تجلب الشر البعيد الجوالب (٤٥)

وظنى أن ذلك ناشئ من تأثر القبائل بعضها ببعض فمن يجمع بين الاستعمالين جامع للهجة أخرى مع لهجته (وقد يجوز أن تكون لغته في الأصل أحداها ثم انه استفاد الأخرى من قبيلة أخرى وطال بها عهده وكثر استعماله لها فلحقت لطول المدة واتصال استعمالها بلغته الأولى) (٤٦) .

وبعض هذه الصيغ يكون الأصل فيها الواو وبعضها يكون الأصل فيه الياء :

يقال : يوجع وييجع وياجع وأصله من الواو (٤٧) .

(٤٣) المخصص ١٩/١٤ .

(٤٤) التهذيب ٢٧٧/٥ والمخصص ١٧/١٣ .

(٤٥) العين ١٧٢/٥ والتهذيب ١٧٥/٩ والجمهرة ٥٩/٢ ، ٣٧٥/٣ ،

٤٢٣ .

(٤٦) الخصائص ٣٧٢/١ باب في الفصيح يجتمع في كلامه لغتان

فصاعدا .

(٤٧) التهذيب ٥١/٣ .

ويقال : وجلت توجل وتيجل من الواو^(٤٨) ونسبت الصيغة اليائية لتميم لكراهة الواو مع الياء والواوية لأهل الحجاز^(٤٩) وقد أبدلت ألفا فقيلا : ياجل وياجع كراهة اجتماع الواو مع الياء — أيضا — كما يذكر سيوييه^(٤٩) وكذلك كساين وخبايان عند بني فزارة الأصل الواو ، ولذا جاء كساوان وخبأوان^(٥٠) وعزيتيه الى أبيه : نسبتة ويقول بنو أسد : عزوته الى أبيه وأصله الواو^(٥١) .

والتيه قال فيه رجل من بني كلاب : القوه وأصلها الياء^(٥٢) .

وبرى القلم يبريه برى وناس يقولون : ييسرو القلم^(٥٣) والأصل الياء .

والدهو والدهى : لغتان : الدهاء والأصل الياء^(٥٤) .

والطغيان والطغوان لغة فيه والفعل طغيت وطفوت والأصل الياء^(٥٥) .

وقد حاول بعض اللغويين القدامى أن يفسروا هذا التعاقب على أنه من قبيل التبادل الذى لم يستوف شروط القلب لعل فلسفية تدل على فنية هذه اللغة وموسيقيتها .

فسعة قواعد العربية جعلتنا نتلقى بالقبول صبية وصبيان بقلب الواو ياء وان لم تقع بعد كسرة مباشرة لانهم اعتبروا المساكن

(٤٨) المصدر السابق ١١/١٩٠ .

(٤٩) الكتاب ١١١/٤ والجيم ٣/٣٠٥ .

(٥٠) التهذيب ١٥/٦٩٠ .

(٥١) المخصص ١٤/٢٣ .

(٥٢) التهذيب ٩/٣٩٦ والتكملة ٦/٣٣٧ والمصباح (تيه) .

(٥٣) التهذيب ١٥/٢٦٧ .

(٥٤) التهذيب ٦/٢٨٥ واصلاح المنطق ١٣٩ .

(٥٥) التهذيب ٨/١٦٧ .

غير حصين فكأن الكسرة مباشرة للواو فقلبت مناسبة لها ليتحقق التكامل الفني الموسيقي .

ثم اننا رأينا في اللغة صبية وصبيان — بضم الصاد — وهذا أيضا لم يمنع من استمرار الياء لأن الداعي الى القلب هو الخفة وهو منهج البناء اللغوي العام والا لأبقيت الواو على أصلها .

ويقولون : أبيض لياح بكسر اللام فقلبوا الواو ياء مع عدم استيفائها شروط القلب اذ انها ليست جمعا كرياض ولا مصدرا جاريا على فعل معتل كقيام وصيام وذلك القلب داع الى رشاقة اللفظ وسلاسته لأن الياء أخف من الواو وما أكثر جنوح العربية اليها .

وقالوا رجل غديان وعشيان والارحية ، ورياح بفتح الراء .

وكذلك ميائق أبقوا الياء مع زوال الكسرة الموجبة للقلب والمعروف أن زوال السبب يؤدي الى زوال ما ترتب على وجوده من أحكام ، فقد كان المفرد مستحقا للاعلال (ميئاق) لوجود الكسرة سابقة للواو ولكن الجمع لا تبقى فيه الكسرة ومن هنا يقال في جمعه (موائيق) على الأصل .

ويحار اللغويون عندما يجدون الكلمة بالياء قد وردت في كلام العرب نحو قولهم : فيما أنشده أبو زيد :

نحى لا يحل الدهر الا باذننا ولا نسأل الاقوام عقد الميائق

وكذلك يسمع اللغويون قول شاعر آخر :

عداني أن أزورك أم عمرو دياوين تشقق بالمـداد (٥٦)

(٥٦) الخصائص ١/١٤٣ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣/١٥٧ ، ١٥٨ .

فكلمة (دياوين) جمع ديوان وينطبق عليه ما قيل فى سابقه
وقد أبدى ابن جنى وجهة نظر فى هذه الصيغ وأثبت عمق اتجاهاتها
وملاءمتها لفن اللغة وطابعها البنائى فيما يأتى :

١ — أن أكثر اللغة وشائع الاستعمال هو إعادة الواو عند زوال
الكسرة مثل موازين وريح وأرواح •

٢ — الغرض من القلب هو طلب الخفة فكأن القلب ليس ناتجا
عن الكسرة بل لما تقدم من الاستقرواح الى انقلابها ودلالة على
تمكن القلب فى الواحد حتى كأن الياء أصل فيه •

وتبعاً لهذا الاعتبار صرح ابن جنى بأنه يمكن تصغير (ميثاق)
بإبقاء الياء فيقال : (ميثيق) على نمط الجمع الذى حمل على
مفرده (٥٧) •

وجاءت فى اللغة دامت السماء تديم ودومت السماء وديمتم
ولكن المضارع جرى فى المثال الأول على هذا النسق وليس من باب
فعل يفعل بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع بدليل المصدر
(ديم) وليس لغة فى هذا الأصل بمنزلة ضاره يضره ضيرا حيث
لم يأت (الديام) مصدرا كـ (الدوام) الوارد فيه (٥٨) وهذا تطبيق
لذهب ابن جنى فى الاختلاف بين لفظتين فى حرف واحد ومتى تعتبر
كل منهما لهجة لقبيلة خاصة أو احدهما منقلبة عن الأخرى والمعروف
أن أبا الفتح بينى هذا على أساس تصرف كل منهما فالأكثر تصرفا
واستعمالا هى التى يليق بها أن تكون الأصل والثانية فرع أما اذا
تساويتا تصرفا واستعمالا فليست احدهما منقلبة عن الأخرى بل
همالهجتان وهنا يصرح ابن جنى بأن اليائية منقلبة عن الواوية لقصور

(٥٧) الخصائص ٣/ ١٦٠ ، ١٦١ .

(٥٨) المصدر السابق ١/ ٣٥٥ ، ٣٥٦ .

التصرف بالنسبة للأولى وكيف يقبلون ويسلكون هذا الطريق مع عدم ما يقتضيه ؟

ان الاجابة على هذا السؤال تتحقق فى مناسبة القلب الهدف العام وهو التخفيف ، ويبدو أن قانون (المعاقبة) قد لعب دورا أساسيا فى مثل هذه التغيرات فهى فى الأصل لهجات اذ تذكر لنا كتب اللغة أن لكل من الضم والكسر والواو والياء طبيعة صوتية تختص بقبيل تبعاً للثقل والخفة .

فاللغة نتاج اجتماعى ووليدة البيئة التى تحيا فيها فالمجتمع المتحضر يفضل حركة معينة على حين يفضل المجتمع البدوى حركة أخرى وهنا بدا أن الكسرة مختصة بالحضر والضم مختصة بالبدو فيما وصل إلينا من كلمات .

والياء امتداد للكسرة والواو امتداد للضم ولذا رأينا أن كلا منها تختص بطائفة من العرب فالياء للحجاز والواو لتميم وعلى هذا وجدنا الكلمات السابقة تفسر على أساس لهجى فى بيئتين حجازية وتميمية (٥٩) .

(٥٩) معانى القرآن للفراء ١٩٠/١ والمحتسب لابن جنى ١٧٥/١ ومختصر شواذ القراءات لابن خالويه ١٩ ، واصلاح المنطق ١٣٧ والمزهر ٢٧٦/٢ .

التبادل بين حروف العلة والصوامت

التبادل بين الألف والعين :

من أمثلة ذلك فى القراءات قوله تعالى (ولا تصعر خدك للناس) قرأ (ولا تصاعر) — بألف بعد الصاد وتخفيف العين — نافع وأبو عمرو والكسائى وخلف واليزيدى والأعمش ، وقرأ الباقون (تصعر) — بتشديد العين بلا ألف •

والألف لا يصح ادغامها فى العين اذ هما من طبيعتين صوتيتين مختلفتين ولكن ادغامهما وعدمه فى هذه الآية — حسب القراءات السبعية الواردة فيها — يرجعان الى طبيعة القبائل العربية •

فبعض القبائل تقلب الألف الى عين حتى يتماثلا ثم تدغمهما للتقريب والسرعة فى النطق وهذه طريقة تميل اليها القبائل البدوية ، وجرى على الفصل بين الصوتين وعدم الادغام بعض العرب المتحضرين •

ونرى أن كلا منهما يمثل اتجاها لهجيا خاصا •

وعلى أساس مما وصل اليه علم الأصوات الحديث نرى أن الاتجاه الثانى يتطلب مجهودا عضليا والأول لا يتطلب ذلك لأنه ناجم عن السرعة فى النطق ومن هنا استنتج علماء اللغة أن الادغام ينسب الى القبائل التى كانت تسكن وسط الجزيرة وشرقيها فمعظمها قبائل بدوية تميل الى التخفيف والسرعة فى النطق كتميم وأسد وغنى وعبد القيس وبكر بن وائل وكعب ونمير ، كما ينسب الاظهار الى بيئة الحجاز •

التبادل بين الألف والنون :

تكلم ابن جنى عن ابدال الألف من تنوين المنصوب ونون التوكيد الخفيفة ونون (اذا) حال الوقف مثل : (رأيت زيدا) وقوله تعالى (لنسفا) وقولك : (أنا أزورك اذا)^(١) .

التبادل بين الألف والهاء :

١ — قد وردت من أمكنة من ههنا ومن ههـ
أن لم أروها فمه

٢ — أنه في أنا حال الوقف^(٢) .

في الأمثلة الأولى قال ابن جنى بالابدال بين الألف والهاء على أن تكون الألف هي الأصل^(٣) وقد أبدلت في (هنا) الاشارية هاء فصارت هه ، وهذا موافق لعاميتنا وهو منسوب لقيس وتميم^(٤) و (مه) في الرجز السابق يحتمل وجهين : أن تكون الهاء بدلا من ألف (ما) وأن تكون (مه) اسم فعل بمعنى اكفف أى فاكفف عنى فلست أهلا للعتاب ، أو فمه يا انسان يخاطب نفسه ويزجرها^(٥) .

وفى (أنا) كذلك أبدلت الألف هاء في الوقف .

وهذه كلها حالات للوقف قصد فيها بيان حركة الحرف المفتوح فتارة تبين الحركة بالألف فيقال : هنا — أنا وتارة أخرى تبين بالهاء فيقال : هه — أنه ويميل بعض العرب الى هذا وبعضهم الآخر

(١) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٣٠ .

(٢) المصدر السابق (الأزهر) الورقات ١٠٥ — ١٠٧ .

(٣) المصدر السابق الوجه الاول من الورقة ١٠٦ .

(٤) اللهجات العربية د. نجا ٦٥ ، ٦٦ .

(٥) سر الصناعة الورقة ١٠٦ الوجه الاول مخطوطة الأزهر ولسان

العرب ٣٦١/٢٠ وقال الأشموني : أى أنها قد وردت من كل جانب

وكررت فان لم أروها فلا تلمنى واكفف عنى ٣٣٤/٤ .

الى ذاك فالأمر لمجرد بيان الحركة لا لأن أحدهما يبدل من الآخر ومن هنا اقتصر الدماميني في (أنه) على الوجه الثاني ، فقال في باب الضمير من شرح التسهيل — بعد ذكره أن ثبوت الألف في الوقف لبيان الفتحة ما نصه : « وقد تبين فتحتها بهاء السكت كقول حاتم : هكذا فزدي أنه »^(٦) .

التبادل بين الباء والواو :

وذلك في أسلوب القسم مثل بالله ، والله ونحو ذلك ، قال ابن جنى : وإنما أبدلت الواو من الباء — في ذلك لأمرين :

أحدهما : مضارعتها اياها لفظا والآخر مضارعتها اياها معنى ، أما اللفظ فلأن الباء من الشفة كما أن الواو كذلك وأما المعنى فلأن الباء للالصاق والواو للاجتماع والشيء اذا لاصق الشيء فقد اجتمع معه^(٧) .

وبرهن على أن الباء هي الأصل والواو بدل منها بدليلين :

أحدهما : أنها موصلة للقسم الى القسم به في قولك : أحلف بالله كما توصل الباء الممرور الى الممرور به في قولك : مررت بزيد فالباء من حروف الجر بمنزلة من وعن .

والآخر : أن الباء تدخل على المضمر كما تدخل على المظهر فتقول : بالله لأقومن وبه لأقعدن والواو لا تدخل على المضمر ألينة تقول : والله لأضربنك ولا تقول وه لأضربنك فرجوعك مع الاضمار الى الباء يدل على أنها هي الأصل^(٨) .

وابن جنى في رأيه السابق متأثر بموقف القدماء من مخرج الواو اذ يجعلونها من مخرج الباء يقول : ومما بين الشفتين مخرج

(٦) انظر : الفصل ٨٣/٩ ، ٨٤ والاسموني مع الصبان ٣٣٤/٤ .

(٧) سر الصناعة ١٦٠/١ . (٨) المصدر السابق ١٥٩/١ .

الباء والميم والواو^(٩) وهو متأثر فى ذلك برأى سيبويه . وهذا يصدق على الواو غير المدية التى يتحدثون عنها أما الواو التى هى حرف مد فهى من ذوات المخرج المتسع على حد تعبير ابن جنى^(١٠) .

والدراسة الصوتية الحديثة تؤكد أن نظرة القدماء الى الواو غير المدية لم تكن دقيقة فى تحديد مخرجها ، فهى فى الحقيقة من أقصى اللسان حين يقترب من أقصى الحنك غير أن الشفتين حين النطق بها تستديران أو بعبارة أدق تكمل استدارتهما ولعل وضوح استدارة الشفتين مع الواو هو الذى جعل القدماء يفسبون مخرج الواو الى الشفتين^(١١) .

فمخرج الباء اذا مختلف عن مخرج الواو اذ الأولى من انشفة والثانية من أقصى الحنك كما تثبت الدراسات الصوتية الحديثة . ويختلفان كذلك فى صفات كثيرة فالباء صوت مجهور شديد مستقل منفتح ذلق مقلقل والواو تتفق معها فى الجهر والاستفال والانفتاح فقط وتخالفا فيما عدا ذلك .

وهذا كله يمنع حدوث التبادل بينهما وكل ما يمكن قوله أن كلا منهما حرف يستعمل فى القسم — كما يستعمل فى غيره — اذ للباء خمسة عشر معنى ذكرها النحاة من بينها القسم^(١٢) والواو لها معان كثيرة كالعطف والاستئناف ومن بينها استعمالها فى القسم^(١٣) وكما يقول النحاة : يمكن جعل هذا الاستعمال من قبيل التعويض لا الإبدال ولا يلزم فى المعوض أن يكون من جنس المعوض عنه أو أن تكون هناك علاقة صوتية بينهما اذ التعويض جعل حرف خلفا عن حرف آخر

(٩) المصدر السابق ص ٥٣ (١٠) المصدر السابق ٨/١ .

(١١) الأصوات اللغوية ٤٤ .

(١٢) الأسمونى ٢١٩/٢ — ٢٢٢ .

(١٣) المصدر السابق ٣٠٧/٣ والتصريح ١٧/٢ .

أو أكثر^(١٤) ولا يشترط فيه التقارب •

وهنا استعمل اللغوى العربى القسم متخذاً وسيلة من وسائله وهى الواو كما يصح أن يتخذ أدواته الأخرى الأصيلة فيه وهى الباء وقد صرح بذلك الصبان حين قال : — معللاً اختصاص الواو بالظاهر فى الجر — لأن بعضها عوض عن باء القسم لا أصل فيه^(١٥) ويقول « ان الواو عوض من الباء والتاء عوض من الواو »^(١٦) •

والأدلة التى عك بها ابن جنى لابدال الواو من الباء — وذكرتها سابقاً — تشير الى أن الباء أصيلة فى استخدامهما فى معنى القسم ولكنها لا تدل بحال على أن الواو بدل منها بالمعنى اللغوى بل على معنى أنه قد تقوم الواو فى الاستعمال فى القسم مقام الباء على سبيل التعويض لا الابدال والذى جعلنا نذهب هذا المذهب عدم وجود العلاقة الصوتية المسوغة للتبادل كما اتضح من الدراسات الصوتية الحديثة ، وأما اتفاقهما فى بعض المعانى فليس من مسوغات الابدال اذ المعول عليه انما هو المخرج والصفات •

التبادل بين التاء والواو :

١ — تراث — تقية فعيلة من وقيت — تقوى — توراه — تولج — تخمة — تكأة — تيقور — تليد — تلاد — تترى — (فعلى من المواترة) — اتعد — اتلج •

٢ — أخت — بنت — هنت — كلتا^(١٧) •

صرح ابن جنى بابدال التاء من الواو فى الأمثلة الأولى فقال

(١٤) القواعد والتطبيقات ص ٤ •
(١٥) الأشمونى مع الصبان ٢٠٧/٢ •
(١٦) المصدر السابق ٢٠٥/٢ وحديثهم عن ابدالها كان للاتفاق فى المخرج كما تصورا •
(١٧) سر الصناعة ١٦١/١ — ١٦٩ وقد ذكر سيوييه هذه الألفاظ الكتاب ٨٢/٢ ، ٨٣ •

وقد أبدلت التاء من الواو فاء ابدالاً صالحاً^(١٨) وذكر الأمثلة السابقة وعلى ذلك بأصل الاشتقاق في كل منها فترات فعال من ورث وتقية فعيلة من وقيت وتوراه فوعلة من وري الزند وأصلها وورية فأبدلت الواو الأولى تاء الخ ، وقال : ان التاء قريبة المخرج من الواو لأنها من أصول الثنايا والواو من الشفة فأبدلوها تاء^(١٩) وقد جعل ابن جنى هذا الابدال غير قياسي الا في افتعل وما تصرف منه فقال : وهذه الألفاظ التي جمعتها وان كانت كثيرة فانه لا يجوز القياس عليها لقلتها بالاضافة الى ما تقلب واوه تاء ... فأما ما نقيس عليه لكثرتة فافتعل وما تصرف منه اذا كانت فاءه واوا فان واوه تقلب تاء وتدغم في تاء افتعل التي بعدها^(٢٠) وعلى لاطراد هذا الابدال في افتعل وما تصرف منه بأنهم لو لم يقلبوها تاء لوجب أن يقلبوها اذا انكسر ما قبلها ياء واذا انضم ما قبلها واوا واذا انفتح ما قبلها ألفا فيقولوا ايتعد — موتعد — ياتعد ، فلما كانوا لو لم يقلبوها تاء صائرين الى قلبها مرة ياء ومرة ألفا ومرة واوا أرادوا أن يقلبوها حرفاً جلدًا تتغير أحوال ما قبله وهو باق بحاله وهذا ما عبر عنه استاذنا الدكتور نجبا في كتابه اللهجات العربية بقوله : أكثر العرب على ابدال الواو والياء تاء اذا وقعت فاء لا فتعل حتى لا تكون عرضة لتلاعب الحركات فيقولون اتقى واتسر في اوتقى وايتسر^(٢١) وقد حكى ابن جنى الاتجاه العربي الثاني الذي لا يعبأ بتلاعب الحركات فيقول ايتعد — موتعد — ياتعد^(٢٢) الخ ونسب اللغة الأولى لأهل الحجاز فقال واللغة الأولى أكثر وأقيس وهي لغة أهل الحجاز وبها نزل القرآن^(٢٣) .

(١٨) المصدر السابق ١٦١/١ . (١٩) المصدر السابق ١٦٤/١ .
 (٢٠) المصدر السابق ١٦٣/١ . (٢١) المصدر السابق ص ٦٧ .
 (٢٢) المصدر السابق ١٦٥/١ والدقة تقتضي نسبة الأولى الى أكثر العرب والثانية الى بعض الحجازيين . الفصل ٣٧/١ . والأشبهونى ٣٣٠/٤ واللهجات العربية ص ٦٨ .
 (٢٣) سر الصناعة ١٦٥/١ وقال الليث تاء الأخت أصلها هاء التانيث

وأما عن الأمثلة الثانية فقد أوضح أن أصل هذا كله أخوة وبنوة وهنوة وكلوا فنقلوا أخوة وبنوة ووزنهما فعل بفتح الفاء والعين — الى فعل — بضم الفاء وسكون العين — وفعل بكسر الفاء وسكون العين — وألحقوهما بالتاء المبدلة من لامها بوزن قفل وحلس فقالوا أخت وبنوت وليست التاء فيهما بعلامة التأنيث كما يظن من لا خبرة له بهذا الشأن لسكون ما قبلها هكذا مذهب سيبويه وهو الصحيح .

وأما هنت فيدل على أن التاء فيها بدل من واو قولهم في الجمع هنوات وأما كلتا فذهب سيبويه الى أنها فعلى بمنزلة الذكرى والحفري^(٢٤) وأصلها كلوا فأبدلت الواو تاء كما أبدلت في أخت وبنوت^(٢٤) ، وذهب أبو عمر الجرمي الى أنها فعتل وأن التاء فيها علم تأنيثها ولكن ابن جنى رد عليه بأن تاء التأنيث يكون ما قبلها مفتوحا

كما قال الخليل ولكن ذلك ليس مقبولا وقد نقل صاحب اللسان رأى ابن جنى دون أن ينسبه اليه اللسان ٢٢/١٨ وقال الأستاذ برجستراسر ان الأخ والابن من الاسماء القديمة جدا التي مادتها مركبة من حرفين فقط لا من ثلاثة أحرف وان التاء وان لم تسبقها فتحة هي تاء التأنيث فهي في غير اللغة العربية وخصوصا في الاكدية والعبرية كثيرا ما لا فتحة قبلها مثال ذلك ان الخمسة في الاكدية hamistu وفي العبرية hmeset أصلها hamist كلها بشين ساكنة وعلى هذا قررا عدم وجود ابدال للتاء من الواو (التطور النحوي ص ٣٣) ولكن المقارنة غير سديدة لأنها بين لغات قديمة جدا وبين اللغة العربية التي بلغت نهاية تطورها بعد آماد طويلة على أن الحرف الثالث في كلمة أخ وأب وحم وهي في حال الأفراد ثابت في بعض اللغات السامية الأخرى فساب في الآشورية والبابلية (أبو) وفي الأرامية (ابا) وأخ في الآشورية والبابلية (أخو) وفي الحبشة ولغات جنوب الجزيرة (أخو) وحم في الآشورية والبابلية (امو) وفي الأرامية (حما) . تاريخ اللغات السامية ٢٨٣ ، ٢٨٦ والواو قد زالت لوجود التنوين وعند ذهابه تعود الواو مملأ أبوك وأخوك . مدرسة الكوفة ١٩٠ فرأى القدماء أقرب الى طبيعة اللغة العربية .

(٢٤). الحفري : نبت وقيل : شجر ينبت في الرمل وقيل : ذات ورق وشوك صغير وزهر أبيض ، ولا تثبت الا في الأرض الغليظة ، الواحدة حفرة .

(٢٥) المصدر السابق ١٦٧/١ ، ١٦٨ .

أو تكون قبلها ألف مثل طلحة وحمزة وسعلاة وعزهاة وكلتا مثني باجماع من البصريين وعلامة التانيث لا تكون وسطاً^(٢٦) وهذا الرد سديد إلا أن نقول بالاببدال بين التاء والواو — إذا كان له مسوغ لدى انقضاء لقرب مخرجيهما كما قال ابن جنى^(٢٧) — فقد أثبتت الدراسات الصوتية بعده قالوا من أقصى اللسان كما ذكرنا والتاء من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا كما يقول علماء الأصوات ولا اتفاق بينهما في الصفات أكثر من الاستفال والانفتاح والاصمات وهذا لا يصح به ابدال ويمكن أن نفسر هذه الكلمات على أنها استعملت بهذا الوضع في لهجات خاصة وعلى سبيل التعويض وقد صرح ابن جنى نفسه بأن هذا ليس أمراً مطرداً فلا نقول قياساً على تقيية في وقية تزيير في وزير ولا نقول في وجيهة تجيهة ولا في أوعد أتعد قياساً على أتلج ولا في ولهى تلهى قياساً على تترى^(٢٨) وعلى الرغم من اطراد الابدال في الفعل مما فاءه واو فان بعض العرب — كما قال ابن جنى — تنطق الصيغة — على الأصل بلا ابدال فيقولون في اتعد اوتعد — مواتع ياتعد^(٢٩)، فليس هذا اذا من قبيل الابدال وإنما هو من قبيل اختلاف اللهجات وفي أخت وأشباهها التاء عوض من الواو لا بدل منها على ما قدمنا .

التبادل بين الميم والواو :

نى كلمة (فم) جعل ابن جنى الميم بدلاً من الواو وقال أن أصله (فوه) بزنة سوط حذفت الهاء تخفيفاً كما حذفت من سنة فيمن قال ليست بسنهاء وعملت مسانهة ومن شاة وشفة ومن عضة فيمن قال بعير عاضه ومن است فصار التقدير (فو) فلما صار الاسم على حرفين الثانى منهما حرف لين كرهوا حذفه للتكوين فيجحفوا به فأبدلوا من الواو ميما لقرب الواو من الميم لأنهما شفهيتان وفى الميم هوى فى

(٢٦) المصدر السابق ١/ ١٦٨ .

(٢٧) المصدر السابق ١/ ١٦٤ . (٢٨) المصدر السابق ١/ ١٦٣ .

(٢٩) المصدر السابق ١/ ١٦٥ .

الفم يضارع امتداد الواو^(٣٠) • وبنى ابن جنى هذا رأى على اعتقاده — كالتقدماء — بأن مخرج الواو هو الشفة فبذلك يتحد مخرجهما وعليه يسوغ التبادل •

ولكننا أوضحنا أكثر من مرة أن الدراسات الصوتية الحديثة أثبتت أن الواو غير المشددة من أقصى اللسان فبعد ذلك مخرجاهما فلا يسوغ الابدال • وللتقدماء رأى آخر — يجعل — الميم عوضا لا بدلا — يقول أبو الهيثم : لما حذفوا الهاء من فوه بقيت الواو ساكنة فاستقلوها وقوفا عليها فحذفوها فبقى الاسم فاء وحدها فوصلوها بميم ليصير حرفين حرف يبتدأ به فيحرك وحرف يسكت عليه فيسكن^(٣١) • والميم حرف جلد يمكن الاعتماد عليه، ولا يعترف الأستاذ برجستراسر بأن الميم بدل من الواو ويدعى أنها ميم التميم الذى هو التتوين فى اللغة العربية فكان الرفع fum والخفض fim والنصب fam والميم فيها لم تبصر نونا مع سائر الميمات الانتهائية بل بقيت على حالها لأنهم كانوا يتلقونها كأنها أصلية فأضافوا اليها الاعراب ، والتتوين فصارت فم • فم • فما • فنقلت الميم من آخر الكلمة الى وسطها ، ومن أجل ذلك لم يجر عليها القانون الصوتى الذى بمقتضاه أصبحت الميم الانتهائية نونا فى اللغة العربية ولكن لا دليل لبرجستراسر على دعواه والاشتقاق يؤيد أن الأصل هو الواو (فاه يفوه فوها) ، ولا يتصور أن الميم فيه بمنزلة التتوين والا فما أصل الكلمة حينئذ وصور الاعراب التى ذكرها لا تطابق الواقع اذ الاعراب محله آخر الكلمة لا وسطها وليست الكلمة (فم) من مادة (فوم) بل من مادة (ف و ه) كما يتضح بالاشتقاق فالأولى أن تجعل الواو عوضا كما يقول بعض القدامى •

(٣٠) المصدر السابق مخطوطة الأزهر الوجه الاول من الورقة ٨٠ •

(٣١) لسان العرب ٤٢١/١٧ — ٤٢٣ ، وانظر الموضوع بأسره فى

اللسان ٤٢١/١٧ — ٤٢٦ •

التبديل بين الهاء والواو :

- ١ — وقد راينى قولها ياهنا ه ويحك ألحقت شرا بشر
٢ — قد وردت من أمكتسه من ههنا ومن ههنا
ان لم أروها فمه

جعل ابن جنى الهاء بدلا من الواو أو من الألف. المبدلة منها
فى (هناه) قال « وأبدلوها (أى الهاء) من حرف واحد وهو قول
امرىء القيس (وقد راينى قولها ياهناه الخ) فالهاء الآخرة فى هناه
يدل من الواو فى هنوكة وهنوات وكان أصله هناو فأبدلت الواو هاء
قالوا : هناه هكذا قال أصحابنا^(٣٢) ولو قال قائل ان الهاء فى هناه انما
هى بدل من الألف المنقلبة من الواو الواقعة بعد ألف هناه اذ أصله
هناو ثم صار هناه كما أن أصل عطاء عطاو ثم صار بعد القلب عطاء ..
فلما صار هناه والتقت ألفان كره اجتماع الساكنين فقلبت الألف الآخرة
هاء فقالوا هناه كما أبدل الجميع من ألف (عطا) الثانية همزة لتلا
يجتمع ساكنان لكان قولا قويا ولكان أيضا أشبه من أن تكون قلبت
الواو فى أول أحوالها هاء وذلك من وجهين : أحدهما أن من شريطة
قلب الواو ألفا أن تقع طرفا بعد ألف زائدة وقد وقعت هناه كذلك
والآخر أن الهاء الى الألف أقرب منها الى الواو بل هما فى الطرفين
ألا ترى أن أبا الحسن ذهب الى أن الهاء مع الألف من موضع واحد
لقرب مكانيهما ، فقلب الألف اذا هاء أقرب من قلب الواو هاء^(٣٣) .

وقد حكى ابن جنى رأى أبى زيد قال : « وكتب الى أبو الحسن
من حلب فى جواب شىء سألته عنه فقال : وقد ذهب أحد علمائنا الى
أن الهاء من هناه انما ألحقت فى الوقف لخفاء الألف كما تلحق بعد
ألف التدبئة فى نحو وازيداه ثم انها شبعت بالهاء الأصلية فحسرت

(٣٢) هم البصريون كما فى اللسان ٢٤٢/٢٠ .

(٣٣) سر الصناعة مخطوطة الأزهر الورقة ١٠٧ واللسان ٢٤٣/٢٠ ،

فقالوا : يا هناء ولم يسم أبو على هذا العالم فلما انحدرت اليه الى مدينة السلم وقرأت عليه نوادر أبي زيد نظرت واذا أبو زيد هو صاحب هذا القول » ثم قال ناقدا له : « وهذا من أبي زيد غير مرضى عند الجماعة وذلك أن الهاء التي تلتحق لبيان الحركات وحروف الين انما تلتحق في الوقف فاذا صرت الى الوصل حذفها ألبتة فلم توجد فيه ساكنة ولا متحركة وقد استقصيت هذا الفصل في كتابي في شعر المتنبي عند قوله (واحر قلباه ممن قلبه شيم) ودلت هناك على ضعف قول أبي زيد وبيت المتنبي جميعا .

وحكى ابن السراج عن الأخفش أن الهاء في هناء هاء السكت بدليل قولهم ياهنانيه واستبعد قول ابن جنى وأصحابه لأنه كان يجب عليه أن يقال يا هناهان في التثنية والمشهور يا هنانيه^(٣٤) ، ورد ابن جنى عليه واضح فيما سبق ودليل الأخفش غير مسلم به لاحتمال ألا تكون هنانيه مثنى لكلمة هناء بل لكلمة هن ، وفرق بين الهاء في هناء وهنانيه .

ونحن نرى أن مخرجي الحرفين الواو والهاء متباعدان على رأى الأقدمين ومنهم ابن جنى فالواو من الشفة والهاء من أقصى الحلق وكان من الواجب اذن عدم القول بالاببدال^(٣٥) ولكننا نرى أن المحدثين بينوا أن الواو من أقصى اللسان وهذا يعطيها تقاربا أكثر من الهاء ويمكن تفسير هذا التبادل بينهما بأنه وضع لحرف جلد يمكن الاعتماد عليه واجراء الحركات معه والهاء تتحمل ذلك أكثر من الواو وكل صور الابدال بين الواو والياء والألف ووضع الهاء مكانها يمكن تفسيرها بأنها مرحلة من مراحل التطور اللغوي والانتقال من الاعلال الى التصحيح ليقوى اللفظ ويبرز .

(٣٤) اللسان ٢٤٢/٢٠ .

(٣٥) لأن ابن جنى شرط التقارب بين الحروف .

التبادل بين الباء والياء :

ذكر ابن جنى أن الباء تبدل ياء فى نحو تعالى وأرانى فى قول
الشاعر — أشده سبيويه :

لها أشارير من لحم تتمره من الثعالى ووخر من أرانيها

قال : أراد الثعالب والأرانب فلم يمكنه أن يقف الباء فأبدل منها
حرفا يمكن أن يقفه فى موضع الجر وهو الياء ، وليس أنه حذف من
الكلمة شيئا ثم عوض منه الياء ، هذا هو رأى سبيويه — كما حكاه
ابن جنى — وهو يرى فيه رأيا آخر عبر عنه بقوله :

ويحتمل أن يكون الثعالى — عندى — جمع ثعالة وهو الثعلب ،
أراد أن يقول : ثعایل فقلب ، فقال : (تعالى) قالوا :

وكان أولها كعاب مقامر ضربت على شزن وهن شواعى^(١)

أى : شوائع ، ومن أبيات الكتاب :

تكاد أوالها تفرى جلودها ويكتحل التالى بمرور وحاصب^(٢)

يريد أوائها ، وله نظائر •

(١) وكأن أولها الخ فى رواية أخرى (وكئن صرعيا) وهما ابلان
ترد احداهما حين تصدر الأخرى لكثرتها . الكعاب : فصوص الفرد واحدها
كعب وكعبة وهو شيء يلعب به فارسى معرب واللعب بها حرام ، الشزن :
الكعب ، شواعى مقلوب شوائع أى متفرقة ، والشاعر يشبه أولى الأبل
(التى يتحدث عنها) فى مجيئها متفرقة متعارضة بعض هنا وبعض هناك
— لكثرتها — بكعاب المقامر التى تتضاد وتتفرق . اللسان ٢١٥/٢ ،
٤٣١/٤ ، ٥٨/١٠ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ١٠٢/١٧ .

(٢) تفرى : تشق وتقطع — المور : الغبار بالريح — الحاصب :
ريح شديدة تحمل التراب والحصى ، يقول : ان أوائل (ما يتحدث عنه
من خيل أو أبل) تكاد لسرعتها ونفاذها لغرضها تشق جلودها ولا يبالى
بعضها الآخر بما يدخل فى عيونها من تراب تثيره الريح . اللسان ٣١٠/١ ،
٣٧/٧ ، ١١/٢٠ ، ١٢ .

ولكن ابن جنى يعود فيرجح الابدال فيها — كما ذهب اليه
سيبويه — وكما هو في نظيرتها (أرانى) فيقول : الا أن الذى
ذهب اليه سيبويه أشبه بقولهم : أرانيها ولأن الثعالة اسم جنس
وجمع أسماء الأجناس ضعيف^(٣) .

ولكننا لو بحثنا في العلاقة الصوتية بين الباء والياء فأننا نجد
تباعدا في مخرجيهما وصفاتهما ولذا نحكم بعدم التبادل فيهما بل
هما لهجتان^(٤) .

ومن أمثلة ما قيل في التبادل بين الباء والياء ما جاء في المضعف
مثل ديباج — لبیت — ولبيك (على قول يونس) — لا وربك
لا أفعل .

قالوا : (ديباج وديابيج فدل قولهم : ديابيج بالياء على أن
أصله : دباح وأنهم استثقلوا تضعيف الباء ومثله لا وربك لا أفعل
أى وربك)^(٥) .

وقال بعضهم : لبیت بالحج هو لبیت فعلت — بتشديد العين —
من قولهم : ألب بالمكان أى أقام به قال مضر بن كعب :

فقلت لها فيء اليك فأننى حرام وانى بعد ذاك لبیب
أى ملب بالحج^(٦) .

ويزعم يونس أن لبیک اسم مفرد وأصله عنده لبب ووزنه عنده
فعل ولا يجوز أن تحمله على فعل — بتشديد العين — لقلة فعل للأسماء

(٣) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٢ واللسان
٣٣٢/١ ، ٤١٨ ، ٤١٩ .

(٤) اللهجات العربية د. نجا ص ٦٦ .

(٥) سر الصناعة (الأزهر) ١٤٢ واللسان ٨٦/٣ ، ٤٦٨/٧ ،
١٦٧/١٨ .

(٦) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٢ ، ١٤٣ وانظر الأشموى
٢٥٣/٢ .

مؤكثرة فعل فقلبت الياء التى هى اللام الثانية من لبب ياء هربا من التضعيف وهذا كله منتزع من قول سيبويه والخليل : ان لبيك مأخوذ من قولهم : ألْب بالمكان^(٧) .

وهذا يدل على أن الياء فى لببت ولبيك بدل من الباء كراهية التضعيف الذى نشأ عنه الثقل فى كليهما ولكن أهل الصنعة — وعلى رأسهم الخليل وسيبويه — خالفوا يونس فلم يقولوا بأن الياء فى لببت ولبيك بدل من باء بل الياء فيهما أصل فكلما لبيك اسم مثنى يمنزلة غلامى زيد وصاحبى سعيد فالياء عندهم علم التثنية ووزنه على قولهم فعليك^(٧) كما أن سعيدك كذلك لا محالة « قال الخليل هو من قولهم دار فلان تلب دارى أى تحاذيها أى أنا مواجهك بما تحب اجابة لك وحكى عنه — أيضا — أنه قال : هو مأخوذ من قولهم أم لبة أى محبة عاطفة ومعناه على هذا اقبالا اليك ومحبة لك وأنشد :

وكنتم كأم لبة طعن ابنها اليها فما درت عليه بساعد

وقال ابن الاعرابى : اللب الطاعة وأصله من الاقامة وقولهم لبيك : اللب واحد فاذا تثنيت قلت فى الرفع لبان وفى النصب والخفض لبين ، وكان فى الأصل لبيك أى أطعتك مرتين ثم حذف النون للاضافة أى أطعتك طاعة مقيما عندك اقامة بعد اقامة^(٨) فالياء على هذا للتثنية ونقض أصحاب هذا المذهب رأى يونس بذلك وأبطلوا وجه الشبه الذى ادعاه بين لفظ لبيك وكلمات (عليك — اليك — لديك) واحتج سيبويه على يونس فقال : لو كانت ياء لبيك بمنزلة عليك واليك ولديك لوجب متى أضفتها الى المظهر أن تقرها ألفا كما أنك متى أضفت عليك واختيها الى المظهر أقررت ألفها بحالها فكنت

(٧) المصدر السابق ص ١٤٣ .

(٨) لسان العرب ٢/٢٢٦ ، ٢٢٧ والأشمونى ٢/٢٥٢ والكتاب ٣٥٢/٤ — ٣٥٤ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون .

تقول : لبي زيد ولبي جعفر كما تقول الى زيد وعلى زيد ولدى سعيد
وأنشد قول الشاعر :

دعوت لما نابني مسورا فلبى فلبى يدي مسور

قال : قوله : فلبى بالياء مع اضافته اياه الى المظهر دلالة على أنه
اسم مثنى بمنزلة غلامى زيد وضاحبى سعيد^(٩) هذا عن الياعقى
لبيك فهى ياء التثنية وليست بدلا من ياء — كما ذهب يونس — أما
ياء لبيت بالحج فهى كذلك — عند أهل الصنعة — وليست بدلا من
ياء بل هى الياء فى لبك التى هى علم التثنية ذلك أنهم اشتقوا من
الصوت فعلا فجمعوه من حروفه كما قالوا من سبحان الله سبحانه أى
قلت سبحان الله ومن لا اله الا الله هللت ومن لا حول ولا قوة الا بالله
حولت ومن بسم الله بسملت ومن هلم هلمت وكتب الى أبر على
من حلب فى شئ سألته عنه فقال قال بعضهم سألتك حاجة فلا ليت
لى أى قلت لى لا وسألتك حاجة فلوليت لى أى قلت لى لولا قال :
وقالوا : بأبأ الصبى أباه أى قال له يا أباه ... وهذا كثير فكذلك أيضا
اشتقوا لبيت من لفظ لبك فجاء فى لبيت بالياء التى هى للتثنية فى لبك
وعلى هذا قول سيبويه^(١٠) .

وقد رجح ابن جنى رأى أهل الصنعة حين قال : « والقول
بعد ذلك قول سيبويه الا أنه لا يمنع مع ذلك صحة رأى يونس حين
قال : « ثم ان أبا على فيما بعد انتزع لنا شيئا يؤنس به قول
يونس ولم يقطع به وانما ذكره وهو أنه قال : ليونس أن يحتج
فيقول : قوله فلبى يدي انما جاء على قول من قال فى الوصل هذه
أفعى بسكون الياء عظيمة وعصى طويلة فقد حكى سيبويه أنهم
يقولون ذلك فى الوصل كما يقولونه فى الوقف وهذا ليس عندنا

(٩) سر الصناعة (الازهر) الوجه الاول من الورقة ١٤٣
والأشمونى ٢٥٣/٢ .

(١٠) المصدر السابق الوجه الثانى من الورقة ١٤٢ .

معنفا وانما فيه بعض التأنيس ويرى الأب مرجى الدومنى أن الفعل (لبي) ليس مرتجلا — كما فى الفصحى — من لفظة لبيك بل يراد به ساعد — أعان — أغاث ، كما أن لفظة لبيك ليست بمثنى وانما يراد منها المعنى السابق للفعل لبي لأسباب :

١ — تاريخ الكلمة يدل على أنها قديمة جدا ودالة على ما كان الساميون يجرونه من الأعمال فى غضون عبادتهم للقمر •

٢ — أن قدماء العرب كانوا يعتقدون أن القمر فى الليالى الأخيرة من الشهر يقع فى ضيقة لشدة الضغط النازل عليه من قبل تهامة أى البحر وهى الكلمة الأكديّة التى استقرضتها العربية ولا سيما عربية الجنوب منذ القديم كما أن هذه اللفظة ذاتها قد ولجت العبرية بصورة *tehom* فكان العرب يصرخون اذ ذاك لبيك لبيك موجّهين الكلام الى القمر كأنهم يقولون (ساعدك — أو أغاثك أو فليساعدك وليغثك الاله مروح منجيا اياك من (تهامة) وقد استمرت هذه العادة القديمة بين بعض الحامّة الجولة فى فرصة كسوف القمر لاعتقادهم الخرافى أن حوتنا يبتلعهم فيصرخون ويغجون بالشق والقرع على الأوانى النحاسية كالقدور والصوانى وغيرها تبيّلا لهذا الحوت المزعوم فيضطر لخوفه أنى قذف القمر من فيه وبذلك يزول الكسوف على ظنهم ظن الغباوة •

٣ — أن هذه الكلمة تتبعها لفظة أخرى وهى سعديك وقد أشار سيوييه الى ذلك بقوله « حدثنى أبو الخطاب أنه يقال للرجل المداوم على الشىء لا يفارقه ولا يقلع عنه : قد ألب فلان على كذا وكذا وقد أسعد فلان فلانا على أمره وساعده والالباب : المساعدة وكما ورد عن البخارى فى جواب معاذ للنبي (لبيك) رسول وسعديك •

٤ — أنها تشبه أهل واستهل أى رفع صوته والاهل بالحج ومن هذا الصوت صيغت الأفعال (هل — أهل — استهل) •

ثم تطورت دلالتها فأصبحت تطلق على الاجابة والطاعة والتهيل

والتسبيح والتعظيم والفتيجة لكل ذلك أنه « يمكن القول بأن الصيغة (لبيك) ليست من باب التثنية والنصب كما هو الرأى السائد بل هي ضرب من اللفظ القديم بالامالة على مثال الوارد فى اللهجات مثلا : نادية — توفيه — استهويه — صريط — مشكيه — كيفرين (يقابلها فى الفصيح : ناداه — توفاه — استهواه — صراط — مكثاة — كافرين) وعلى تعاقب الأزمان ثبت فى الفصحى التلفظ بالفتحة المشبعة كقولك (رماه — وفاه — دعاك) وهكذا تكون لبيك وسعديك من الآثار اللغوية القديمة التى بقيت فى اللغة وسبقت لباك وأسعدك^(١١) .

والباحث يرى أن كل تلك الآراء قديمة وحديثة تجعل مادة (لب وألب) أصلا لاشتقاق (لبيت ولبيك) ومعناها فى النهاية أنا مقيم على طاعتك^(١٢) وهذا الاشتقاق صحيح لموافقة المأخوذ للمأخوذ منه فى أصل المعنى والاتجاه ، وبهذا يبدو أن القول باشتقاق (لبيت أو لبيك) أحدهما من الآخر أمر غير سديد كما أن القول بأن لبيك اسم مفرد فيه كثير من التكلف والتعسف وهو رأى يونس وما يراه الأب مرمرجى 'الدومنى من أن (لبيك) صيغة من صيغ الامالة لا تؤيده البراهين اللغوية الواقعة اذ لا يوجد ما يؤيد أن (لبيك) كانت تنطق بصيغة الامالة ، والمعهود أن تكون امالة الألف نحو الكسرة مثل « وجاء ربك والملك » « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه » وما هنا لم يتحقق فيه ذلك بل الحرف السابق (للألف — حسب ما يراه) مفتوح فتحة صريحة لا صلة لها بالكسرة بحال وهى لا تتفق والأمثلة اللهجية التى ذكرها بل تلك النظائر أميلت فيها الألف نحو الكسرة على خلاف لبيك وسعديك ، ويبدو أن رأى أهل الصنعة — وعلى رأسهم الخليل وسيبويه فى الذهاب الى أن لفظ (لبيك) مثنى هو أكثر صوابا وقبولا يدل لذلك القاعدة اللغوية المشهورة (الاعراب

(١١) معجمات عربية سامية للأب مرمرجى الدومنى ص ١٧٠ —

(١٢) اللسان ٢٢٦/٢ .

فرع المعنى (فمعناها (اجابة لك بعد اجابة واقامة على طاعتك بعد اقامة) وهذا يؤكد أن اللفظ مثنى وأنه منصوب على المصدرية كقولك حمدا لله وشكرا وكان حقه أن يقال : لبالك إلا أنه ثنى على معنى التوكيد أى البابا لك بعد الباب واقامة بعد اقامة^(١٣) وأما القول بأن الياء فى (لبيت ولبيت) يدل من الياء فيمكن التفصيل فيه فالأقوى احتمالا أن تكون الياء فى الفعل بدلا من الياء تبعا لأصل اشتقاقه من لب أو أل بالمكان بمعنى أقام به ولزمه فالمتوقع فى الصياغة — تبعا للقواعد العامة أن يكون أصله (ل ب ب — لب ب ت) ثم أبدلت الياء الأخيرة ياء كراهية توالى الأمثال^(١٤) وهو قانون بينا أنه منطق علم اللغة الحديث — والأقوى احتمالا — كذلك — ألا تكون الياء فى (لبيت) بدلا من باء — مع اعترافنا بوجوعها الى أصل المادة (ل ب ب) — فالمعروف أن (لبيت) كما رجحنا مثنى المصدر (لب) بحالة النصب وأصله (لبان) لك ولبين لك فالظاهر أن الياء هنا علم النصب فى التثنية ولا صلة لها بحرف آخر كالباء اذ الصيغة هنا من الثلاثى وهى ثلاثية أيضا بعكس صيغة الفعل (لبي) فهى رباعية ولا بد لصياغتها من لب أن تكون هناك باء أخرى زيدت على الأصل الثلاثى ثم أبدلت منها الياء للمخالفة التى تحقق انسجام الأصوات فى الكلمة .

التبادل بين التاء والياء :

اتسر — اتبس : (من اليسر واليبس) — ثنتان — كيت وذيت .
ذكر ابن جنى أن الابدال بين التاء والياء مقيس فى افتعل
مما فاءوه ياء^(١٥) .

وأما ثنتان فقال عنها : ويدل على أنه من الياء أنه من ثنيت

(١٣) اللسان ٢/٢٢٧ .

(١٤) يقول صاحب اللسان لبيت بالمكان ولبيت لفتان اذا اقيمت به وهو اصل التلبية كما حكى أبو عبيد عن الخليل . اللسان ٢٠/١٠٤ .

(١٥) سر الصناعة ١/١٦٤ ، ١٦٥ .

لأن الاثنين قد ثنى أحدهما عن صاحبه وأصله ثنى يدل على ذلك جمعهم اياه على أثناء ، بمنزلة أبناء وآباء فنقلوه من فعل — بفتح الفاء والعين — الى فعل — بكسر الفاء وسكون العين كما فعلوا ذلك فى بنت^(١٦) والمثالان الأخيران أصلهما كية وذية ثم انهم جذفوا الهاء وأبدلوا من الياء التى هى لام تاء كما فعلوا ذلك فى (ثنتان) والصيغة فيهما علم التأنيث كما كانت الصيغة فى (ثنتان) كذلك علم التأنيث وليست التاء فيهما منقلبة عو واو وأن أصلهما كيو وذيوه لأنه يؤدى الى مثال ليس فى كلام العرب « لأنه ليس فى كلامهم لفظة عين فعلها ياء ولام فعلها واو » الا اذا كان علما مثل رجاء بن حيوة لأنه قد يحتمل فى الأعلام ما لا يحتمل فى غيرها^(١٧) ، ويمكن أن نطبق على هذه الأمثلة ما ذكرناه فيما سبق وبخاصة أن الأسمونى يقول عن اعراب (ثنتان) ومثل اثنتين ثنتان فى لغة تميم^(١٨) وقال قبل ذلك انهما اسمان من أسماء التثنية وليسا بمثنيتين حقيقة فليس لرأى ابن جنى مجال من جعلها تثنية (ثنى) وأنها من تثنيته^(١٩) ، ولا داعى للتفريق بينها وبين اثنتان على ما تصور ابن جنى وكل ذلك يمكن اعتباره لهجات متعددة لا من قبيل الابدال لعدم العلاقة الصوتية ولا مسوغ للابدال أو الاعتذار عن ابن جنى بعد أن استقر لدى القدماء مخرج الياء ووافقتهم عليه المحدثون وهو وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى والتاء على ما سبق من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا وبينهما من الحروف — على رأى ابن جنى نفسه — ض — ل — ر — ن — ط — د ، فالتفسير الصحيح لذلك أنه من اختلاف الناطقين فبعضهم يقول اتسر والآخرون ايتسر وبعضهم يقول اثنتان وآخرون ثنتان وبعض يقول كية وذية وبعض آخر كيت وذيت وهكذا .

(١٦) المصدر السابق ١٦٩/١ .

(١٧) المصدر السابق ١٦٩/١ ، ١٧٠ ، ١٧١ .

(١٨) الأسمونى ٧٨/١ . (١٩) سز الصناعة ١٦٩/١ .

وذكر ابن جنى أن الياء تبدل من التاء مثل ايتصلت فقد أبدل الياء من التاء الأولى كراهية التضعيف^(٢٠) إذ أصلها اتصلت قال : (وايتصلت بمثل ضوء الفرقد) وهذا يخالف ما ذكره ابن جنى في مكان آخر إذ صرح بأن التاء هي التي أبدلت من فاء افتعل التي كانت واوا^(٢١) خوفا من تلاعب الحركات بالواو فانها لو تركت دون ابدال بالتاء حولتها الحركات المختلفة فيها إلى حروف مد من جنسها « فوجب أن يقلبوها إذا انكسر ما قبلها ياء فيقولوا ايتزن ، ايتعد ، ايتلج فاذا انضم ما قبلها ردت إلى الواو فقالوا موتحد وموتزن وموتلج واذا انفتح ما قبلها قلبت الفاء فقالوا ياتعد وياتزن وياتلج^(٢٢) ، وعلى هذا فالياء في ايتصل ونحوها ليست مبدلة من التاء — كما ذكر ابن جنى في سر الصناعة حرف الياء بل ان الياء بدل من الواو حولت اليها لمناسبة الكسرة وهذا التلاعب لهجة عربية اعترف بها ابن جنى نفسه^(٢٣) وقد شرحنا ذلك فيما مضى .

التبادل بين التاء والياء :

يفديك يا زرع أبى وخالى قد مر يومان وهذا الثالى

وأنت بالهجران لا تبالى

أراد الثالث^(٢٤) والواقع أن هذا لا يعد من الأبدال بل كل منهما لهجة وذلك لأنه لا تقارب بين الياء والتاء حتى يقع بينهما التبادل .

التبادل بين الجيم والياء :

ذكر ابن جنى أن الياء تبدل من الجيم كما في كلمة شجرة فانها تنطق

(٢٠) المصدر السابق (الأزهر) الورقة ١٤٦ .

(٢١) المصدر السابق ١٦٣/١ .

(٢٢) المصدر السابق ١٦٤/١ .

(٢٣) المصدر السابق ١٦٥/١ .

(٢٤) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٦ .

أحيانا شيرة وقرىء (ولا تقربا هذه الشيرة)^(٢٥) وقد عرض ابن جنى
لرأيين فيها :

الأول : أن الياء ليست بدلا من الجيم بل هى أصل مثلها فى لهجة من
اللهجات واستدل على ذلك بأمرين :

١ — ثبات الياء فى تصغيرها فى قولهم (شيرة) ولو كانت
بدلا من الجيم لكانوا خلقاء اذا صغروا الاسم أن
يردوها الى الجيم ليدلوا على الأصل •

٢ — أن شين شجرة مفتوحة وشين شيرة مكسورة والبدل
لا تغير فيه الحركات انما يوقع حرف موقع حرف (مثل
أيل وأجل)^(٢٦) • قال أبو الفتح : حكى أبو الفضل
الرياشى قال : كنا عند أبى زيد وعندنا أعرابى فقلت له :
انه يقول الشيرة فسأله عنها فقلت له : سله عن
تصغيرها فسأله فقال : شيرة وأنشد الأصمعى لبعض
الرجاز : (تحسبه بين الآكام شيرة)^(٢٧) وقال صاحب
البحر : « كره أبو عمرو هذه القراءة وينبغى ألا يكرهها
لأنها لغة منقولة » •

الثانى : أن تكون الياء بدلا من الجيم — ببعض الصنعة — فالعرب
اذا قلبت وأبدلت قد تغير فى بعض الأحوال مثل جاء مقلوب
وجه ألا ترى أنه بعد تقديم العين لم يسكن الواو بل حركها
فقلبت ألفا فكذلك غيرت فتحة الشين كسرة وزاد فى الأتس
بالكسر أنه لو أقرت الفتحة لقلبت الياء ألفا فيقال شارة فكانت

(٢٥) سورة البقرة الآية ٣٥ ، والبحر ١/١٥٨ •

(٢٦) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٦ ، واللسان (شجر)

٦٢/٦ ، ٦٣ •

(٢٧) المحتسب ١/٧٣ ، ٧٤ وانظر اللسان ٦/٦١ والقاموس

المحيظ ٢/٥٦٦ •

تبعد كثيرا عن شجرة ، وليس كذلك كلمة (جاء) لأنه يشبه وجهها لسكون ثانيه بخلاف شارة لأن ثانيه ساكن وثانى شجرة متحرك فعدلوا لذلك الى كسر الشين وكان هذا اوفق وأليق (٢٨) .

ويؤنس لهذا الوجه أيضا ما ذكره فى المحتسب « من أن بعض العرب تقول الشجرة (بكسر الشين) وقَالَ ابن إسحاق لغة بنى سليم الشجرة (٢٩) — بكسر الشين — ويعقب صاحب اللسان بأن الواحد شجرة وشجرة — بفتح الشين وكسرها — وقالوا شيرة فأبدلوا ، فاما أن يكون على لغة من قال شجرة — بكسر الشين — واما أن تكون الكسرة لجاورتها الياء (٣٠) والواقع أن البحث اللغوى الحديث يؤيد الابدال بين الياء والجيم لاتفاقهما فى المخرج فكلاهما من (وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى) وكلاهما مجهور مسنتقل منفتح مصمت (٣١) ولا مانع من نسبة كل منهما الى حى من العرب وذات الجيم والشين المفتوحة تناسب الحضر لخفتها على حين تناسب المكسورة الشين والمبدلة سكان البادية كبنى سليم وغيرهم من الأعراب .

ويقول ابن جنى بالتبادل كذلك بين الجيم والياء فى المضعف ويمثل لذلك بقولهم فى جمع ديجوج : دياج أصله : دياجيج فأبدلت الجيم الأخيرة ياء وحذفت — مع الياء قبلها — تخفيفا (٣٢) ، ويقول صاحب اللسان : وجمع الديجوج دياجيج ودياج وأصله : دياجيج فخففوه بحذف الجيم الأخيرة ، قال ابن سيده : التعليل لابن جنى (٣٣) .

(٢٨) سر الصناعة (الأزهر) ١٤٦ بتصرف .

(٢٩) المصدر السابق ٧٣/١ ، ٧٤ .

(٣٠) اللسان ٦١/٦ .

(٣١) التجويد والأصوات ٤٩ ، ٥٠ والأصوات اللغوية ٦٤ ، ٦٥ .

(٣٢) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٦ .

(٣٣) اللسان ٨٩/٣ .

وليس من المعقول أن يكون قد حذف الجيم ابتداءً بل الأمر يقتضى قلبها أولاً الى ياء للانسجام الصوتى ثم حذفت مع الياء قبلها زيادة فى تخفيف اللفظ وبخاصة أنه قد ثقل بالجمع مع وجود الأصوات المتماثلة فى صعيد واحد .

قال الأحمر : بعير أَزِيمٌ وأَسْجَمٌ — وهو الذى لا يرغب — قال شمر : الذى سمعت بعير أزجم بالزاي والجيم وقيل أبو الهيثم ليس بين الأزيم والأزجم إلا تحويله الجيم ياء وهى لغة تميم معروفة (٣٤) .

ونقل عن بنى تميم أنهم يقولون : الصهارى وصهرى فى الصهاريج وصهريج (٣٥) .

التبادل بين الدال والياء :

من أمثلة ذلك (فعلت) من التصدية — وهى التصفيق والصوت قال الأزهرى : يقال صدى يصدى تصديه اذا صفق (٣٦) وأصله صدد يصدد فكثرت الدالات فقلبت احداهن ياء (٣٧) ومنه الثلاثى صددت أصد وصددت أصد بكسر الصاد وضمها فى المضارع وفى التنزيل : ولما ضرب ابن مريم مثلاً اذا قومك منه يصدون أى يعجون ويضجون والاختيار يصدون بالكسر وهى قراءة ابن عباس وفسره يضجون ويعجون . قال أبو منصور فاذا

(٣٤) التهذيب ٢٧٥/١٣ (زيم) وفى اللسان إلا تحويله الياء جيما وقد دعا ذلك بعض الباحثين الى عدم نسبة هذه الظاهرة الى تميم مع أن ذلك ثابت كما ورد عن الأزهرى ، لغة تميم لضاحى عبد الباقى ص ٨٥ .

(٣٥) الإبدال لأبى الطيب ١٦١/١ والأمالى ٢١٤/٢ .

(٣٦) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٥ ومنه قوله تعالى (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية) فالمكاء الصغير والتصدية التصفيق وقيل للتصفيق تصدية لأن اليدين يتصافقان فيقابل صفق هذه صفق الأخرى وصد هذه صد الأخرى وهما وجهها . اللسان ٢٣٣/٤ .

(٣٧) اللسان ٢٣٣/٤ .

كان المعنى يضج ويعج فالوجه الجيد صد يصد مثل ضج
يضج^(٣٨) وأنكر أبو جعفر الرستمي هذا القول على أبي عبيدة وقال :
انما هو من الصدى وهو الصوت فكيف يكون مضاعفا ؟ ، وقال
أبو علي : ليس ينبغي أن يقال هذا خطأ لأنه قد ثبت بقوله يصدون
وقوع هذه الكلمة على الصوت وضرب منه وإذا كان كذلك لم يمتنع
أن يكون تصدية منه ويكون تفعلة من ذلك أصلها تصددة مثل التجلة
والتعلة^(٣٩) فلما قلبت الدال الثانية من تصدده تخفيفا اختلف
اللفظان فبطل الادغام^(٤٠) .

المتبادل بين الراء والياء :

شيراز — قيراط — تسريت .

أولا : شيراز^(٤١) فيه عدة أوجه :

١ — أن تكون الياء بدلا من الراء وذلك من وجهين :

(أ) أن يكون أصله شرازا والجمع شراريز وهذا واضح في
إبدال الياء من الراء الأولى .

(ب) أن يكون أصله شرازا والجمع شواريز ، يقول ابن جنى وقد
يجوز — أيضا — على هذا أن يكون أصل واحد شرازا إلا أنهم
أبدلوا من الراء الأولى ياء — كما ذكرناه — ثم انهم لما جمعوا
أبدلوا الياء المبدلة عن الراء واوا لقرب ما بين الياء والواو .

٢ — أن تكون الياء بدلا من الواو : قال ابن جنى : فأما من

(٣٨) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٥ واللسان
٢٣٢/٤ .

(٣٩) اذ أصلها تجلة وتعلة ثم ادغم .

(٤٠) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٥ والأول

من الورقة ١٤٦ .

(٤١) اللين الرائب المستخرج مأوه ج شواريز وشراريز وشأريز

فيمن يقول : شئراز انظر مادة (شرز) القاموس : ١٨٥/٢ .

قال في شيراز شواريز فانه جعل الياء فيه مبدلة من واو وكان أصله على هذا شورازا فلما سكنت الواو وانكسر ما قبلها قلبت ياء ثم انه لما زالت الكسرة في الجمع رجعت الواو فقالوا شواريز فان قلت : فان بناء فعوال ليس موجودا في الكلام فمن اين حملت واحد شواريز عليه ؟ فالجواب : أن ذلك انما رفض في الواحد لأجل وقوع الواو ساكنة بعد الكسرة فلم يمكن اظهارها فلما لم يصلوا الى اظهار الواو في الواحد لما ذكرناه وكانوا يريدونها أنظروها في الجمع ليدلوا على ما أرادوه في الواحد لينعلموا أنها لم تزد في الواحد ياء في أول أحوالها وأنها ليست كديماس ودياميس ولا كديياج وديابيج فيمن نطق بالياء بعد الدال والدليل على كون الياء في شيراز بدلا من الواو في شوراز وأنها بمنزلة ياء ديماس ظهورها في الجمع شواريز (٤٢) .

٣ — أن تكون الياء غير مبدلة من راء ولا واو بمنزلة ياء ديماس قال ابن جنى : ويحتمل قولهم عندي شواريز قولاً آخر على غير المذهب الأول وهو أن يكون شيراز قيعالا والياء فيه غير مبدلة من راء ولا واو بمنزلة ديماس وكان قياسه على هذا أن يقولوا في تكسيره شياريز كدياميس ولكنهم أبدلوا من الياء واوا لضرب من التوسع في اللغة وذلك أن الواو في هذا المثال المكسر أعم تصرفا من الياء ألا ترى الى كثرة نحو ضارب وقواطل ... وقلة صيارف وبياطر فلما ألقيت الواو في هذه الأمثلة المكسرة وكانت أعم تصرفا من الياء قلبت الياء أيضا في شياريز واوا في شواريز كما قلبت الواو أيضا في نحو هذا من مكسر الأمثلة ياء لضرب من الاتساع في الكلام وقالوا في جمع ناطل ... نياطل ولم يقولوا نواطل مثل خواتم

ودانق قال ليبيد : (تكرر عليهم بالمزاج النياطل)^(٤٣) وقد زجح
ابن جنى أن تكون غير مبدلة من راء ولا واو حيث يقول بعد حديثه
عن الرأى الأول مشيرا الى الرأى الثالث الذى معنا وكان قد ذكره
قبله — والقول الذى قبل هذا أشبهه .

ثانيا : قسراط : أصله قراط بالتشديد لأن جمعه قراريط
قأبدل من احدى حرفى تضعيفه ياء .. قال ابن دريد : أصل القيراط
من قولهم : قرط عليه اذا أعطاه قليلا والياء فى قسراط بدل من
الراء^(٤٤) .

ثالثا : تسربت : هذا الفعل مأخوذ من السرية^(٤٥) بتشديد السين
المضمومة وتشديد الراء المكسورة وقد اختلف فى اشتقاقها على الوجوه
الآتية :

١ — من سراة الشيء : وسراة الشيء أعلاه وما ارتفع منه^(٤٦)
وأصلها على هذا (فعيلة) سريوة لأن السراة من الواو ويظهر ذلك
فى جمعها على سروات يقول الفرزدق :
وأصبح مبيض الصقيع كأنه على سروات النبت قطن مندف
فاجتمعت الواو والياء وسبقت احدهما بالسكون فقلبت الواو
ياء وأدغمت فى الياء^(٤٧) .

٢ — من السرو بمعنى المروعة والشرف يقال سرو يسرو سراوة

(٤٣) الأزهر الوجه الثانى من الورقة ١٤٣ ، ١٤٤ وانظر المحتسب
١٥٧/١ والنياطل : جمع ناطل وهو القدح الصغير الذى يعرض فيه
الساقى أنموذجه من الشراب على الندامى ، وقال الجوهري : انه جمع
فيطل لأن فاعلا لا يجمع على فياعل . اللسان ١٩٠/١٤ .
(٤٤) القيراط معيار فى الوزن وفى القياس تختلف مقاديره باختلاف
الآزمنة ، ويقال القيراط والقراط بالتشديد انظر القاموس ٣٩٢/٢ ، ٢٩٣
واللسان (قرط) ٣٥٢/٩ والمعجم الوسيط ٧٢٧/٢ .
(٤٥) الجارة المتخذة للملك والجماع والأمة التى بواتها بيتا .
(٤٦) اللسان ١٠٠/١٩ .
(٤٧) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الأول ورقة ١٤٥ .

وسروا أى صار سريا وله صلة بالمعنى السابق اذ الشرف والمروءة ارتفاع عن الدنيا ومن هنا قال أبو العباس : السرى الرفيع فى كلام العرب ومعنى سرو الرجل يسرو أى ارتفع يرتفع فهو رفيع مأخوذ من سراة كل شىء ما ارتفع منه وعلا^(٤٨) الا أن سرية على هذا يكون أصلها فعولة من السرو وقلبت الواو الأخيرة ياء طلبا للخفة ثم ادغمت الواو فيها فصارت ياء مثلها ثم حوت الضمة كسرة لمجاورة الياء^(٤٩) .

٣ — من السرور وبه قال أبو الحسن الأخفش يقول ابن جنى : والذي ذهب اليه أبو الحسن أنها فعلية من السرور لأن صاحبها يسر بها ، ودفع أبو الحسن ما سبق من الآراء وقال ان الموضع الذى تؤتى المرأة منه ليس أعلاها ولاسراتها قال ابن جنى : والقول ما قال^(٥٠) .

٤ — (أ) من السر بمعنى الجماع لأنه يكتم « وذلك أن صاحبها أبدا يخفيها ويسر أمرها من حرته وصاحبة منزله »^(٥١) وهى فعلية بهذا الاشتقاق أيضا وضمت السين للفرق بين الحرة والأمة توطأ فيقال للحرة اذا نكحت سرا أو كانت فاجرة سرية — بكسر السين — وللمملوكة يتسراها صاحبها سرية — بضم السين مخافة اللبس^(٥٢) .

(ب) من السر بمعنى السرور وبه قال أبو الهيثم ولعل هذا مأخوذ من رأى أبى الحسن الأخفش السابق .

٥ — من السرى يقول ابن جنى : « ولو قال قائل انها فعيلة من

(٤٨) اللسان ٩٩/١٩ ، ١٠٠ .

(٤٩) المصدر السابق ٢٢/٦ .

(٥٠) سر الصناعة : (الأزهر) الوجه الأول ورقة ١٤٥ .

(٥١) المصدر السابق (الأزهر) ١٤٥ .

(٥٢) اللسان ٢٢/٦ .

سريت أى سرت ليلا اليها لأن فى ذلك ضربا من الاخفاء والستر
لكان قولاً (٥٣) .

ومن هذه الآراء يتلخص لنا أن وزنهما اما فعلية — كما هو الرأى
الثالث والرابع — واما فعيلة — كما هو الرأى الأول والخامس — واما
فعولة — كما هو الرأى الثانى — وعلى أخذها من السرى لا يتحقق
الابدال فى شئ من الحروف لأن الياء تكون أصلية فى موضعها ،
وعلى أخذها من السراة والسرو يكون الابدال من الواو الى الياء
— كما هو مبين سابقا — وليس من بابنا الذى نتحدث عنه ، ويتحقق
ما أردناه اذا أخذت من السر أو السرور اذ تكون السرية من (مادة
س ر ر) المكررة الراء ويكون تسريت أصله تسريت على تحويل
التضعيف فالراء أبدلت ياء لما توالى ثلاث راءات ، ولذلك قال
ابن جنى ان حملها على أنها فعيلة أوجه لأمرين :

(أ) لأن فعلية أكثر فى الكلام من فعيلة .

(ب) معنى السر والسرو أظهر من معنى السراة والسرى (٥٤) .

التبادل بين السين والياء :

قال الشاعر :

إذا ما عد أربعة فسال فزوجك خامس وأبوك سادى

وقال الآخر :

جويزل أعوام أذاعت بخمسة وتعتدنى ان لم يق الله ساديا

وقال ثالث :

مضى ثلاث سنين منذ حل بها وعام حلت وهذا التابع الخامى

(٥٣) سر الصناعة (الأزهر) ١٤٥ .

(٥٤) المصدر السابق .

وقال :

عمر بن كعب بن عبد الله بينهما
وابناهما خمسة والحارث السادي^(٥٥)

والواقع أنه لا ابدال بين السين والياء لعدم التقارب في المخرج
أو الصفة فكل منهما لغة لقوم ، يقول ابن منظور في لسانه : والسادى :
السادس في بعض اللغات وذكر البيت الأول^(٥٦) .

التبادل بين الصاد والياء :

يذكر ابن جنى من ذلك (قصيت أظافرى والأصل قصيتها)
فقلبت إحدى الصادات ياء كراهية التضعيف^(٥٧) .

التبادل بين الضاد والياء :

وهذا مثل تقضى بمعنى انقض وأصله تقضض على وزن
(تقضى) من الانقضاض قال الشاعر :

تقضى البازى اذا البازى كسر

ويجوز أن يكون (تقضى البازى) تفعلًا من قضيت بمعنى عملت
وصنعت قال أبو ذؤيب :

وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع
أى عملهما .

وعلى ذلك يكون معنى تقضى البازى أى عمل البازى فى طيرانه
والوجه هو الأول^(٥٧) .

(٥٥) سر الصناعة (الأزهر) ١٤٢ وانظر اللسان ٨٦/٣ ، ٤٦٨/٧ ، ١٦٧/١٨ .

(٥٦) ٩٩/١٩ .

(٥٧) سر الصناعة (الأزهر) ١٤٥ والمحاسب ١٥٧/١ وانظر اللسان ١٤٤/١٧ ، ٤٥/٢٠ قال ابن جنى وقد يجوز عندي أن يكون قضيت فعلت من أقاصى الشيء لأن أقاصيه أطرافه والمأخوذ من الأظفار إنما هو أطرافها وأقاصيها فلا يكون فى هذا بدل .

التبادل بين العين والياء :

من ذلك قول الشاعر أنشده سيبويه :

ومنهل ليس به حوازق وللضفادى جمّة نقائق
يريد للضفادع جمّة فكره أن يسكن العين فى موضع الحركة فأبدل
منها حرفا يكون ساكنا فى حال الجر وهو الياء^(٥٨) .

والواضح أنها لغة وليست من الابدال فى شىء لعدم تقارب
مخرجى الحرفين وصفاتهما .

وفى المضعف قالوا : تلعت من اللعاعة وهى بقلّة وأصله
تلعت^(٥٩) ويقول صاحب اللسان :

واللعاعة أيضا بقلّة من ثمر الحشيش تؤكل وألعت الأرض تلح
العاا أنبتت اللعاع وتلغى اللعاع أكله وهو من محول التضعيف
يقال : خرجنا نتلغى أى نأكل اللعاع كان فى الأصل نتلعم مكرر
العينات فقلبت احداها ياء^(٦٠) .

التبادل بين الكاف والياء :

من ذلك « مكوك ومكاكى أصله مكاكيك مثل سفود وسفافيد^(٦١)
فأبدل كراهية التضعيف ... وفى حديث أنس أن رسول الله ﷺ :
كان يتوضأ بمكوك ويغتسل بخمس مكاكيك وفى رواية بخمس
مكاكى^(٦٢) .

(٥٨) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الأول من الورقة ١٤٦ وانظر
اللسان (ضفدع) ٩٤/١٠ .
(٥٩) المصدر السابق الوجه الأول من الورقة ١٤٦ .
(٦٠) اللسان ١٩٥ / ١٠ .
(٦١) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٦ .
(٦٢) اللسان ٣٨١/١٢ .

التبادل بين اللام والياء :

من ذلك أمليت وأصلها أملت وهما لغتان قال ابن جنى : قولهم أمليت الكتاب إنما أصله أملت فأبدلت اللام الآخرة هرباً من التضعيف فقد جاء القرآن باللغتين جميعاً قال الله عز وجل : « فليمل الذي عليه الحق » وقال « فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً »^(٦٣) وفي اللسان قال الفراء : أملت لغة أهل الحجاز وبنى أسد وأمليت لغة بنى تميم وقيس^(٦٤) وقرأ عكرمة (ايلاً ولا ذمة) بياء بعد الكسرة خفيفة اللام^(٦٥) وأصلها (الا) تحولت اللام المضعفة الى الياء وقد أشار ابن جنى الى حدوث الثقل باجتماع المثليين وأن ذلك يؤدي الى تخفيفهما باتباع قانون المخالفة يقول (طريق الصنعة فيه أن يكون أراد (الا) كقراءة الجماعة الا أنه أبدل اللام الأولى ياء لثقل الادغام وانضاف الى ذلك كسرة الهمزة وثقل الهمزة وقد جاء نحو هذا في أحرف صالحة كدينار لقولهم دنانير وقيراط لقولهم قيراريط وديماس فيمن قال : دماميس وديجاج فيمن قال ديابيج وشيراز فيمن قال : شراريز^(٦٥) ..

التبادل بين الميم والياء :

ديماس — يأتى — يكما — معمية .

(أ) قال سيبويه : من قال فى جمع ديماس دماميس فالياء فيه بدل من الميم اذ أصله حينئذ دماس فأبدل كراهية التضعيف^(٦٦) .

(٦٣) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٥ والمحتسب ٥٧/١ واللسان ١٤٤/١٧ ، ٤٥/٢٠ .

(٦٤) ١٥٣/١٤ ، ١٥٤ .

(٦٥) المحتسب ٢٨٣/١ ، ٢٨٤ والخصائص ٢٣١/٢ .

(٦٦) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٥ بتصرف واللسان ٣٩٠/٢ ، ٣٩١ .

(ب) قال الشاعر : أخبرنا أبو علي بإسناده عن يعقوب عن ابن الأعرابي أنه أنشده :

نزور أمراً أما الاله فيتقى وأما بفعل الصالحين فيأتمى
أراد : يأتى فأبدل الميم الثانية ياء^(٦٧) .

(ج) وقال في قول الراجز : (بل لو رأيت الناس اذ
تكموا ... الخ) .

قالوا أراد تكموا من تكمت الشيء اذا سترته فأبدلت الميم
الأخيرة ياء فصارت في التقدير (تكموا) ، فأسكنت الياء وحذفت
كما تقول : قد تولوا من وليت ، وذكر ابن جنى احتمالاً آخر فيه
وهو أن يكون تكموا تفعلوا من كمت الشيء اذا سترته ومنه قولهم
كمى وهو الذى تستر فى سلاحه فيكون تكموا على هذا مما لاه
معتلة ولا يكون أصله من ذوات التضعيف^(٦٨) وقال ذو الرمة :

منطقة بالآل معممة به دياجيرها الوسطى وتبدو صدورها

قال ابن الأعرابي : أراد معممة فأبدل من الميم ياء ، وجوز ابن
جنى أن يكون مشتقاً من العمى^(٦٩) وعلى هذا لا ابدال فيه .

وكذلك قوله : أيما فى (أما) فأبدل من الميم المضعفة ياء^(٧٠)
استثقالاً للتضعيف وحده ، قال سعد بن قرط يهجو أمه :

ياليتمنا أمنا شالت نعامتها أيما الى جنة أيما الى نار
وقال عمر بن أبى ربيعة :

رأت رجلاً أيما اذا الشمس عارضت

فيضحى وأيما بالعشى فيخصر^(٧١)

(٦٧) المصدر السابق الورقة ١٤٥ واللسان ٤٨/١٨ .

(٦٨) المصدر السابق (الأزهر) الورقة ١٤٥ وانظر اللسان ٣٧٨/٥ ،

٤٣٢/١٥ ، ٤٣٣ ، ١٤٣/١٧ ، ١٢٩/١٩ .

(٦٩) المصدر السابق الوجه الثانى من الورقة ١٤٥ .

(٧٠) الخصائص ٦٥/٢ والمحتسب ٢٨٣/١ .

(٧١) المحتسب ٢٨٣/١ .

التبادل بين النون والياء :

(أ) دينار (ب) لم يتسن (ج) تظنيت

(أ) أصله دينار والقول فيه كالقول في قيراط لقولهم في التفسير دنانير ولم يقولوا ديانير وكذلك التحقير وهو دنينير ، فقلبت إحدى النونين ياء كراهية التضعيف ولئلا يلتبس بالمصادر التي تجيء على فعال — بتشديد النعين — كقوله تعالى : (وكذبوا بآياتنا كذابا) إلا أن يكون بالهاء فيخرج على أصله مثل الصنارة والدنامة لأنه آمن الآن من الالتباس ولذلك جمع على دنانير قال أبو منصور : دينار وقيراط وديباح أصلها أعجمية غير أن العرب تكلمت بها قديما فصارت عربية ويلاحظ أن العرب يخففون ما يجري على ألسنتهم سواء كان عربيا أصيلا أو معربا كما هو واضح هنا .

(ب) لم يتسن : يقول ابن جنى « قرأت على أبي على باسناده عن أبي عبيدة قال : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : لم يتسن : لم يتغير من قوله تعالى من حمأ مسنون أى متغير فقلت له : لم يتسن من ذوات الياء ومسنون من ذوات التضعيف فقال هو مثل تظنيت وهو من الظن فأصله على هذا القول لم يتسن ثم قلبت النون الآخرة ياء هربا من التضعيف فصار يتسنى بسكون الياء ثم أبدلت الياء ألفا فصار يتسنى ثم حذفت الألف للجزم فصار لم يتسن .

(ج) تظنيت أصله تظننت حولت إحدى التونات ياء قال ابن جنى ومن ذلك قولهم تظنيت وهو تفعلت من الظن وأصلها تظننت فقلبت النون الثالثة ياء كراهية التضعيف (٧٢) .

(٧٢) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٥ وانظر اللسان ٣٧٨/٥ ، ٤٣٢/١٥ ، ١٣٣ ، ١٤٣/١٧ ، ١٢٩/١٩ .

التبادل بين الهاء والياء :

(أ) صهصيت ، يقال : صه القوم وصهصه بهم : زجرهم^(٧٣)
وقالوا فى صهصت بالرجل : اذا قلت له صه صه : صهصيت ، فأبدلوا
من الهاء ياء .

(ب) دهديت ، قالوا : دهديت الحجر ، أى : دحرجته واصله
دهدته ، ألا تراهم قالوا : دهدوة الجبل لما يدحرجه ، قال
أبو النجم :

كأن صوت جرعا المستعجل جندلة دهديتها فى جندل^(٧٤)

دهدت الحجارة ودهديتيا اذا دحرجتها فتدهده الحجر .

(ج) هذه فى هذى — هنية فى تصغير هنة — زنادقة
وفرازنة^(٧٥) .

ويقول ابن جنى فى هذى وهذه : ابدلت الياء من الياء بدليل
التصغير ذيا فى تصغير ذا — ويكتفى به عن تصغير ذى — فكما لا نجد
الهاء فى المذكر (ذا) أصلا فكذلك هى فى المؤنث بدل غير أصل ،
وليست الهاء فى هذه بمنزلة هاء طلحة وحمزة لأن الهاء فى طلحة

(٧٣) اللسان ٤٠٦/١٧ .

(٧٤) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الأول من الورقة ١٤٢ .

الجعل : — بضم الجيم وفتح العين — دابة سوداء من دواب
الأرض ، قيل : هو أبو جعران — بفتح الجيم — وجمعه جعلان — بكسر
الجيم — وقيل : هو حيوان معروف كالخنفساء ، ودهدوة الجمل :
ما يدحرجه من الخراء (النتن) بأنفـه ، وجرع الماء : بلعه وكذلك
تجرعه ، وقال ابن الأثير : التجرع : شرب فى عجله أو قليلا قليلا ،
الجندل : الحجارة ، الواحدة : جندلة . اللسان ٣٩٥/٩ ، ١١٨/١٣ ،
١١٩ ، ١٣٦ ، ٣٨٢/١٧ .

(٧٥) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٠٥ — ١٠٧ .

وحمزة زائدة والهاء فى هذه ليست بزائدة انما هى بدل من الياء التى هى عين الفعل فى هذى وأيضا فان الهاء فى حمزة نجدها فى الوصل تاء والهاء فى هذه ثابتة فى الوصل ثباتها فى الوقف^(٧٦) ولم تترك ساكنة (هذه) مع أنها فى اسم غير متمكن لأنها شبيهت بهاء المضمير مثل مررت به وعلامه على أن منهم من يسكنها فى الوصل على أصل القياس فيقول هذه هند ولكن يجب تحركها بالكسر اذا التقت مع ساكن مثل هذه المرأة والأشبه أن يكون صاحب لغة التسكين قد رجع الى أصحاب لغة التحريك لما اضطر الى تحريكها^(٧٧) وكما أن من قال هم قاموا فسكن الميم اذا احتاج الى تحريكها رجع الى لغة من ضمها فى هم فقال : هم الذين يقولون ... ومن قال هم قاموا فأسكن الميم من هم متى احتاج رد اليها الضمة التى فى لغة من يقول : هم قاموا وعلى هذا قراءة أبى عمرو وغيره « هم الذين يقولون » و « انهم هم الناسقون » ألا تراه يقرأ « وهم بدأوكم » و « انهم كانوا كافرين » وغير ذلك مسكن الميم^(٧٨) .

ومن ابدال الهاء من الياء قولهم فى تصغير هنة هنية وأصلها الأول هنيوة لأن لام الفعل فى تصريف هذه الكلمة واو لقولهم : على هنوات شأنها متتابع ... فانما الهاء فى هنية بدل من الياء فى هنية والياء فى هنية بدل من الواو فى هنيوة^(٧٩) .

وقد صرح ابن جنى بالتعويض فى زنادقة وفرازنة فقال : فاما قولهم : الهاء فى زنادقة وفرزانة بدل من الياء فى زناديق وفرازين فليس يريدون بذلك البدل على حد ابدالهم

(٧٦) سر الصناعة الورقة ١٠٦ الوجهان بتصرف ولسان العرب ٣٣٧/٢٠ .

(٧٧) سر الصناعة ص ١٠٦ .

(٧٨) المصدر السابق مخطوطة الأزهر الوجه الثانى من الورقة ١٠٦ .

(٧٩) المصدر السابق الوجه الاول من الورقة ١٠٧ .

الألف فى قام وباع من الواو والياء وانما يعنون أن الهاء لما طال الكلام بها صارت كالعوض من الياء كما صارت لطول الكلام من الفعل والفاعل فى نحو حضر القاضى امرأة عوضا من تاء التأنيث فى حضرت وهذا باب واسع (٨٠) .

وقد حاول بعض اللغويين — أيضا — تسويخ الإبدال فقائلوا فى هذى حولت الهاء الأخيرة ياء لقرب شبهها بالهاء ، ألا ترى أن الياء مدة والهاء نفس ومن هنا صار مجرى الياء والواو والألف والهاء فى روى الشعر شيئا واحدا نحو قوله : (لمن طلل كالوحي عاف منازلها) ، فاللام هو الروى والهاء وصل الروى كما أنها لو لم تكن لمدت اللام حتى تخرج من مدتها واو أو ياء أو ألف للوصل نحو منازلها ومنازلها ، ابن سيدة وكذلك دهدت ودهديت الياء بدل من الهاء لأنها مثلها فى الخفاء كما أبدلت هى منها فى قولهم ذه أمة الله وكذلك قال الجوهري (٨١) .

والناظر فى هذه النصوص المعجمية يلاحظ أنها تسوغ التبادل بين الهاء والياء بوجود أوجه الشبه المذكورة ولكنها ليست بشيء فى نظر علماء اللغة المحدثين لبعد المخارج واختلاف الصفات فالهاء تخرج من أقصى الحلق وهى صوت مهموس رخو مستقل منفتح مصمت (ضعيف) (٨٢) أما الياء (المذكورة) فتخرج من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى وهى صوت مجهور مستقل منفتح مصمت قوى (٨٣) ، فالاختلاف جذرى بينهما لأنه يتناول المخرج ومعظم الصفات القوية فلا مسوغ للتبادل بينهما ووضع حرف مكان آخر فى قافية البيت لا يعطى أهمية خاصة فى الإبدال إذ ان جواز حلول حرف فى القافية ومشاركة آخر له فى ذلك أمر عرف عن

(٨٠) المصدر السابق .

(٨١) اللسان ٣٨٢/١٧ .

(٨٢) التجويد والأصوات ص ٥٥ .

(٨٣) المصدر السابق ص ٥١ .

العرب مسموعا فى النظم فيتبع — لهذا فقط — أما الحكم بجواز التبادل بينهما على ذلك فلا مسوغ له لأن تلك جهة أخرى والعلاقة منفصلة والا فان الواو والألف تقعان وصلا أيضا كما تقع تلك الحروف ومع ذلك قلنا بعدم التبادل بينهما ، ولكن التوجيه الموفق لحلول الياء محل الهاء هو تخفيف نطق الكلمة بمنع وجود أصوات متماثلة فيها جريا على قانون المخالفة الصوتية للكلمات السابقة وأشباهاها يحل فيها أحد الحرفين (الياء والهاء) محل الآخر بعد حذفه على سبيل التعويض وهى لغات^(٨٤) .

ملاحظات لغوية : نرى من النماذج السابقة أن تجاور الحرفين المتماثلين أو تقارب مكانيهما — كما هو مبين فى الفصل بينهما بياء مثل ماكانيك ودياجيج — يؤدى الى تطور أحدهما الى صوت مخالف هو الياء .» وهذا التطور — كما ذكرنا آنفا — هو احدى نظريات السهولة التى نادى بها كثير من المحدثين والتى تشير الى أن الانسان فى نطقه يميل الى تلمس الأصوات السهلة التى لا تحتاج الى جهد عضلى فيبدل مع الأيام بالأصوات الصعبة فى لغته نظائرها السهلة فنرى أحد المتماثلين المتجاورين يقلب الى صوت لين أو ما يشبهه أصوات اللين كاليم فى مثل الرسم والرس والذون فى مثل العنبسة : الأسد^(٨٥) ، وقد اعترف القدماء بكراهية التضعيف ولعلمهم كانوا يريدون بهذا انه يحتاج الى مجهود عضلى^(٨٦) ، ولكن هذا رأى لم يرتضه الأستاذ العلايلى بل ذهب الى عكسه تماما فادعى أن الأصل فى الكلمات المضاعفة (التى تحتوى على حرفين متماثلين) هو المخالفة بكون أحد المتماثلين حرفا من حروف العلة وذلك فى اطار

(٨٤) اللسان ٢٠/٣٣٧ .

(٨٥) الأصوات اللغوية ١٥٤ .

(٨٦) المصدر السابق ١٥٣ .

بحثه عن أصول الألفاظ فى اللغة العربية وأنها كانت ثنائية معلة ثم صححت فى مراحل تطورية متأخرة ، وهذا رأى الذى ذهب اليه الأستاذ العلايلى لم يوافقه عليه المحدثون من علماء اللغة بل انهم يؤيدون قانون المخالفة السابق وأن المضعف هو الأصل ثم ان التطور أدى الى قلب أحد المتماثلين ياء كراهية التضعيف ولتقليل الجهد العضلى ، وهذه الظاهرة تنسب الى القبائل البدوية كبنى تميم وعبد القيس ، وهم بطن من أسد ، وقد توطنوا شبه الجزيرة فى جوار قميم وبكر بن وائل^(٨٧) وان القبائل الحضرية — كأهل الحجاز — تميل الى اعطاء صوت ما يستحقه من الوضوح ، واذا وجد التحول من المضعف الى الياء فى بعض البيئات الحضرية أو العكس فى البيئات البدوية فذلك على سبيل التأثير والتأثر .

(٨٧) النهاية للقلتشندى ص ٣٣٨ .

ثانيا : الابدال في الحركات

ذلك يتتوع بين ما يتصل ببيئة الكلمة وما يتعلق ببنائها ونذكر
صورا من ذلك مما له مصطلح لهجى أو لغوى •

الوكم :

هو كسر كاف الخطاب فى الجمع عند فريق من العرب ، فالمشهور
أن جمهور العرب يضم كاف الخطاب للجمع مطلقا دون نظر الى
الحرف أو الحركة التى تسبقها •

ولكن ربيعة أو بكر بن وائل يكسرون هذه الكاف اذا سبقت
بياء أو كسرة فى مثل (عليكم) و (بكم) وذلك مناسبة للياء أو
الكسرة قبلها •

وسيبويه يصف هذه اللهجة بالرداءة فيقول عند الحديث عن
كسر الكاف فى (أحلامكم) من قول الشاعر :

وان قال مولاهم على جل حادث

من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا

وانما كسرت الكاف من (أحلامكم) ونحوه تشبيها لها بهاء
(أحلامهم) لأنها اختها فى الاضمار ومناسبة لها فى الهمس وذلك
ضعيف لأن أصل الهاء الضم والكسر عارض عليها بخلاف الكاف فحملت
الكاف عليها بعيد ضعيف لأنها أبين وأشد^(١) •

(١) الكتاب ١٩٧/٤ بتصرف .

وقد وصفها المبرد بأنها غلط فاحش قال وناس من بكر بن وائل
يجرون الكاف مجرى الهاء ، اذا كانت مهموسة مثلها • وكانت علامة
إضمار كالهاء وذلك غلط فاحش منهم ، لأنها لم تشبهها فى الخفاء
الذى من أجله جاز ذلك فى الهاء ، وانما ينبغى أن يجرى الحرف
مجرى غيره اذا أشبهه فى علقته ، فيقولون : مررت بكم وينشدون
هذا البيت : وان قال مولاهم ... الخ^(٢) •

وبعض العلماء نسب هذه اللهجة لربيعة وناس من بكر معا ،
وربما تسرب ذلك من الآرامية والعبرية اللتين كانتا مجاورتين لسكان
الطائفتين قريبا من العراق •

الوهم :

المعروف أن هاء ضمير الغيبة للجمع تكسر اذا كان قبلها ياء أو
كسرة فى مثل قوله تعالى : (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب
عليهم) وقوله سبحانه : (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) وقوله
عز وجل (أسمع بهم وأبصر) وقوله جل وعلا (أولئك على هدى
من ربهم) •

وتتضم الهاء فى غير ذلك كما فى قوله تعالى : (ومما رزقناهم
ييتفقون) وقوله : (وان جندنا لهم الغالبون) •

وبنو كلب يكسرون هاء ضمير الجمع الغائب مطلقا سواء سبقت
الهاء بياء أو كسرة أو لا فيقولون : فيهم — عنهم — بينهم • قال
سيبويه : واعلم أن قوما من ربيعة يقولون (منهم) اتباعوها الكسرة ،
ولم يكن المسكن حاجزا حصينا عندهم ، وهى لغة رديئة ، فاذا فصلت
بين الهاء والكسرة فالزمن الأصل ، لأنك قد تجرى على الأصل ولا حاجز

(٢) المقتضب ٢٦٩/١ ، ٢٧٠ •

بينهما ، فإذا تراخت وكان بينهما حاجز لم تلتق المشابهة ، ألا ترى أنك إذا حركت الصاد فقلت : صدق كان من يحقق الصاد أكثر لأن بينهما حركة ، وإذا قال مصادر فجعل بينهما حرفاً ازداد التحقيق كثرة ، فكذاك هذه^(٣) ، وبعضهم — وهم بعض ربيعة أو كلب بن وبرة من قضاة — يضمون هاء (هم) دائماً سواء تقدم عليها ياء أو كسرة أو لم يتقدم ، وتسمى هذه اللهجة الأخرى بالوهم .

ثلاثة بهراء :

هي كسر حرف المضارعة عدا الياء^(٤) ، وهذا في الأفعال التي زادت على ثلاثة أحرف ومن ذلك ما ذكره ابن فارس في كتابه الصاحبى ، قال فى (باب القول فى اختلاف لغات العرب) :

« اختلاف لغات العرب من وجوه ، احدها : الاختلاف فى الحركات كقولنا (نستعين) و (يستعين) بفتح النون وكسرها . قال الفراء : هي مفتوحة فى لغة قریش وأسد وغيرهم يقولونها بالكسر^(٥) .

وعند تفسير قوله تعالى : (اياك نعبد و اياك نستعين) قال أبو حيان فى البحر : « وفتح نون نستعين قرأ بها الجمهور وهى لغة الحجاز وهى الفصحى وقرأ عبيد بن عمير الليثى وزيد بن حبيش ويحيى بن وثاب والنخعي والأعمش بكسرها وهى لغة قيس وتميم وأسد وربيعة ، وكذلك حكم حرف المضارعة فى هذا الفعل وما أشبهه^(٦) .

أما فى الثلاثى فإذا كان الفعل أجوف أو ناقصاً أو مضاعفاً :

(٣) الكتاب ١٩٦/٤ وانظر الزهر نقلاً عنه ٢٢٢/١ .

(٤) القاعدة عند أكثر العرب أنهم يفتحون حرف المضارعة فى جميع الأفعال الا الرباعى منها فانهم يحركونه بالضم .

(٥) الصاحبى : ٢٨ . (٦) البحر المحيط ٢٣/١ ، ٢٤ .

وكان الماضى مكسور العين فلغة غير الحجازيين كسر حرف المضارعة
الا الياء .

يقول سيبويه : « هذا باب ما تكسر فيه أوائل الأفعال المضارعة
للأسماء كما كسرت ثانى الحروف^(٧) حين قلت فعل وذلك عند جميع
العرب الا أهل الحجاز وذلك قولهم : أنت تعلم ذاك وأنا اعلم وهى تعلم
ونحو ذاك ، وكذلك كل شئ فيه فعل من بنات الياء والواو التى
التى الياء والواو فيهن لام أو عين والمضاعف وذلك قولك شقيت فأنت
تشقى وخشيت فأنا أخشى ، وخلصنا فنحن نخال ، وعضضت فأنتن
تعضين^(٨) .

وقال ابن جنى : « وأما ثلثة بهراء فإنهم يقولون يعلمون
وتفعلون وتصنعون^(٩) بكسر أوائل الحروف » وقال ابن منظور فى
اللسان : « وثلثة بهراء كسرهم تاء تفعلون يقولون يعلمون وتشهدون
ونحوه^(١٠) .

وعليها جاء قول الشاعر :

لو قلت ما فى قومها لم تيثم يفضلها فى حسب وميسم^(١١)

وقال الرضى فى شرح الكافية :

« وكسر حروف المضارعة الا الياء غير الحجازيين اذا كان الماضى
مكسور العين ، ويكسرون الياء أيضا اذا كانت بعدها ياء أخرى^(١٢) .

(٧) وذلك للتنبيه على حركة عينه فى الماضى . و (فعل) — فى
النص — يضبط بكسر العين .

(٨) الكتاب ١١٠/٤ وفى ط بولاق ٢٥٦/٢ ، ٢٥٧ .

(٩) الخصائص ١١/٢ وسر الصناعة ٣٣٥/١ .

(١٠) اللسان ٤٤٢/١ .

(١١) شرح التصريح ١١٨/٢ .

(١٢) شرح الكافية ٢٢٨/٢ ونسب هذا الكسر فى الياء الى بعض

بنى كلب يقولون : هل يعلم . البحر ٣٤٣/٧ .

وذكر أبو حيان أن أبا عمرو قرأ (ولا نركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار) بكسر التاء على لغة تميم^(١٣) ويقول ابن جنى : فى تخريج قراءة (فتمسكم) بكسر التاء : « هذه لغة تميم أن تكسر أول مضارع ما يأتى ماضيه مكسور العين نحو علمت تعلم وأنا أعلم وهى تعلم ونجن نركب وتقل الكسرة فى الياء نحو يعلم ويركب استثقلا للكسرة فى الياء وكذلك ما فى أول ماضيه همزة وصل نحو ينطلق ويوم تسود وجوه وتبيض وجوه فكذاك فتمسكم النار »^(١٤) .

وقال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى : « ألم أعهد اليكم يابنى آدم ألا تعبدوا الشيطان » قرأ الجمهور (أعهد) — بفتح الهمزة والهاء — وقرأ طلحة والهديل بن شرحبيل الكوفى بكسر الهمزة قال صاحب اللوامع : وهذا الكسر فى النون والتاء أكثر من بين حروف المضارعة يعنى يعهد وتعهد ، وقال ابن عطية : وقرأ الهديل بن وثاب (ألم أعهد) بكسر الميم والهمزة وفتح الهاء وهى لغة من كسر أول المضارع سوى الياء^(١٥) .

وفى الحديث : كأنك وهمت ؟ قال : وكيف لا ايهم فالأصل : أوهم — بالفتح والواو — فكسروا الهمزة لأن قودا من العرب يكسرون مستقبل فعل — بكسر العين — مثل أعلم ونعلم وتعلم فلما كسروا همزة (أوهم) انقلبت الواو ياء^(١٦) ومن هذه النصوص فهمنا أن المضارع البدوء بالياء لا يكسر لثقل الياء والكسرة فهو مفتوح فى الثلاثى وغيره عند العرب جميعا ، الا اذا توالى الياءات فقد سمع الكسر مثل ييجل مضارع وجل .

كما أننا علمنا كذلك من كتب اللغة كسر أوائل المضارع عند الحجاز لا فرق فى ذلك بين الهمزة أو التاء أو النون ولا بين الثلاثى

(١٣) البحر ٢٦٩/٥ . (١٤) المحتسب ٣٣٠/١ .
(١٥) البحر المحيط ٣٤٣/٧ . (١٦) النهاية ٢٣٤/٥ .

وغيره ، ويدخل فى ذلك كسر الهمزة فى (أَعهد) التى نقلنا تفسيرها عن البحر المحيط وكذلك كسر همزة (اخال) فى قول العباس بن مرادس :

قد كان قومك يحسبونك سيدا واخال أنك سيد معيون^(١٧)
وقول زهير :

وما وُدري ولست اخال أدري أقوم آل حصن أم نساء^(١٨)

وبعض اللغويين عكس الأمر فى الفعل (اخال) فنسب الكسر للحجاز والفتح لغيرهم .

وبعضهم قصر التثنية على كسر التاء فقط ، ولكن كتب اللغة تنطبق بخلاف ذلك وأن الأمر شائع فى غير الياء . وهى شائعة فى قبائل وسط الجزيرة وشرقيها كأسد وتميم وقيس وان اشتهرت نسبتها الى بهراء التى هى بطن من تميم أو من قضاعة^(١٩) .

وقد فشت نسبتها الى قبائل أخرى من أهل الحجاز وغيرهم فيذكر ابن عطية أن ذلك نسب الى قريش عند شرح قوله تعالى : (ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده إليك) وقد ذكر أن (تأمنه) بكسر التاء لغة قرشية^(٢٠) ، ويذكر أبو حيان أنها لغة فاشية فى العرب كقيس وتميم وأسد وربيعه وهذيل^(٢١) وفى اللسان : وتقول : أنت تتقى الله وتتقى الله على لغة من قال : تعلم وتعلم بفتح التاء وكسرها وتعلم بالكسر لغة قيس وتميم وأسد وربيعه وعامة العرب ، أما أهل

(١٧) لسان العرب (خال) .

(١٨) شرح ديوان زهير ٧٣ .

(١٩) جمهرة انساب العرب وخزانة الأدب ٤/٤٩٥ ، ٤٩٦ وصفة

جزيرة العرب ١٣٢ .

(٢١) البحر ١/٢٣ ، ٢٤ .

(٢٠) البحر ١/٤٩٩ .

الحجاز وقوم من أعجاز هوازن وأزد السراة وبعض هذيل فيقولون :
تعلم بفتح التاء والقرآن عليها^(٢٢) .

وفى المخصص أنها لغة جميع العرب الا أهل الحجاز ، وكذلك
ذكر سيوييه^(٢٣) ويذكر السيوطى فى نستعين ونحوه أن الفتح لغة
قزيش وأسد ، وغيرهم يكسرها^(٢٤) .

وهذا يؤكد انتشار الكسر فى قبائل كثيرة على سبيل التأثير
والتأثير والا فالمشهور أن الكسر فى حروف المضارعة عند أرباب
البادية من القبائل المشار اليها ، فبهراء من قضاة كانوا يقطنون
ناحية الشام قريبا من العراق^(٢٥) وربيعة مسكنها الحيرة وأسد
ابن ربيعة كانت تسكن قبل الكوفة بخمس مراحل^(٢٦) وتميم من قبائل
شرقى الجزيرة بالقرب من العراق وهذيل من سكان الحجاز^(٢٧) وهذه
القبائل بدوية — كما نرى من البيئة التى تعيش فيها ماعدا هذيل المضرية —
وقد فسر الدكتور أنيس ميل بعض قبائل المدن الى كسر حرف المضارعة
بأن « بعض القبائل التى تأثرت بحياة الحضر قد آثرت صوت اللين
الأممى الذى نسميه الكسرة »^(٢٨) وحاول أن يفسر وجود تلك الظاهرة
عند قبيلة بهراء بهذا المعنى فقد تأثرت لغتها بما فى الشام من لغات
كالآرامية والعبرية لوضوح كسر حرف المضارعة باطراد فيهما .

والواقع أن ذلك ليس أمرا مؤكدا ولا مانع من تأثر بعض قبائل
المدن بما أنتشر عند اخوانهم العرب فى البوادي فهم على صلة بهم
يلاقونهم ويتعاملون معهم^(٢٩) .

-
- (٢٢) اللسان ١/١٤١ ، ٤/٤٩٣ .
(٢٣) المخصص ٤/٢١٦ ، ٢١٧ .
(٢٤) المزهر ١/٢١١ . (٢٥) صفة جزيرة العرب ١٣٢ .
(٢٦) البحر ١/٢٣ . (٢٧) صفة جزيرة العرب ١٣١ .
(٢٨) فى اللهجات العربية ٧٤ .
(٢٩) كسر حرف المضارعة منتشر فى لهجاتنا العامية .

ويرى بعض الباحثين أن (هذه الظاهرة سامية قديمة توجد في العبرية والسريانية والحبشية) وزعم أن الفتح في أحرف المضارعة حدث في العربية القديمة بدليل عدم وجوده في اللغات السامية الأخرى وبدليل ما بقى من الكسر في بعض اللهجات العربية القديمة واستمراره في اللهجات الحديثة كلها ولم يبق فتح حرف المضارعة في اللهجات الحديثة فيما يعلم هذا الكاتب إلا في لهجة نجد^(٣٠) .

ونسبى هذا الباحث أن العربية هي اللغة السامية التي بقيت في الجزيرة بعد هجرة أخواتها الساميات فالفتح ليس حادثاً فيها بل إنه الأصل والكسر هو الذي حدث بعد اختلاط الساميين بغيرهم .

التخفيف في بعض اللهجات

- بالاتباع .
- بالاسكان (أو حذف الصوائت) .
- باجتماع التغير والحذف .
- السكون والحركة في الصوامت الحلقية .

أولاً : بالاتباع :

فاء فعيل وفعل

يميل التميميون^(٣١) الى كسر فاء فعيل — بكسر العين — اذا كانت عينه حرفاً حلقياً مثل شعير ويخيل ولئيم وشهيد ورغيف ، وكذلك ما كان على وزن فعل بكسر العين وهو حلقياً مثل فخذ وضحك ولعب ووهم ، وقرأ أبو السمال : (أطلت لكم بهيمة الأنعام) بكسر ياء بهيمة^(٣٢) ، فالتميميون يتبعون الفاء للعين في حركتها اذا كانت

(٣٠) فصول في فقه العربية ص ١٢٥ .

(٣١) تنسب أحياناً بلفظ سفلى مضر (وهم بنو تميم ومن يجاورهم من سكان نجد) وتنسب الى قيس وأسد وتميم ، التهذيب ١٢٢/٧ .

(٣٢) سورة المائدة الآية (١) ومختصر شواذ القرآن لابن

خالويه : ٣١ .

حلقية مكسورة^(٣٣) وسواء كان ذلك فى اسم أو فعل •

ونقل عن تميم اتباع الفاء للعين فى فعيل ولو لم تكن العين حرفه
خلق يقول ابن مكى : (وزعم الليث أن من العرب قوما يقولون فى كل
ما كان على فعيل فعيل — بكسر أوله — وإن لم يكن حرف خلق
فيقولون : كثير وكبير وخليل وما أشبه ذلك)^(٣٤) •

ويقول ابن منظور :

« لغة تميم شهيد — بكسر الشين — يكسرون غعيلا فى كل
شئ كان ثانيه أحد حروف الحلق وكذلك سفلى مضر يقولون غعيلا
أى بالكسر ، قال : ولغة شنعاء يكسرون كل فعيل ، والنصب اللغاة
العالية^(٣٥) وعلى سيوييه لعدم تأثير الفاء فى العين بقوله : « ولم
تفتح هى أنفسها هنا^(٣٦) لأنه ليس فى الكلام فعيل بفتح الفاء والعين
وكراهية أن يلتبس فعل بكسر العين بفعل بفتحها فيخرج من هذه
الحروف فعل بكسر العين ، فلزمها الكسر هنا ، وكان أقرب الأشياء
الى الفتح وكانت من الحروف التى تقع الفتحة قبلها »^(٣٧) •

وقد جعل ابن جنى إثارة الكسر فى شعير ورغيف ونحوهما ضربا
من تقريب الصوت من الصوت فسلكه فى باب الادغام الأصغر ولكنه
صرح بأن أكثر ما يكون ذلك مع حروف الحلق فقال : ومن ذلك
تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق نحو شعير وبعير
ورغيف وسمعت الشجرى غير مرة يقول : زئير الأسد يريد الزئير ،
وحكى أبو زيد عنهم : (الجنة لمن خاف وعيد الله) بكسر الواو فى
وعيد وفى النقيذ ، شبهت القاف بالخاء لقربها منها فيما حكاه أبو

(٣٣) الكتاب ١٠٧/٤ ، ١٠٨ •

(٣٤) تثقيف اللسان ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ •

(٣٥) اللسان (شهد) وانظر التهذيب ٣٧٧/٢ حيث قال : الفتح

أفصح اللفتين •

(٣٦) يقصد بعض حروف الحلق • (٣٧) الكتاب ١٠٧/٤ ، ١٠٨ •

الحسن ، كما شبهت الخاء والغين بحروف الفم حتى أخفيت الفون معهما في بعض اللغات وهذا في فعيل مما عينه حلقية مطرد وكذلك فعل بكسر العين نحو نغر ومحك وضحك و (ان الله نعماً يعظكم به) (٣٨) ولا يقول على هذا في ظريف ظريف ولا في قتيل قتيل بكسر ألفاء لأنه لا حرف حلق فيه (٣٩) .

والانسجام الصوتي بتتابع الحركات تتطلبه السرعة في النطق التي هي من خصائص أهل البادية ولذا نسبت هذه اللهجة الى بني تميم على أنه لون من التخفيف والتفريح (٤٠) .

وهذه الظاهرة تتحقق في الأسماء والصفات والأفعال : فالأسماء مثل بعير والصفات مثل شهيد والأفعال مثل مخض فاذا أرادت الناقة أن تضع قيل : مخضت وعامة قيس وتميم وأسد يقولون : مخضت بكسر الميم ويفعلون ذلك في كل حرف كان قبل أحد حروف الحلق في (فعلت) وفي فعيل (يقولون) : بعير وزئير وشهيق ونهلت الابل وسجرت منه (٤١) .

صور من الاتباع

ومن الاتباع ما يذكره اللغويون — عن بعض العرب — في (الحمد لله) ولذلك صور هي :

١ — اتباع الدال للام في الكسر : الحمد لله (قرأ بها الحسن) فمن خفض الدال قال : هذه كلمة كثرت على ألسنة العرب حتى صارت كالاسم الواحد ، فثقل عليهم أن يجتمع في اسم واحد من كلامهم ضمة بعدها كسرة أو كسرة بعدها ضمة ، ووجدوا الكسرتين قد تجتمعان في الاسم الواحد مثل (ابل) فكسروا ليكون على المثال من أسمائهم (٤٢) .

وقال الزجاج : « لا يلتفت الى هذه اللغة ولا يعبأ بها » (٤٣)

(٣٨) الخصائص ١/١٤٣ ، ٢/٣٣٦ . (٣٩) المنصف ٢/٢٢٤ .
(٤٠) فقه اللغة د. نجا ٤/٣١ . (٤١) التهذيب ٧/١٢٢ .
(٤٢) معاني القرآن للفراء ١/٣ . (٤٣) اللسان : حمد .

ويعلل الأخفش لهذا الاتباع بقوله : « قال بعض العرب (الحمد لله) فكسره ، وذلك أنه جعله بمنزلة الأسماء التي ليست بمتمكنة ، وذلك أن الأسماء التي ليست بمتمكنة تحرك أو آخرها حركة واحدة لا تترول عنها » (٤٤) .

وهذه لهجة لبنى تميم ونسبت الى بعض غطفان (٤٥) .

٢ — اتباع اللام لضمة الدال : (الحمد لله) (قرأ بها إبراهيم ابن أبي عبلة) قال الفراء : أما الذين رفعوا اللام فسانهم أرادوا المثال الآخر من أسماء العرب الذي يجتمع فيه الضمتان مثل : اللحم والعقب (٤٦) ، وقال الزجاج : من قرأ : الحمد لله ، أى برفع اللام اتباعاً لحركة الدال فى غير القرآن فهى لغة رديئة (٤٧) وهذه اللغة لبعض ربيعة (٤٨) وأصحاب هذه اللهجات من البدو (٤٩) .

٣ — والقراءة المشهورة هى (الحمد لله) برفع الدال وكسر اللام ، قرأ بها الجمهور وقال ابن خالويه بعد أن ذكر صور القراءات فى هذه الآية : لا يقرأ بشيء من ذلك إلا بما عليه كل الناس فى كل مصر (الحمد لله) بضم الدال وكسر اللام (٥٠) .

٤ — وهناك قراءة أخرى : (الحمد لله) بنصب الدال ، وعليها قالحمد ليس باسم انما هو مصدر يجوز لقائله أن يقول : أحمد الله ، فاذا صلح مكان المصدر (فعل أو يفعل) جاز فيه النصب ، ومن ذلك قول الله تبارك وتعالى : (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) يصلح مكانها فى مثله من الكلام أن تقول : فاضربوا الرقاب ، ومن ذلك قوله تعالى : (معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده)

(٤٤) معانى القرآن للأخفش ٩/١ .

(٤٥) اعراب القرآن لأبى جعفر النحاس .

(٤٦) اعراب ثلاثين سورة : ١٩ . (٤٧) اللسان : حمد .

(٤٨) اعراب القرآن لأبى جعفر النحاس .

(٤٩) اعراب ثلاثين سورة : ١٩ .

يصلح أن تقول فى مثله من الكلام : نعوذ بالله ومنه قول العرب : سقيا لك ورعيا ، يجوز مكانه : سقاك الله ورعاك^(٥٠) .

وقال أبو حيان — فى النهر الماد — قرىء بالنصب على اضمار فعل ، قيل من لفظه ، تقديره : حمدت الحمد لله ، فتخصص الحمد تخصيص فاعله وأشعر بالتجدد والحدوث ، ويكون من المصادر التى حذف فعلها وأقيمت مقامه ، وذلك فى الاختيار نحو قولهم شُكرا لا نكرا وقيل التقدير : اقرأوا الحمد لله أو الزموا الحمد لله .

واللام فى قراءة الرفع للاستحقاق ، وفى قراءة النصب للتبيين فيتعلق بمحذوف تقديره : لله أعنى نحو قولهم : سقيا لزيد^(٥١) ، و (الحمد لله) فى الوجهين الأولين — بالاتباع — عده ابن جنى من باب تقريب الصوت من الصوت فيقول : وجميع ما هذه حالة مما قرب فيه الصوت من الصوت^(٥٢) .

والاتباع كثير من هذا النوع مثل : أنا أجوعك وأنبؤك وهو منحدر من الجبل — بضم الميم والdal —^(٥٣) .

فهذا لون من تجانس الصوت وانسجانه يؤدى الى الاسراع والخفة فى النطق وقد ضعف ابن جنى الاتباع بكسر dal وقراءة أبى جعفر فى قوله تعالى : (للملائكة اسجدوا) بضم التاء فى الملائكة مع أنها مجرورة تبعا لضمة الجيم بعدها اذ الحاجز غير حصين لخلل ذلك بالاعراب .

ومن أمثلة الاتباع قراءة أبى السمال (قم الليل)^(٥٤) بضم الميم اتباعا لضمة القاف وهى لغة بلعبر وكذلك :
اضرب الساقين امك هابل

(٥٠) معانى القرآن للفراء : ٣/١ .

(٥١) النهر الماد على البحر المحيط ١٨/١ .

(٥٢) الخصائص ١٤٥/٢ . (٥٣) الخصائص ١٤٣/٢ .

(٥٤) المحتسب ٣٣٥/٢ ، ٣٣٦ ، ٧٢ .

بكسر همزة (أم) المضمومة اتباعا لكسرة النون قبلها •

ومن ذلك يتضح أن الاتباع تارة يكون للأول وأخرى يكون للثاني وهذا اللون من الانسجام وتأثر الأصوات اعترف به اللغويون المحدثون وأطلقوا على كل من قسميه اسما خاصا فإذا تأثر الصوت الأول بالصوت الثاني سمي تأثرا رجعيا وإذا تأثر الثاني بالأول سمي تأثرا تقديميا ويلاحظ أن هذا التقريب في نطق الأصوات قد أثر عن أهل البادية كتجران^(٥٥) وبلعنبر وأزد شنوءة^(٥٦) إذ أنه يساعد على سهولة اخراج بعض الأصوات وقلة المجهود العضلي ، وهذا بخلاف أهل المدن الذين يعمدون إلى ايضاح الأصوات وفصل كل منها عن الآخر •

ثانيا : بالاسكان (أو حذف الصوائت) واجتماع التغير والحذف :

يسكن بعض العرب كبنى تميم وغيرهم المتحرك في بعض الأوزان المستعملة في الأسماء والأفعال رغبة في التخفيف ومن أمثلة ذلك ما ذكره ابن جني في بعض كتبه :

١ — (في قلوبهم مرض) بسكون الراء •

٢ — قرأ ابن عباس بخلاف (وحرم) بفتح الحاء وسكون الراء والتتوين ويخرج ابن جني القراءة فيقول : وأما (حرم) بفتح الحاء وتسكين الراء فمخفف من حرم على لغة بنى تميم فهو كبطر من بطر وفخذ من فخذ وكلمة من كلمة بسكون الثاني في الكلمة الأولى وكسره في الثانية^(٥٧) •

٣ — وفي باب الساكن والمتحرك في الخصائص يذكر من المتحرك

(٥٥) حكى أبو عمرو أن أهل نجران يقولون في براءة من الله ،
يجرون الميم والتون المحتسب ٢٨٣/١ •

(٥٦) البحر ١٥٢/١ • (٥٧) المحتسب ٦٥/٢ ، ٦٦ •

الذى أسكن وهو متصل « ما كان ثلاثيا مضموم. الثانى أو مكسوره
فلك فيه الاسكان تخفيفا وذلك كقولك فى علم علم وفى ظرف قد
ظرف وفى رجل رجل وفى كبد كبد بتحريك الحرف الثانى من الكلمة
الأولى وسكونه فى الثانية ، وسمعت الشجرى وذكر طعنة فى كتف
فقال الكتفية بفتح الكاف وسكون التاء (٥٨) .

٤ — قرأ أبو الحسن بخلاف وأبو رجاء ومجاهد فيما روى عنه
« فنظرة الى ميسرة » قال أبو الفتح : أما فنظرة بسكون الظاء
فسكنه للتخفيف من نظرة كقولهم فى كلمة كلمة وفى كبد كبد بتحريك
الحرف الثانى فى الكلمة الأولى وتسكينه فى الثانية لغة تميمية (٥٩) .

٥ — وبنو تميم يقولون كلمة وكلم ككسرة وكسر (٦٠) والصيغة
الحجازية بفتح الكاف وكسر اللام (٦١) وعند بنى تميم تخفف باسكان
اللام كسدر (٦٢) وفى لغة ثالثة بفتح الكاف وسكون اللام يقول
الأشمونى : « ومنها ثلاث لغات : كلمة على وزن نبقة وكلمة على وزن
سدر وكلمة على وزن تمرة » (٦٣) .

والأعلى هى الحجازية وقرىء بلهجة تميم فى القراءات الشاذة
كقوله تعالى : (يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم)
قرأ أبو السمال : كلمة (٦٤) وكذلك قوله تعالى (ومثل كلمة خبيثة)
قرأ أحمد بن موسى كلمة (٦٥) بكسر الكاف وسكون اللام .

٦ — وعند تخريج ابن جنى لقراءة الحسن (عضدك) يقول :
« فيها خمس لغات ضم الضاد وتسكينها مع فتح العين وضمها وكسر

-
- | | |
|---|--------------------------|
| (٥٨) الخصائص ٣٣٨/٢ . | (٥٩) المحتسب ١٤٣/١ . |
| (٦٠) الخصائص ٢٦/١ . | (٦١) تاج العروس ٤٩/٩ . |
| (٦٢) المصباح ٣٩ . | (٦٣) شرح الأشمونى ١٠/١ . |
| (٦٤) آل عمران ٦٤ ، وانظر : مختصر شواذ القرآن ٢١ . | |
| (٦٥) مختصر شواذ القرآن ٦٨ . | |

الضاد مع فتح العين وأفصحها وأعلاها عضد بوزن رجل وعضد مسكن الضاد مع فتح العين وعضد منقول الضمة من الضاد الى العين وعضد بالضميتين جميعا كأنه تثقيل عضد بضم العين وسكون الضاد وقد شاع عنهم نحو ذلك كقولهم فى تكسير أحمر : حمر بضميتين الخ^(٦٦) .

٧ — روى عن الحسن أنه قرأ (الحبك) بكسر الحاء ووقف انباء قال ابن جنى : وأما الحبك فمخفف منه (أى من الحبك) كابل واطل بسكون الحرف الثانى فى ابل واطل^(٦٧) .

٨ — روى ابن جنى عن ابن مجاهد قال : قال ابن عباس : سألت أبا عمرو عن (يعلمهم الكتاب) فقال : أهل الحجاز يقولون : يعلمهم ويلعنهم ولغة تميم يعلمهم ويلعنهم بسكون آخر الفعل ومثله :

فاليوم اشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل^(٦٨) تأبى قضاة أن تعرف لكم نسبا وابنا نزار فأنتم بيضة البلد

وقد كثر اسكان الياء فى موضع النصب كقوله :
يا دار هند عفت الا أثافيها

وهو كثير جدا وشبهت الواو فى ذلك بالياء كما شبهت الياء بالألف قال الأخطل :

إذا شئت أن تلهو ببعض حديثها نزلن وأنزلن القطين المولدا
ومثل ذلك كثير ، وعليه قراءة (فتوبوا الى بارئكم) باسكان الهمزة^(٦٩) .

٩ — قرىء (كطى السجل) بكسر السين ساكنة الجيم خفيفة اللام — وقد قرر ابن جنى أن اسكان الجيم فى السجل بعد

(٦٦) المحتسب ١٥٢/٢ . (٦٧) المصدر السابق ٢٨٦/٢ ، ٢٨٧ .

(٦٨) المصدر السابق ١٠٩/١ ، ١١٠ ، ٢٠٥ ، ٦٧/٢ .

(٦٩) الخصائص ٣٤٠/٢ — ٣٤٣ .

حذف حركتها وتخفيف السلام لغة لأهل مكة — وذكر أن اسكان الراء فى (مرض) لغة^(٧٠) كما صرح فى نظير لها وهو قراءة حرم باسكان الراء بأنها لغة تميمية كما يقولون فى رسل رسل وكتب كتب^(٧١) باسكان الحرف الثانى ويبدو أن بنى تميم ومن على شاكلتهم يحسون ثقلا فى هذه الأوزان فى مجال الأسماء وما يشبه بعضها من الأفعال (فعل — فعل) — بفتح الفاء مع كسر العين. وضمها — ، و (فعل) بضم الفاء والعين ، و (فعل) بكسر الفاء والعين ، فيلجأون الى تخفيفها لأنهم يميلون الى الانسجام الصوتى بعيدا عن تنوع الحركات وتجاورها ، فقد كرهوا أن يرفعوا السنتهم من المفتوح الى المكسور ، والمفتوح أخف عليهم فكرهوا أن ينتقلوا من الأخف الى الأثقل ، وكذلك كرهوا الضمة بعد الفتحة غيما كان على (فعل) بفتح الفاء والعين ، ويكرهون تتابع الضمتين كالواوين ، وتتابع المكسرتين تتابع الياءين ، وكرهوا الكسرة بعد الضمة كما يكرهون الياء مع الواو فى مواضع^(٧٢) .

فالوزن (فعل) بفتح الفاء وكسر العين اذا كان حلقى العين فالشهور عنهم — كما يقول أستاذنا الدكتور نجا — « تخفيفه وتقريعه باسكان عينه مع بقاء حركة الفاء فيصير فعلا أو اسكان عينه بعد نقل حركتها الى الفاء وذهاب حركة الفاء فيصير فعلا ويتجه فريق منهم الى بقاء حركة العين ولكنهم يتبعون حركة الفاء لها فيصير فعلا وان كان غير حلقى العين اقتصروا فى تخفيفه على الوجهين الأولين ككتف يقولون فيه كتف وكتف باسكان التاء مع فتح الكاف وكسرها وفعل كعصد وفعل كحرم وعنق وفعل كابل يقتصرون فيهما على الوجه الأول ولا تزال بعض هذه اللهجات موجودة فى بعض جهات جمهورية مصر العربية^(٧٣) ، ولكن الحجازيين ينطقون

(٧٠) المحتسب ٥٣/١ ، ٥٤ .

(٧١) المحتسب ٢٠٥/١ . (٧٢) الكتاب ١١٤/٤ .

(٧٣) اللهجات العربية د. دجا ص ٥٩ وفقه اللغة له ص ٣٠ ، ٣١ .

بذلك الكلمات دون تغيير ولا يعباون بثقل أو خفة ، وفى بعض صيغ الأفعال مثل ظرف وكرم وعلم والمبنى للمجهول يحدث هذا التخفيف عندهم لما ذكرنا .

وفى النص السابق كقراءة يعلمهم باسكان الميم ما يفيد اعترافه بنسبة ذلك الى تميم وهم للتخفيف يسكنون أواخر الكلمات التى تتوالى فيها الحركات كما فى اشرب — تعرف — أثافى ، ويحسب بعض العلماء ذلك من ضرورات الشعر الا أن الثابت عن الثقات أنه سائغ فى حال السعة لأنه لغة^(٧٤) .

* * *

ومن التخفيف : تسكين شين عشرة — حال التركيب — فى لغة الحجاز ، وجاءت عليها قراءة « فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا »^(٧٥) « وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما »^(٧٦) .

وهذا فى لفظ عشرة وما تركب معه الى تسع عشرة اذا كان فى التأنيث ، وقد سكنوا العين لما طال الاسم وكثرت الحركة^(٧٧) وقد ورد فيها كسر الشين فيقال (عشرة) عند بنى تميم ، وبها وردت بعض القراءات .

قال أبو حيان : قرأ الجمهور (عشرة) بسكون الشين ، وقرأ مجاهد وطلحة وعيسى ويحيى بن أبى وثاب وابن أبى ليلى ويزيد

(٧٤) الضرائر ص ٧٠ .

(٧٥) البقرة الآية : ٦٠ .

(٧٦) الأعراف ١١٦ .

(٧٧) شرح الأشمونى ٦٧/٤ والزهر ٢/٢٧٥ ، وشرح المفصل ٢٧/٦ .

بكسر الشين وروى ذلك نعيم السعدى عن أبى عمرو — مشهور عنه الاسكان — وتقدم أنها لغة تميم ، وكسرها لها نادر فى قياسهم ، لأنهم يخففون فعلا يقولون فى نمر : نمر — باسكان الميم مع فتح النون وكسرها (٧٨) .

فسبيلهم التخفيف ، ولغة أهل الحجاز (عشرة) وسبيلهم التثقيل (٧٩) . فبنو تميم يفتحون العين ويكسرون الشين ويجعلونها بمنزلة (كلمة) وأهل الحجاز يسكتون الشين ويجعلونها بمنزلة (ضربة) وهذا عكس ما عليه لغة أهل الحجاز وبنى تميم ، لأن الحجاز فى غير العدد يكسرون الثانى ، وبنى تميم يسكتون .

فيقول الحجازيون : نبقة وفخذ ويقول التميميون : نبقة وفخذ بالسكون فلما ركب الاسمان فى العدد استحال الوضع ، فقال بنو تميم : احدى عشرة وثنتا عشرة الى تسع عشرة — أى بكسر الشين — وقال الحجازيون : عشرة بسكونها (٨٠) . ونسب الكسر — كذلك — الى أهل نجد ، وهو أوسع من تميم ، أو يعبر بها عن سكان هذه المنطقة لأنها أكبرها .

وفى فائدة ذكرها السيوطى فى الانتقان نقلاً عن كتاب (تحفة الأقران فيما قرئ بالتثليث فى القرآن) فى قوله تعالى : (اثنتا عشرة عينا) (٨١) قرئ بسكون الشين ، وهى لغة تميم وكسرها وهى لغة الحجاز ، وفتحها وهى لغة (٨٢) فنسب الكسر للحجاز والتسكين لميم وهو عكس المشهور المعروف فى ذلك ، وكتب النحو واللغة تجمع على

(٧٨) البحر المحيط ٢٢٩/١ . (٧٩) اعراب القرآن للنحاس .

(٨٠) المحتسب ٨٥/١ وشرح الفصل ٢٧/٦ .

(٨١) سورة البقرة الآية ٦٠ .

(٨٢) الانتقان ٢٧٧/٢ .

أن الأفصح التسكين ، وهو لغة الحجاز هذا فيما كان فيه لفظ
عشر مؤنثا .

ورويت فيه لغة أخرى وهى فتح الشين وقرأ بها ابن المفضل
الأنصاري والأعمش وروى عن الأعمش الاسكان والكسر أيضا .
قال الزمخشري : الفتح لغة وقال ابن عطية : هى لغة ضعيفة ، وقال
المهدوى : فتح الشين غير معروف ويحتمل أن تكون لغة^(٨٣) ، ونسب
بعضهم الفتح الى بنى تميم^(٨٤) . أما اذا استعمل لفظ عشر مركبا
للمذكر فالشين مفتوحة ، وقد تسكن عين عشر فيقال (أحد
عشر) وكذا أخواته الى (تسعة عشر) لتوالى الحركات ، وبها قرأ
أبو جعفر ، وقرأ هبيرة صاحب حفص (اثنا عشر شهرا)^(٨٥) وفيها
جمع بين ساكنين^(٨٦) ، واستثنى بعضهم (اثني عشر) فان العين
لا تسكن لسكون الألف والياء قبلها^(٨٧) .

وهذا التخفيف وان لم ينطبق على أهل مكة والحجاز بعامة لأنهم
حضرىون (فلعلمهم تركوا لهجتهم ومالوا الى التخفيف فى كلمة
(السجل) وعشرة المركبة وبخاصة أن ابن جنى يذكر أن بعض
التميميين فى بعض الألفاظ كانوا يتركون لهجتهم الى لهجة الحجازيين
وأن هؤلاء يفعلون ذلك أحيانا^(٨٨) وبذلك تسقط دعوى ابن جنى أن
قراءة (بارئكم) بالاسكان غير واردة فى العربية حتى خطأ بها

(٨٣) البحر المحيط ٢٢٩/١ .

(٨٤) المزهري ٢٧٥/٢ . (٨٥) سورة التوبة الآية : ٣٦ .

(٨٦) شرح الأشموني ٢٧/٤ . (٨٧) اللسان : عشر .

(٨٨) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص ١٢٠ ، ومما أورده
ابن جنى من ذلك تحويل الحجازيين كسر الشين فى عشرة المفردة الى
سكونها عند التركيب فقالوا احدى عشرة الى تسع عشرة على حين
عكسها التميميون فكسروا الشين حال التركيب مع أنهم يسكنون فى
الأفراد وهم يعكسون فى نظائره من فخذ ونحوه ، المحتسب ٨٥/١ .

القراء يقول « ألا ترى الى قراءة أبى عمرو (ما لك لا تأمنا على
يرسف) مختلفا لا محققا وكذلك قوله عز وجل (أليس ذلك بقادر
على أن يجيى الموتى) مخفى لا مستوفى وكذا قوله عز وجل (فتوبوا
الى بارئكم) مختلفا غير ممكن كسر الهمزة حتى دعا ذلك من نطف
عليه تحصيل اللفظ الى أن ادعى أن أبا عمرو كان يسكن الهمزة والذي
رواه صاحب الكتاب اختلاس هذه الحركة لا حذفها ألبتة وهو أضبط
لهذا الأمر من غيره من القراء الذين رووه ساكنا ولم يؤت القوم فى
ذلك من ضعف أمانة لكن أتوا من ضعف دراية^(٨٩) ، والواقع أن
ابن جنى سها فى توجيهه لهذه القراءة ، فتسكين المرفوع فى نحو
يشعركم لغة لتميم وأسد باعترافه كما ذكرنا فلا وجه للانكار من
جهة الرواية كما يقول أستاذنا الشيخ النجار^(٩٠) ولعل هذا الطعن
ناشئ عن سوء الظن الذى عرف بين النحاة والقراء^(٩١) فى هذه
الآونة من التاريخ بحيث كان القراء لا يعتدون لكلام النحاة على حين
تظهر ردود فعل لذلك فى انكارهم لبعض القراءات •

الضميران : هو وهى

هو للواحد المذكر ، وهى للواحدة المؤنثة •

والأصل أن تضم هاء هو ، وتكسر هاء هى ، وأن تكون الواو
والياء مفتوحتين وهى اللغة الشائعة عند العرب ، كقوله تعالى :
(هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم)
وقوله : (وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا) •

وقد تسكن الواو والياء ، عند بعض القبائل كأسد وتميم^(٩٢)
وقيس قال الشاعر :

(٨٩) الخصائص ٧٢/١ ، ٧٣ . (٩٠) التعليق ٧٣/١ •

(٩١) البحر ٢٧٢/٤ ، ٣٦٢ . (٩٢) اللسان : ها •

أدعوته بالله ثم قتلتني لو هو دعائك بذمة لم يخفر

وقال عبيد بن الأبرص :

وركضك لولا هو لقيت الذي لقوا فأصبحت قد جاوزت قوما أعادية

وقال ثالث :

ان سلمتي هي التي لو تراءت حبذا هي من خلة لو تراءت

وبعضهم وهم همدان يشددون الواو والياء ، وهذا هو الأصل
فيهما ، اذ الأصل أن يكون كل منهما ثلاثي الأحرف مثل أنت فيقولون :
هو وهي ، قال شاعرهم :

وان لسانى شهدة يشتقى بها وهو على من صبه الله علقم

وقال :

والنفس ما أمرت بالعنف آبيّة وهي ما أمرت باللفظ مأتمر

ويجوز تسكين الهاء في هذين الضميرين اذا وقعا بعد الهاء
والواو واللام وثم ، وكما تسكن همزة الاستفهام وكاف الجر
اضطرابا وذلك عند قيس وأسد^(٩٣) ومن أمثلة ذلك :

وكتبا اذا ما كان يوم كريهة فقد علموا أنى وهو فتيان^(٩٤)

وقرأ بعضهم (فهي كالحجارة أو أشد قسوة)^(٩٥) باسكان الهاء
وبعضهم بكسرها وذلك أن لغة للعرب في (هو وهي ولام الأمر)
اذا كان قبلهن واو أو فاء أسكنوا أوائلهن ومنهم من يدعها^(٩٦) .

(٩٣) الأشموني بحاشية الصبان ١١٣/١ ، ١١٤ .

(٩٤) اللسان : ها .

(٩٥) سورة البقرة الآية : ٧٤ .

(٩٦) معاني القرآن للأخفش ١٠٧/١ .

ومثله :

تَقَمَّتْ لِلطَّيْفِ مَرْتَعَا فَأَرْقَنِي فَقُلْتُ أَهْيَ سِرْتُ أَمْ عَادَتِي حَلَمِ

أَرَادَ : أَهْيَ سِرْتُ ، فَلَمَّا كَانَتْ (أَهْيَ) كَقَوْلِكَ (بَهْيَ) خَفَفَ
عَلَى حَدِّ قَوْلِهِمْ فِي (بَه) : (بَهْيَ) وَفِي عِلْمِ (عِلْمِ) بِسُكُونِ اللَّامِ •

وَقَدْ تَحْذَفُ الْوَاوُ وَالْيَاءُ — عِنْدَ بَعْضِ الْعَرَبِ — كَقَوْلِ أَبِي خَالِدٍ
الْأَسَدِيِّ :

(إِذَا هُ لَمْ يَوْذَنْ لَهُ لَمْ يَنْبَسْ)

وَقَوْلِ الْآخَرِ :

(دِيَارُ سَعْدِي إِذَا هُ مِنْ هَوَاكَا)

السكون والحركة في الصوامت الحلقية

١ — قَرِئَ : قَرِحَ^(٩٧) — جَهْرَةٌ — زَهْرَةٌ^(٩٨) — يَوْمُ الْبُعْثِ —^(٩٩)
— وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ^(١٠٠) — الضَّأْنُ^(١٠١) — كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ مُحْرَكًا

٢ — قَالَ الشَّجَرِيُّ : مَحْمُومٌ — يَعْدُو — تَغْذُو — وَقَالَ غَيْرُهُ مِنْ
بَنِي عَقِيلٍ : اللَّحْمُ — نَحْوُهُ^(١٠٢) — بِفَتْحِ حَرْفِ الْحَلْقِ فِي الْأَمْثَلَةِ كُلِّهَا •

اختلف القدامى في فتح حرف الحلق الساكن ، فيرى البصريون

(٩٧) المحتسب ١٦٦/١ • (٩٨) المصدر السابق ٨٤/١ •

(٩٩) المصدر السابق ١٦٦/٢ •

(١٠٠) المصدر السابق ١٦٧/٢ •

(١٠١) المصدر السابق ٢٣٤/١ (١٠٢) المصدر السابق ٨٤/١ •

أنه لهجة عربية ، فمذهبهم (فى كل شيء من هذا النحو مما فيه حرفه حلقى ساكن بعد حرف مفتوح أنه لا يحرك الا على أنه لغة فيه كالزهرة والنهر — بسكون الهاء وفتحها — والشعر — بسكون العين وفتحها — فهذه لغات عندهم كالنشر — بسكون الشين وفتحها — والحب — بسكون اللام وفتحها والطرء — بسكون الراء وفتحها^(١٠٣) وليس قياسا عندهم^(١٠٤) لكن الكوفيين والبغداديين قد قاسوه •

فمذهب الكوفيين أنه يحرك الثانى لكونه حرفا حلقيا ، فيجيزون فيه الفتح وان لم يسمعوا كالبحر — بسكون الحاء وفتحها — والصخر — بسكون الخاء وفتحها^(١٠٥) •

وابن جنى كان فى أول أمره يوافق أصحابه البصريين ، ففى الخصائص يذكر ما ينم عن موافقته لمدرسة البصرة كما يفهم من قوله : « وسمعت الشجرى أبا عبد الله غير دفعة يفتح الحرف الحلقى فى نحو : يعدو ، وهو محموم ، ولم أسمعها من غيره من عقيل ، فقد كان يرد علينا من يؤنس به ولا يبعد عن الأخذ بلغته ، ولا أظن الشجرى الا استهواه كثرة ما جاء عنهم من تحريك الحرف الحلقى بالفتح اذا انفتح ما قبله فى الاسم على مذهب البغداديين ... لكن مثل يعدو وهو محموم لم يرو عنهم فيما علمت ، فايك أن تخلد الى كل ما تسمعه » •

وقد أيد رأى البصريين فى المنصف يقول : « فأما أصحابنا فلا فصل عندهم بينه وبين ما ثانیه حرف غير حلقى ... فلا فصل بين نشز ونشر — بسكون الشين وفتحها — وشعر وشعر — بسكون

(١٠٣) المصدر السابق ٨٤/١ وانظر ١٦٦/٢ •

(١٠٤) الخصائص ١٠/٢ •

(١٠٥) المحتسب ٨٤/١ وانظر ١٦٦/٢ •

العين وفتحها — فهذان لغتان كما أن هذين لغتان « ويدافع عن رأى البصريين فيقول : « ان حروف الحلق لا تحرك ساكنًا ، ولا تسكن متحركًا ، بل لعمري انه يراد فيها الاتباع وتجانس الصوت ، فأما تسكين متحرك أو تحريك ساكن فلا يجب لها » (١٠٦) .

ولكننا نلاحظ — أيضا — مما ذكره فى المحتسب ما ينم عن موافقته للكوفيين والبغداديين بقياسية فتح حرف الحلق الساكن اذ يقول عن — رأى الكوفيين — : « وما أرى القول من بعد الا معهم ، والحق الا فى أيديهم » .

ويقول : « لا أبعد من بعد أن تكون الحاء لكونها حرفا حلقيا يفتح ما قبلها كما تفتح نفسها فيما كان ساكنًا من حروف الحلق نحو قوله فى الصخر الصخر — بفتح الخاء — ولعمري ان هذا عند اصحابنا ليس أمرا راجعا الى حرف الحلق لكنها لغات ، وأنا أرى فى هذا رأى البغداديين فى أن حرف الحلق يؤثر هنا من الفتح أثرا معتدا معتمدا ، فلقد رأيت كثيرا من عقيئ لا أحصيهم يحرك من ذلك ما لا يتحرك أبدا لولا حرف الحلق ، وهو قول بعضهم نحوه — بفتح الحاء — يريد نحوه — بسكونها — وهذا لا توقف فى أنه أمر راجع الى حرف الحلق لأن الكلمة بنيت عليه ألبتة » (١٠٧) .

وهو بهذا يخرج على مذهب البصريين الذين يعدون ذلك لغات لا يصح القياس عليها .

ولا تناقض بين هذين الموقفين من ابن جنى ، فالثابت أنه ألف المحتسب فى آخر حياته ، وذلك يعطينا أمرين :

(١٠٦) الخصائص ١٠/٢ والنصف ٣٠٥/٢ — ٣٠٧ .

(١٠٧) المحتسب ١٦٧/١ .

١ - أنه سمع كثيرا من عقيل لا يحصيهم. تفتح حرف الحلق الساكن وقبل ذلك لم يكن سمع مثله من غير الشجرى كما يتبين من نص كلامه .

٢ - كان لاستقراره الذهني (١٠٨) أثر كبير في تعليل هذه الظاهرة وغيرها بحيث أدرك أن لحرف الحلق أثرا معتدا معتمدا في تحويل سكونه فتحة كما هو نص كلامه - أيضا - وقد أكد ابن جنى ذلك حين قال : وأنا أرى ، وأن الحق مع البغداديين وفي أيديهم ، وأنه أمر راجع الى حرف الحلق لأن الكلمة بنيت عليه .

وبذلك يبعد أن يكون توثيق ابن جنى للقراءات الشاذة هو السبب في هذين الموقفين المتعارضين على ما ذهب اليه الدكتور عبد الفتاح شلبي من أنه « استعان بالمذاهب الأخرى ووجد فيها مقنعا ومحتجا » (١٠٩) .

ويؤيد علم اللغة الحديث هذه الظاهرة الصوتية فـ (حرف الحلق بعد صدوره من مخرجه يحتاج الى اتساع مجراه في الفم ، ولذلك ناسبه من أصوات اللين أكثره اتساعا وهو الفتحة (١١٠) وذلك أيضا موجود في أخوات العربية كالعبرية نحو baal (بعل) - naal (نعل) وكذلك الصامت الذي قبله ، فالفعلان الماضيان Shamar ، (سمع) Patah (فتح) كان ينبغي أن يكون مضارعاهما على قياس الثلاثي الصحيح YashmoA (بضم الميم) ، Yeptoh (بضم التاء) لكن العين فيهما تفتح لصوت الحلق الواقع لاما بعدها : YeshmaA - Yeptah

(١٠٨) أبو على الفارسي د. شلبي ص ٣٧٢ .

(١٠٩) المصدر السابق ص ٣٧١ .

(١١٠) في اللهجات العربية ص ١٣٥ .

وقد نسب ابن جنى هذه النجدة — وهى فتح حرف الحلق الساكن الى بنى عقيل ، وبين أنه فاش فيهم فالى جانب ما نقلناه من قبل عنه يقول أيضا : سمعت عامة عقيل تقول ذاك ولا تقف فيه سائغا غير مستكره ، حتى لسمعت الشجرى يقول : أنا محموم — بفتح الحاء — وليس أحد يدعى أن فى الكلام مفعولا — بفتح الفاء — وسمعت مرة أخرى يقول — وقد قال له الطبيب : مص التفاح ، وارم بثقله — والله لقد كنت أبغى مصه وعليته تغذو — بفتح الغين — ولا أحد يدعى أن فى الكلام يفعل — بفتح الفاء — وسمعت جماعة منهم — وقد قيل لهم قد أقيمت لكم أنزال^(١١١) من الخبز — قالوا : فاللحم — بفتح الحاء — يريدون اللحم — بسكونها — وسمعت بعضهم وهو يقول فى كلامه نحوه بفتح الحاء^(١١٢) .

ويعترف ابن جنى بكثرة ذلك عن بنى عقيل^(١١٣) .

ومن ذلك يتضح أن فتح حرف الحلق الساكن من خصائص لهجة عقيل ، وينسب أبو حيان تلك الظاهرة الى بعض بنى بكر بن وائل^(١١٤) وثبتت كتب البلدان أن بنى عقيل كانوا يسكنون البحرين^(١١٥) وأن بنى بكر بن وائل كانوا يسكنون اليمامة الى البحرين^(١١٦) ومن هذا نفهم (سر التشابه بين القبيلتين)^(١١٧) .

(١١١) هو ما يهيا للتنزيل .

(١١٢) المحتسب ٨٤/١ .

(١١٣) الخصائص ٩/٢ .

(١١٤) البحر ٢٤٧/٣ .

(١١٥) نهاية الأرب ص ٣٦٥ ، ٣٦٦ .

(١١٦) صفة جزيرة العرب ص ١٦٩ ونجاية الأرب ص ١٧٨ .

(١١٧) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص ١١٣ .

الفصل الثاني

التغيير في بعض الصيغ اللغوية

وتعدد الأوجه النحوية

إبدال الياء ألفا في بعض الأفعال الثلاثية

المعروف في كتب التصريف أن الواو والياء تقلبان ألفا إذا تحركتا وانفتح ما قبلها مثل : دعا وسعى فان سكنت الواو والياء أو لم ينفتح ما قبلهما لم يقلبا ألفا مثل : بيت وعين وصوم ونوم والسعى والظبي ويقوم ويبيع ... الخ . وقد نقل عن بعض العرب مثل بلحارث بن كعب أنهم يقلبونها ألفا دون تحقق الشروط السابقة فيقلبون الياء الساكنة إذا انفتح ما قبلها ألفا ، فالحر فان (على) و (الى) — من حروف المعاني — وبعض الظروف إذا اتصلت بالمضمر قلبت ألفها ياء فنقول : عليك واليك ولديك ، وقال سيبويه ان ذلك القلب ليفرقوا بين الظاهر والمضمر لأن المضمر لا يستقل بنفسه بل يحتاج الى ما يتوصل به اليه .

وبنو الحارث بن كعب وخثعم وكنانة يقلبون الألف لا فرق عندهم بين المظهر والمضمر : وكذلك كل ياء ساكنة مفتوح ما قبلها يقلبونها ألفا فيقولون : الاك وعلاك ولداك^(١) وقالوا : السلام علاكم^(٢) وأنشد لبعض أهل اليمن :

(١) الكتاب ٤١٢/٣ ، ٤١٣ ، والمصباح (الى) ٢١/١ .

(٢) النوادر لأبي زيد ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

أى قلوصل راكب تراها طاروا علاهن فطر علاها^(٣)

وقد قلبت الواو ألفا لغير علة فى قول الشاعر :

تبت اليك فتقبل تابتي وصمت ربى فتقبل صامتى

وقد شرحنا ذلك فى ابدال حروف العلة بعضها من بعض •

وقد يلتبس ذلك حال القلب التباسا لفظيا بأسماء وأفعال مثل

(الاله) فى (اليه) يلتبس بلفظ (اله) ومثل (غلاه) يلتبس

بالفعل (علا) فى مثل : علا زيد ثوب وعلاه ثوب بمعنى

(عليه)^(٤) •

وقد اشتهر أن قبيلة ضيء تقلب الياء الواقعة بعد الكسرة

ألفا فى بعض الأفعال الثلاثية - مخالفة القاعدة العامة التى

أشرنا اليها من قبل - سواء أكانت الكسرة والياء أصليتين أو

عارضتين للبناء المجهول فيقولون فى : فنى ، فنى : وفى بقى :

بقى ، بكسر العين وفتحها وفى المبنى للمجهول : هدى زيد : وبنى

البيت : هدى وبنى بضم الفاء وفتح العين • قال زيد الخيل الطائى :

أفى كل عام مأتهم تبعثونه على محمر^(٥) منكم أثيب ومارضا

رضى بضم الراء وفتحها •

وقال المستوفز بن ربيعة :

هل ما بقى الا كما قد فاتنا يوم يكر وليلة تحدونا

وقال امرؤ القيس :

لها متنان حظا كما أكب على ساعديه النمر

يريد : حظيتا •

(٣) الخصائص ٢/٢٦٩ وشرح شواهد العينية ١/١٢٧ ، ١٢٩ ،

٥٨٥/٢ ، ٧٨٦ •

(٤) انظر اللسان (علا) ٣٢٢/١٩ •

(٥) المحمر كمنبر : الذى لا يعطى الا على الكد واللثيم • القاموس

١٤/٢ •

وقال آخر :

ثم عذت بباقة لحي ولا أحد على الدنيا بباق

وقال : وما الدنيا بباقة علينا • يريد : بباقية^(٦) •

وقال : (غير باناة على وتره) أى غير بانية •

وعليها جاءت بعض القراءات الشاذة كقراءة الحسن : (يأيها
الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين)
— بفتح قاف بقى — وقراءة الأعمش : (فنى ولم نجد له عزما)
بفتح السين فى نسى •

وفى المزه : أن ما بنته جماهير العرب على فعل مما لأمه واو
كشقى أو ياء كفى فطىء تبنيه على فعل — بفتح العين يقولون :
شقى يشقى وفنى يفنى^(٧) •

ويبدو أن قبيلة طيء فعلت ذلك فيما تطرفت فيه الياء ، وعلل
الرضى لذلك بأن الطرف محل التغير والتخفيف ، فان توسطت الياء
بسبب التاء اللازمة نحو : ناصاة فى ناصية ونحوها فقليل^(٨) •

قال الأزهري : لغة طيء فى الناصية : الناصاة حكاه أبو عبيد
وأنشد :

لقد آذنت أهل اليمامة طيء بحرب كناصاة الحصان المشهور^(٩)
وعلى ذلك فان هذه اللهجة شائعة فى الفعل الماضى الثلاثى
المكسور العين قليلة فى غيره •

والظاهرة منسوبة لطيء^(١٠) وقد رويت بعض شواهدا منسوبة

(٦) الجمهرة ٤٣/٢ ، شرح المفصل ١١/٢ •

(٧) ٣٨/٢ •

(٨) شرح الثافية ١.١١/٣ • (٩) التهذيب ٢٤٥/١٢ •

(١٠) المقاييس ٢٧٦/١ والمخصص ٤٠/٦ واللسان ١٨٤/٤ والمزهري

• ٢٣٧/٢

لغير طيء كتميم وأسد وقيس وفريق من سكان نجد من قبائل اليمن وقد تأثرت قبائل نجد بطفء حينما هاجروا الى شمالى الحجاز ، وكذلك نسبت الى بلحارث بن كعب وغيرها •

قلب ألف المقصور ياء

المقصور : هو الاسم العرب الذى آخره ألف لازمة قبلها فتحة ، ومنه القياسى والسماعى ، ذكر الرضى أن ألف المقصور تقلب ياء فى الوقف ، قال : (وأما اذا وقفت عليها — (أى الألف) — فتخفى غاية الخفاء ولهذا يدلونها فى الوقف حرفا من جنسها أظهر منها) (١١) •

وسئل ابن عباس عن قتل المحرم الحيات فقال : لا بأس بقتل الافعو ولا بأس بقتل الحدو فقلب الألف فيهما واوا حسب لغته (١٢) •

ونقل عن ابن يعيث أن هذا القلب ياء يكون فى الوقف والوصل ، يقول : وقوم من العرب يبدلون هذه الألف ياء فى الوقف فيقولون : هذه أفعى وحبلى ، وهى لغة فزارة وناس من قيس •

وقال : وطفء يجعلونها (أى الألف) ياء فى الوصل والوقف (١٣) وبعض طيء يقلبونها واوا لأن الواو أبين من الياء والقصد البيان (١٤) وتقلب ألفه همزة فى الوقف أيضا فيقال فى أفعى : أفعا ،

(١١) شرح الشافية ٢/٢٧٦ •

(١٢) التهذيب ٣/٢٣٣ •

(١٣) شرح المفصل ٩/٧٧ وانظر المحتسب ١/٧٧ •

(١٤) اللسان نقلا عن ابن الأثير فى النهاية ١/٥٥ وفى كتاب سيبويه (وزعموا أن طيئا تقول أفعو) الكتاب ٢/٢٨٧ ويقول السيرافى ومنهم — أى من طيء كما يقول ابن يعيث — من يجعل الألف واوا (السيرافى على سيبويه ٥/٤٤ وشرح المفصل ٩/٧٧) ، والواو والياء دون ريب أظهر وأبين من الألف ولهذا قلبت اليهما وكثيرا ما يبدل أحد أصوات اللين من صاحبه •

وحبلى : حبلاً ، يقول السيوطى : وربما قلبت الألف الموقوف عليها همزة أو ياء أو واوا نحو هذا أفعاً — أفعى أفعو فى هذه أفعى وهذه عصاً وعصى وعصو فى هذه عصا الأولى والأخيرة لبعض طيىء والثانية لغة فزارة^(١٥) وكذلك فى شرح التصريح^(١٦) . ويعال لها القدماء بأن الألف أخفى من الهمزة ، والهمزة اذا كان ما قبلها متحركاً كانت أبين من الألف ، والألف قريبة من الهمزة لأن الألف تهوى وتنقطع عندها^(١٧) .

وقد نسبت هذه اللهجات الى بعض طيىء وفزارة كما عند سيوييه والرضى^(١٨) والسيوطى .

وقد تعددت صور النطق بألف المقصور فى الموقف كما رأينا فى أفعى وعصا وليس من المعقول أن ينسب ذلك الى قبيلة واحدة فى فترة زمنية واحدة ، بل المعقول أن تكون كل صورة من الصور المذكورة فى بعض بطونها دون بعض أو أنه حدث فى أزمان مختلفة .

« فيرجح أن بطنا من طيىء كانت تنطق بالهمزة تارة وبطنا أخرى بالألف وثالثة بالياء أو ربما أن هذه اللهجات حدثت فى فترات متباعدة وقد جمع النحاة هذه الاستعمالات دون توضيح أو بيان »^(٢٠) .

ونسبها ابن دريد الى أهل اليمن قال : قوم من أهل اليمن يسمون العصا عسو^(٢١) والمسألة فى رأينا مسألة نبرة شديدة تتضح عند القبائل البدوية .

(١٥) الهمع ٢٠٦/٢ . (١٦) شرح التصريح ٣٣٩/٢ .

(١٧) شرح التصريح ٣٣٦/٢ والهمع ٢٠٦/٢ .

(١٨) الكتاب ١٨١/٤ وشرح الشافية ٢٨٦/٢ .

(١٩) ٢٠٦/٢ .

(٢٠) اللهجات العربية فى التراث ص ٤٩٦ ٣ .

(٢١) الاشتقاق ٥٤ .

وتبقى ألف المقصور على حالها عند اضافتها الى ياء المتكلم كالعصا والفتى والرضا كما فى قوله تعالى : (قال هى عصا أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى) وقوله سبحانه (واذا قال موسى لفته لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا) هذا عند جمهور العرب .

وهذيل (٢٢) تقلب ألف المقصور ياء عند اضافته الى ياء المتكلم فيقولون : عصى وفتى ، ورضى عوضا عن كسرة الحرف الذى قبل الياء ، قال أبو ذؤيب الهذلى :

سبقوا هوى وأعنفوا لهواهم فتخرموا ولكل جنب مصرع
وقال الآخر :

فأبلونى بليتكم لعلى أصلحك وأستدرج نويا
فهوى : أصله هواى ، ونوى : أصله نواى فقلب الألف ياء وأدغمها فى ياء المتكلم .

وقوله تعالى (فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) قرىء (هدى) بقلب الألف ياء وادغما فى ياء المتكلم (٢٣) .
وقوله تعالى (قال يا بشرى هذا غلام) قرىء (بشرى) (٢٤) .
وينسب السيوطى قلب ألف المقصور ياء عند اضافته الى ياء المتكلم لهذيل وغيرهم (٢٥) ونسبها بعضهم الى طيب (٢٦) وحكى عيسى ابن عمر هذه اللغة عن قریش (٢٧) .

(٢٢) شرح التصريح ٦١/٢ وشرح الشافية ٢٩٤/١ والبحر المحيط ١٦٩/١ ، ٢٣٩/٤ ، ٢٩٠/٥ والمحاسب ٧٦/١ ، ٣٣٦ والخصائص ١٧٦/١ ، ١٧٧ .

(٢٣) البحر المحيط ١٦٩/١ والمحاسب ٧٦/١ عن عاصم الجحدري وعبد الله بن أبى اسحاق وعيسى بن أبى عمر ونسبت الى النبى ﷺ .

(٢٤) البحر المحيط : ٢٩٠/٥ والمحاسب ٣٣٦/١ ، ونقلت هذه القراءة عن قرأوا (هدى) .

(٢٥) الهمع ٥٣/٢ .

(٢٦) شرح التصريح ٦١/٢ واللسان ٥٥/٢٠ .

(٢٧) شرح الأشمونى ٢٨١/٢ ، ٢٨٢ .

أما اذا ثنى الاسم المقصور فتبقى ألفه حال الاضافة الى ياء المتكلم مثل فتیان تقول : فتياى ، اذ لا موجب لقلبها ياء^(٢٨) .

أما الحروف مثل : على والى ، والظروف مثل لدى فانها اذا اتصلت بياء المتكلم قلبت ألفها ياء وأدغمت فى ياء المتكلم مثل على والى ولدى بتشديد الياء .

تصحيح اسم المفعول من الثلاثى الأجوف

التصحيح : ابقاء حرف العلة على حاله دون التعرض له بأى تغيير . والاعلال : تغيير حرف العلة بالقلب أو الحذف أو الاسكان^(٢٩) واسم المفعول من الثلاثى الأجوف يعل عند الحجازيين واويا كان أو يائيا فيقال فى اسم المفعول من قال وباع : مقول ومبيع ، ولكن التميميين يعلون الواوى ويصححون اليائى فيقولون : مبيوع ومديون ومعيون ومغيوم ومطيوب^(٣٠) من ذلك قول علقمة بن عبدة التميمى فى طائر :

حتى تذكر بيضات وهيجه يوم رذاذ عليه الدجن مغيوم
وقال عباس بن مرداس :

قد كان قومك يحسبونك سيدا واخال أنك سيد معيون

ومما أنشده أبو عمرو بن العلاء :

(وكأنها تقاحة مطيوبة)^(٣١)

(٢٨) شرح التصريح ٦١/٢ والأشمونى ٢٨١/٢ ، ٢٨٢ والهمع ٥٣/٢ .

(٢٩) شرح الشافى ٦٧/٢ .

(٣٠) الخصائص ٢٦٠/١ وشرح المفصل ٧٨/١٠ وشرح الشافى للرضى ١٤٧/٣ والمقتضب ١٠١/١ .

(٣١) الخصائص : ٢٦١/١ وشرح المفصل ٨٠/١٠ .

وقد ورد التصحيح فى الواوى حكاية عن البغداديين من أن بعضهم يقول ثوب مصوون وفرس مقوود ومسك مدووف ورجل معوود فى مرضه قال : (والمسك فى عنبره مدووف) (٣٢) .

وقال سيوييه « ولا نعلمهم أتموا فى الواوات لأن الواوات أثقل عليهم من الياءات ومنها يفرون الى الياء فكرهوا اجتماعها مع الضمة » (٣٣) .

ونقل ابن منظور تعليل هذا الاتمام فقال : وذلك لثقل الضمة على الواو ، والياء أقوى على احتمالها منها ، فلهذا جاء ما كان من جنات الياء بالتمام والنقصان نحو ثوب مخيط ومخيوط (٣٤) .

وقد جعل ابن جنى التصحيح فى الواوى من الشاذ فى القياس والاستعمال جميعا .

قال : والرابع الشاذ فى القياس والاستعمال جميعا وهو كتتميم مفعول فيما عينه واو نحو ثوب مصوون ومسك مدووف ، وحكى البغداديون فرس مقوود ورجل معوود من مرضه وكل ذلك شاذ فى القياس والاستعمال فلا يسوغ القياس عليه ولا رد غيره اليه (٣٥) .

وقد أجاز المبرد الاتمام فى ذوات الواو — مخالفا بذلك النحويين — قياسا على ما ورد فيها وقال : ليس بأثقل من سرت سوورا وغارت عينه غورا ، لأن فى (سوور) و (غوور) واوين وضميتين ، وليس فى (معوود) مع الواوين الا ضمة واحدة (٣٦) .

وقد قال (لست أراه ممتعا الا عند الضرورة) (٣٧) .

(٣٢) الخصائص : ١ / ٢٦١ واللسان (قود) .
 (٣٣) الكتاب ٣٤٩/٤ . (٣٤) اللسان (دوف) .
 (٣٥) الخصائص ٩٩/١ . (٣٦) المتع لابن عصفور ٤٦١/٢ .
 (٣٧) المقتضب ١٠٢/١ .

ويرى بعض المحدثين أن الصيغة التميمية هي الأصل والحجازية فرع عنها تبعا لنظرية السهولة والاقتصاد في الجهد العضلي والانسجام الصوتي في الصيغة الحجازية يجعلها أحدث من التميمية^(٣٨) وفي كتاب سيبويه ما يفيد أن الصيغة التميمية أقدم من الحجازية^(٣٩).

بعض الأسماء المقصورة والممدودة

تستعمل أولاء اسم إشارة للجمع مذكرا ومؤنثا بصيغة المد عند الحجازيين مثل قوله تعالى: (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) ولكن بنى تميم — وبعض القبائل الأخرى مثل قيس وربيعه وأسد وغيرهم من أهل نجد يستعملون اسم الإشارة للجمع مقصورا فيقولون (أولى) ويقرر النحاة أن الممدود يمتنع اقترانه بلام البعد فلا يقال (أولاء لك) ويجوز أن تلحق المقصور فيقولون (أولالك) قال الشاعر :

أولا لك قومي لم يكونوا أشابة وهل يعظ الضليل إلا أو لا لك^(٤٠)

وقد وردت كلمات مقصورة وممدودة حسب اختلاف القبائل .

من ذلك السدى والسداء ممدود البلح بلغة أهل المدينة^(٤١) والحجا والحجاء لغة فيها^(٤٢) .

والشقا والشقاء والبكا والبكاء — بالمد والقصر^(٤٣)

قال حسان :

بكت عيني وحق لها بكاهها وما يغنى البكاء ولا العويل.

(٣٨) في اللهجات العربية ٦٧ ، ٦٨ .
(٣٩) الكتاب ٣٤٨/٤ والخصائص ٢٦٠/١ ، ٢٦١ .
(٤٠) الأشموني ٣٩/١ وشرح التصريح ١٢١/١ والهمع ٧٥/١ .
(٤١) التهذيب ١٠٠/١٣ ونسب إلى أهل اليمن . اللسان ٢٧٦/١٤ .
« سدا » .
(٤٢) التهذيب ١٣١/٥ ، ١٣٢ .
(٤٣) الجوهرة ٦٧/٣ .

وأوضح اللغويون أن المد فى (البكاء) للصوت المعبر عن الحزن والقصر فى (البكا) للتعبير عن نفس الحزن (٤٤) .

وذكر ابن دريد أن القصر والمد كثير فى الشعر الفصيح (٤٥)

ولا بأس عند اللغويين أن يستعمل القصر والمد فى لهجة واحدة .
أو قبيلة واحدة بنفس المعنى لكن مع اختلاف الأزمان والبيئات ، والمد أقيس وأكثر فى أسماء الأصوات .

وقد نسب المقصور من هذا وأمثاله الى أهل نجد واليمن أو يغلب القصر على لسانهم ، على حين يكثر المد عند الحجازيين وهذا لا يمنع من العكس بوجود المد فى بيئة نجد والقصر فى بيئة الحجاز ، فقد روى : السدى والسداء ممدود : بلغة أهل المدينة كما ذكرنا من قبل .

كلا وكلا

تتحدث قواميس اللغة عن لفظة « كلا » مذكرا ومؤنثا وتشير الى الآراء الواردة فى معناها وتركيبها وأحوالها الاعرابية وتتلخص فيما يأتى .

أما عن معناها فيتفق العلماء على أنها كلمة مصوغة للدلالة على اثنين ولكنهم يختلفون فى بيان كونها مفردا أو مثنى .

فابن جنى وسيبويه وابن سيدة يقررون أنها اسم مفرد يفيد معنى التثنية كما أن « كلا » مصوغة للدلالة على الجمع . وكذلك يتفق مع هؤلاء العلماء الجوهري فهو يقول : كلا فى تأكيد الاثنين نظير كل فى المجموع وهو اسم مفرد غير مثنى (٤٦) ويقف فى الجانب الآخر ابن الأنبارى وأبو الهيثم .

(٤٤) المخصص — حكاية عن الخليل — ١٤٠/١٣ والأصول فى النحو لابن السراج ٤١٦/٢ .
(٤٥) الجهرة ٢١٠/٣ .
(٤٦) اللسان ج ١٥ ص ٢٢٧ .

فابن الأنباري يحكى لنا أن طائفة من العرب لا تميلها وعلى هذا تكون ألفها للتثنية كآلف « غلامان وذوا » وواحد « كلتا » على هذا الرأي كلت وآلف التثنية لا تمال .

كما يحكى لنا أن طائفة أخرى من العرب تميلها وعلى هذا تكون اسما واحدا عبر به عن التثنية وهو بمنزلة شعري وذكرى .

وأما أبو الهيثم فيروى لنا الأزهرى عنه أن « كلا » أصلها « كل » بالتشديد فخففت اللام وهو رأى الفراء وكذلك كلتا ولا يتكلم منهما بواحد ولو تكلم به ل قيل كل وكلت وكلان وكلتان واحتج بقول الشاعر :
فى كلت رجليها سلامى واحده كلتاها مقرونة بزائده (٤٧)
هذه هى الآراء عن كونها مفردا أو مثنى .

وأصحاب رأى الأول يقولون بأن ألفها للتأنيث وهى على وزن فعلى كذكرى هذا بالنسبة لـ « كلتا » فأما كلا فوزنها « فعل » بكسر الفاء وسكون العين ولامها معتلة بمنزلة حبا ورضا وآلفها منقلبة عن واو بدليل التاء فى « كلتا » لأن بدل التاء من الواو أكثر من بدلها من الياء وآلفها للتأنيث كما ذكرت ولذلك تمنع الصرف معرفة ونكرة .

ولكن أبا عمر الجرمي يقول ان التاء فيها علم التأنيث والآلف لام الكلمة فوزنها فعتل وعلى هذا تصرف نكرة لأن أقصى أحوالها عنده أن تكون كقائمة وقاعدة (٤٨) .

ونحن نرى اصابة رأى الأول الذى قال به سيبويه واعتمده ابن جنى وذلك لضعف الآراء الأخرى ونشير الى أدلة ضعفها فيما يأتى :

(٤٧) المصدر السابق ج ١٥ ص ٢٢٨ .

(٤٨) المصدر السابق ج ١٥ ص ٢٢٧ .

ضعف أهل البصرة كون هذين اللفظين مثنى لأنه لو كان الأمر كذلك لوجب أن تتقلب ألفها في النصب والجر ياء مع الاسم الظاهر .
ولأن معنى « كلاً » مخالف لمعنى كل لأن « كلا » بتشديد اللام للاحاطة وكلا يدل على شيء مخصوص وأما « كلت » في قول الشاعر السابق فمحمولة على الضرورة لأنه اعتبر الألف زائدة لما استدعاه الوزن الشعري لذلك فلا يعتبر حجة (٤٩) .

أما معاملة هذين اللفظين معاملة المثنى من زاوية اعرابية خاصة حال اضافتهما الى المضمر فليس دليلاً على أنهما مثنىين لأن هذه المعاملة ملحوظ فيها شبه آخر ولذلك لزم الألف حال اضافتهما الى الظاهر وحتى حال اضافتهما الى المضمر عند الرفع .

أما نصبهما وجرهما بالياء فمبنى على شبههما بعلى ولدى في لزومهما الاضافة ونحوها ولذلك اقتصر في هذا التشبيه على النصب والجر لأن على لا تقع الا منصوبة أو مجرورة ولا تستعمل مرفوعة فبقيت كلاً في الرفع على أصلها مع المضمر لأنها لم تشبه بعلى في هذه الحال .

وانما أبدلت الفاء من الواو في « كلتا » لأنها تتوب عن الألف اذا صارت ياء مع المضمر ففي هذا الابدال تأكيد للتأنيث .

وينقض رأى أبى عمر الجرمي وهو أن الفاء علم التأنيث ووزن « كلتا » فعث ينقض ذلك ما ساقه ابن جنى من أن الفاء لا تكون علامة للتأنيث الا اذا انفتح ما قبلها كحمزة وفاطمة أو أن يكون قبلها ألف مثل سعادة وعزهاة واللام في « كلتا » ساكنة .

ووجه آخر هو : أن علامة التأنيث لا تأتى الا آخر الفاء وهنا متوسطة ، وأيضا : فلا يوجد وزن « فعث » في الكلام حتى يحمل ذلك عليه .

(٤٩) المصدر السابق ج ١٥ ص ٢٢٨ .

وقد قيل فى الرد على أبى عمر أيضا لو كان الأمر كما ادعى لقيل
فى النسب اليها كلتوى ولكنهم لم يقولوا ذلك بل قالوا كلوى كما
قالوا فى النسب الى أخت أخوى فدل ذلك على أن التاء مبدلة من واو •

وقد عارض الدليل الأخير ابن برى حين قال : كلوى قياس من
النحويين اذا سميت به رجلا وليس ذلك مسموعا فيحتاج به على
الجرمى •

وأيا ما كان الأمر فالأدلة الاخرى تدحض رأيه وتعضد رأى
الجمهور السابق • فلم يبق لنا الا أن نعترف برأى الجمهور الذى
عضده ابن جنى بالدليل •

هيهات

يدور معنى هذه الكلمة فى معاجم اللغة حول البعد وفيها
مناقشات مختلفة •

أولها يتعلق بحركة التاء — ثانيها يتعلق بأصالة التاء أو انقلابها
— ثالثها يتعلق بافرادها أو جمعها •

أما حركة التاء فقد وردت على أوضاع متنوعة فقد وردت
مفتوحة بلا تنوين ومكسورة بلا تنوين أيضا ومنونة مفتحة وكسرا
وحاول اللغويون القدامى تفسير هذه الأوجه فمن قال هيهات بفتح
التاء بغير تنوين شبه التاء بالمهاء ونصبها على مذهب الأداة لأنها
معرفة فى هذه الحال ومن قال بالفتح والتنوين شبهه بقول تعالى :
(فقليل ما يؤمنون) ومن قال هيهات بالكسر بلا تنوين شبهه بحذام وقطام
ومن قال هيهات بالتنوين شبهه بالأصوات كقولهم غاق وطاق^(٥٠) وقد

(٥٠) المصدر السابق ج ١٣ ص ٥٥٣ •

سمى ابن الأنبارى كل ذلك لغات^(٥١) وأضاف إليها ورود التضم فيها فتكون كالكسر بلا تتوين وأورد فيها التضم مع التتوين أيضا وهي فى هذا الوضع مشبهة بتاء الجمع فى عرفات وأنا أميل الى اعتبار اختلاف حركة التاء راجعا الى اختلاف اللجات كما ذكر ابن الأنبارى وتعليقات اللغويين القدامى تتجه ناحية الفلسفة والمنطق أكثر من ارتباطها باللغة من ناحية كونها ظاهرة اجتماعية .

وأما عن أصالة التاء أو انقلابها فهنا آراء .

يقول بعض اللغويين : ان التاء أصلها الهاء بل يحكى ابن منظور فى لسانه اتفاق أهل اللغة على ذلك ويروى عن أبى عمرو بن العلاء أنه يوقف عليها بالهاء مثل : هيات هيهاه قال ذلك فى قوله تعالى : هيات هيات لما تواعدون . وهذا دليل لذلك وهذا رأى يقابله رأى آخر يقول بأصالة التاء وأنها ليست منقلبة بل هى تاء التأنيث . وأما عن افرادها فيقول العلماء ان المتحركة بغير الكسر تعتبر اسما مفردا فاذا كانت مكسورة منونة أو غير منونة فهى جمع ومفردا على ذلك هية^(٥٢) وممن قال بذلك سيبويه وأبو على ، وفى قول آخر لأبى على أن مفردا هيات والمعروف فيها أنها اسم فعل ماض بمعنى بعد^(٥٣) ولكن أبى على الفارسى كان يقول فيها أنا أفتى مرة بكونها اسما سمي به الفعل كصه ومه وأفتى مرة بكونها ظرفا على قدر ما يحضرنى فى الحال وقال مرة ثالثة : انها وان كانت ظرفا فغير ممتنع أن تكون مع ذلك اسما سمي به الفعل كعندك روى ذلك عنه ابن جنى .

ويكون معناها على الظرفية فى البعد فمعنى هيات ما تقول :

(٥١) اشار اليها ابن جنى فى الخصائص ج ٣ (باب فى تسمية الفعل) .

(٥٢) اللسان ج ١٣ ص ٥٥٣ .

(٥٣) الأثمونى مع الصبان ج ٣ ص ١٩٧ .

فى البعد ما تقول ، وهذا الرأى سبق به المبرد فى المقتضب كما
يقول الأستاذ النجار محقق الخصائص •

ويروى ابن جنى أنها من الألفاظ الرباعية المكررة فاؤها ولامها
الأولى هاء وعينها ولامها الثانية ياء فهى لذلك بمنزلة صيصية وقد
حذفت اللام لأنها فى اسم غير متمكن •

قال ابن سيدة : أنشد ابن جنى قول العجاج •

هيهات من منخرق هيهأوه

ولم يفسره قال : ولا أدرى ما معنى هيهأوه •

ولكن بالبحث عن معناه نجد أنه البعد والشيء الذى لا يرجى
وهو يدل على كون هيهات من مضاعف الأربعة^(٥٤) وألف هيهأوه هى
ألف فعال بعكس ألف هيهات^(٥٥) •

ونحن لا نرتضى الآراء التى تتحدث عن افرادها وجمعها فالذى
نعرفه من واقع كتب اللغة أنها وضعت هكذا اسم فعل ماض بمعنى
بعد فلا تتصرف فأما كون مفردا هيهة أو هيهات فذلك من غرائب
اللغة لأن هيهة لم نعرف لها أثرا فى المعاجم اللغوية وأما من قال ان
مفردا هيهات فلم يأت بجديد •

أما معنى الظرفية الذى لمسه فيه أبو على الفارسى ورجحه
ابن جنى وادعى أن ذلك من عند الله فربما استفيد من معنى الفعل
واسمه فبعد بحسب أصلها يتضمن معنى الظرفية ولكن أبا على لم
يعطنا رأيا صريحا بل اضطرب بين روايات ثلاث كما سبق ، أما قول
ابن جنى بأنها رباعية مكررة فهذا أمر مقبول •

(٥٤) اللسان ج ١٣ ص ٥٥٤ ، ٥٥٥ •

(٥٥) الخصائص (باب فى تسمية الفعل) ج ٣ •

هلم

تستعمل عند الحجازيين اسم فعل أمر بطريقة واحدة ، فلا تلحق بها الضمائر البارزة ، وانما يستتر فاعلها ، مفردا أو مثني ، أو جمعا ، مذكرا أو مؤنثا ، فتقول : هلم يا زيد ، وهلم يا زيدان ، وهلم يا زيدون ، وهلم يا هندان ، وهلم يا هندات .

وبنو تميم^(٥٦) يجعلونها فعل أمر تتصل بها الضمائر للمفرد والمثنى والجمع مذكرا ومؤنثا ، فيقولون : هلم يا زيد ، وهلمى يا هند ، وهلم يا زيدان ويا هندان ، وهلموا يا زيدون ، وهلمن يا هندات .

وجاءت (هلم) فى القرآن بلمجة الحجاز ، قال تعالى : (قل هلم شهداءكم) (والقائلين لاخوانهم هلم الينا) .

ولذا رجح النحاة لهجة الحجاز^(٥٧) وذكر الرازى أنها أفصح^(٥٨)

ويرى الخليل أن (هلم) مركبة من (ها) التى للتثنية و (لم) بمعنى : اجمع شملك الينا ، وحذفت الألف تخفيفا لكثرة الاستعمال ،

(٥٦) ينسب الخليل لهجة غير الحجازيين الى بطن من تميم هم بنو سعد (العين ٥٦/٤) والصاحح (هلم) ونسبها الأزهري الى تميم وبنى سعد (التهذيب ٤٣٧/٦) ونسبت أيضا الى تميم وبعض نجد (تاج العروس ١٠٨/٩) وإلى أهل نجد (المصباح ص ٦٤٠) وفيه أن أبا زيد قال : (استعمالها بلفظ واحد للجميع من لغة عتيل وقيس والى الضمائر من لغة تميم وعليها أكثر العرب) ؛ لكن وقوعها فى القرآن بلغة الحجاز وعدم قراءتها — ولو شذوذا — باللغة التميمية دليل على أن أكثر العرب على لهجة الحجاز لا لهجة تميم . انظر لغة تميم د. ضاحى عبد الباقي ص ٤٨٩ .

(٥٧) الكتاب (باب ما لا يجوز فيه نون خفيفة ولا ثقيلة وذلك الحروف التى للأمر والنهى وليست بفعل نحو ايه وصه ومه وأشباهها ٢٥٩/٣ والمقتضب ٢٠٢/٣ ، ٢٠٣ وشرح المفضل ٤١/٤) والشمونى ٢٠٦/٣ واللسان (هلم) .

(٥٨) مختار الصحاح ص ٦٩٨ .

يقول سيبويه ، وزعم (أى الخليل) أنها (لم) — بضم اللام وتشديد الميم المفتوحة — لحقتها ها للتببيه وانما حذفوا الألف لكثرة استعمالهم هذا فى كلامهم^(٥٩) . وعند الأخفش أنها مركبة من (هل) التى للاستحاث و (لم) .

ويرى الفراء أنها مركبة من (هل) و (أم) بمعنى اقصد ، ثم حذفت الهمزة تخفيفا ، وبناء على وجود الفعل فى تركيبها قال التميميون بفتحيتها وقد وردت صيغة للمضارع منها : حكى الأصمعى أن الرجل يقال له : هلم فيقول : لا أهلم^(٦٠) .

ويقول النحاة : ان (هلم) لما غير معناها بعد التركيب صارت كسائر أسماء الأفعال المنقولة عن أصلها عند الحجاز ، ولذا لم تتصرف عندهم ، على حين يصرفها بنو تميم نظرا لأصلها^(٦١) .

هذا هو رأى القديم فى (هلم) اسم فعل أمر وفعل مركب ، ولكن بعض المحدثين يميلون الى القول ببساطتها على ضوء اللغات السامية ، فالكلمة فى العبرية هى halom كلمة واحدة ليست مركبة ، وهو أقرب الى القبول .

الحاق الفعل علامة التثنية والجمع

إذا كان الفعل اسما ظاهرا مفردا جاء الفعل بصيغة الافراد عند العرب جميعا^(٦٢) . أما إذا كان القاعل اسما ظاهرا مثنى أو جمعا مذكرا أو مؤنثا فان جمهور العرب يفردون الفعل فلا يلحقون به علامة

(٥٩) الكتاب ٢٥٩/٣ .

(٦٠) شرح المفصل ٤/٣ وانظر فى اعتبارها فعلا — عندهم — الأسمونى ٢٠٦/٣ والبحر المحيط ٢٣٥/٤ والهمع ١٠٧/٢ .

(٦١) شرح الكافية ٧٢/٢ ، ٧٣ والحجة للفارسي ١٤٦/١ ، ١٤٧ .

(٦٢) شرح درة الفواص للخفاجى ١٥٢ وشرح التصريح ٢٧٥/١ ،

١١٠/٣ وجمع الهوامع ١٦٠/١ والجنى الدانى للمرادى ١٧١ .

تنثية أو جمع فتقول : قام أخواك وقام اخوتك وقام أختاك وقامت أخواتك وقال قومك فحذفوا العلامة اكتفاء بما أظهروا^(٦٣) وعلى ذلك تجرى الفصحى ، وفى القرآن الكريم : (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بيحيى) . الخ (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) . . . الخ .

ولكن بعض العرب ومنهم قبيلة طيء وبلحارث بن كعب ، وأرد شنوءة^(٦٤) وهى قبائل يمنية كانت تلحق الفعل — اذا كان فاعله ظاهرا مثنى أو جمعا — علامة التنثية وعلامة الجمع فيقولون : قاما أخواك وقاموا اخوتك وقمن نسوتك ، يقول سبيويه :

(واعلم أن من العرب من يقول : ضربونى قومك وضربانى أخواك وكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلوا للمؤنث قلت : مررت برجل أحمران أبواه تجعله اسما ومن قال أكلونى البراغيث قال : من قال : أكلونى البراغيث أجرى هذا على أوله فقال : مررت برجل حسنين أبواه ومررت بقوم قرشين أبأؤهم وكذلك أفعل نحو أعور وأحمر فتقول : مررت برجل أعور أبواه وأحمر أبواه فان ثنيت قلت : مررت برجل أحمران أبواه تجعله اسما ومن قال أكلونى البراغيث قلت على حد قوله : مررت برجل أعورين أبواه^(٦٥) .

ووردت بعض آيات القرآن الكريم — ظاهرها — يشير الى هذه اللغة ومن ذلك قوله تعالى (ثم عموا وصموا كثير منهم) وقوله تعالى (وأسروا النجوى الذين ظلموا)^(٦٦) فبعض النحاة يجعل الاسم الظاهر (كثير) و (الذين ظلموا) فاعلا عنى اللغة السابقة بيد أن

(٦٣) شرح الأشموني ٤٨/٢ .

(٦٤) المصدر السابق ٤٨/٢ . (٦٥) الكتاب ٢٣٦/١ .

(٦٦) المصدر السابق ٢٣٧/١ ط بولاق .

(٦٧) من المائدة الآية ٧١ ومن الأنبياء الآية ٣ .

جمهور النحاة والمفسرين يحاولون تخريج الآيتين على اللغة المشهورة التي عليها جمهور العرب فيعربون « كثير » على أنه بدل من (الواو) التي يجعلونها ضميرا فاعلا في عموا وصموا كما تقول : رأيت قومك ثلثيهم أو يضمرون فعلا آخر ارتفع به الاسم الظاهر والتقدير (عمى وصم كثير منهم) أو « كثير » خير لمبتدأ محذوف ويكون التقدير (العمى والصم كثير منهم) (٦٨) .

ويعربون (الذين ظلموا) بدلا من الواو في (أسروا) العائد إلى الناس قال المبرد : وهو كقولك : ان الذين في الدار انطلقوا بنو عبد الله فبنو بدل من الواو في انطلقوا أو يعرب (الذين ظلموا) خبر لمبتدأ محذوف والتقدير : هم الذين ظلموا أو مبتدأ وما سبقه خبر الذين ظلموا وهو (وأسروا النجوى) أو منصوبا بفعل محذوف أى أعنى الذين ظلموا وأجاز الفراء أن يكون خفضا بمعنى اقترب للناس الذين ظلموا حسابهم (٦٩) وهذه التأويلات عدها بعض العلماء تعسفا وتكلفا مستغنى عنه فان تلك اللغة (الحاق علامة الجمع للفعل) مشهورة ولها وجه من القياس واضح (٧٠) .

وجاءت تلك اللغة في بعض الأحاديث كقوله صلى الله عليه وسلم : (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار) (٧١) والحديث رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة وتكملته : (يتعاقبون فيكم

(٦٨) تفسير القرطبي ٢٤٨/٦ وانظر السكتاب ٢٣٦/١ بولاق ، ٤١/٢ هارون قال سيبويه (وأما قوله جل ثناؤه (وأسروا النجوى الذين ظلموا) فانما يجيء على البدل وكأنه قال : انطلقوا فليل له من ؟ فقال : بنو فلان فقوله جل وعز (وأسروا النجوى الذين ظلموا) على هذا فيما زعم يونس .

(٦٩) تفسير القرطبي ٢٦٨/١١ ومعانى القرآن للفراء ٣١٦/١ وشرح التصريح ٢٧٠/١ ، ٢٧٧ ومعنى اللبيب ٣٦٥/٢ .
(٧٠) فتح البارى ٢١٨/٣ .
(٧١) شرح الأشموني ٤٨/٢ .

ملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يخرج
الذين باتوا فيسألهم ربهم — وهو أعلم بهم — كيف تركتم عبادي ؟
فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون « (٧٢) .

فذكر الواو الى جانب الاسم الظاهر (ملائكة) وأول الحديث
على أنه جزء من حديث طويل وأصله (ان لله ملائكة يتعاقبون فيكم
ملائكة بالليل وملائكة بالنهار) (٧٣) .

وقد قال أبو حيان : ان الراوى قد تصرف في الحديث بعبارته
مستندا الى رواية البزار — عن أبي هريرة — بلفظ (ان لله ملائكة
يتعاقبون فيكم) الحديث (٧٤) والواو — على هذه الرواية — ضمير
الفاعل ولا شاهد فيه .

وأيد السيوطى رأى أبى حيان قائلًا (وتواردته جماعة من
شراح الحديث ومعهم ابن مالك على أن الحديث جاء على لغة أكلونى
البراغيث والحق ما قاله جماعة آخرون منهم أبو حيان أن الحديث
تصرف فيه الراوى) (٧٥) .

ولكن — كما قال ابن حجر — هذا الحديث ورد بلفظ (يتعاقبون
فيكم ملائكة) فى الصحيحين فالعزو اليهما أولى (٧٦) .

ومن أقوال التابعين قول الحسن البصرى (قد أوكدته يداه
وأعمدته رجلاه) أى صيرته عميدا وهو المريض الذى لا يستطيع أن
يثبت على المكان حتى يعمد من جوانبه لطول اعتماده فى القيام

(٧٢) فتح البارى ٢١٨/٣ — ٢٢١ رواه الشيخان والنسائى والامام
مالك فى الموطأ ، تنوير الحوالك شرح للسيوطى على موطأ مالك ١٨٤/١ .
(٧٣) الفائق للزمخشري ٧٣/٣ والنهاية ٣٩٧/٣ ولسان العرب
٣٩٧/٤ .

(٧٤) فتح البارى ٢١٨/٣ . (٧٥) تنوير الحوالك ١٨٤/١ .
(٧٦) فتح البارى ٢١٩/٣ .

عليهما يقال : عمدت الشيء وأعمدته جعلت تحته عمادا وقوله :
وأعمدته رجلاه على لغة من قال : أكلوني البراغيث وهي لغة
طيء (٧٧) .

ومن الشعر الذى جرى أصحابه على هذه اللغة قول عمر بن
ملقط الطائي :

ألفيتا عيناك عند القفا أولى لك ذا واقية (٧٨)
بدلا من : ألفيت عيناك .

وقول أمية بن الصلت :

يلوموننى فى اشتراء التخييل أهلى فكلهم يعذل (٧٩) .
بدلا من يلومنى أهلى .

وقول عبد الرحمن العتبي :

رأين المغوانى الشيب لاح يعارضى فأعرضن عنى بالخدود النواضر
بدلا من : رأت المغوانى .

وقال الفرزدق :

ولكن ديافى أبوه وأمه

بحوران يعصرن السليط أقاربه (٨٠)

بدلا من : (يعصر أقاربه) .

وقول عبد الله بن قيس الرقيات :

تولى قتال المارقين بنفسه وقد أسلماه مبعد وحميم (٨١)
وبعض العلماء من القدامى حكم بأنها غير فصيحة أو قليلة

(٧٧) النهاية ٣/٣٩٧ .

(٧٨) شرح شواهد المغنى ١١٣ وأمالى ابن الشجرى ١/١٣٢ .

(٧٩) ديوان أمية بن الصلت ١٦ والدرر اللوامع ١/١٤٢ وأمالى

ابن الشجرى ١/١٣ وشرح التصريح ١/١٧٦ والهمع ١/١٦٠ .

(٨٠) الكتاب ٢/٤٠ والشاعر يهجو عمرو بن عفراء الضبى ودياف :

قرية بالشام وهوران من مدن الشام والسليط : الزيت .

(٨١) ديوان ابن قيس الرقيات ٢/٣٥ ، ١٩٦ وأمالى ابن الشجرى

١/١٣١ وشرح التصريح ١/٢٧٧ والهمع ١/١٦٠ .

وبعضهم أشار الى أنها لغة فاشية أو لغة حسنة^(٨٢) وأصحاب هذه اللهجة طييء وبنو الحارث بن كعب وأزد شنوءة وأضرابهم من العرب — كما أشرنا من قبل •

وهذه اللهجة ظلت على بعض الألسنة حتى عصر الحريري المتوفى سنة ٥١٦ هـ وعدها لحنا لكنها لهجة عربية ليست بلحن كما قال الشهاب الخفاجي في شرح الدرر ، وهي شائعة في اللهجات الدارجة الآن في مصر مثل (لأموني الناس) الخ وقد اتخذ المجمع قرارا بجوازها فقال : « يجوز اذا كان الخاغل اسما ظاهرا أو مثنى أو مجموعا جمعا لمذكر أو مؤنث أو ما يدل على أحدهما أن يلحقوا الفعل المسند الى أحدهما علامة التثنية أو علامة الجمع »^(٨٣) •

وربما كان الحاق العلامة شائعا ابان نشأة اللغة ثم تطورت الى ترك العلامة بعد عصر تهذيب اللغة بما استقرت عليه الفصحى •

فعال للمؤنث

يختلف العرب في اعراب ما جاء على (فعال) علما لمؤنث ، فالحجازيون يبنونه على الكسر مطلقا رفعا ونصا وجرا سواء كان آخره راء أو لا مثل حذام وقطام ولكاع ، ومن ذلك قول لجيم بن صعب بن بكر بن وائل :

إذا قالت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذام^(٨٤)

ويفرق التميميون بين ما كان آخره راء وما ليس آخره كذلك فان كان آخره راء فمعظم التميميين يبنونه على الكسر كالحجازيين

(٨٢) انظر الكتاب ٤٠/٢ وفتح الباري ٢١٨/٣ والبحر ٢٩٧/٦ والقرطبي ٢٤٨/٦ •

(٨٣) في أصول اللغة ٢١٠/٢ •

(٨٤) الاشموني ٢٦٨/٣ وشرح التصريح ٢٢٥/٢ •

فيقولون : هذه ظفار ودخلت ظفار ونزلت بظفار وعليه قول الشاعر :
متى ما ترد يوما سفار تجد بها أديهم يرمى المستجير المعاورا^(٨٥)
وقليل منهم يعربه اعراب ما لا ينصرف فيرفعه بالضمّة وينصبه
ويجره بالفتحة فيقول : هذا سفار ورأيت سفار وشربت من سفار •
وان لم يكن آخره راء فالتميميون يعربونه اعراب ما لا ينصرف
فى جميع أحواله فيقولون : هذه حذام ورأيت حذام ومررت بحذام •
وبناء (فعال) — علما لمؤنث — على الكسر مبنى على شبهه بفعال
اسم الفعل لا اشتراكهما فى الصيغة والتأنيث والتعريف والعدل وهم
يشبهون الشيء بالشيء^(٨٦) •

ومذهب التميمين فى اعرابه اعراب ما لا ينصرف هو القياس
لأن ذلك شأن الأعلام المعدولة^(٨٧) •

الاسم الموصول

يستعمل (الذى) و (التى) اسمين موصولين للمفرد والمفردة ،
وفى المفرد لغات : (الذى) و (الذى) بحذف الياء ومثناها : اللذان
واللتان بتخفيف النون عند جمهور العرب ، وبعض العرب — تميم
وقيس — يشدد النون فى التثنية فيقولون : اللذان واللتان بتشديد
النون المكسورة •

ويرى الكوفيون أن تشديد التون يكون فى حالات الاعراب
الثلاث الرفع والنصب والجر ، لكن البصريين يرون جواز التشديد

(٨٥) شرح التصريح ٢٢٥/٢ والشذور ٨٠ •
(٨٦) الكتاب ٢٧٨/٣ وشرح التصريح ٢٢٥/٢ •
(٨٧) الكتاب ٢٧٧/٣ •

فى حالة الرفع وقد وردت بعض القراءات بتشديد النون فى أحوال
الاعراب كلها^(٨٨) ، ويعمل النحاة لجواز تشديد النون فى المثنى المذكر
بأنه للتعويض عن الياء المحذوفة فى المفرد : الذى والتى أو لتأكيد
الفرق بين صيغة المبنى والمعرب^(٨٩) وبلحرت بن كعب وبعض ربيعة
تستعمل المثنى المذكور بحذف النون حالة الرفع مثل قول الفرزدق :

أبنى كليب ان عمى المذا قتل الملوكة وفنكا الأغلالا
وقول الأخطل :

هما اللتا لو ولدت تميم لقيت فخر لهم عميم
ومته : هما اللتا أقصدنى سوماهما^(٩٠) .

وهذا الحذف لتقصير الموصول لطوله بالصلة لكونهما كالشيء
الواحد وأمن الالتباس بالمفرد ولهذا لا يجوز حذف النون من اسمى
الإشارة (ذان — تان) للالتباس بالمفرد ولعدم انطوائ^(٩١) ويرى
بعض الباحثين أن بلحرت قبيلة يمنية وأكثرهم بدو ، وربيعة بعضها
حضرى والآخر بدوى وتلك الظاهرة تناسب البدو من ربيعة^(٩٢) .

وهذا فى رأينا كلام جزافى فمرة يقول هذا الكاتب : قبائل
اليمن ومنهم بدو وهنا يقول . وأكثرهم بدو ، وربيعة يجعل بعضها
بدوا وبعضها حضرا وكأن المسألة فى يده يصنع ما يشاء بالقبائل
قيصيرها بدوا أو حضرا اخضاعا لما يريد من التعليقات للهجات
وهذا لا دليل عليه .

(٨٨) الأثموني ١٤٧/١ ، ١٤٨ وشرح التصريح ١٣٢/١ .
(٨٩) شرح التصريح ١٣٢/١ . (٩٠) اللسان ٣٤٣/٢٠ .
(٩١) شرح التصريح ١٣٢/١ وخزانة الأدب ٥٠٣/٢ وشرح المفصل
١٥٤/٣ .
(٩٢) اللهجات العربية فى التراث ٦٦٢/٢ .

أما الاسم الموصول لجماعة الذكور (الذين) فيلزم الياء في جميع حالات الاعراب عند جمهور العرب وقد تحذف نون الجمع فيقال : (الذى) كما قال الأسيب بن بديلة :
وان الذى حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد .
ومنه ما أورده ثعلب :

فان ظفر القوم الذى أنت غيهم فأبوا بفضل من سناء ومن غم^(٩٣)

وقيل : انها تحذف على لغة من يعرب الذين بالواو رفعا قال :
قومي الذو بعكاظ طيروا شررا من رأس قوهك ضربا بالمصاقل^(٩٤)
ولكن كيف قصرنا ذلك على المرفوع مع أن سبب الحذف كما يتحقق حال الرفع يتحقق حالى النصب والجر وصورة اللفظ واحدة فيها جميعا ؟

وبعض العرب كهذيل وعقيل يعربون (الذين) اعراب جمع المذكر السالم بالواو رفعا وبالياء نصبا وجزا ، قال أحد شعراء بنى عقيل أو رؤبة :
نحن الذون صبحوا الصباحا يوم النخيل غارة ملحاحا^(٩٥)

وذكر بعض النحويين أن بعض العرب ومنهم هذيل يستعمل (اللاعون) اسما موصولا لجماعة الذكور بالواو حال الرفع وبالياء (اللاتين) حالى النصب والجر وعليها قول الشاعر الهذلي :
هم اللاعون فكوا الغل عنى بمر السابحات وهم خصاص^(٩٦)

(٩٣) مجالس ثعلب ٣٦٥/٢ .
(٩٤) شرح المفصل ١٥٦/٣ وخزانة الادب ١٤/٦ ، ١٧ .
(٩٥) الهمع ٨٣/١ والأشمونى ١٤٩/١ وشرح المفصل ١٤٤/٣ والمغنى ٤١٠/٢ وابن عقيل ١٤٤/١ .
(٩٦) المغنى ١١٠/٢ ، والهمع ٨٣/١ .

وهذا على غير المشهور من استعمال (انلاء) اسما موصولا
لجماعة الاناث .

اعراب المثني

المشهور أن المثني يرفع بالألف وينصب ويجر بالياء عند جمهور
العرب ، فيقولون : جاء أخواك ورأيت أخويك ومررت بأخويك ،
وبعض العرب : بلحراث بن كعب ، وخثعم ، وكنانة وبلعنبر ،
ويطون من ربيعة ، وبكر بن وائل وزبيد وهمذان وعذرة^(٩٧) يلزمون
المثني الألف مطلقا — رفعا ونصبا وجرا — قال الشاعر :

إن أباه وأبا أباه قد بلغا في المجد غايتها
وقال الآخر :

أعرف منها الجيد والعينانا ومنحمرين أشبهها ظيانا

وفى رواية : أعرف منها الأنف .

وقال الآخر :

تطرق أطراق الشجاع ولويرى مساعا لناباه الشجاع لصمما

وقال هوبر الحارث :

تترود منا بين أذنائه طعنة دعت به الى هابي التراب عقيم^(٩٨)

وقد ورد ذلك في بعض القراءات كما في قراءة : (ان هذان
لساحران) بتشديد النون في بعض قراءات السبعة كنافع وابن عامر
وحمزة والكسائي^(٩٩) وعليها قراءة : (فكان أبواه

(٩٧) الهمع ٤٠/١ ، وليس في كلام العرب ٣٢٤ والصاحبي ٢٩ .

(٩٨) الصاحبي ٢٩ ، وشرح الفصل ١٢٨/٣ ، ١٢٩ والاثموني

٧٩/٢ .

(٩٩) السبعة لابن مجاهد ٤١٩ .

مؤمنان (١٠٠) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (لا وتران فى ليلة) (١٠١) وفى نواتر أبى زيد أن الياء الساكنة اذا انفتحت ما قبلها تقلب ألفا — فى المثنى وغيره — وعلى هذا جرى أصحاب هذه اللهجة فى المثنى فهم يقولون : أخذت الدرهمان بدلا من الدرهمين ، وفى عليها يقولون : علاها ، وفى السلام عليكم : السلام عليكم . لانفتاح ما قبل الياء الساكنة فتقلب ألفا وهذا عند بلخرت . ابن كعب (١٠٣) .

ويرى بعض الباحثين أن ظاهرة اعراب المثنى بالألف فى الحالات الثلاث يمكن تفسيرها وفق قانون السهولة وذلك لانكماش الصوت المركب (Diphtong) أى ai فيحول الى كسرة طويلة سالمة كالذى نلاحظه فى نطق المثنى فى عاميتنا المصرية مثل ولدين (uala den) بدلا من (ولدين) ثم تحولت هذه الكسرة الطويلة السالمة الى فتحة طويلة وهو شبيه بتحويل الاملالة فيما أصله ياء الى الألف عند الحجازيين ولهذا التحول نظائر فى عاميتنا مثل (فان) — عند بعض سكان مصر — المتطورة عن (فـين) والتي أصلها (فـين) اختصار (فـأين) كما أن له نظائر فى العربية القديمة مثل (عاب) و (باع) المتطورين عن (عيب) و (بيع) .

ويرى أن هذه اللهجة تمثل الطور الثالث لصوت اللين المركب وقد اتخذت اللغة النموذجية أحوال المثنى من لهجات مختلفة ثم خصص النحاة حالة الياء بالنصب والجر وحالة الألف بالرفع (١٠٣) .

ونقول لهذا الكاتب : ان هذا التحول يمكن اذا كانت الألف لم

(١٠٠) البحر المحيط ١٥٥/٦ .

(١٠١) الترمذى ٢٩٣/١ . (١٠٢) النواتر ٥٨ .

(١٠٣) فى اللهجات العربية ١٤٣ ، ١٤٤ .

توجد فى اللهجات العربية الأخرى لكنها واقعة فى بعض جوانب
الاعراب وهو حالة النصب فلما بحاجة الى هذا التحليل الغريب
الذى لا دليل عليه •

وكذلك أخذ أوجه الاعراب من لهجات متعددة لا دليل عليه أيضا
وليس من عمل النحاة كما ادعى هذا الكاتب •

ما الحجازية والتميمية

ترد (ما) نافية وهى من الحروف غير المختصة التى تدخل
على الأفعال والأسماء ، والمعروف أن أصل العمل أن يكون للأفعال
لأن كل فعل لابد له من فاعل إلا ما استعمل زائدا مثل (كان) أو
فى معنى الحرف مثل (قلما) أو تركب مع غيره مثل (حبذا)
وما يعمل من الأسماء فانما ذلك لشبهه بالفعل كاسم الفاعل واسم
المفعول والصفة المشبهة النخ •

والحروف نوعان : نوع مختص بما يدخل عليه ولم ينزل منزلة
الجزء منه فيعمل فيه •

ونوع لم يختص أو اختص ولكن تنزل منزلة الجزء منه فهذا
لا يعمل لأن جزء الشيء لا يعمل فى الشيء •

و (ما) حرف غير مختص ولها شبهان :

أحدهما عام : راعاه بنو تميم •

والثانى خاص : وهو شبهها بليس فى كونها للنفى وداخله على
المبتدأ والخبر وتخلص المحتمل للحال كما أن ليس كذلك ، وراعى
هذا الشبه أهل الحجاز فأعملوها عملها فرفعوا بها المبتدأ اسمالها
ونصبوا الخبر خبرا لها (١٠٤) •

وقد أعملها الحجازيون — عمل ليس — بشروط :

١ — ألا ينتقض النفي بالا •

٢ — ألا تتراد بعدها ان النافية فان زيدت بطل عملها مثل :

بنى غدانة ما ان أنتم ذهب ولا صريف ولكن أنتم الخزقة

٣ — ألا يتقدم خبرها فان تقدم بطل عملها نحو ما قائم زيد خلافاً
للفراء وغيره الا اذا كان جاراً ومجروراً أو ظرفاً •

وجاء على ذلك قوله تعالى : (ما هذا بشراً)^(١٠٥) ، (ما هن
أمهاتهم)^(١٠٦) وقرىء (أمهاتهم) — بالرفع على لغة تميم — واللغة
الأولى أقيس والثانية أفصح وبها ورد الكتاب العزيز^(١٠٧) كما تقدم •

زيادة الباء في خبرها :

وتتراد الباء في خبر (ما) عند الحجازيين قياساً على (ليس)
في الراجح من الآراء ، يقول ابن يعيش : « والأصل في زيادة
الباء في النفي مع ليس وحملت (ما) الحجازية على ليس اذ كان
خبرها منصوباً كخبر ليس »^(١٠٨) •

وذهب قوم الى أن أصل دخول الباء انما هو مع (ما) لضرب
من التقابل وذلك أن القائل يقول : ان زيدا قام فيقول النافي لذلك
الخبر : ما زيد قائماً فيدخل (ما) بازاء (ان) فاذا قال : ان
زيداً لقائم قال النافي : ما زيد بقائم فتأتى الباء لتأكيد النفي كما
أتى باللام لتأكيد الايجاب فصار الحرفان بازاء الحرفين^(١٠٩) ومن

(١٠٥) سورة يوسف الآية ٣١ .

(١٠٦) سورة المجادلة الآية ٢ .

(١٠٧) شرح المفصل ١٠٨/١ .

(١٠٨) المصدر السابق ١١٥/٢ ، ١١٦ .

(١٠٩) المصدر السابق ١١٦/٢ .

أمثلة زيادة الباء في خبر (ما) قوله تعالى : (وما هم بمؤمنين) (١١٠) ودخلت الباء لتأكيد النفي .

زيادة (من) مع اسمها :

وترداد (من) كذلك مع المبتدأ أو اسم (ما) في مثل قوله تعالى : « ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير » (١١١) (من ولي) (من) هي التي للاستغراق إذا كانت تميمية .

وكذلك إذا كان « ولي » اسم (ما) فتزاد (من) لما ذكر ، من ذلك قوله تعالى : « وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء » (١١٢) .

فتوجه (من شيء) على ما تقدم ، فتكون (ما) تميمية أو حجازية على جواز تقدم الخبر إذا كان جاراً ومجروراً أو ظرفاً .

الوقف على تاء التانيث

إذا كان الاسم مفرداً مختوماً بتاء التانيث ففي الوقت عليه طريقتان :

الأولى : الوقف بالهاء فتقول : فاطمة وطلحة .

الثانية : الوقف بالتاء عند طي (١١٣) فيقولون : فاطمت ، طلحت وهذه أمت في (أمة) وسمع بعضهم يقول : يا أهل سورة البقرة فقال مجيب : ما أحفظ منها ولا آيت ، وعليها أنشد قطرب لراجز من حمير أو أبي النجم :

(١١٠) سورة البقرة ٨ . (١١١) سورة البقرة ١٠٧ .

(١١٢) الأنعام ٦٩ .

(١١٣) نسبت أيضاً إلى حمير وأهل اليمن .

والله أنجياك يكفى مسلمت من بعدما وبعدها وبعدمت
صارى نفوس القوم عند الغلصمت وكادت الحرة أن تدعى أمت (١١٤)

وقد وقف بعض القراء على بعض الكلمات بالتاء موافقة لرسم
المصحف فى مثل قوله تعالى : (أولئك) يرجون رحمت الله () وقوله
سبحانه (ان رحمت الله قريب من المحسنين) وقوله سبحانه :
(واذكروا نعمت الله عليكم) وقوله جل شأنه (ذكر رحمت ربك
عبده زكريا) ؛ وعلى هذا رسمت فى المصحف العثمانى بعض التاءات
المفتوحة وهى للتأنيث ؛ قال سييويه : « وزعم أبو الخطاب الأخفش
أن ناسا من العرب يقولون فى الوقف : طلحت كما قالوا فى تاء
الجمع قولا واحدا فى الوقف والوصل » (١١٥) وهى لغة فاشية (١١٦)
وهذا كله اجراء للوقف مجرى الوصل خوفا من الخفاء لأن التاء
أظهر من الهاء .

هذا فيما اذا كان قبل التاء متحرك ، أما اذا كان ما قبلها ساكنا
صحيا مثل : بنت وأخت فالوقف عليها بالتاء فقط .

واذا كان ما قبل التاء ساكنا مثلا — فى غير جمع المؤنث —
مثل الصلاة ، فالأرجح الوقف عليها بالهاء ، وقد يوقف عليها بالتاء
مثل الصلات .

أما جمع المؤنث السالم فيوقف عليه بالتاء مثل : البنات
والأخوات .

وقد أجرى بعض العرب الجمع مجرى المفرد شذوذا ، فوقفوا
عليه بالهاء وهم قبيلة طيء (١١٧) يقول الشيخ خالد الأزهرى : ومن

(١١٤) شرح الفصل ٨٩/٥ والهمع ٢/٢٠٩ والأشمونى ٢١٤/٤
والتصريح ٣٤٤/٢ .

(١١٥) الكتاب ١٦٧/٤ . (١١٦) شرح الفصل ٨١/٥ .

(١١٧) سر الصناعة مخطوطة الأزهر الوجه الثانى من الورقة ١٠٧ .

الوقف بالابدال هاء قولهم : كيف البنون والبناء ، وكيف الاخوه والأخواء وقولهم : (دفن البناء من المكرماه) حكاه قطرب عن طيىء بإبدال تاء الجمع هاء فى الوقف ، تشبيها بتاء التأنيث الخالصة ، وقال ان الراجح فى تاء الجمع الوقف عليها بالتاء ، وانما كان الأرجح الوقف عليها بالتاء لأنهم لما أرادوا أن يكون فى جمع المؤنث السالم زيادتان لم يكفهم أن يزدوا الواو ولا الياء مع الألف لأنهم لو زادوها لأنقلبتا همزة فزادوا التاء معه لأنها تصير بدلا من الواو كما فى ثخمة فصارت علامة التأنيث وأغنت عن أن يقال فى مسلمة : مسلمتات ، فلما أفادت هذه التاء الجمع والتأنيث وأغنت عن علامة التأنيث الملحقه بالواحد أثبتت فى الوقف ولم تبدل هاء وعاملوا ما ألحق بالجمع معاملة غيره لأنهم لما أجروه مجراه فى الاعراب أجروه مجراه فى غيره (١١٨) .

ويرى بعض الباحثين المحدثين أن تاء التأنيث تنقلب هاء فى الوقف ويقول : « ان هذه الظاهرة ليست فى الحقيقة قلب صوت الى آخر ، بل هى حذف الآخر من الكلمة ، وما ظنه القدماء هاء متطرفة هو فى الواقع امتداد فى النفس حين الوقوف على صوت اللين الطويل أو كما يسمى عند القدماء ألف المد ويصدق ذلك على الأسماء المؤنثة المفردة التى تنتهى بما يسمى التاء المربوطة فليس يوقف عليها — كما ظن النحاة — بحذف آخرها ويمتد التنفس بما قبلها من صوت لين . قصير (الفتحة) فيخيل للسامع أنها تنتهى بالهاء .

ويؤيده بعضهم بأنه ليس لرأى القدماء ما يسنده من الناحية الصوتية فلا تقارب بين تاء التأنيث والهاء ولكن الملاحظة الصوتية تثبت وجود الهاء حال الوقف على الاسم المختوم بالتاء .

(١١٨) شرح التصريح ٣٤٣/٢ والمفصل ٥/١٠ وقد وقف على بعض التاءات الأصلية بالهاء مثل التابوت واللات والعنكبوت وهيات ، نسب ذلك الى اليمن وطيىء والانصار من الأزد اليمانية ممن هاجر قبل الاسلام وقرأ الكسائى والبزى : هيباه فى القرآن (المؤمنون ٢٦) والنشر ١٣١/٢ .

مطابقة المصدر لوصفه

المشهور أن المصدر لا يطابق الموصوف ، فيأتى بالافراد والتذكير
للواحد والمثنى والجمع مذكرا ومؤنثا ، فنقول : رجل عدل ، وامرأة
عدل ورجلان عدل وامرأتان عدل ورجال عدل ، ونساء عدل .

وهذا لأن الوصف بالمصدر من قبيل الوصف بالجنس ، فالمصادر
أجناس للمعاني (١١٩) كما أن غيرها أجناس للأعيان كرجل وفرس .

فالتذكير والافراد أقوى في اللغة ، وأعلى في الصيغة ، قال
تعالى : (وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب) وقال جل
ثناؤه : (وان كنتم جنبا فاطهروا) .

وانما كان التذكير والافراد أقوى من قبل أنك لما وصفت
بالمصدر أردت المبالغة بذلك ، فكان من تمام المعنى وكماله أن تؤكد
ذلك بترك التانيث والتثنية والجمع للمصدر ، ألا ترى أنك اذا انثت ،
أو تثيت أو جمعت سلكت به مذهب الصفة الحقيقية التي لا معنى
للمبالغة فيها ، نحو قائمة ومنطلقة وضاربات ومكرمات فكان ذلك يكون
نقضا للغرض أو كالتنقض له ، فلذلك قل حتى وقع الاعتذار لما جاء
منه مؤنثا أو مجموعا (١٢٠) .

وذلك جرى على الأصل للمصادر من الافراد والتذكير (١٢١) .

وقال الزجاج : يقال : رجل جنب ورجلان جنب وقوم جنب
وامرأة جنب كما يقول رجل رضا ، وقوم رضا ، وانما هو على تأويل
ذوو جنب لأنه مصدر والمصدر يقوم مقام ما اضيف اليه (١٢٢) .

(١١٩) الخصائص ٢/٢٦ . (١٢٠) المصدر السابق ٢/٢٠٧ .

(١٢١) شرح التصريح ٢/١١٣ .

(١٢٢) معاني القرآن وأعرابه ٢/١٦٩ .

ويقول الأستاذ العقاد - عن الوصف بالمصدر - فإذا وضع المصدر موضع الصفة فهو واحد في مدلوله ، لأن معنى المصدر لا يتغير مع الفاعل المذكر أو الفاعل المؤنث ، ولا مع الواحد أو الكثير ، فان (العدل) - مثلاً - عدل واحد في صفته على جميع الحالات ، فلا ضرورة لعلامات التأنيث أو الجمع إذا أراد المتكلم أن يستغنى عنها ، ولا يختلف المعنى إذا قيل : رجل عدل وامرأة عدل ورجال عدل ونساء عدل ، لأن الأسماء هنا في حكم المضاف والمضاف اليه من جهة المعنى (١٢٣) .

فالوصف بالمصدر على معنى عادل وعادلة وذو عدل وذات عدل وذوا عدل وذواتا (١٢٤) عدل وذوو عدل وذوات عدل .

وبعض العرب يجيز تثنية المصدر وجمعه وتأنيثه ، وهذا قليل ، يقول الزجاج : من العرب من يثنى ويجمع ويجعل المصدر بمنزلة اسم الفاعل ، وإذا جمع جنب قلت : في الرجال جنبون ، وفي النساء جنبات ، وللاثنتين جنبان (١٢٥) .

ويقول سيبويه : وأما فعل - بضم الفاء والعين - فهو في الصفات قليل ، وهو قولك : جنب - بضم الجيم والتون - فمن جمع من العرب قال أجنب ، كما قالوا : أبطل (١٢٦) .

(١٢٣) مجلة الأزهر . عند رجب سنة ١٣٨١ هـ - ديسمبر ١٩٦١ م
من مقال بعنوان (الصفة في اللغة العربية) ص ٧٨٩ .

(١٢٤) كان القياس ان يقال ذاتا مثنى ذات بمعنى صاحبة ولكن عين الكلمة ردت وهي الواو فقليل ذواتا اتباعا لاسلوب القرآن الكريم في قوله تعالى (نواتا أفنان) انظر النهر المسد من البحر على هامش البحر المحيط لأبي حيان ج ٨ ص ١٩٤ .

(١٢٥) انظر نص الزجاج السابق وشرح التصريح ١١٣/٢ .

(١٢٦) معاني القرآن للزجاج ١٦٩/٢ .

ويقول الأزهري : وأما قول العرب رجل ضيف ، ورجال
أضياف وضيوف وضيغان وامرأة ضيفة فقليل (١٢٧) .

وجعل ذلك المبرد مخالفا الوجه الأقوى فقال : نيس بالوجه
رجلان جنبان وامرأة جنبية وقوم أجنب (١٢٨) .

وجاء في الحديث عن عائشة (كنت أغتسل أنا ورسول الله
صلى الله عليه وسلم من اناء واحد ونحن جنبان) (١٢٩) .

وجاء مثل ذلك في الشعر كما في قول الخنساء :

ابكى أخاك لأيتام أراملة
وابكى أخاك اذا جاورت أجنباً (١٣٠)

ولكن اللهجة الأولى هي الأقوى والأفصح (١٣١) وقد جرى
القرآن على الأكثر الأفصح كما ذكرنا من قبل .

(١٢٧) الكتاب ٦٢٩/٣ .
(١٢٨) الكامل ١٥/٣ .
(١٢٩) صحيح مسلم ٢٥٦/١ .
(١٣٠) ديوانها .

لهجات يلفقها النحاة

قبل وبعد

لعلك تقرأ فى كتب النحو أن لقبل وبعد أربع حالات .

١ - حالة ذكر المضاف اليه مثل : قبلهم وبعدهم .
وتعربان حينئذ .

٢ - حالة حذف المضاف اليه ونية لفظه .

٣ - حالة قطعهما عن الاضافة لفظا ومعنى .

وفى هاتين الحالتين يعرب اللفظان .

٤ - حالة حذف المضاف اليه ونية المعنى وهنا يبنى اللفظان .

والحالات الثلاث الأخيرة - كما ترى - قسمها الفجاءة - فى حكمها النحوى - الى موقفين : موقف تعرب فيه قبل وبعد وموقف تبنيان فيه وهذه الحالات الثلاث ليست فى رأى إلا تصويرا لحالة واحدة ، وهى حالة حذف المضاف اليه فقط ويبدو لى - كذلك - أن هذه الحالة كان العرب يقفون حيالها مواقف مختلفة .

فبعض العرب يعربون اللفظين - حينئذ - ٤ وبعضهم يبنينها ولا شىء غير ذلك .

وفى الحقيقة أن النحاة لفقوا طرائق التعرب فيها لعرابيا ، وبنائها وجعلوا منها قاعدة يجوز فيها الوجوه التى ذكروها .

ويبدو لك عدم جدوى هذه العلل النحوية من تصويرهم لحال حذف المضاف اليه ، بأنه تارة يقصد اللفظ ، وتارة يقصد المعنى ، وتارة يحذف ، ولا يقصد .

ولا يبدو الفرق على وجه التحديد بين نية اللفظ ، ونية المعنى ،
فما الفرق بين أن أقصد تقدير لفظ معين وهو الغلب — مثلا — فى
قوله تعالى (الله الأمر من قبل ومن بعد) وبين أن أقصد لفظا عاما
دون تحديد كالغلب أو النصر أو الفوز أو التفوق أو نحو ذلك ؟
ان هاتين الحالتين — فى نظر المتكلم والسامع — سواء لا فرق بينهما
فالمهم أن المضاف إليه ملحوظ بما يؤدى المعنى المراد .

ثم ان الحالة الثالثة التى ادعوا فيها أن المضاف قد حذف وقطعت
الكلمتان — قبل وبعد — عن الاضافة لا يبدو أنها كما تضيروا ،
فالملاحظ أن ذهن المتكلم أو السامع — فى تلك الحالة نفسها —
لا ينصرف عن المضاف إليه المقدر ، وتأمل معنى هذا البيت الذى
يدعون فيه أن لفظ (قبل) فيه قد قطع عن الاضافة :
فساغ لى الشراب وكنت قبلا أكاد أغص بالماء الفرات
ألا ترى أن المعنى : وكنت قبل أخذ الثأر الذى يرمز الشاعر
إليه ، وقيل البيت فى مناسبتة ، أو أن (قبلا) اذا لم يكن تقدير
المضاف إليها ذلك أو نحوه فماذا يكون المقصود قبل أى شيء ؟ اذ لا بد
من شيء محذوف مقدر لحظه المتكلم فى نفسه ، ويلحظة السامع
كذلك ، وان لم يذكر صراحة .

ويدل لذلك أيضا أن الآية الكريمة السابقة قرئت بالأوجه
الثلاثة فاذا لم يكن المقصود واحدا بالنسبة للمضاف إليه المقدر
فعلام تصح هذه الأوجه ؟ وفيما يبدو أنها أوجه لطرائق النطق
العربية التى أشرنا إليها .

ففى نظرى ان قول النحاة ان قبل وبعد تقطعان عن الاضافة
نهائيا قول غير مسلم ، وان الكلمتين واشباههما من الظروف المبهمة
كأسماء الجهات لا تكون الا فى حالتين :

- ١ — اضافة ظاهرة .
- ٢ — اضافة مقدرة .

وأنها فى حالة ظهور المضاف اليه معربة لا محالة •
وفى حالة تقدير المضاف اليه تختلف لهجات العرب فيها فمن
معرب لها ومن بان ولا شيء غير ذلك •
ويتكون عملية نية المعنى ، ونية اللفظ والقطع عن الاضافة
لا تعدو أن تكون حديثا فلسفيا محضا لا داعى اليه عند تدريس مثل
هذه القواعد الراجعة الى اختلاف اللهجات •

لا النافية للجنس

يذكر النحاة فى باب (لا) النافية للجنس أن الصفة التى تتبع
اسم (لا) المبنى على الفتح مثل (لا رجل ظريف فى الدار) يجوز
فيها ثلاثة أوجه :

١ — البناء على الفتح ، بتركيب الصفة مع الموصوف تركيب
خمس عشرة ودخول (لا) عليهما بعد التركيب •

٢ — النصب ، باعتبار محل اسم (لا) لأنه فى محل نصب ،
لأنها — كما نعلم — تعمل عمل (ان) •

٣ — الرفع ، باعتبار محل (لا) مع اسمها ، لأنهما معا فى
موقع المبتدأ ، والمبتدأ — كما نعلم — يكون مرفوعا •

كما يذكر النحاة — أيضا — أن (لا) اذا كررت فى مثل :
(لا حول ولا قوة الا بالله) جاز فى الاسم الأول (حول) وجهان :
(البناء على الفتح والرفع) ، فاذا فتح الاسم الأول جاز فى الاسم
الثانى (قوة) ثلاثة أوجه :

١ — البناء على الفتح ، باعتبار (لا) الثانية عاملة عمل « ان »

٢ — النصب ، عطفا له على محل اسم (لا) الأولى و (لا)

الثانية مهيأة •

٣ — الرفع عطفاً له على محل (لا) الأولى مع اسمها •

وإذا رفع الاسم الأول جاز في الاسم الثاني وجهان :

١ — البناء على الفتح — كما سبق — •

٢ — الرفع عطفاً على الاسم الأول ، لأنّجه مبتدأ مرفوع^(١) •

ويلفت نظر الباحث هنا أن النحاة يجيزون كل هذه الوجوه ،
فهي في رأيهم سائغة الاستعمال ، فيجوز استعمال هذا وذاك كما
يشاء المتكلم •

ولئن صح أن يحدث ذلك لنا فانه لم يكن يسوغ للعرب ، إذ ان
القبيلة العربية الواحدة ، أو قبائل العرب كلها لم تكن تتنطق بهذا
وذاك كما يشاء لها الحديث ، ومجالاته ، والا كانت اللغة ضرباً من
الفوضى التي لا يوقف فيها عند حد ، والعربي حكيم يسير وفق طريقة
يرتئها ولا يحيد عنها •

فالمعروف أن العربي كان يتمسك بلهجته ، فلا يتنازل عنها حتى
في أخرج الأحوال ، لأن لسانه قد طبع عليها ، ونشأ منذ نعومة
أظفاره ، ويؤكد لنا ذلك القصص المروية عن الأعراب في
عصر فصاحة اللغة ومن تلك الروايات ما حكاه ابن جنى في
خصائصه من أن أبا حاتم — الراوية اللغوى المعروف — أقرأ
أعرابياً بالحرم الآية الكريمة (طوبى لهم وحسن مآب) —
وكان الاعرابي هذا ممن ينطق كلمة (طوبى) بالياء بدل الواو
(طيبى) ، فقال له أبو حاتم : (طوبى) فنطق الاعرابي (طيبى) ،
فكرر أبو حاتم (طوبى) وأعاد الاعرابي (طيبى) حتى ضجر
أبو حاتم وتألم فقال : (طوطو) ، فقال الأعرابي ، (طيطى)^(٢) •

(١) انظر شذور الذهب ط ١١ (١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م) ص ١٢١ —

(٢) انظر الخصائص ٣٨٤/١ •

ولئن كان فى تلك القصة ما يدل على تعنت الأعرابى وتشدده فى عدم مطاوعة أبى حاتم على ما يريد ، فإنه يدل دلالة قاطعة على أن العربى لم يكن يتنازل عن لهجته وعدم التنازل عن اللهجات لأنها أمر مركز فى طبع الانسان لا يزال حتى يومنا هذا ، اللهم الا بعد كثير من عناء التغيير والممارسة .

وأريد من ذلك أن أقول : ان جواز مثل هذه الأوجه المتعددة فى الأمثلة التى ذكرتها يدل على أن تلك الأوجه كان كل منها عند فريق من العرب وطائفة منهم ، ثم ان النحاة جمعوا الأمثلة التى تحمل هذه الظواهر الاعرابية المتعددة فى اطار واحد ، وقالوا لنا : يجوز هذا ويجوز ذاك .

ويمكن أن نجد لكلامنا دليلا واضحا فى ذكرهم بعض الشواهد لتحقيق هذه الظواهر الاعرابية ، فقد رويوا لنا لكل وجه منها شاهدا من القرآن أو الشعر وهو بلا ريب يحمل وجهها واحدا فقط لا عدة أوجه مما يؤكد كلامنا فى أن هذه الأوجه ترجع الى اختلاف اللهجات . ويبدو ذكر اللهجات واضحا فيما كتب السابقون من النحاة فى هذا الباب كقول سيويه (والدليل على أن لا رجل — بفتح اللام — فى موضع اسم مبتدأ وما من رجل — فى موضع اسم مبتدأ فى لغة يبنى تميم قول العرب من أهل الحجاز : لا رجل أفضل منك) (٣) .

ولذا فان تعليقات النحاة لبعض هذه الوجوه كان مجرد فلسفة عقلية محضة كتعليقهم لوجه رفع الصفة ورفع الاسم بعد (لا) الثانية — مع بناء الاسم الأول على الفتح — فانهم يعلنون ذلك — كما ذكرنا — بالعطف على محل (لا) مع اسمها ، وهذا شئ لم يكن يعرف العربى عنه شيئا ، كذلك فان مسألة تركيب الاسم والصفة ، وبنائهما كما تركيب خمسة عشر لم يكن فى ذهن العربى عند نطقه بتلك العبارة على هذه الصفة .

(٣) الكتاب ٢/ ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

الفصل الثالث

الفك والادغام

الفك والادغام في الفعل الثلاثي المضعف

مضعف الثلاثي^(١) هو : ما كانت عينه ولامه من جنس واحد^(٢) .

ولهذا الفعل من حيث الفك والادغام أحوال :

فتارة يكون ترك الادغام بـ بإبقاء كل حرف على حاله — وهو

الفك — ملتزما عند العرب .

وأخرى يكون ادغام العين واللام ملتزما كذلك عندهم جميعا

الا ما خالف ذلك مما عد شاذا

وثالثة يختلف العرب في فكك وادغامه .

فيلتزم الفك في الماضي منه والمضارع والأمر حال الاسناد الى

ضمائر الرفع المتحركة .

فمن الصد والجذ تقول في الماضي صدت وجددت وصددنا

وجددنا ، وصددن وجددن وفي المضارع والأمر^(٣) يصددن ويجددن

(١) الفعل المضعف نوعان : ثلاثي وهو ما نتحدث عنه ، ورباعي وهو ما كانت فاؤه ولامه الأولى من جنس ، وعينه ولامه الثانية من جنس مثل زلزل ووسوس وهذا النوع يأخذ حكم الفعل السالم فلا يعتريه تغيير عند اسناده الى الضمائر أو الاسم الظاهر لأن الحرفين المتماثلين فيه غير متجاورين .

(٢) فيخرج منه مضعف العين مثل كبر ومضعف اللام مثل أبيض واقتشهر وأطمأن واستعد واجتر وأحمر وضار ، ويعامل مضعف اللام معاملة المضعف الثلاثي أما الأول فلا يحدث فيه تغيير عند الاسناد الى الضمائر أو الاسم الظاهر .

(٣) يسند اليهما — من الضمائر المتحركة — نون النسوة فحسب .

واصددن واجددن ، وقال تعالى : (وان يستغفن خير لهن) وقال عز حكيمه : (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) •

ويلتزم الادغام عند اسناد المضعف — بأنواعه الثلاثة الماضى والمضارع والأمر — الى ضمائر الرفع الساكنة كآلف الاثنين أو واو الجماعة أو ياء المخاطبة^(٤) فتقول : فى الماضى — صدا وجدا وصدوا. وجدوا ، وفى المضارع المرفوع : يصدان ويجدان ويصدون ويجدون وتصدين وتجدين والمنصوب والمجزوم : لن أو لم يصد يصدان ويجدا ويصدوا ويجدوا وتصدى وتجدى وفى الأمر : صدا وجدا وصدوا وجدوا وصدى ، وجدى •

وكذلك يجب الادغام فى الماضى المضعف اذا أسند الى الاسم الظاهر أو الضمير المستتر أو لحقته تاء التانيث فتقول : جد خالد وصد على ، ومحمد جد ، وجدت آلاء •

وكذلك يجب الادغام فى المضارع المضعف اذا اسند الى الاسم الظاهر أو الضمير المستتر فى حالتى الرفع والنصب فتقول يشب الطفل على ما عوده أبواه والطفل يشب على الجد ، ولن يشب الطفل أو الطفل لن يشب على غير الجد •

وهذه الحالات التى يجب فيها الفك أو الادغام تكون عند العرب جميعا •

وهناك حالات يجوز فيها الفك والادغام فى الفعل المضعف الثلاثى حسب اختلاف القبائل •

وذلك فى المضارع المسند الى الاسم الظاهر أو الضمير المستتر فى حالة الجزم لا غير فتقول : لم يصد على ولم يصد ولم يجد أحمد ولم يجدد وعلى لم يجد ولم يجدد •

(٤) فى المضارع والأمر •

وكذلك فعل الأمر المسند الى ضمير الواحد — وهو المبنى على السكون مثل : كف واكف وجد واجدد وصد واصدد وقد نسب الفك الى الحجازيين ، والادغام الى التميميين •

قفى شرح الشافية : أهل الحجاز لا يدغمون فى المضاعف الساكن للجزم أو الوقف نحو اردد ولم تردد ، لأن شرط الادغام تحريك الثانى ، وبنو تميم وكثير من غيرهم لما رأوا أن هذا الاسكان عارض للوقف أو الجزم وقد يتحرك وان كانت الحركة عارضة فى نحو (اردد القوم) لم يعتقدوا بهذا الاسكان وجعلوا الثانى كالمتحرك ، فسكنوا الأول ليدغم فتخفف الكلمة بالادغام^(٥) •

وقال الأزهرى ان بنى تميم — أدغموا فى المضارع المجزوم بالسكون وفعل الأمر المبنى على السكون اعتدادا بتحريك الساكن فى بعض الأحوال نحو لم يردد القوم واردد القوم وأهل الحجاز لا يعتقدون بذلك^(٦) •

ويذكر السيوطى أن الفعل المضاعف ان سكن للجزم أو البناء فالحجازيون يفكون وغيرهم من العرب يدغم لعدم اعتدادهم بالعارض^(٧) •

وفى حالة الادغام — هنا — يفتح آخر الفعل — مضارعا كان أو أمرا — للتخفيف عند من يدغم من التميميين وأهل نجد بصفة عامة سواء وليه ضمير الغائب المذكر أو الغائبة أو وليه ساكن أو لا نحو رده ولم يرده ولم يردها ورد المال ولم يرد المال ورد ولم يرد وروى عن قبيلة كعب وغنى ونمير — وكلها بطون من قيس — الكسر مطلقا على أصل التخلص من التقاء الساكنين •

(٦) شرح التصريح ٤٠١/٢ •

(٥) ٢٣٩/٢ •

(٧) همع الهوامع ٢٢٧/٢ •

ونقل عن بنى أسد الفتح حين لا يقع بعد المدغم حرف ساكن ،
أما إذا وقع بعده ساكن فانهم يكسرون المدغم لالتقاء الساكنين فيكسر
فى مثل رد المال ولم يرد المال ويفتح فيما عداه •

ونقل عن بعضهم اتباع آخر الفعل لأقرب الحركات اليه نحو
رد — بالضم — وعض — بالفتح — وفر — بالكسر — الا مع ضميرى
المذكر الغائب والمؤنثة الغائبة فيحرك بحركة الضمائر فيقال : عضه
— بالضم — وردها — بالفتح — الا فيما بعده ساكن من كلمة أخرى
كلام التعريف أو غيرها فيجوز عند بعضهم الفتح وعند آخرين الكسر
وهو أجود كما يقول سيبويه مثل فعض الطرف ورد ابنك — بكسر
آخر الفعل وفتحه — •

يقول سيبويه : اعلم أن منهم من يحرك الآخر كتحرير
ما قبله ، فان كان مفتوحا فتحوه : وأن كان مضموما ضموه وان كان
مكسورا كسروه ، وذلك قولك رد وعض وفر يا فتى^(٨) فان جاءت
الهاء والألف فتحوأ أبدا ، وسألت الخليل لم ذاك ؟ فقال : لأن انباء
خفية فكأنهم قالوا : ردا وأمدا وغلا — اذا قالوا : ردها وغلا
وأمدها — (كلها أفعال أمر) : فان جئت بالألف واللام
وبالألف الخفيفة كسرت الأول كله لأنه كان فى الأصل مجزوما ،
لأن الفعل اذا كان مجزوما فحرك لالتقاء الساكنين كسر ، وذلك قولك :
اضرب الرجل ، فلما جاءت الألف واللام والألف الخفيفة رددته الى
أصله ، لأن أصله أن يكون مسكنا على لغة أهل الحجاز ، ومنهم من
يفتح اذا التقى ساكنان على كل حال الا فى الألف واللام والألف
الخفيفة ، فزعم الخليل أنهم شبهوه بأين وكيف وسوف وأشباه ذلك ،
وفعلوا به اذا جاءوا بالألف واللام والألف الخفيفة ما فعل الأولون
وهم بنو أسد وغيرهم من بنى تميم ، وسمعناه ممن ترضى عربيته ،

(٨) بالضم فى الاول والفتح فى الثانى والكسر فى الثالث على الاتباع •

ومنهم من يدعجه اذا جاء بالألف واللام على حاله مفتوحا يجعله فى جميع الأشياء كآين ، وزعم يونس أنه سمعهم يقولون : غص الطرف انك من نمير^(٩) .

وقد جاءت آيات كثيرة بالادغام والفك واختلفت القراءات فى الآيات كما جاء ذلك فى بعض الأحاديث النبوية تبعا للهجات العربية فمما جاء من المضارع الفعل (تضار) فى قوله تعالى : (لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده) .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وأبان عن عاصم (لا تضار) — بالرفع — أى برفع الراء المشددة^(١٠) على الاخبار^(١١) .

وقرأ باقى السبعة (لا تضار) — بفتح الراء على الجزم جعلوه نهيا^(١٢) وقرأ الحسن بكسر الراء المشددة على النهى والجزم^(١٣) .

وروى عن ابن عباس (لا تضار) بفك الادغام وكسر الراء الأولى وسكون الثانية — مبنيا للمعلوم — وقرأ ابن مسعود — كذلك

(٩) الكتاب ٥٣٢/٣ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ وانظر نحو ذلك فى الكامل للمبرد ٣٣٩/١ ، ٤٣٠ والهمع ٢٢٧/٢ وانظر أيضا شرح التصريح ٥٠١/٢ ، والمصباح ٦٨٦ .

(١٠) هذا الفعل — فى هذه القراءة ونظائرها — من ضار — بتشديد الراء لا من ضار بتخفيفها وانظر البحر ٢١٢/٢ ، ٢١٤ .

(١١) الكشف ٣٧٠/٢ ، ٣٧١ وهى خبرية لفظا انشائية — على النهى — معنى .

(١٢) سكنت الراء الأخيرة للجزم وسكنت الراء الأولى للادغام فالتقى ساكنان فحرك الأخير منهما بالفتح لموافقة الألف التى قبل الراء لتجانس الألف والفتحة .

(١٣) فى هذه الحالات الثلاث التى جاءت فيها الراء مشددة مضمومة أو مفتوحة أو مكسورة يجوز أن يكون الفعل مبنيا للمعلوم وأصله (تضار) بكسر الراء الأولى — أو مبنيا للمفعول وأصله (تضارر) بفتح الراء الأولى .

— بفك الادغام لكن بفتح الراء الأولى وسكون الثانية — مبنيا للمجهول — وكلا القراءتين على الجزم والنهي^(١٤) .

والاظهار فى هذا ونحوه لغة الحجاز والفك لغة تميم .

والفعل (يغرك) فى قوله سبحانه : (فلا يغرك تقلبهم فى البلاد) قرأ الجمهور بالفك — وهى لغة أهل الحجاز — وقرأ زيد ابن على وعبيد بن عمر (فلا يغرك) بالادغام مفتوح الراء وهى لغة تميم^(١٥) .

والفعل (يضر) فى قوله جل ثناؤه : (وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا)^(١٦) قرأ الكوفيون وابن عامر بالادغام ، وقرأ أبى : (لا يضرركم) بفك الادغام ، وقرأ عاصم — فيما روى أبو زيد عن الفضل عنه — بضم الضاد وفتح الراء المشددة نحو ، لم يرد زيد : والفتح هو الكثير المستعمل ، والفك لغة أهل الحجاز ، ولغة سائر العرب الادغام^(١٧) .

وكذلك الفعل (يمس) فى قوله تعالى : (ان يمسسكم قرح

(١٤) فى حال البناء للمعلوم يكون ما بعد الفعل — والدّة ومولود — هو الفاعل والمفعول محذوف والتقدير : لا تضارر والدّة زوجها بأن تطأ به بما لا يقدر عليه من رزق وكسوة وغير ذلك من وجوه الضرر ، ولا يضارر مولود له زوجته بمنعها ما وجب لها من رزق وكسوة وأخذ ولدها مع ايثارها ارضاعه وغير ذلك من وجوه الضرر .

واذا كان مبنيا للمجهول فما بعده نائب فاعل والمراد النهى عن أن يلحق الوالدّة الضرر من قبل الزوج وأن يلحق الضرر بالزوج من قبلها بسبب الولد .

(١٥) سورة غافر من الآية ٤ وانظر البحر ٤٤٩/٧ .

(١٦) آل عمران من الآية ١٢٠ واختلف أحركة الراء اعراب فهو مرفوع أم حركة اتباع لضمّة الضاد ، وهو مجزوم ، فخرج الرفع على التقديم والتقدير : لا يضرركم ان تصبروا ، ونسب هذا القول الى سيبويه ، وخرج أيضا على أن (لا) بمعنى (ليس) مع اضممار الفاء والتقدير : فليس يضرركم . قاله الفراء والكسائى .

(١٧) البحر ٤٣/٣ .

فقد مس القوم قرح مثله (١٨) قرىء يمسم بالادغام — ويمسمم بالفك .

وجاء الفعل (يرتد) — مجزوما — بالفك والادغام فى قوله تعالى : (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم) (١٩) .

وقوله سبحانه : (يأياها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) قرأ نافع وابن عامر (من يرتدد) بدالين مفكوكا وهى لغة الحجاز ، والباقون بواحدة مشددة وهى لغة تميم (٢٠) .

كما جاء الفعل (يشاق) — مجزوما — كذلك فجاء بالفك فى قوله تعالى : (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساعت مصيرا) (٢١) .

كما جاء بالادغام والفك فى قوله تعالى : (ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب) (٢٢) قرأ الجمهور بالادغام وقرأ طلحة بالفك (٢٣) .

والفعل (يحب) فى قوله تعالى : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحبكم الله) قرأ الجمهور (تحبون ويحبكم) من أحب ، وقرأ أبو رجاء العطاردى بفتح التاء والياء من حب — وهما لغتان ، وقرىء (يحبكم) بفتح الياء والادغام .

(١٨) سورة آل عمران الآية ١٤٠ ، والبحر ٦٢/٣ وانظر ص ٤٣ أيضا .

(١٩) سورة البقرة الآية ٢١٧ ولم تقرا هنا بادغام المثليين . البحر ١٥٠/٢ .

(٢٠) سورة المائدة الآية ٥٤ ، وانظر الكتاب ١٧/٢ ، ٤٧٣ والسبعة لابن مجاهد ص ٢٤٥ والبحر ٥١١/٣ :

(٢١) سورة النساء الآية ١١٥ والبحر ٣٥٠/٣ .

(٢٢) سورة الأنفال الآية ١٣ اجمعوا على فك المثليين اتباعا لخط المصحف . البحر ٧١/٤ .

(٢٣) سورة الحشر الآية ٤ والبحر ٤٤/٨ .

وأیضا الفعل (يحل) فى قول المولى تبارك وتعالى : (ومن يحل عليه غضبى فقد هوى) •

والفعل (تمنن) فى قوله سبحانه (ولا تمنن تستكثر) قرأ الجمهور بالفك والحسن وأبو السمال بشد النون (٢٤) •

ويستعف فى قوله سبحانه : (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله) (٢٥) •

ومما جاء من ذلك فى الحديث ما وقع فى حديث لأبى ذر (فلم أتقار أن قمت) بالادغام أى لم ألبث وأصله أتقارر فأدغمت الراء فى الراء (٢٦) •

ومما جاء من صور الأمر قوله تعالى : (واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولى) (٢٧) •

وقوله سبحانه : (واقصد فى مشيك واغضض من صوتك) (٢٨) الحجازيون يقولون : اغضض وأهـ نجد يقولون غض بالادغام •

وفى الحديث (اللهم اشدد وطأتك على مضر) (٢٩) جاء هذا بالفك وكذلك (ثم قال لانسـان يصب : اصبب فصب على رأسه) (٣٠) •

وفى حديث آخر (خذ يا جابر فصب على) (٣١) بالادغام •

وكذلك (فمن جاءك منا فاقصص عليه) (٣٢) بالفك ، وجاء

(٢٤) آل عمران الآية ٣١ ، وطه الآية ٨١ والمذثر الآية ٦ وانظر البحر ٤٣١/٢ ، ٢٦٣/٦ ، ٣٧١/٨ ، ٣٧٢ •

(٢٥) النور الآية ٣٣ وانظر : النهر الماد على البحر ٤٥٠/٦ •

(٢٦) النهاية ٣٨/٤ •

(٢٧) سورة طه الآية ٣٧ وانظر البحر ٢٣٩/٦ ، ٢٤٠ •

(٢٨) سورة لقمان الآية ١٩ ولم يقرأ هنا بادغام المثليـن •

(٢٩) صحيح مسلم ٤٦٧/١ • (٣٠) المصدر السابق ٣٠٦/٤ •

(٣١) المصدر السابق ٣٠٨/٤ •

(٣٢) المصدر السابق ٤٢٣/٣ •

بالادغام فى قوله (من رأى منكم رؤيا فليقصها أعبرها له) (٣٣) .

ومما ورد فى الشعر قول جرير :

فغض الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

ويقول المبرد : أهل الحجاز على القياس الأصلى : اردد واغضض

وكل ذلك من قولهم وقول التميميين قياس مطرد بين (٣٤) .

فأهل الحجاز لا يدغمون لئلا يؤدي الادغام الى التقاء الساكنين

اذ يحتاج الى تسكين الأول والثانى ساكن فيلتقى ساكتان نحو : ان

تردد اردد واشدد وغيرهم يدغم حملا للمجزوم على غيره مثل

يفر وحمل ما سكونه بناء على ما سكونه للجزم للمشابهة بينهما كحذف

آخر الفعل المعتل للجزم وللبناء مثل اغز ولم تغز (٣٥) .

هذا هو المشهور عند العرب .

وقد جاءت بعض الروايات عن بعض العرب بالادغام فى الماضى

والمضارع والأمر المسندة الى ضمائر الرفع المتحركة فيقولون : ردت —

بضم التاء وفتحها للمتكلم والمخاطب — ورددن — بالاسناد الى نون

النسوة — فى الماضى — ويردن ورددن — باسناد المضارع والأمر الى

نون النسوة والمشهور عند العرب الفك بان يقال : رددت بضم التاء

للمتكلم وفتحها للمخاطب — ورددن ويرددن وارددن (كأنهم قدروا

وجود الادغام قبل دخول تاء الضمير أو نونه) (٣٦) وكأن اتصال الضمير

أمر عارض (٣٧) .

وعليه فى الحديث (رأيت فى رؤياى هذه أنى هزرت سيفا)

الرواية بالفك وعند السمرقندى هزت سيفا بزاي مشددة (٣٨) .

(٣٣) المصدر السابق ٧٧٩/٤ .

(٣٤) اللسان (غض) والبحر ٤٤٣/٢ والكامل للمبرد ٣٤٠/١ .

(٣٥) المتع ٦٥٦/٢ ، ٦٥٧ . (٣٦) المتع ٦٦٠/٢ .

(٣٧) شرح الشافعية ٢٤٦/٢ .

(٣٨) شرح مسلم للنووى ٣٢/١٥ .

وفى حديث أحد (حتى رأيت النساء يشتددن فى الجبل) أى يعدون جاء الفعل يشتددن بالفك — على الأصل ، وجاءت فيه رواية أخرى هى (يستدن) — بالسین المهملة والنون — أى : يصعدن فيه •

وعلى ذلك جاءت قراءة ابن أبى عبلة والوليد بن مسلم وأبى جعفر وشيبة ونافع — فى بعض الروايات عنهم — فى قوله تعالى : (أفعيينا بالخلق الأول)^(٣٩) قرأوها بتشديد الياء من غير اشباع فى الثانية ، ووجهها ابن خالويه فى الشواذ بأنها من ادغام ألياء فى الياء فى الماضى عيى وهى مفتوحة قبل لحاق ضمير المتكلمين به ، فلما ادغم الحقه ضمير المتكلم المعظم نفسه ولم يفك الادغام^(٤٠) •

وعليه ما جاء فى الحديث (حتى اذا رأينا جدر المدينة هشنا إليها) كذا الراوية عند السجزي وعند أبى بحر : هشنا بفتح الهاء وتشديد الشين على الادغام ولغة بعض العرب فى نقن الحركة ثم ادغامها^(٤١) •

وهذا الادغام مخالف للمعهود فى اللغة وقد وصفه بعض شراح الحديث بأنه صحيح^(٤٢) وقيل انه شاذ قليل^(٤٣) أو تركيب قبيح فى العربية^(٤٤) وذلك لأن الادغام انما جاز فى المضعف لسكون الأول وتحرك الثانى وعند الاسناد انى ضمير الرفع المتحرك يلزم النك لأن ما قبل الضمير المتحرك يسكن لتوالى أربع متحركات فيما هو كالكمة الواحدة فيلتقى ساكنان (الحرف الأول من المدغم والمدغم فيه بعد التسكين) فيحرك الأول ويفك الادغام •

-
- (٣٩) الآية ١٥ من سورة ق ، قرأ الجمهور (أفعيينا) بياء مكسورة بعدها ياء ساكنة وهو الماضى (عيى) كرضى أسنده الى ضمير المتكلمين •
- (٤٠) انظر : البحر ١٢٢/٨ ، ١٢٣ •
- (٤١) صحيح مسلم ١٠٤٧/٢ •
- (٤٢) النووى فى شرح مسلم ٣٢/١٥ •
- (٤٣) شرح الشافعية للرضى ٢٤٥/٣ •
- (٤٤) اللسان ٢٢٠/٤ •

ونسب الادغام هنا الى بكر بن وائل أو أناس منهم وهى لهجة ضعيفة (٤٥) كما ذكر الخليل وسيبويه قال الرضى : اعلم أنه اذا اتصل النون وتاء الضمير بالمضاعف نحو رددت ورددنا فان بنى تميم وافتوا فيه الحجازيين فى فك الادغام للزوم سكنون الثانى ، وزعم الخليل وغيره أن أناسا من بنى بكر بن وائل وغيرهم يدغمون نحو ردت نظرا الى عروض اتصال الضمائر فيحركون الثانى بالفتح للساكنين ، قال السيرافى : هذه لغة رديئة فاشية فى عوام أهل بغداد (٤٦) .

كما جاء الفك فى الماضى المسند الى ضمائر الرفع الساكنة شذوذا فى قول الشاعر :

مهلا أعاذل قد جربت من خلقى أنى أجود لأقوام وإن ضننوا

وكذلك فى الأمر فى قول البوصيرى :

فما لعينيك ان قلت اكفاهمتا وما لقلبك ان قلت استفق بهم

كما جاء الفك فى الفعل الماضى المسند الى الاسم الظاهر أو الضمير المستتر منسوبا الى هذه القبيلة السابقة أيضا .

ومن ذلك الحديث (فازحفت عليه بالطريق فعبي بشأنها) (٤٧) الرواية بكسر الياء الأولى من العى والعجز ، وفى رواية بعضهم فعى بتشديد الياء وادغام الأولى فيها على اللغة السابقة .

وفى كتب اللغة : عى بأمره وعيى والادغام أكثر نقله الأزهري وذلك عند بعض العرب (٤٨) يقال : عيى من باب تعب وقد يدغم الماضى فيقال عى (٤٩) .

(٤٥) شرح التصريح ٤٠٣/٢ والاثموني ٣٥١/٤ ، ٣٥٢ والمتع لابن عصفور ٦٦٠/٢ ، ٦٦١ والكتاب لسيبويه ٥٣٥/٣ والبحر عند الحديث عن الآية أفعيننا الخ .

(٤٦) شرح الشافية ٢٤٦/٢ . (٤٧) صحيح مسلم ٩٦٢/٢ .

(٤٨) اللسان والصاح والقاموس (عيى) .

(٤٩) المصباح ٤٤١ .

صيغة افتعل

يجرى فيها تقريب الصوت من الصوت لأجل الادغام ، فقد أراد العرب التخفيف حين تتجاوز تاء الافتعال المهموسة الشديدة مع بعض الأصوات المجهورة أو الرخوة كالذال والذال والزاي لصعوبة النطق بها دون حدوث تغيير صوتي .

فالتاء المهموسة لا تتناسب مع الدال المجهورة ، والذال والزاي مع جهرهما رخوان فنقلب تاء الافتعال دالا فتقول في افتعل من دان : ادان ومن ذكر اذكر ومذكر ومن زان ازدان ومن زجر ازدجر .

وبعض العرب — في غير المتماثلين كالذال والزاي — يزيد من قوة التماثل فيحول الدال صوتاً من جنس فاء الافتعال ويدغمها فيها فيقول من ذكر : اذكر ومذكر ومن زان : ازان ، ومن زجر : ازجر .

وبعضهم يقلب فاء الافتعال اذا كانت ذالا من جنس الدال بعدها ثم يدغمها فيها فيقول : اذكر ، ومذكر ومنه قوله تعالى : (وادكر بعد أمة) وقرأ بعضهم (واذكر) بالذال^(٥٠) ، وعلى ذلك جاء في الحديث (وعليه جملة فاذرع منها يده) أى أخرجها ، هكذا رواه الهروي وغيره واذرع افتعل من ذرع بمعنى مد ذراعيه ويجوز ادرع أيضا^(٥١) .

وقوله تعالى : (وما تدخرون في بيوتكم)^(٥٢) وفي حديث أصحاب المائدة (امروا ألا يدخروا فادخروا) أصل الادخار : اذتخار افتعال من الذخر يقال ذخر واذتخر فقلبت

(٥٠) سورة يوسف الآية : ٤٥ .

(٥١) النهاية ١٥٨/٢ (ذرع) وسر الصناعة ٢٠٢/١ ، ٢٠٤ .

(٥٢) سورة آل عمران من الآية ٤٩ .

التاء الى ما يقاربها من الحروف وهو الدال لأنهما من مخرج واحد ولتناسب المذال في الجهر فقليل اذخر ، وفيها طريقتان أخريان :

أحدهما : قلب المذال المعجمة دالا وادغامها فيها فتصير دالا مشددة اذخر — وهذا هو الأكثر .

والثانية : قلب الدال المهملة الى ذال وادغامها فيها فتصير اذخر وهذا هو الأقل^(٥٣) .

وأراد العربي التخفيف — أيضا — حين تكون فاء الافتعال من أصوات الاطباق (الصاد والضاد والطاء والظاء) ، لأن تاء الافتعال مستقلة ، وهذه الأصوات مستعلية مطبقة مما يسبب ثقلا في النطق بها متجاورة مع التاء بعدها ، فيحول العربي التاء الى صوت من مخرج التاء له صفة الاستعلاء والاطباق وهو الطاء لينتقل اللسان من صوت مطبق الى نظير مطبق أيضا فيسهل النطق ويتحقق الانسجام فيقول : من صبر : اصطبر ومصطبر .

ومن ضجع : اضطجع ومضطجع
ومن طلع : اطلع ومطلع
ومن ظعن : اظطن ومظطن

وقد قرب العربي التاء المستقلة من التاء المستعلية المطبقة ولم يدغم ، أما مع الطاء فيجب الادغام لاجتماع المثليين والأول منها ساكن .

وأحيانا يزيد بعض العرب التخفيف والتقريب فيقلب الطاء المبدلة من تاء الافتعال الى جنس الصوت الذي هو فاء الافتعال ثم يدغم فيه فيقول : في اصطبر : اصبر ، وفي مصطبر : مصبر .

(٥٣) النهاية ١٥٥/٢ ، ١٥٦ وسر الصناعة ٢٠٠/١ ، ٢٠٢ .

قال تعالى : (فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا) (٥٤)
قرأ الجحدري : (أن يصلحا) بتشديد الصاد ، ويقول في اضطجع :
اضجع ، وفي اظطعن اظعن بتشديد الفاء .

وأحيانا أخرى نجد بعض العرب يقلب فاء الافتعال من جنس
الطاء التي حلت مكان التاء فيقول : في اضطجع : اطجع ، وفي
اضطره : أطره قال تعالى : (قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره
الى عذاب النار وبئس المصير) (٥٥) ، قرأ ابن محيصن : أطره بتشديد
الطاء .

وكان أصل (يصلحا) هو يستلحا لأنه يفتعل من صلح فقلبت
تاء الافتعال طاء ليتحقق التماثل والانسجام في أصوات اللفظ لأن
التاء صوت مستقل والصاد مستقل فحولت التاء الى صوت مستقل
مناسب وهو الطاء فصار اللفظ (يسطلحا) وهذا نوع من تقريب
الصوت دون ادغام ثم حولت الطاء من مخرجها من طرف اللسان مع
أصول الثنايا العليا الى مخرج الصاد من طرف اللسان مع أطراف
الثنايا السفلى لتتفق معها في الرخاوة ويسمح للهواء بالمرور وعندئذ
يتحد الصوتان فيدغمان نتيجة لذلك فصار اللفظ على ما هو عليه الآن
(يصلحا) ، وعلى هذا النمط تفسر اصبر ، أما قراءة (أطره) فقد
كان أصل اللفظ أضطره ثم لاستقلال التاء واستعلاء الصاد قلبت التاء
طاء لتتناسب الصاد فصارت أضطره ثم ان الصاد انتقلت الى رخاوة
الطاء فقلبت صوتا مماثلا ثم ادغمت فيها ، ويعتبر ابن جني هذه
لغة مرذولة أعنى ادغام الصاد في الطاء وذلك لما فيها من الامتداد
والفشو فانها من الحروف الخمسة التي يدغم ما يجاورها فيها ولا تدغم
هي فيما يجاورها وهي : (ش — ض — ر — ف — م) ويجمعها

• (٥٤) النساء الآية ١٢٨

• (٥٥) البقرة الآية ١٢٦

(ضم شفر) وقد أخرج بعضهم الضاد من ذلك وجمعها في قولهم
(مشفر)^(٥٦) .

وهذه الحروف يدغم بعضها في بعض ويحول بعضها الى
بعض لقرب المخارج فأصوات الاطباق أخوات ومن قبلها الدال والذال
والزاي كلهن من الثنايا وطرف اللسان^(٥٧) فكلهن من حيز واحد .

أما اذا بنيت (افتعل) من واوى الفاء أو يائيها فالعرب
يختلفون ، فالحجازيون لا يعبأون بتلاعب الحركات التى قد تقلب
الواو ياء أو ألفا أو تقلب الياء واوا أو ألفا ففى افتعل من (ورث)
يقولون : ايترت ، ياترت ، موترت ومن ينح : ايتت ، ياتت ، موئت
وأما التميميون فيبدلون الواو أو الياء تاء ويدغمونها فى تاء الافتعال
حتى لا تتعرض لتلاعب الحركات بها فيقولون فيما سبق : اترت
يترت فهو مترت ، واتت يتت فهو متت .

تفاعل وتفاعل

تأتى كل من الصيغتين باظهار التاء دون ادغامها فيما بعدها
واذا كانت الفاء فيهما من طائفة الحروف التى تخرج من أصول الثنايا
العليا أو السفلى أو مما بين الثنايا (ط د ت — ظ ذ ث — ص —
س — ز) أو من حروف وسط اللسان (ج ش) اختلفت قبائل
العرب .

فبعضهم يظهر التاء فيها دون ادغام لها فى الفاء بعدها
وبعضهم يدغم .

فمن الاظهار فى صيغة تفاعل قوله تعالى : (لولا أن تداركه
نعمة من ربه)^(٥٨) ومن الادغام قوله عز حكمه (واذا قتلتم نفسا

(٥٦) المحتسب ١/١٠٦ .

(٥٧) الكتاب ٤/٦٢ — ٤٦٤ .

(٥٨) سورة القلم من الآية ٤١ .

فادراآتم فيها (٥٩) وقوله تعالى : (بل ادرك علمهم فى الآخرة) (٦٠)
وقوله (أثاقلتم الى الأرض) (٦١) .

ومما جاء بعدة أوجه قوله تعالى : (ان البقر تشابه علينا) (٦٢)
قرىء يتشابه بالياء والتاء دون ادغام وقرىء (يشابه) بالادغام (٦٣) .

وقوله تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وما جعل
أزواجكم اللاتى تظاهرون منهن أمهاتكم) (٦٤) قرىء : تظاهرون بحذف
أحدى التاعين وبادغام التاء الثانية فى الظاء (٦٥) .

ومن الاظهار فى صيغة تفعل قوله تعالى : (ثم دنا فتدلى) (٦٦)
وقوله (افلا يتدبرون القرآن أم على القلوب أقفالها) (٦٧) وقوله
سبحانه : (يوم يتذكر الانسان ما سعى) (٦٨) .

ومن الادغام قوله عز حكمه : (حتى اذا أخذت الأرض زخرفها
وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها) (٦٩) فأصل ازينت : تزينت
فادغم ، وقرىء على الأصل (٧٠) وقوله تعالى : (لا يسمعون الى الملا
الأعلى) (٧١) أصله يتسمعون ، والبيان عربى حسن لاختلاف
المخرجين (٧٢) .

وقوله جل ثناؤه : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام

-
- (٥٩) سورة البقرة من الآية ٧٢ . (٦٠) سورة النمل من الآية ١٨
(٦١) سورة التوبة من الآية ٣٨ . (٦٢) سورة البقرة من الآية ٧٠ .
(٦٣) تفسير أبى السعود ١١٢/١ (٦٤) سورة الأحزاب الآية ٤ .
(٦٥) تفسير أبى السعود ٩٠/٧ . (٦٦) سورة النجم الآية ٨ .
(٦٧) سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) الآية ٢٤ .
(٦٨) سورة النازعات الآية ٣٥ . (٦٩) سورة يونس الآية ٢٤ .
(٧٠) الاتحاف ١٠٨/٢ . (٧١) سورة الصفات الآية ٨
(٧٢) الكتاب ٤٦٣/٤ .

ومن يرد أن يخله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء (٧٣) .

أصل يصعد ، يتصعد ، وقرئ يصاعد وأصله يتصاعد (٧٤) .

وقوله سبحانه : (فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون) (٧٥) أصله : يتصدعون على معنى يتفرقون فمنهم من يدخل الجنة ومنهم من يدخل النار .

وفي حديث الزكاة : (لا يؤخذ في الصدقة هرمة ولا تيس إلا أن يشاء المصدق) (٧٦) — بضم الميم وتشديد الصاد والdal معا مع كسر الdal وهو صاحب المال وأصله : المتصدق فادغمت التاء في الصاد .

ومما لا ريب فيه أن وضوح الأصوات وفصل بعضها عن بعض يتطلب بذل مجهود عضلي كبير حتى لا تختلط ، ولا تشوه صورها ، وهذا خاص بالبيئة المدنية التي تتسم بتلك السمات ، أما غموض الأصوات ودخول بعضها في بعض فانه ناجم عن السرعة في اخراجها ، وعدم التأني فيها ، وذلك هو اتجاه قبائل البادية .

ومن هنا استنتج علماء اللغة أن الادغام ينسب الى تلك القبائل التي كانت تسكن وسط شبه الجزيرة وشرقيها فمعظمها قبائل بادية تميل الى التخفيف ، والسرعة في الكلام كتميم وأسد وغنى وعبد

(٧٣) سورة الأنعام من الآية ١٢٥ .

(٧٤) تفسير أبي السعود ١٨٣/٣ .

(٧٥) سورة الروم الآية ٤٣ .

(٧٦) النهاية ١٥/٣ الهرمة وذات العوار لا تؤخذ في الصدقة إلا اذا كان المال كله كذلك عند بعضهم ، وقد نهى عن اخذ التيس في الصدقة لأنه مضر برب المال إلا أن يسمح به .

القيس ، ويكر بن وائل وكعب ونمير^(٧٧) .

كما ينسب الاظهار الى بيئة الحجاز المتحضرة وهي تمثل القأنى
فى الأداء بحيث تظهر كل صوت فيه^(٧٨) وقد نسب سيوييه هذه
الظاهرة الى قبائلها فى مواطن من كتابه .

وليس معنى هذا أن كل قبائل الحجاز لا تدغم فى كل حال ،
بل ان بعض قبائل الحجاز ربما تأثرت بمجاوريها من أرباب الادغام ،
فتميل اليه كهذيل ، فهي قبيلة مدنية ، وقد ثبت أنها تدغم ياء المتكلم
فى ألف المقصور بعد قلبها ياء وقد تقدم شرح ذلك^(٧٩) .
وهذه الظاهرة تسمى عند علماء اللغة المحدثين (المماثلة

assimilation وتدرس أحيانا تحت اسم التضعيف doubling

وهي تخضع لنظرية السهولة ، وكأن الادغام ظاهرة حادثة ،
والفك هو الأصل قبل التطور .

(٧٧) اللهجات العربية والقراءات القرآنية ١٣٣ .

(٧٨) فى اللهجات العربية د. انيس ٥٦ .

(٧٩) انظر ص ٣١٩ من هذا الكتاب .

الفصل الرابع

نقص بعض الحروف وزيدتها

٢٠٠

حذف نون من

تحذف بعض قبائل زبيد وبنى خثعم من اليمن نون (من) الجارة اذا وقع بعدها حرف ساكن ، ونسب بعضهم ذلك الى هذيل وبعضهم نسبه الى تميم^(١) .

قال الشاعر :

أبلغ أبا دختوس مائة غير الذى قد يقال م الكذب
وقال الآخر :

لقد ظفر الزوار أقفية العدا بما جاوز الآمال م الأسر والقتل
وقال أبو صخر :

كأنهما ملآن لم يتغيرا وقد مر للدارين من بعدنا عصر^(٢)

واختلفت آراء الباحثين القدامى فى ذلك فىرى ابن عصفور : أن حذف نون (من) من باب الضرورة ويرى ابن مالك أنه قليل ، وقال أبو حيان : انه كثير ويجوز فى سعة الكلام وطالما بنى النحويون الأحكام على بيت واحد أو بيتين فكيف جواز حذف نون (من) فى هذه الحالة وقد جاعنا منه مالا يخفى كثرة ويمكن تتبع ذلك فى دواوين العرب^(٣) وكلام أبى حيان يمكن أخذه على اعتبار أنه يميل الى رأى الكوفيين .

(١) الشعر والشعراء تحقيق احمد شاکر ١/١٣٤ .

(٢) الخصائص ١/٣١٠ .

(٣) شرح التصريح ٢/٢٦ والهمع ٢/٢٠٠ .

أما البصريون الذين لا يقننون للظاهرة إلا مع كثرة الشواهد
يغيعدون ذلك قليلا أو من الضرورات •

حذف ألف (على) الجارة ولامها

تحذف بلحارث بن كعب الألف من (على) الجارة وتحذف معها
لامها إذا تلاها اسم معرفة. بآل قان الشاعر :

فما سبق القيسى من سوء سيرة ولكن طغت علماء غرة خالد

وروي الشطر الأول (وما غلب القيسى من ضعف قوة) •

وقال آخر :

غداة طغت علماء بكر بن وائل وهاجت صدور الخيل شطر تميم^(٤)

فأصل علماء على الماء • حذفت همزة الوصل من (الماء)
لأنها تسقط في الدرج وحذفت آلف (على) لالتقاءها ساكنة مع لام
المعرفة الساكنة ثم حذفت لام على كراهة اجتماع المثليين •
ونظير ذلك حذف النون من بنى انحارث وبنى العجلان حين قالوا :
بلحارث وبلعجلان لأن النون قد اجتمعت مع اللام وهي مقاربة لها
فلئن يحذفوا اللام مع أختها بطريق الأولى^(٥) •

الخلخانية

هي اللفظة في الكلام والعجمة ، ويقال رجل لخلخاني وامرأة
لخلخانية إذا كانا لا يفصحان •

وقيل انها منسوبة الى لخلخان وهي قبيلة وقيل هي موضع^(٦) •
وورد في حديث معاوية : أي الناس أفصح ؟ فقال رجل : قوم ارتفعوا

(٤) شرح المفصل ١٥٥/١٠ ، وشرح الشافعية ٤٩٨/٤ •

(٥) شرح المفصل ١٥٥/١٠ •

(٦) اللسان ٤٠٨/٥ ، وخزانة الأدب ٥٩٦/٤ ، النهاية في غريب

الحديث والاثار ٢٤٤/٤ •

عن لخلخانية العراق^(٧) والخلخانية تعرض فى لغات أعراب الشجر
وعمان كقولهم : مشا الله كان — يريدون : ما شاء الله كان^(٨) ، وهم
بذلك يحذفون بعض الحروف اللينة^(٩) .

وسبب هذا الحذف ان بعض الناطقين يميلون الى تقصير
الحركات قليلا للجهد العضلى وفى العربية الفصحى المنطوقة الآن
تقصير للحركات على لسان الناطقين فلا نجد الآن ناطقا ينطق حروفه
المد على طبيعتها كما حددها علماء التجويد .

وفى العاميات — اعتراها كثير من التغير لما ذكر العلماء من
شيوعها فى اللغات وما يعثرها من البلى الصوتى .

وربما انتشر ذلك أول الأمر فى البدو فعرفت اللخلخانية عند
الأعراب وقد نسبت الى الفرات أو العراق أو الشحر وعمان^(١٠) .

القطعة

هى قطع اللفظ قبل تمامه مثل : يا أبا الحكم تقول طيء :
يا أبا الحكا فتقطع كلامها^(١١) وقد ورد مثل ذلك من قطع نهاية
الكلمات فى غير لهجة طيء مثل قول عبيد بن الأبرص :

ليس حى على المنون بخال
يقصد بخالد .

(٧) اللسان ٢٠/٤ .

(٨) فقه اللغة وسر العربية ١٢٩ ، والمزهر — نقلا عنه ٢٢٣/١ .

(٩) تاريخ آداب العرب ١٤٣/١ .

(١٠) البيان والتبيين ٢١٢/٣ وفقه اللغة للثعالبي ١٠٧ وتاج العروس

٢٧٧/٢ .

(١١) يقول الخليل فى العين (قطع) : القطعة فى طيء كالعننة

فى تميم ١٥٦/١ ونقله الأزهرى فى التهذيب ١٩٦/١ .

وقول ليبيد بن ربيعة :

درس المنا بمتالع فأبان^(١٢)

يريد المنازل ولم يسما يريدون لم يسمع^(١٣) .

ولعل ما جعله بعض النحاة من ترخيم المنادى يدخل في هذا النوع من اللهجات كما ورد عن ابن أحر من قوله :

وعمار وآونة أثالا

يريد : أثالة^(١٤) .

وقول جرير :^(١٥)

ألا أضحت حبالك رماما وأضحت منك شاسعة أماما

يريد : أمامة .

وبعض أمثلة القطعة تظهر فيها اطالة الحرف الأخير بعد الحذف خلافا لما يحدث في الترخيم .

والقطعة وان كانت حذفاً لأواخر الكلمات فإنها تختلف عما يسمى في علم النحو (الترخيم) إذ لترخيم شروطه لأنه حكم خاص بالنداء فيكون في آخر الاسم المنادى ويكون بحذف حرف أو حرفين مثل أفاطم في فاطمة ومثل يا سلم يا منح يا مسك في سلمان ومنصور ومسكين^(١٦) .

ولكن الحذف هنا في القطعة ليس خاصاً بالأسماء بل يمكن أن يدخل الاسم والفعل كما يمكن أن يكون حذفاً لحرف أو أكثر دون شروط .

(١٢) الخصائص ١/١٨١ واللسان : ابن .
(١٣) مميزات لغات العرب ٣١ . (١٤) الكتاب ٢/٢٧٠ .
(١٥) وجرير من قبيلة تميم . انظر جمهرة أنساب العرب ٢٢٥ .
(١٦) الكتاب ٢/٢٣٩ — ٢٧٤ .

واذا كان قطع الكلمات هنا ورد فى بعض الأبيات الشعرية فان بعض العلماء كسينيويه يعد ذلك من الترخيم فى غير النداء للضرورة لكن يمكن أيضا أن يكون منسوبا الى اللهجات التى كانت تقطع أواخر الكلمات ويؤكد ذلك أن كلا الشاعرين : عبيد بن الأبرص الذى ينتسب الى قبيلة أسد ولبيد الذى ينتمى الى بنى عامر من قبيلتين كانتا تعيشان على مقربة من ديار طيء ويمتد ذلك الى اليمن ولذا نسبت هذه الظاهرة الى أهل اليمن ويمكن أن يمتد ذلك الى غيرهم تأثرا بهم •

والأصل فى نطق الكلمات أن تتم فيه الحروف كاملة بذا للمجهود العضلى المطلوب ولكن بعض الناطقين يختصر نطق الكلمات جريا على قانون السهولة الذى شاع فى البدو والحضر على سواء وان خص بعضهم بالبدو •

وبعض المحدثين يرجع حذف أواخر الكلمات الى الأخطاء السمعية التى تنجم عن ضعف بعض الأصوات وقد ينشأ عن ذلك سقوطها من الكلام الصوتى على مر الأجيال عند انتقال اللغة من جيل الى آخر •

فعل — أفعل

المعروف أن حروف الزيادة التى تدخل الأفعال يكون لكل منها زيادة فى المعنى وفقا للقاعدة التى تقول : زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى •

فكل حرف يزداد على الصيغة الفعلية تقابله زيادة فى المعنى وهذا واضح فى الأفعال التى تعترتها هذه الزيادة •

ولكن قد تجيء عدة صيغ فيها بعض حروف الزيادة مع اتحصاد المعنى وهذا قد يرجع الى اختلاف اللهجات •

من ذلك : فعلت وأفعلت التى ألف فيها بعض العلماء كتباً كالزجاج فى كتابه (فعلت وأفعلت) أحيانا مع اتفاق المعنى وأخرى مع اختلافها وكذلك لابن دريد كتاب فى هاتين الصيغتين على ما يقال •

فقد يجيء فعلت وأفعلت المعنى فيهما واحد إلا أن اللغتين اختلفتا ، زعم ذلك الخليل فيجىء به قوم على فعلت ، ويلحق قوم فيه الألف فيبينونه على أفعلت (١٧) •

ويقول ابن درستويه : لا يكون فعل وأفعل بمعنى واحد كما لا يكونان على بناء واحد إلا أن يجىء ذلك فى لغتين مختلفتين فأما من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد (١٨) •

وذكر ذلك ابن جنى فى خصائصه (باب فى الفصيح يجتمع فى كلامه لغتان فصاعدا) (١٩) مثل سقى وأسقى فى قول الشاعر :
سقى قومه بنى مجد وأسقى نميرا والقبائل من هلال

(١٧) الكتاب ٦١/٤ • (١٨) المزهرة ٣٨٤/١ •

(١٩) الخصائص ٣٧٠/١ والحجة لابن خالويه ٢٠١٢ •

ووفى وأوفى فى قول آخر :

أما ابن طوق فقد أوفى بدمته كما وفى بقلاص النجم حاديهها
وفى القرآن الكريم : (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) (٢٠)
(لأسقيناهم ماء غدقا) (٢١) (ومن أوفى بما عاهد عليه الله) (٢٢)
(وإبراهيم الذى وفى) قرىء وفى بالتخفيف ثلاثيا عند ابن
محيصن (٢٣) .

وقوله تعالى : (ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر) (٢٤)
قرىء (لا يحزنك) من أفعل (٢٥) . وقوله تعالى : (لا يحزنهم الفزع
الأكبر) (٢٦) قرىء (لا يحزنهم) من أفعل . وقوله سبحانه :
(لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب) (٢٧) بضم الياء قرأ
حفص وحمزة والكسائي . لغة نجد وتميم ، وبفتح الياء قرأ الباقيون
لغة الحجاز (٢٨) .

وفى الحديث : « الوليمة فى الاعذار حق » الاعذار : الختان ،
ورد عذرتة وأعذرتة ، ويقال للطعام الذى يعد فى الختان اعذار (٢٩) ،
وفى حديث عمر (أطردها المعترفين) أى المقرين على أنفسهم بما
يوجب الحد عليهم ، وقد ورد : أطرده السلطان وطرده ، أى : أخرج
من بلده وأبعده (٣٠) ، وفى حديث خديجة : (انك لتصل الرحم وتكسب
المعدوم) يقال : كسب وأكسب فلانا مالا . أى : أعانه على كسبه

(٢٠) سورة الانسان الآية ٢١ (٢١) سورة الجن الآية ١٦ .

(٢٢) سورة الفتح الآية ١٠ .

(٢٣) سورة النجم الآية ٣٧ ، والاتحاف ٤٠٣ .

(٢٤) سورة آل عمران الآية ١٧٦ .

(٢٥) الاتحاف ١٨٢ (قراءة نافع) .

(٢٦) سورة الانبياء الآية ١٠٣ والجمهور يحزنهم — من حزن —

وهى لغة قريش .

(٢٧) سورة طه الآية ٦١ (٢٨) الاتحاف ٣٠٤ .

(٢٩) النهاية ١٩٦/٣ .

(٣٠) المصدر السابق ١٧/٣ .

وجعله يكسبه^(٣١) ، وحديث الايمان : (أدناها اماطة الأذى عن الطريق) أى : تتجيته ، يقال مطت الشيء وأمطته وقيل : مطت أنا وأمطت غيرى ، وماط وأماط بمعنى واحد^(٣٢) .

وقد جمع الرسول الكريم بين فعل وأفعل فى قوله : « يرد من صدقة الجانف فى مرضه ما يرد من وصية المجنف عند موته » يرد بضم الياء وتشديد الدال المضمومة ، ويقال : جنف وأجنف اذا مال وجار ، فجمع بين اللغتين ، وقيل : الجانف يختص بالوصية ، والمجنف المائل عن الحق^(٣٣) .

ويقال : بشرت الرجل بخير وأبشرته^(٣٤) . وجنه الله وأجنه^(٣٥) ، وألاته عن وجهه^(٣٦) بمعنى حبسه وصرفه عند تميم ، ويقال : لاته بمعناه عند الحجاز^(٣٧) .

وقال ابن منظور : (فعل وأفعل كثيرا ما يتعاقبان على المعنى الواحد نحو : جد فى الأمر وأجد . وصددته عن كذا وأصددته ، وقصر عن الشيء وأقصر ، وسحقه الله وأسحقه ونحو ذلك^(٣٨) .

ولابن دريد باب ما اتفق عليه أبو زيد وأبو عبيدة والأصمعي يشدد فيه ولا يجيز أكثره مما تكلمت به العرب من فعلت وأفعلت^(٣٩) .

وقد ألف كتاب فعلت وأفعلت ومنها ما اتفق معناه وجمع منها أحد الباحثين ستة ومائتى فعل^(٤٠) .

-
- (٣١) المصدر السابق ١٧١/٤ .
(٣٢) المصدر السابق ٢٢٢/٤ والصاحح (ماط) .
(٣٣) النهاية ٣٠٧/١ ومختار الصحاح ١١٣ .
(٣٤) كتاب فعلت وأفعلت للزجاج ص ١٣٠ .
(٣٥) المصدر السابق ١٣٥ .
(٣٦) المزهري ٢٧٦/٢ والقاموس ١٦٣/١ .
(٣٧) الاتحاف ٣٩٨ .
(٣٨) اللسان ٢٣٣/١٥ . (٣٩) الجوهرة ٤٣٤/٣ .
(٤٠) فى بحث بمجلة مجمع اللغة العربية ج ٣٦ ص ١١٦ .

والهمزة هنا ليست للتعدية ، والنقل على ما هو مشهور فيها في مثل ذلك لكنها لتأكيد المعنى ان صح هذا الاعتبار كما ورد عن بعض اللغويين ونقله صاحب الاتحاف^(٤١) .

وقد اضطربت أقوال الباحثين في نسبة كل من الصيغتين الى بيئة لغوية ، فبعضهم يرى ان (فعل) — بغير همز — للحجاز وبالهمز (افعل) لتميم ، ففي قوله تعالى : (فأسر بأهلك) يقول الفراء قوله (فأسر بأهلك) قراءتنا من أسريت بنصب الألف وهمزها ، وقراءة أهل المدينة (فأسر بأهلك) من أسريت^(٤٢) .

ويقول أيضا : قرأ أهل الحجاز (فأسر بأهلك) موصولة من أسريت وقراءتنا (فأسر بأهلك) من أسريت ، وقال الله تعالى : (سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى) وهو أجود^(٤٣) .

وقال لييد بن ربيعة :

إذا المرء أسرى ليلة ظن أنه قضى عملا والمرء ما عاش عامل
ويذكر بعض اللغويين ان أسرى بالألف لغة أهل الحجاز^(٤٤) .
ولعل الفعل بالهمزة قد تأثر به أهل الحجاز وقد جمعها حسان في قوله :

ان النظيرة ربة البيت أسرت اليك ولم تكن تسرى^(٤٥)

(٤١) الاتحاف ٣٩٨ . التميميون يميلون الى تأكيد المعنى وتقويته فأدخلوا الهمزة التي للتعدية مبالغة في تأكيد المعنى .

(٤٢) معاني القرآن ٢٤/٢ .

(٤٣) وفي حديث جابر رضي الله عنه « قال له : ما السرى يا جابر ؟ أي ما أوجب مجيئك في هذا الوقت ؟ والسرى السير بالليل وسرى وأسرى لغتان (النهاية ٣٦٤/٣ سرى) .

(٤٤) ديوان الأدب ١٠١/٤ ، والمصباح ٢٧٥/١ واللسان ٣٨١/١٤ .

(٤٥) ديوانه ٢٢٤/ .

وقال الفراء — أيضا — : فتن لأهل الحجاز وأفتن لأهل نجد^(٤٦) وجاء أعشى همدان باللغتين فى قوله :
لئن فتنتنى لهى بالأمس أفتنت سعيدا فأمسى قد قلا كل مسلم
· وقال أبو حيان فى فتن وأفتن : لغة الحجاز فتن ولغة تميم
وربيعة : أفتن رباعية^(٤٧) وقرأ عيسى بن عمر (لا تفتنى) بضم التاء
من أفتن وقرأ الباكون بفتح التاء من (فتن)^(٤٨) .
وكان الأصمعى يعد (أفتن) ليس بثبت وأبى الا (فتنت) ولما
أنشد بيت أعشى همدان السابق قال : هذا أخذ عن مخنث وليس
بثبت^(٤٩) .

وقد عد ابن دريد (فتنت) المصيغة الراجحة فقال : اختلف
أهل اللغة فى (فتنت) و (أفنت) فقال قوم : لا يقل الا غتته غيو
مفتون ، وهى اللغة الكثيرة ، وقال آخرون : أفنته غيو مفتن ، وذكر
رأى الأصمعى السابق . وقد ذكر الخليل والأصمعى : رابنى هذا الأمر
يربينى : أى أدخل على شكا وخوفا ، أو رأيت منه ما أكره وفى لغة
ردية نسبته الى هذيل : أرابنى^(٥٠) ويقال : ضاء السراج يضاء وأضاء
يضىء والأخيرة أقوى^(٥١) ، وقد يصفونها بأنها لغة قليلة ، تقول :
غار اذا أتى الغور ، وأغار أيضا وهى لغة قليلة ، وذكر صاحب المصباح
أنه لا يقال أغار ، وأن الفراء زعم أنها لغة^(٥٢) .

وعند الحديث : (فوقع الجبل على باب الكهف فأوطده) أى :

-
- (٤٦) معانى القرآن للفراء ٣٩٤/٢ .
(٤٧) البحر المحيط ٣٣٩/٣ والخصائص ٣١٩/٣ ويراد بسعيد
ابن جبر .
(٤٨) البحر ٥١/٥ .
(٤٩) الجمهرة ٢٤/٢ ، ٢٥ .
(٥٠) العين ٢٨٨/٨ .
(٥١) التهذيب ٩٦/١٢ ، ٢٥٢/١٥ ، ٢٥٣ .
(٥٢) النهاية ٣٩٣/٣ . والمصباح (غور) .

سده بالهدم هكذا روى ، يقول ابن الأثير : وانما يقال : وطده وأوطد
قليلة في وطد^(٥٣) .

وفي كتابه صلى الله عليه وسلم لأهل نجران (وألا يغتر واقف
من وقيفاه) يذكر ابن الأثير : الواقف خادم البيعة لأنه وقف نفسه
على خدمتها ، والوقيفى بالكسر والتشديد والقصر : الخدمة وهي
مصدر كالخصيصى والخليفى يقال : وقفت الشيء أقفه وقفا :
ولا يقال أوقفت الا على لغة رديئة^(٥٤) وذكر الخليل أن (أوفى) بالآلف
— من (وفى) — هي فى أهل تهامة^(٥٥) .

وقد أشار المبرد الى أن الأفصح هو (أوفى) لمجىء القرآن
بها فى مثل قوله تعالى : (وأوفوا بعهدى أوف بعهديكم)^(٥٦) وأشار
بعضهم الى فصاحة اللغتين .

وفى (هبط) و (أهبط) ذكر ابن دريد أنهما لغتان فصيحتان^(٥٧)
وعند المبرد أن (أهبط) لغة تميم^(٥٨) ويقال فرزت الشيء وأفرزته
لغتان جيدتان^(٥٩) وقال الأصمعى فى (غسا) و (أغسى) يقال :
غسى الليل وأغسى ، وغسى اذ اسود قال العجاج :

من مر أيام وليل مغسى

(٥٣) النهاية ٣٠٤/٥ .

(٥٤) المصدر السابق ٣١٦/٥ .

(٥٥) العين ٤٠٩/٨ .

(٥٦) سورة البقرة من الآية ٤٠ وانظر الكامل ١٨٧/٢ .

(٥٧) الجمهرة ٣١١/١ ، ٤٣٨/٣ . (٥٨) الكامل ٣٧٥/١ .

(٥٩) التهذيب ٩٦/١٢ .

فهذا من (أغسى) وسمعت رجلا من باهلة منذ خمسين سنة ينفذ :
كأن الليل لا يغسى عليه اذا زجر السبنداء الأمونا^(٦٠)

ونرى أن اللغويين — أحيانا — يؤكدون فصاحة اللغتين ،
وأحيانا فصاحة احدهما دون الأخرى تبعا للسمع والورود عن
العرب. وفى القرآن الكريم ، وبعضها يأتى مع نسبته الى أصحابه ،
وأحيانا لا ينسبون بعضها ، يقول الله تعالى فى الحديث القدسى :
(أسمحوا لعبدى كاسماحه الى عبادى) الاسماح لغة فى السماح
يقال : سمح وأسمح اذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء^(٦١) .

وفى الحديث : (ان أكتبكم القوم فانبلوهم) وفى رواية :
(اذا أكتبوكم فارموهم بالنبل) يقال : كتب وأكتب اذا قارب والكتب
القرب^(٦٢) .

وفى خطبة عائشة (وأنجح اذا أكديتم) يقال نجح فلان وأنجح
اذا أصاب طلبته وأنجحت وأنجحه الله^(٦٣) .

وفى حديث ابن مسعود (كان يصلى الظهر والجنادب تتقز
من الرمضاء) أى تقفز وتثب من شدة حرارة الأرض وقد نقز وأنقز :
اذا وثب^(٦٤) .

وفى حديث ابنى مليكة : (ان أمنا حين رعد الاسلام
وبرق) الخ أى جاء بوعيده وتهديده يقال : رعد وبرق وأرعد وأبرق^(٦٥) .

(٦٠) السبندى : الطويل الجرىء ومؤنثه : السبنداء وناقاة امون :
وثيقة الخلق . انظر القاموس ٣١٠/١ ، ١٩٩/٤ .

(٦١) النهاية ٣٩٨/٢ .

(٦٢) المصدر السابق ١٥١/٤ .

(٦٣) النهاية ١٨/٥ .

(٦٤) المصدر السابق ١٠٥/٥ .

(٦٥) المصدر السابق ٢٣٤/٢ .

وفى الحديث : (سألت ربهى ألا يسلط على أمتى سنة فترمدهم فأعطانيها) أى تهلكهم يقال رمدته وأرمدته إذا أهلكه (٦٦) .

وفى حديث رافع بن خديج : (وسئل عن كراء الأرض البيضاء بالذهب والفضة فقال : لا بأس انما نهى عن الارمات) من قولهم رمثت الشيء بالشيء اذا خلطته وقولهم رمث وأرمث : اذا زاد (٦٧) .

والذى عليه جمهور اللغويين أن (فعل) للحجاز و (أفعل) لتميم ، وجرى على ذلك المحدثون من علماء اللغة وان جاء عكس ذلك فقد ورد عن بنى تميم : جبره وبقية العرب تقول : أجبره (٦٨) .

قال اللحيانى : تميم تقول : جبرته على الأمر أجبره جبرا وجبورا بغير ألف قال الأزهرى : وهى لغة معروفة وكثير من الحجازيين يقولونها الا أن بعض اللغويين فرق بينهما فى المعنى فجعل جبر لجبر العظم بعد كسره وجبر الفقير بعد فاقتته والاجبار للاكراه (٦٩) وعند بنى تميم (هلك) وغيرهم : (أهلك) قال العجاج وهو تميمى :

ومهمه هالك من تعرجا هائلة أهواله من أدلجا
يعنى (مهلك) وهى لغة تميم (٧٠) .

وتقول تميم : خلا فلان على اللبن وعلى اللحم اذا لم يأكل معه شيئا ولا خلطه به وكتانة وقيس يقولون : (أخلى) (٧١) .

ونسبت (فعل) الى قيس مثل (فتىء) .

-
- (٦٦) المصدر السابق ٢/٢٦٢ .
 - (٦٧) المصدر السابق ٢/٢٦١ .
 - (٦٨) اللسان ١/٥٣٤ .
 - (٦٩) التهذيب ١١/٦٠ .
 - (٧٠) اللسان : (هلك) .
 - (٧١) المصدر السابق (خلى) .

قال أبو زيد : تميم تقول : أغتأت وقيس وغيرهم : فغئت (٧٢) ،
وقيس قبيلة بدوية وربما قصد بغيرهم أهل الحجاز •

وتنسب صيغة (فعل) للكثيرين في تعس وأتعس يقال : تعس
بنفسه وأتعسه الله وروى تعس بفتح العين (٧٣) • وهذا يدل على أن
بعض القبائل تتأثر بالأخرى للاتصال بينها •

فعل واقتعل

جاءت صيغ من هذا النوع من الثلاثي وغيره بمعنى وهى — دون
حبيب — ترجع — فى معظمها — الى اللهجات وان لم يسم أصحابها فى
كتب اللغة • من ذلك : فرى فريا وافترى افتراء اذا كذب وهو
افتعال من الفرى ، وفى القرآن الكريم عن بيعة النساء (ولا يأتين
جبهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن) وجاء مثله فى الحديث (٧٤) •

وجاء القود بمعنى القصاص ، وقاده به وأقاده قتل القاتل بدل
القتيل واستقاد الحاكم سأل أن يقبده واقتاد منه يقتاد افتعال منه
وفى الحديث : (من قتل عمدا فهو قود) ويقال : قتاد البعير واقتاده :
جرى خلفه (٧٥) ويقال : مك الفصيل ما فى ضرع الناقة وامتكه اذا
مص كل ما فيه من اللبن (٧٦) ومن ذلك : نضا السيف من غمده
وانتضاه : أخرجه ومن افتعل جاء انتضى فى حديث على حين ذكر
عمر فقال : (تتكب قوسه وانتضى فى يده أسوما) على معنى
أستخرجها من كنانته (٧٧) •

ويقال : نظرت فلانا وانتظرتة : اذا ارتقبت حضوره ، ومن

(٧٢) التهذيب : ٣٣٠/١٤ •

(٧٣) المصدر السابق ٧٨/٢ •

(٧٤) النهاية ٤٤٣/٣ •

(٧٥) المصدر السابق ١١٩/٤ •

(٧٦) المصدر السابق ٣٤٩/٤ •

(٧٧) المصدر السابق ٧٣/٥ •

الأول (الثلاثى) ما ورد فى حديث أنس قال : نظرنا النبى — ﷺ — ذات ليلة حتى كان شطر الليل^(٧٨) ، ومن ذلك : همط ماله وطعامه وعرضه ، واهتمطه أخذه مرة بعد أخرى من غير وجه •

وفى الحديث أنه — ﷺ — (سئل عن عمال ينهضون إلى القرى فيهمطون الناس فقال لهم المهنا وعليهم الوزر)^(٧٩) •

ويقال : قص الأثر واقتصه اذا تتبعه وجاء فى الحديث عن غسل دم الحيض : (فتقصه بريقها) على معنى تريله من الثوب بأسنانها وريقها ليذهب أثره كأنه من القص^(٨٠) •

ضميرا الخطاب

نلاحظ أن ألتاء والكاف تستعملان ضميرين لخطاب المذكر : والمؤنث ، فمع المذكر يفتح كل منهما ، ومع المؤنث يكسران تقول : حضرت وحضرت ، وشاهدتك وشاهدتك ، وهذا شائع عند جمهور العرب •

وقد تشبع فتحة المخاطب المذكر فتتشأ عنه ألف ، وتشبع كسرة المخاطبة المؤنثة فتتشأ عنها ياء فيقال : حضرت — حضرتى — شاهدتك — شاهدتكى — وهذا ينسب لربيعة وتجرى عليها اللهجة العامية فى مصر •

وبهذه النماذج المتعددة للهجات نتأكد من وجود لهجات عديدة فى الجزيرة وان كانت القرشية قد سيطرت وأصبحت اللغة العامة للعرب جميعا •

(٧٨) المصدر السابق ٧٨/٥ •

(٧٩) المصدر السابق ٢٧٤/٥ •

(٨٠) المصدر السابق ٤٧٧/٣ •

ولو أن الرواة اهتموا بهذه اللهجات لنقلوا لنا فيضا كبيرا كنا قد استفدنا منه لكنهم — لخوفهم على القرآن الكريم ولغته — اهتموا باللغة العامة ولم يأبهوا لهذه اللهجات فنسى معظمها وتاه في الجزيرة وقضى عليه ، على حين أننا نشاهد بقايا هذه اللهجات يظهر واضحا في كتب النحو ، التي تحاول أن تخطط اللهجات ، وتستخلص القواعد منها وتدافع عنها بالفلسفات كما نرى ذلك عند اعراب المثني بحاليه اللذين أشرنا اليهما وعند اعراب قراءة (ان هذان لساحران) وقراءة (فكان أبواه مؤمنان) فتذكر كتب النحو كثيرا من الآراء ومن الممكن أن نكتفى بتعليل واحد قريب وواقعي ، وهو أن هاتين القراءتين جاءتا حسب لهجة عربية تلتزم المثني الألف في جميع أحوال اعرابه ، وبهذا نريح التفكير العقلي من أن يضل في متاهات النحاة •

الفصل الخامس

الدرس اللهجي الحديث

تعد دراسة اللهجات dialectology ^(١) دراسة مهمة من الدراسات اللغوية في العصر الحديث ، وهي من فروع علم اللغة العام :
linguistics

وقبل أواخر القرن التاسع عشر لم ينظر اللغويون الغربيون الى دراسة اللهجات المتفرعة عن لغاتهم ، بل حاولوا أن ينشروا بين الناس الاتجاه الى الفصحى ونبذ العاميات لأن في الفصحى ما يحافظ على كيانهم الحضاري والأدبي ، فهم يحافظون على الفصحى من لغاتهم حتى يستطيعوا أن يحافظوا على وحدتهم الثقافية والقومية فان تلك اللغات قد وعت لهم تاريخ أجيال وحضارات مضت ونقلتها اليهم بحيث يستطيعون فهمها ووعياها ، فهم يتصلون بأمانيهم وحاضرهم ومستقبلهم ، أما لو اتجه الناس الى العاميات فسوف تصرفهم عن تراثهم وتمزق وحدتهم وتقضي على أطلهم في المستقبل ولذلك حذر العلماء هناك من استعمال العاميات وطلبوا من مجتمعاتهم أن يحافظوا على فصاحتهم ، بل حاولوا — ومعهم الحكام — ابتكار الطرق والوسائل التي تؤدي الى منع انتشار العاميات ، ومن ذلك أن الجمعية الوطنية الفرنسية عهدت عام ١٧٩٤ م الى الأب جريجوار بأن يضع تقريراً

(١) هو علم يدرس الظواهر والعوامل المختلفة المتعلقة بحدوث صور من الكلام في لغة من اللغات ، أو علم يدرس اللهجات باعتبارها أنظمة لغوية تنشأ أو تتفرع عن لغته أو لغات . انظر : المصطلحات العلمية والفنية لجمع اللغة العربية بالقاهرة ٩٣/٤ ، ٢٢١/١٥ .

بين فيه الوسائل الناجعة للقضاء على اللهجات الشعبية ونشر اللغة الفصحى (٢) .

ولم يكن الاهتمام بالفصحى على هذا النحو وحده هو السبب فى اهمال دراسة اللهجات فى تلك الحقبة من التاريخ بل ساعد على ذلك عوامل أخرى أهمها :

١ — توجه الدراسة الى الفصحى وبيان خصائصها واتجاهاتها لأنها — مع غرض الحفاظ عليها ودوام استمرارها — مجدة الطرق واضحة المسار مستقرة النظم ممتدة عبر التاريخ بسمات يمكن تحديدها والنظر فى أمرها على العكس من اللهجات الشعبية التى يحتاج تحديد مسارها ونظمها وسماتها الى دراسات دائبة وجهود يتجشمها الباحث فيها ويحتاج معها الى أزمان طويلة لاستخلاص حقائقها وما يتعلق بها من دراسة الأحوال الاجتماعية والثقافية والبيئية للشعوب .

٢ — العلماء — آنذاك — كانوا يحبون الدعة والهدوء ودراسة الفصحى توفر لهم ذلك لأن سماتها واضحة معلومة لا تستدعى الأسفار ولا مشقات الانتقال .

أما اللهجات فتححتاج — لتتبع خصائصها والتعرف على ظواهرها — الى تنقل وترحال لملاقات أربابها فى بيئتهم ذنت أو نأت ، سلت أو صعبت ، مع ما يصحب ذلك من عناء السفر والرحلات الشاقة .

ولكنها — يوما ما — فرضت نفسها عليهم وجذبتهم — ان طوعا أو ان كرها — الى دراستها وتتبع مناحيها ، لأن التطور سنة الحياة ، وما فى الكون — بثتى ألوانه — يتطور ، فاللغة لا تخرج عن سنن الكائنات فى هذا الشأن فكما يتطور كل شئ تتطور اللغة .

ولذا — على الرغم من محاولات الغربيين أن يمنعوا زحفها — وجدنا سيلها يتدفق في كل مكان ، ورأينا انتشار اللغات الفصحى الى عديد من اللهجات الشعبية تبعا لسنة الطبيعة وعوامل الاجتماع — في الداخل والخارج — فلم يستطيعوا أن يحسروا الموجات المتتابعة منها فاضطروا الى التسليم بالأمر الواقع والاتجاه الى تلك اللهجات الناشئة حتى يعرفوا خط سيرها فبدأوا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين في الاهتمام بتلك اللهجات ودراستها •

وكما اهتم الفرنسيون — وجمعيتهم الوطنية — بمحاربة تلك اللهجات — أول الأمر — اهتموا أيضا — بعد أن علموا كغيرهم عدم جدوى محاولاتهم — بدراستها ، وظهر ذلك واضحا في انشاء شعبة خاصة لدراسة اللهجات الشعبية في معهد الدراسات العليا بفرنسا على يد أول مهتم فرنسي بها وهو (جاستون بارييس) ونهضت دراستها على يد طائفة من العلماء الفرنسيين منهم تورتولون وبرنجيه وأنطوان توماس وألبرت دوزا •

وكذلك على يد غير الفرنسيين كالعالمين الايطاليين كورنو وأسكولى ، ومن أشهر المشتغلين بتلك الدراسة الأب روسلو الذي اهتم بالناحية الصوتية في اللهجات وجيليرون الذي درس اللهجات من ناحيتها الدالية •

وقد استعانت هذه الدراسة بكل الوسائل العلمية الحديثة حتى استطاعت أن تضع قوانين لحياة اللغات وما يعرض لها من انقسام الى لهجات وأسباب ذلك ونتائجه • فاللغات قد تحيا نتيجة لاستمرار بقائها في الاستعمال على السنة أهلها ، وقد تموت لانقراضها من الاستعمال أو تغيرها واضمحلالها ، وليس معنى موت اللغة أن يقضى عليها نهائيا بحيث لا يبقى لها أثر لأنها — عندما تموت — تكون قد تركت آثارا في خليفاتها كما يقول الدكتور السعران :

« ان اللغة اللاتينية لم تمت فى الحقيقة من الناحية التاريخية بل أصابتها تغيرات عميقة أنتجت أشكالا حديثة لها أبرزها : البرتغالية والشتالية ولغة قطالونيا ولغة بروفانس والفرنسية والايطانية ولغة رومانيا والأسبانية ، وقد بلغ من شدة هذه التغيرات وعمقها أنا نحس اذا نظرنا الى الأشكال الحديثة للاتينية بأنها لغات مختلفة » (٣) .

ووصل العلماء — فى أمر التوحد والانقسام — الى نتائج ذات قيمة علمية كبيرة ، فاللغات — متأثرة بحتمية العوامل الطبيعية والاجتماعية والثقافية — تميل الى الانقسام أكثر من التوحد وهذا رأى بعض اللغويين ، وهو اتجاه تؤيده الدلائل الواقعية ، فاللغات — منذ آدم عليه السلام — يتوالى عليها الانقسام بعد التوحد ، وهى على هذه الحال فى شتى بقاع الأرض الى اليوم ، ولم تستمر — حتى الآن — لغة واحدة على طبيعتها دون تفرق الى لهجات .

بيد أن (يسبرسن) يرى أن القوى الموحدة كانت فى العصور التاريخية أقوى — فى حقيقة الأمر — من القوى المقسمة (٤) ويستدل لذلك بكثرة المتكلمين بكل لغة فى الأزمان الحاضرة عنها فى الأزمان الماضية .

ولكن الرأى الأول تسانده ظواهر اللغات العالمية — دون ريب — وكثرة عدد المتكلمين لا يعنى توحد اللغة ، فهذا قد يحدث مع تشعبها وانقسامها فكيف توصف بالتوحد مع الانقسام ؟

وقد حدد العلماء الأسس التى تؤدى الى ظهور لغة عامة والى استمرار التوحد اللغوى لأمة اكتملت لها تلك الأسس كالاتصال واختلاط بين المتكلمين وضيوع الأدب والثقافة بعناصرها المتعددة

(٣) اللغة والمجتمع د. محمود السمران ص ١٦٧ ، ١٦٩ .

(٤) المصدر السابق ص ١٨٠ .

وما يصحب ذلك من حالات اجتماعية وسياسية واقتصادية وعسكرية
واعلامية .

واللغات قد تنتشر فى مساحات واسعة من الأرض وقد تبقى فى
حيز ضيق من الوجود وربما توسط حالها كل ذلك يخضع لعوامل
الانتشار والتعثر وعدم الانطلاق فمع أهلها تدخل أراضى جديدة
ونتصارع مع لغات جديدة ، نتيجة الغزو والاستعمار أو مع زيادة
الناطقين بها زيادة طبيعية عن طريق النمو وذلك قد يدعو الى انقسامها
وقد تساعد على ذلك عوامل أخرى اجتماعية وسياسية وثقافية
ونفسية وفسيولوجية وجغرافية فلا ريب أن الجماعات المختلفة على
هذا النحو تختلف لغاتها بل تنقسم اذا كانت واحدة ثم اختلفت عليها
هذه العوامل ، بل ان الاقليم الواحد كجمهورية مصر العربية تنقسم
فيه لغة المحادثة الى ألوان شتى من اللهجات المحلية نتيجة لاختلاف
البيئات — نسبيا — بين أهلها فى مدنها وقراها فنحن نستطيع أن نلمس
هذه الفروق من سيرنا فى تلك الأماكن فمن مدينة الى أخرى ومن قرية
الى أخرى نلمح مظاهر هذا الاختلاف بين اللهجات ، فعلى حين ينطق
بعضهم (يقول) ينطقها آخرون (يئول) وآخرون (يجول) ويعبر
بعضهم عن السيارة بكلمة (كومبيل) وبعضهم (اتومبيل) وبعض
ثالث (ترمبيل) وساقية المياة يسميها بعضهم (تابوت) وبعضهم
(طبلية) وبعضهم (حلزونة) وبعضهم (حلوفة) ، وهكذا ، على
حين تبقى مع ذلك اللغة العامة مفهومة للجميع ومستعملة فى الكتابة
والأمور الرسمية كلغة قومية وهى — عندنا — العربية الفصحى التى
تربط بين الأمة العربية فى شتى أقطارها .

والملاحظ أن لكل بيئة لهجاتها الخاصة التى تتبع من حياتها
والمؤثرات عليها فهناك لهجات خاصة تبعا للطبقات المتعددة فلهجة
للاستقراطيين وأخرى للزراعيين وثالثة للتجارين ورابعة للبحريين .

وخامسة لأرباب الصناعات والمهندسين وسادسة للرياضيين وغير ذلك من ألوان اللهجات التي تناسب كل الفئات الاجتماعية ولذا يطلق علماء اللغة المحدثون على هذا اللون اللهجي اسم (اللهجات الاجتماعية) وأهم تلك اللهجات ما يسمونه : (اللهجات الحرفية)^(٥) .

ويرى بعض علماء الانتوجرافيا أن لهجات هذا النوع ترتجل ارتجالا ويتفق عليها من أفراد الجماعة المتكلمة بها ولكن الرأي السديد هو أنها تخضع لعوامل النشأة الاجتماعية والبيئة التي تحياها تلك الطوائف مع تسليمنا بأنه ربما نشأ اصطلاح أو أكثر عن طريق الاختراع ثم شاع استعماله بالتقليد ولكن هذا ليس ظاهرة عامة .

كل ذلك الانقسام واختلاف اللغات واللهجات قد خضع لعوامل كانت الدراسة الغربية فاتحة له ومميدة طريقه وواضعة أسسه العامة والخاصة حتى أصبحت له قوانين العلم التي طبقت — قديما — على اللغات الهندية الأوروبية وانقساماتها الى ضوائف لغوية كبيرة^(٦) وعلى اللاتينية — احدى لغات الفرع الايطالى من هذه المجموعة اللغوية — فقد انشعبت الى عدة فروع ليجية — فى أواخر العصور الوسطى — هى : الفرنسية والايطالية والأسبانية والبرتغالية ولغة رومانيا^(٧) .

وعوامل تكوين اللغة العامة برزت فى دراساتهم — أيضا — فقد لوحظ أن التغيرات الفردية لا تؤثر تأثيرا فعالا فى هذا المجال ، بل الاعتماد على العوامل الاجتماعية متضافرة : فقد كانوا — كما ذكر الدكتور السعران — يفهمون قديما « أن الايطالية قد كونيا دانتى والانجليزية كونها تشوسر والألمانية كونها لوثر والدينمركية

(٥) علم اللغة د. وافي ص ١٧٣ ، ١٧٦ واللغة لفندريس ص ٣١٥ ،

٤٢٧ ، ٤٢٨ .

(٦) لها طوائف ثمان . انظر علم اللغة د. وافي ص ١٨٠ وما بعدها .

(٧) المصدر السابق ص ١٦٠ ، ١٦١ .

كونها كريستين بدرسن فأظهر البحث أن كل لغة من هذه كانت مكونة قبل أن يخط هؤلاء حرفاً»^(٨) كما أن الانقسام الى لهجات شعبية ومحلية كانت له مبادئ وقوانين عمل الغربيون على اثبات وجودها وتأكيدا بالأدلة السليمة النابعة من التجارب ودراسة الوقائع اللغوية التي تؤكد صحة النتائج •

وقد وصلوا من ذلك الى تحديد عوامل الخلاف التي تحدث في صراع اللغات واللهجات وما يعترئها من تشعب ، فقد يكون كثيرا من الناحية الصوتية ثم يكون — أيضا — من الناحية الدلالية ، أما ناحية القواعد فانها تكون قليلة وبطيئة التغير عادة •

واننا نلاحظ ذلك في لغتنا العربية فالخلاف كبير بين اللهجات الفصحى التي كانت في الجزيرة مثل العنقة والفحفة والاستتطاء وغير ذلك وبعض الألفاظ قد اختلفت دلالتها كما في وثب عند حمير بمعنى جلس وعند غيرهم من عرب الشمال بمعنى قفز ، والسدقة — في لهجة تميم — الظلمة ، وفي لهجة قيس : الضوء^(٩) •

أما الخلاف في القواعد — كالبنية والاشتقاق والجمع والتأنيث والنسب والتصغير وتكوين الجمل — فهو قليل وهكذا في اللهجات العربية الحديثة •

وقد ظهر من ملاحظة تلك العوامل وظواهر الانقسام ودراسات المحدثين من الغربيين ومن تابعهم أن تكوين لغة عالمية أمر بعيد المنال ، فما دام البشر مختلفين في طبيعة بيئاتهم وأجسامهم وثقافتهم والعوامل التي تتغلب عليهم فلا يمكن اتحاد لغاتهم لأنها سوف تخضع لتلك العوامل وتتأثر بها فمهما كانت واحدة في أول أمرها فسوف يعروها الانقسام

(٨) اللغة والمجتمع د. السمران ص ١٧٣ •

(٩) المظهر ط الأولى ١٨٨/١ ، ١٩١ •

وصدق الله العظيم اذ يقول : (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم) (١٠) .

واللغوى الحديث يدرس اللغة من وجهين :

١. — اللغة من الناحية التنظيمية والتركيبية الموروثة : والتي تكون مجموعة من القواعد والقوانين تختزن فى عقول الجماعة الناطقة بها وتطبقها فى ميادينها المختلفة للتعامل والسلوك الانسانى .

٢ — اللغة فى تطورها الاجتماعى والتاريخى : فالانسان كما تنتقل أحواله البيولوجية ووظائفه العضوية من طور الى آخر فى مراحل يمر بها المجتمع البشرى بأسره فكذاك عاداته وتقاليده وظواهر الاجتماع التى تتصل به ومنها اللغة التى عراها ويعروها الاختلاف والانتقال بمرور الأجيال والعصور فتتغير وتتلون بألوان تتأثر بحال الانسان ومرار الأحداث المتقدمة به من ثقافات وتجارب تتقدم به أو تتأخر وتستحدث أمورا وتتخلص من أخرى مضى عليها الزمن أو غيرها من منظور اجتماعى أو سياسى أو نفسى الى غير ذلك مما يؤثر فى الانسان وفهمه للحياة فهما جديدا وتخضع اللغة العامة للطبقات الاجتماعية كما نرى فى لغة العمال والفلاحين والصناع والتجار الى غير ذلك ، ومن هنا تعددت اللهجات وتتنوع بما يسمى اللهجات الحرفية أو الطبقية .

وقد نظر الى اللغة المشتركة على أنها النموذج الذى يحتذى ، وأنها المعيار الأساسى الذى يقاس عليه ولها قواعدها ، ونظمها المعروفة وعلى أن اللهجات متفرعة من هذا النموذج وداخلة فى إطاره .

الأطلس اللغوى

فى العصر الحديث ظهرت طرق ومناهج لدراسة اللغات واللهجات فى الغرب وانتقلت الى الدراسات اللغوية المعاصرة فى العالم العربى •

وقد ظهرت دراسات لبعض العلماء فى التوزيع الجغرافى للغات واللهجات وامكان بيان الحدود الجغرافية الفاصلة بين اللغات أو اللهجات التى تنضوى تحت اللغة الواحدة •

اللغات : قرر الباحثون سهولة بيان الحدود الجغرافية للغات فحدود اللغة العربية واضحة المعالم ، فهى تمتد فى الجزيرة والشام والعراق وشمال افريقية ويمكن معرفة نهاية حدودها بابتداء اللغات المجاورة لها من فارسية وتركية وافريقية وغيرها • وهكذا حال اللغات الأخرى كالانجليزية والفرنسية وغيرها حيث يمكن بيان حدود كل منها بطريقة ميسورة •

وهذا فى غالب الأمر ، وقد يصعب ايجاد فاصل بين اللغات ، بأن توجد فى بقعة واحدة ، توجد بينها حواجز ، كما فى سويسرا ، ففينا أربع لغات هى : الألمانية والايطالية والرومانية والفرنسية ، فمناطقها يصعب الفصل بينها لخضوعها لنظام سياسى واحد واختلاط شعبها بعضه ببعض وهكذا شأن اللغات المتجاورة فالفروق بين اللغتين المتجاورتين تختفى فى الأقاليم الحدودية الانتقالية •

وكذلك اللغات المتقاربة فى الأصل اللغوى كالفرنسية والايطالية فمع امكان وضع نقاط انتقال محصورة بينهما لا يبقى هذا الخط عند حدود اللغتين وكذلك الحدود بين الفصحى ولهجاتها فلا نستطيع أن نبين بداية الفصحى الألمانية thigh German ونهاية الألمانية المبتذلة Lew German وهناك خصائص وسطية تربط

اللغات المتشابهة بعضها ببعض وقد تختفى فيحصل الاختلاف الواضح .

وهذا ينطبق على طوائف اللغات كالهند وأوربية والسامية وغيرها ، وهجرات السكان تقضى على الاختلافات وتقربها مع عدم تفكك سلسلة المناطق اللغوية .

اللهجات : يصعب رسم خط جغرافى للهجات التى تنتمى الى لغة واحدة للصلات القوية بين الناطقين بها لأنهم أبناء أمة واحدة . وبناء على ذلك :

١ — أنكر بعض الباحثين وجود لهجات فى اللغة الواحدة بناء على أن المكان واحد لا يمكن تجزئته ، كما أنه ليس من الممكن التفريق بين الخصائص الصوتية والصرفية والمعجمية ، ومن هؤلاء : بول ميرو وجاستين بارى الذى يقول : لا يوجد أى حد حقيقى يفصل بين فرنسى الشمال وفرنسى الجنوب فصور التكلم الشعبية عندنا تمتد على أرض الوطن من طرف الى آخر كأننا بساط نضحت ألوانه المتنوعة فى كل نقطة منه بعضها على بعض وأصبحت درجات لا يكاد يتميز بعضها من بعض ، وكذلك جوهان شميدت صاحب نظرية الأمواج ، فالظواهر اللغوية متداخلة كالموجات بحيث يتعذر الفصل بينها أو بيان حدود كل منها .

وقد طبق ذلك على دراسة اللغات الهندية الأوربية ، وقرر عدم وجود لهجات فيها ، وإن الخط الفاصل بين اللغة واللهجة يصعب فى غالب الأحيان تتبعه ورسمه (١) .

وقد ينظر الى تصنيف اللهجات على أساس من سماتها الخاصة على أنه شئ من صنع الخيال الى درجة كبيرة ، ففى الولايات المتحدة

(١) أسس علم اللغة لماريوباي ص ٢١١ وفصول فى علم اللغة العام لـ (ف. دى سوسير) ص ٣٥٤ وما بعدها بتصرف .

الأمريكية — مثلا — لا يوجد ما يمكن أن يسمى لهجة جنوبية أو لهجة غربية وسطى أو لهجة نيو انجليزية ، ولكن توجد سلسلة من الخصائص المحلية غير المتناهية مع بعض ملامح مشتركة من ناحية ، ولامح متباينة من إقليم إلى إقليم من ناحية أخرى^(٢) .

٢ — وقيل بعض الباحثين : ان الفصل بين لهجات اللغة الواحدة يمكن عن طريق التعرف على السمات والخصائص البارزة لكل لهجة مما يوجد في منطقة ولا يوجد في الأخرى ، ومن هؤلاء ميه الفرنسي ونص عبارته : « هناك لهجة محددة في كل منطقة يلاحظ فيها وجود خصائص مشتركة وحتى عندما لا يمكن رسم خطوط دقيقة للفصل بين منطقتين متجاورتين فإنه يبقى أن كلا منهما تتميز في مجموعها ببعض السمات العامة التي لا توجد في الأخرى ... فان كلا من اللهجتين في مجموعها قد اشتملت على خصائص عديدة واضحة الى حد يجعلها في مأمن من الخلط بينها »^(٣) .

ويذكر بعض الباحثين : هناك على سبيل المثال خط افتراضي واضح محدد يمتد من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي يخترق معظم الأرض الألمانية وعلى أحد جانبي هذا الخط يقول المتكلمون dat وعلى الجانب الآخر يقولون das ، وإذا كان هذا الخط الافتراضي لا يتطابق دائما مع الواقع فإنه — غالبا — ما ينظم الظواهر في شكل حزم أو مجموعات مع اختلافات يسيرة نسبيا ، وإذا أخذ المرء المتوسط أو المعدل لهذه الخطوط الفاصلة فإنه يمكنه أن يحدد خطا مفردا يفصل منطقة لهجة رئيسية عن غيرها ، وهذا هو أساس الطريقة العلمية لتصنيف اللهجات الرئيسية في لغة معينة^(٤) .

ويذكر فرديناند دي سوسير « من الممكن أن نحدد اللهجة

(٢) المصدر السابق ص ٦٩ .

(٣) اللغة ٣١٢ .

(٤) أسس علم اللغة لسارويباي ص ٧٠ .

بخصائصها الكلية التي تتضمن اختيار نقطة محددة على الخريطة ،
ومن الممكن — أيضا — أن نحدد اللهجة بإحدى مميزاتها ونحدد بمدى
مدى انتشار هذه الميزة أو الخصيصة » •

ويقول الدكتور أنيس : « متى برزت صفات خاصة واتضحت
للسامعين وظهور اختلافها عن صفات البيئات الأخرى للغة الواحدة ،
أمكن القول أن هناك لهجة قد نشأت وتميزت وتدرس على أنها لهجة
متميزة » (٥) •

وهذا من شأنه أن يقرب المطلوب ، ولكنه لا يؤدي الى بيان
الحد الفاصل الدقيق بين لهجة وأخرى •

فلهجات اللغة العربية — مثلا — يمكن التعرف على خصائص كل
منها مصرية أو سورية أو عراقية الخ ، ولكن لا يمكن أن يعرف —
بالتحديد — المكان الذي تنتهي عنده السورية أو غيرها للتداخل
الشديد بينها •

وقياسا على ذلك فاللهجات المحلية في أي قطر يمكن أن تخضع
لهذا المقياس من حيث الخصائص والمميزات ، فطرائق النطق بينها
مختلفة ، فبعضها يميل في مثل (عليه — اليه) وبعضها ينطق ألقاف
همزة وبعضها جيما ، وأخرى تحول الكاف الى قاف في نطق بعض
الكلمات كما يلاحظ ذلك في اللهجات العامية في مصر •

وهكذا بيان كل ما يكتف عن الفواصل بين اللهجات بحيث يمكن
معرفة خصائص وسمات كل منها •

وعلى هذا المنوال سائر اللهجات العربية في أقطارها المتعددة
ويبدو أن هذا الرأي جدير بالاتباع •

وقد كانت الدراسة القديمة تعتمد على الشواهد والنماذج

(٥) في اللهجات العربية ص ١٧ •

وملاحظة ما تحتوى من نظم وقوانين تدرك بالتجارب الذاتية التى نقوم على المشاهدة والتلقين والنقل عن السابقين .

ولا ريب أن الأطلس اللغوى كانت له بذوره فى دراسات علمائنا القدماء حين جمعوا النصوص اللغوية التى استخلصوا منها قواعد اللغة العامة ، وفيما جمعوا من نصوص تتعلق ببعض اللهجات السائدة فى بعض مناطق الجزيرة .

وفى العصر الحديث جدت الأجهزة والآلات العملية وطرق القياس المستحدثة التى يسرت دراسة اللهجات وتحديد خصائصها والأماكن التى تنتشر فيها فيما يدرف بالأطلس اللغوى أو الجغرافية اللهجية Linguistic Geography or Dialect Geography (٦) .

وذلك على أساس من علم اللغة الجغرافى لأن العلاقة قائمة بين اللهجات وبيئاتها الجغرافية .

وقد بدأ ظهور الأطلس اللغوى على يد اللغويين التاريخيين لأغراض تاريخية فى معظمها ثم أصبح ينحو المنحى الوصفى العلمى فى مجال البحث اللغوى (٧) وقد ظهرت فكرة الأطلس اللغوية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر (١٨٨٦ م) وكان (وينكر Wenker) فى ألمانيا و (جيليرون Gillieron) — واضع علم اللغة الجغرافى (٨) — فى فرنسا من أوائل المهتمين بوضع هذه الأطلس للغتين الألمانية والفرنسية ولهجاتهما ووضعوا شروط هذا

(٦) انظر : أسس علم اللغة لماريوباي ص ١٣٤ .

(٧) المصدر السابق ص ١٣١ .

(٨) وظيفة علم اللغة الجغرافى أن يصف بطريقة علمية وموضوعية توزيع اللغات فى مناطق العالم المختلفة ليوضح أهميتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاستراتيجية والثقافية وطرق تفاعل اللغات بعضها مع بعض . ماريوباي ص ٣٧ . علم اللغة الجغرافى هو التطبيق العلمى الحديث لعلم اللغة ، وعلم اللغة الجغرافى يغطى بشئ من التفصيل الوضع الحالى للغات العالم من حيث عدد المتكلمين والتوزيع الجغرافى ص ٦٤ . وانظر أيضا ص ١٨٥ ، وتدرس فيه العوامل التى تؤدى الى تقدم لغة أو تدهورها واحلال غيرها محلها ص ٧٢ .

المنهج الجديد للدراسة اللغوية حتى تخلو بهذا المنهج من الخطأ وتتجه ناحية الصواب ، ثم امتد هذا النشاط العلمى اللغوى الى دول اخرى كسويسرا والنرويج والسويد والبرتغال وايطاليا وأمريكا وبعض البلاد الشرقية .

وفكرة الأطلس اللغوى نالت اهتماما كبيرا فى العصر الحديث لتحديد جوانب مفيدة فى علم التاريخ اللغوى ، ويبدو هذا فى الصيغ الحية للغة أى بلد ، بالاضافة الى ما تحويه من خصائص لىجية متنوعة ، وقد ساعد هذا كثيرا علماء اللغة التاريخيين ، وبخاصة عند تحديد معالم التغير التى تمت فى الماضى حينما تكون الشواهد المطلوبة مفقودة ، أو غير كافية^(٩) .

ومع ذلك فحتى هذا الوقت لا توجد الا مناطق ضئيلة جدا هى التى وضع لها أطلس لغوى^(١٠) .

ويهتم علماء الأطلس اللغوية بدراسة الظواهر اللغوية الحديثة المتكلمة ، ويهتمون بالناحية العلمية التى تنتقل الى حقل التجربة .

وهم يجمعون المادة اللغوية المطلوبة من الأماكن المحلية التى يقع عليها الاختيار من اقليم ما — رسمت حدوده — لعمل خرائط له ، مع الاستعانة براو يمثل المتكلمين المحليين وكذلك الاستعانة بمسجل لغوى مدرب تدريباً دقيقاً على كيفية الاجابة على الأسئلة .

ويجرى البحث بتحديد مجموعات الكلمات والعبارات والجملى التى يسبق اعداد مقابلات لها من اللغة العامة أو بتحديد الظاهرة أو الظواهر اللغوية التى يراد دراستها .

ويرتب ذلك فى صورة أسئلة يجيب عليها الراوى اللغوى ،

(٩) أسس علم اللغة لسارويباى ص ١٣٢ وانظر أيضا ص ٣٧ ،

٢٢١ .

(١٠) المصدر السابق ص ٢٤٠ .

والمسألة التي ينطوقها الراوى اللغوى اما أن تكتب بالطريقة الصوتية أو تسجل على جهاز تسجيل ، أو تستخدم الطريقتان معا •

ثم تجرى مرحلة المقابلة والمعارضة بين كل كلمة أو عبارة أو اصطلاح أدلى به الرواة اللغويون المحليون وبين المقابلات لها من اللغة العامة ، وتستخلص من المقارنة النتائج وتوضع على خريطة مستقلة للمنطقة •

ولهذا اللون من الدراسة طرق متنوعة عند العلماء والباحثين المشتغلين بعلم اللغة الجغرافى •

ففى ألمانيا برزت (طريقة وينكر) وتقوم على جمع أحصائى تحدد فيه عدة خصائص أو كلمات أو عبارات من اللغة الفصحى أو العامة تمثل مظاهر لغوية متعددة صوتية ومعجمية وصرفية ونحوية ودلالية ، وينظر اليها على أنها المقياس المعيارى •

ويقوم المسجل اللغوى باستطلاع رأى الراوى اللغوى الممثل لنطق اللغة المحلية أو اللهجة التى يراد دراستها ، فيسجل الكلمة أو العبارة أو الجملة التى ينطقها الرجل العادى فى الشائع من الاستعمال اللغوى فى الحياة العادية للمجتمع مما يقابل النطق النموذجى للغة العامة •

وبعد ذلك تفحص الاجابات — لعدد كبير من الرواة اللغويين ، والتى سجلها المسجلون اللغويون — ويقارن النطق الذى فى اللغة أو اللهجة المدروسة بالنظام أو الاستعمال اللغوى النموذجى ، وتستخلص النتائج المستتبطة من الاجابات على الأسئلة المدونة ، ثم توضح هذه النتائج على خرائط لغوية ، وتصنف حسب مجالات الدراسة من حيث أصوات المفردة والكلمات والجمل والدلالة والقواعد التى تخضع لها •

وفى فرنسا برزت (طريقة جيليرون) فى لون آخر من عمل
الخرائط اللغوية .

وفىها تختار البلاد أو الأماكن التى يجرى فيها البحث من
البلاد التى لها تأثير لغوى واضح فيما حولها من الأماكن بحيث تمثل
بيئة لغوية واسعة .

وتوضع أسئلة فى صورة مجموعات كل مجموعة تتعلق بدراسة
أحدى الظواهر اللغوية أو عدة ظواهر يتصل بعضها ببعض اتصالا
وثيقا ، وتعرض هذه الأسئلة على أهل البلاد التى تجرى فيها دراسة
اللهجة أو الظاهرة اللغوية عن طريق الرواة اللغويين أيضا ، ويقوم
بعمل الإحصاء مسجل لغوى مدرب كذلك .

وبعد جمع الأجابات تدرس ليمهد ذلك لمعرفة الخصائص
والسمات للهجة أو اللهجات التى يقصد دراستها فى مجال الأصوات
أو صيغ الألفاظ أو طرق التعبير الى غير ذلك ، ثم تسجل هذه النتائج
على الخريطة الخاصة بها .

ويحتوى الأطلس اللغوى فى فرنسا — على سبيل المثال —
على خريطة منفصلة كبيرة لكلمة « حصان » — كما تستعمل فى لغة
الكلام — فى حوالى خمسمائة منطقة فرنسية مختلفة ، وهناك خرائط
لكلمات أخرى ، والمحصل النهائى لهذه الخرائط يعطينا مجموعات من
الخطوط المتقاطعة التى تمثل كل منها واحدة من الخمسمائة لهجة محلية
ليس فقط فيما يتعلق بالمفردات ولكن أيضا فيما يخص مجموعات
الكلمات التى تخدم الغرض النحوى ، وبهذا يصبح من الممكن تماما
استخلاص نحو وصفى لكل لهجة من تلك اللهجات المحلية باتتباع
أسس التحليل الفونيمية والصوتية (١١) .

(١١) المصدر السابق ص ١٣٣ .

وفى طريقتى وينكر وجيليون يشترط فى الراوى اللغوى أن يكون من أهل المنطقة المدروسة الأصليين الذين لم يغادروها ولم يتأثروا بغيرهم ثقافيا أو اجتماعيا ، وأن تتوافر فيه المقدرة اللغوية على تمثيل النطق الصحيح لأهل بيئته ، وأن يتوافر عنده قدر كبير من الوعى والفهم للأسئلة بحيث يمكنه الإجابة عليها دون تعثر أو انحراف .

وأن يكون صادق القول غير واقع تحت مؤثرات تجعله يخفى بعض الإجابة أو يجيب بغير المطلوب ، أو يعطى بيانات غير صحيحة أو غير دقيقة لأسباب أخرى .

« وكلما كان الراوى اللغوى أقل ثقافة كان أفضل لأن المتعلمين ، أو الأكثر تعلما فى المنطقة تتأثر لغتهم بمعلوماتهم واحترامهم للغة الأدبية الوطنية » (١٢) .

وفى الأطلس الفرنسى لم تحدد خصائص أو عبارات معينة يقاس عليها كما فى الطريقة الألمانية . وبهذا يمكن أن نميز الطريقة الفرنسية بأن المسلحين اللغويين لا يؤثرون على المتكلم الذى تدرس لهجته بل يترك على طبيعته ليقول ما يشاء ، أما الطريقة الألمانية فقد فرضت نظاما معينة تتطلب الإجابة بما يمكن أن يتكلف لها المجيب أو يحور من طريقة الإجابة تبعا للتأثير النفسى واللغوى عليه ، وإن كانت الطريقة التى اتبعها النظام الألمانى تأخذ فى الاعتبار شمول النواحي المتعددة للاستعمال اللغوى مما يجعلها أوسع وأشمل .

والأطلس اللغوى يحوى خرائط متعددة للوقوف على ظواهر اللغة أو اللهجة مع الاستعانة ببعض النواحي الهندسية .

وعلى هذا فالأطلس اللغوى يقوم على عمل خرائط لبيان أصواته

(١٢) المصدر السابق ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

أو كلمات أو تراكييب لغة أو لهجة معينة أو عدة لهجات وتوضيح صلتها
باللغة الأصلية أو بأخواتها من اللغات أو اللهجات الأخرى •

وعمل الأطالس اللغوية يعتمد — الى حد كبير — على مفردات
اللغة وهو عمل لغوى يتم تحت ظروف البيئة المعينة (١٣) •

وتتجلى أهمية هذه الخرائط اللغوية فى أنها توقفنا على بيان
النواحي الصوتية واختلاف الألفاظ تبعاً لاختلاف المناطق وأوجه
الشبه بين اللغات واللهجات ومظاهر الاختلاف بينها على نحو دقيق •
ويخضع ذلك لطرق قياسية محددة لتوضيح ما يتعلق بالنواحي
اللغوية المتنوعة على المستوى الصوتى والدلائلى للغة واحدة ولهجاتها
أو للغات لها علاقة بها أرقى منها أو أدنى ، وهذا يتطلب عمل احصاءات
تتوقف عليها النتائج العلمية اللغوية ، وهذا يتوقف على نوع الاحصاء
العميق الدقيق أو السطحى الموجز ، وكلما لوحظ التوحد فى طرق
القياس والاحصاء كان ذلك داعياً الى دقة النتائج •

والذى ينبغى عمله — فى هذا — هو الاستعانة بالمعلومات
الدقيقة وجمع المادة التى تمثل ظواهر النغمة أو اللهجة بشمول واف
فى مختلف المناطق وأن تلاحظ كفاءة الرواة اللغويين والمسجلين بحيث
تأتى النتائج دقيقة سليمة فلا تخلف من راو الى آخر ولا من مسجل
الى غيره ، ولا بد من تحديد الأسئنة التى ستلقى بحيث لا تختلف بين
المسؤولين ، وألا تكون هناك عوامل مؤثرة فى اختلاف الاجابات أو
صدقها •

وعن طريق الأطالس اللغوية تتحدد سمات اللغة أو اللهجة
وخصائصها — فى مجالات الأصوات والكلمات والجمل وشتى النواحي
اللغوية — ويعرف مكانها وصلتها باللغات أو باللهجات المجاورة
وعلاقتها بالأم التى تفرعت عنها ، وعلى هذا يمكن رسم الحدود

(١٣) المصدر السابق ص ١٣١ بتصرف .:

الجغرافية لها على خريطة بوضوح كامل ومعرفة التغيرات التي تطرأ عليها من حين لآخر (١٤) .

وهذه الأطالس تعتمد في الكشف عن التاريخ الذي مرت به اللغة في عصورها التي مرت بها وبيان اللهجة التي تعد أقرب الى الفصحى — ان وجدت — ونتيجة لهذا اللون من الدراسة تكون الحدود اللهجية — أحيانا — واضحة كما في المناطق الصحراوية أو الغابات أو المرتفعات ، وأحيانا تكون غير محددة تحديدا واضحا ، كما في لهجات المناطق التي يتصل بها غير أهلها كحدود لهجات العواصم كالقاهرة ولندن وبغداد لتأثر البلاد المجاورة بها ، ولهجة مصر بالنسبة للعالم العربى هي مصدر تتأثر به البلاد العربية الأخرى لمركزها السياسى والثقافى الذى يجعلها محط الأنظار .

والأطلس اللغوى يصبح — بعد اتمامه — مرجعا للغوى حيث يزوده بالمعلومات التى يريد بها بدلا من الخروج بنفسه ، ومحاولة الذهاب الى الحقل اللغوى فى المنطقة موضوع اهتمامه ، وان كان نزول اللغوى المباشر الى الحقل اللغوى قد يصبح ضروريا مع وجود الأطلس اللغوى حينما تواجهه مشكلات خاصة . ومع ذلك فالأطلس اللغوى خاضع للتغيير وغير ثابت لما يعترى الحياة من تغيير ولذا لا تظل نتائجه ثابتة بل يقتضى عمل أطالس بين الحين والآخر لمعرفة ما جد من تغيرات وتأثيرات لغوية فى المناطق التى درست من قبل . وهذا شأن اللهجات العامة الخاضعة للتطور السريع (١٥) .

وعلى ذلك ينبغى فى دراسة اللهجة مراعاة أمور أهمها ما يلى :

- ١ — إقامة الدراسة على أساس جغرافى .
- ٢ — الاعتماد على الجانب الوصفى أى على ما هى عليه لا على ما ينبغى أن تكون عليه .

(١٤) انظر : الأطلس اللغوى د. خليل عساكر ص ٣٧٩ .

(١٥) أسس علم اللغة لماريوباي ص ١٣٣ .

٣ — بيان الطبقة الاجتماعية التى يراد دراسة لهجتها من عمال أو فلاحين أو صناع أو مثقفين ... الخ •

٤ — أن يكون الخبراء اللغويون الذين تؤخذ عنهم اللهجة من الناطقين بها ممن يمكن أن يمثلوا اللهجة تمثيلاً صحيحاً ، والكلام الطبيعى خير مثال صادق •

٥ — الاعتماد على النصوص فى اللهجات الصوتية المكتوبة •

٦ — لابد من تمحيص الحقائق لكل اقليم عدة مرات لتوضيح الخصائص الصوتية والمعجمية والصرفية المخ التى تتراحم وتتراكب •

٧ — أن تكون الاستبيانات مخططة بوضوح وتعاون المؤسسات المحلية •

ثم يحل ما جمع من مادة علمية عن طريق الأجهزة والآلات — ان .
أمكن — ويوازن بين النتائج العملية والنتائج السمعية المستنبطة بالملاحظة الذاتية وتستخلص النتائج الصحيحة التى اتفق عليها سمعاً وتجربة وحال الخلاف بينهما ينظر سبب الخلاف حتى يهتدى الباحث الى الحقيقة ، ثم يستخلص النظام العام للظاهرة اللغوية المدروسة •

ويمكن استخدام هذه الأطالس فى دراسة العربية الفصحى ولهجاتها وصلتها باللغات السامية واللغات الأجنبية وهذا وثيق الصلة بالنصوص اللغوية ويمكن أن يساعد فى معرفة اللهجات المعاصرة وربما كشف شيئاً من تاريخ الظواهر اللغوية وعناصرها عندنا وتأثيرها بغيرها^(١٦) وربما كشف ذلك شيئاً من الصلة بين اللهجات القديمة الفصحى واللهجات الحديثة عن طريق الموازنة العلمية والكشف عن الألفاظ الدخيلة من اللغات الأخرى •

وهذا العمل فى العربية يحتاج الى جهد مضمّن وإلى عمل جماعى

(١٦) الأطلس اللغوى د. خليل عساكر ص ٣٧٩ •

دائب يتحلى بالروح العلمية الجادة حتى يمكن الوصول الى أطلس لغوى عربى حديث •

واللغة المشتركة تحكمها قواعد وقوانين فى مفرداتها وتراكيبها ودلالاتها الحقيقية والمجازية الى غير ذلك مما عرف بقواعد النحو والصرف والبلاغة ومتن اللغة •

ولم يكن القدماء يهتمون بلهجات العربية خوفا على الفصحى منها ولأن اهتمامهم الأساسى بالفصحى وان كانت بعض اللهجات قد درست فى كتب النحو واللغة دراسة جانبية • والعاميات يمكن دراستها على أساس أن لها قواعدا وليست — كما يظن — لا قواعد لها بل يمكن ضبطها وحصر مفرداتها وتراكيبها أيضا ودراستها دراسة وصفية •

وهى فى العالم العربى لها مظاهرها المتعددة والمتأثرة باللغات التى كانت فى المناطق التى تنتشر فيها كالفارسية فى العراق والرومية والسريانية فى الشام والقبطية فى مصر وكذلك اللغات التى تدخل تلك المناطق مع التفاعل المتبادل بين شعوبها وشعوب العالم من ذوى اللغات المختلفة كالانجليزية والفرنسية والألمانية والتركية الى غير ذلك ، وكذلك آثار البربرية فى لغات شمالي افريقية وتأثير النوبية فى السودان ، وهناك تأثيرات للغة الهندية فى الجزء الجنوبى من الجزيرة العربية •

وهذه التأثيرات كما تتناول نقل بعض الألفاظ والتراكيب الأجنبية قد تتناول تأثيرات فى جوهر اللغة فتصاغ الألفاظ العربية بطرق جديدة وكذلك التراكيب مثل : أعطنى واحد شاي أو اثنين قهوة الى غير ذلك ، واللهجات الحديثة تحوى جانبا من اللغة الفصحى ولهجاتها الى جانب ما دخلها من مظاهر جديدة وان كان لا يعرف على وجه

التحديد كيف تطورت ولا كيف اختلفت أو تفرعت ، ويبدو أن اللهجات العامية مستمدة من الفصحى العربية مع تأثرها باللغات المحلية للأقاليم التي دخلها الاسلام .

وان الفاتحين الذين نزلوا في ثكنات عسكرية كانوا خليطاً من العرب أرباب اللهجات العربية الأصلية وقد اختلطوا بسكان البلاد المفتوحة وأثروا فيهم فنشأت لغة تجمع بين خواص اللغة الأصلية للسكان ولهجات العرب الفاتحين .

ولذا تبدو في لهجات الأقاليم التي دخلها الاسلام مظاهر من اللهجات العربية القديمة للعرب الذين انتقلوا اليها — كقيس وتميم والحجاز وأضرابهم — وهي متأثرة بلغات البلاد الأصلية .

ومن هنا يمكن أن تدرس اللهجات العامية لبيان أصواتها ومفرداتها وتراكيبها وقواعدها ومعرفه أصولها المؤثر منها والمتأثر . وهذا الكشف عن الخصائص والسمات يحتاج الى مجهود كبير وتواجه الباحثين فيه مصاعب جمة .

وقد اتجه بعض المستشرقين الى دراسة اللهجات في الوطن العربي ومن ذلك :

— لهجة اليمن لـ غ . كمبماير الألماني .

— لهجة بغداد لـ (هايستر)

— لهجة القدس لماكس مولر الألماني .

— دراسة صوتية في العامية المصرية لـ (هاريل) .

— نحو اللسان العربي العامي الدارج بمصر لـ : (و . اسبيتاباي)

— دراسات في اللسان العربي العامي ببيروت لـ : (أ . ماتسون)

— دراسات فى اللسان العربى الدارج بدمشق لـ :
(غ • برجستراسر) •

وقد قام : المستشرق الألمانى برجستراسر ببعض الرحلات الى
سوريا وفلسطين لعمل خريطة جغرافية للهجات هذه المناطق •

— لهجات شرقى الجزيرة (م جونسون) بجامعة لندن •

— صوتيات العربية بالمغرب الأقصى لـ : (أ • فيشر) •

— نحو العربية التونسية لـ : (ه • اشتمه) •

وسار على هذا المنوال دارسون عرب فى العصر الحديث فنرى
دراسة لهجة القاهرة على يد الدكتور ابراهيم أنيس ولهجة لبنان على يد
الدكتور كمال بشر ولهجة الكرنك على يد الدكتور تمام حسان ولهجة
اقلیم ساحل مریوط للدكتور عبد العزيز مطر ولهجة صنعاء وصلتها
بالعربية الفصحى للمؤلف وغيرها ...

نهاية وخاتمة

درسنا موضوع اللهجات متتبعين جذوره وعناصره من جوانبها المتعددة بما رأينا أنه يمثل أساس الدراسة اللهجية فتحدثنا عن الكلام والقول واللغة واللهجة وأسباب الانقسام والتوحد اللغوي ليكون مدخلنا لتناول اللهجات العربية ، ثم تناولنا أثر البيئة ولقاء المجتمع البشرى بعضه ببعض — بعامة والعربى بخاصة — فى نشأة ألوان لهجية متنوعة توحدت فى لغة عامة للعرب جميعا ، بعد صراع لغوى طويل •

وكانت لنا وقفات مع المتجنين عليها من مستشرقين وغيرهم لفرد الحق الى نصابه •

ثم تناولت اللهجات العربية فيما بقى محفوظا فى كتب اللغة والنحو والقراءات من مظاهر ابدالية تناولت عدیدا من مصطلحات اللهجات ، وقد حاولت الاستقصاء والتتبع لذلك فى كل ما يتصل بالتغيير فى الأصوات سواء كانت حروف علة أو صوامت مما له مصطلح لهجى أو لغوى •

ومع أن الظاهرة واسعة متباعدة الأطراف حاولت جمع شتاتها ونظمه فى اطار علمى درستته بعرض آراء القدامى والمحدثين منتججا البحث عن الحقيقة العلمية الناصعة •

وقد قام البحث على الربط بين الدراسة اللهجية والنحو والقراءات وأكد عمق الصلة بين ذلك كله ، مما يكشف للباحث والدارس أن الافادة الكاملة تأتى من الموازنة بينها ، وربط كل منها بالآخر •

ثم عرضت للدرس اللهجى الحديث مبينا أسسه ومبادئه وكيف
نفيد منه فى الاهتمام بالفصحى •

وقد عرضت الآراء فى نشأة العربية وتطورها ولم آل جهدا فى
الكشف عن خصائصها وصلتها بأهلها وبيئاتهم وثقافتهم •

ونخلص من ذلك الى ما يلى :

١ — دراسة اللهجات العربية تمثل مدخلا مهما فى فهم طبيعة
العربية الفصحى ، لأنها تكشف كيف تتوعد ، وتعددت طرق التعبير
فيها ، وأسرارها ، ويمكن فهم قواعدها ، وقوانينها التى تحكمها •

٢ — وان تعدد القبائل العربية قد بدا أثره فى كلامها وصلتها
ببيئتها بدوا أو حضرا ، سواء فيما يتصل بالجانب الصوتى أو الجانب
الدلالى •

٣ — ان التقريب عن أولية العربية وتطورها يجد بابا واسعا
فى لهجاتها للتعرف على النشأة والتطور ، ويلقى بيانا واضحا عن
تفرعها من الأم الأولى •

٤ — فى اطار الدراسة النحوية العربية نستطيع معرفة اتجاه
التقنين اللغوى فيها ، وصلته بالتعليل النحوى وكيفية توجيهه لمعرفة
ما أرادته العرب الفصحاء •

٥ — لعل فى تنوع الابدال بين الحروف والحركات ما يدل على
تحول الحياة الانسانية بعامة والعربية بخاصة فى مظاهرها الاجتماعية
واتصالها باللغة •

وهناك صلة بين التبدلات الصوتية فى اللغات العالمية يمكن
الكشف عنها بمعرفة خصائص الابدال وطرقه ، ولكن ذلك يحتاج

الى صبر وأناة ، واطلاع واسع وألى حيدة علمية وانصاف فى التحليل
اللغوى لبيان الحقيقة العلمية واللغوية •

ولعلنا نتمكن ان شاء الله تعالى من اجراء نوع من هذه البحوث
فيما يوفقنا له الله تعالى فى المستقبل القريب بالربط بين الابدال فى
العربية وبعض اللغات الانسانية الأخرى كالانجليزية وغيرها •

والله ولى التوفيق

أهم المصادر

- * الإبدال لأبى الطيب اللغوى . دمشق ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م .
- * ابن جنى اللغوى . رسالة دكتوراه للمؤلف فى مكتبة كلية اللغة العربية مقدمة سنة ١٩٧١ م .
- * أبو على الفارسى للدكتور عبد الفتاح شلبى . نهضة مصر ١٩٥٨ م .
- * الاتقان للسيوطى . ط مصطفى الحلبى ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م .
- * اتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر للبنا الدمياطى ط ١٣٥٩ م .
- * أدب الكاتب لابن قتيبة ط ١٣٢٨ هـ . القاهرة .
- * أسس علم اللغة لـ (ماريوباي) ترجمة وتعليق الدكتور أحمد مختار عمر . الطبعة الثانية ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م مطابع سجل العرب .
- * الأشباه والنظائر للسيوطى . ط حيدر آباد .
- * الاشتقاق لابن دريد . السنة المحمدية ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م .
- * اصلاح المنطق لابن السكيت تحقيق الاستاذين أحمد شاكر وعبد السلام هارون ط القاهرة .
- * أصوات اللغة العربية للدكتور عبد الغفار هلال . مطبعة الجبلاوى ط الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- * الأصوات اللغوية للدكتور ابراهيم أنيس . لجنة البيان العربى ١٩٦١ م .
- * الأصول . دراسة ايستمولوجية لأصول الفكر اللغوى العربى . ط مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء . ط الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- * اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه بتحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمنى . القاهرة ١٩٤١ م .

- * الاقتراح للسيوطى . ط الأولى .
- * الامالة فى القراءات واللهجات العربية للدكتور عبد الفتاح شلبى .
نهضة مصر ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٧ م .
- * الأمالى لابن الشجرى (نشره كرنكو) ط حيدر آباد ١٣٤٩ هـ .
- * الأمالى لأبى على القالى . ط الثالثة . القاهرة . ١٣٤٤ هـ —
١٩٢٦ م .
- * انوار التنزيل واسرار التأويل (تفسير البيضاوى) للقاضى ناصر
الدين البيضاوى . جدة المكرمة ١٣٥٨ هـ .
- * اوضح المسالك لابن هشام ومعه منار السالك للأستاذين محمد
عبد العزيز النجار وعبد العزيز حسن . مطبعة الفجالة .
- * البحر المحيط لأبى حيان الاندلسى ط ١٣٢٩ هـ . القاهرة .
- * البيان والتبيين للجاحظ ط . القاهرة ١٣١١ هـ .
- * تاج العروس بشرح القاموس للسيد مرتضى الزبيدى . المطبعة
الخيرية بمصر ١٣٠٦ هـ ، ط بيروت ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م .
- * تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ط الاميرية ١٣٩٢ هـ ودار
الكتاب العربى ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٦ م .
- * تاريخ آداب العرب للأستاذ مصطفى صادق الرافعى . مطبعة
الأخبار ١٩١١ م .
- * تاريخ الأدب العربى . العصر الجاهلى . للدكتور شوقى ضيف .
ط دار المعارف ١٩٦٠ م .
- * تاريخ الأمم والملوك للطبرى . تحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم .
دار المعارف ١٩٦٨ م .
- * تثقيف اللسان لابن مكى الصقلى . لجنة احياء التراث الاسلامى
١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م .
- * التجويد والأصوات للدكتور ابراهيم نجا . ط السعادة .

- * تحقيق النصوص ونشرها للأستاذ عبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٧٤ — ١٩٥٤ م .
- * التصريف الملوکی لابن جنی . أوربا (ليزج) ١٨٨٥ م ، ط مصر (شركة التمدن الصناعية) ١٣٣١ هـ — ١٩١٣ م .
- * التطور اللغوی التاريخی للدكتور ابراهيم السامرائی . دار الرائد . القاهرة ١٩٦٦ م .
- * تنوير الحوالک . شرح موطأ مالك للسيوطی ط القاهرة . دار احیاء الكتب العربیة .
- * تهذيب اللغة للأزهري . الدار المصریة للتألیف والترجمة مطابع سجن العرب .
- * الجامع الصحيح للترمذی ط ١٣٤١ هـ وما بعدها وبتحقیق الاستاذ أحمد شاکر ط ٣ القاهرة ١٩٦٨ م .
- * الجامع لأحكام القرآن (تفسیر القرطبی) للإمام القرطبی . ط الشعب .
- * جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسی بتحقیق الأستاذ عبد السلام هارون ط دار المعارف ١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م .
- * جمهرة اللغة لابن دريد مطبعة المعارف بحید آباد . الطبعة الأولى ١٣٤٤ هـ .
- * جمع الجوامع للسيوطی . ط ١٣٣٧ هـ .
- * الجنی الدانی فی حروف المعانی للحسن بن قاسم المرادی . بتحقیق الأستاذ طه محسن . نشر جامعة بغداد ١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م .
- * الحجة لأبی علی الفارسی . الجزء الأول ط دار الكتاب العربی .
- * الحجة فی القراءات السبع لابن خالویه بتحقیق الدكتور عبد العال سالم مکرم ط ٢ دار الشروق ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .
- * خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب . لابن عمر البغدادی . الطبعة الأولى ببولاق سنة ١٢٩٩ هـ وط دار الكتاب العربی ١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م بتحقیق وشرح الأستاذ عبد السلام هارون .

- * الخصائص لابن جنى . ط دار الكتب ١٣٧١ هـ — ١٣٧٦ هـ (١٩٥٢ م — ١٩٥٦ م) مع مقدمة محققه الشيخ محمد على النجار .
- * دراسات في فقه اللغة للدكتور صبحي الصالح . ط بيروت ١٣٨٢ هـ — ١٩٦٢ م .
- * دراسات في اللغة للدكتور ابراهيم السامرائي . بغداد ١٩٦١ م .
- * دراسات في اللغة للدكتور ابراهيم السامرائي : بغداد ١٩٧٤ م .
- * حرة الغواص في اوهام الخواص للحريى بتحقيق محمد ابى الفضل ابراهيم . ط نهضة مصر ١٩٧٥ م .
- * دروس في علم اصوات العربية لجان كاتنينو ترجمة صالح القرمادى — تونس ١٩٦٦ م .
- * دلالة الالفاظ للدكتور ابراهيم انيس . الأنجلو المصرية ١٩٥٨ م .
- * دور الكلمة في اللغة لاستيفن اولمان ترجمة الدكتور كمال بشر ١٩٦٢ م .
- * ديوان الأديب للفارابى بتحقيق الدكتور احمد مختار عمر ط البيئسة المصرية العامة ١٩٧٤ م .
- * ديوان صفى الدين الحلى . المطبعة العلمية ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م .
- * سر صناعة الاعراب لابن جنى . الجزء الأول ط ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٤ م ومخطوط مكتبة الأزهر (١١٦ لغة) ودار الكتب المصرية ٥٨١٦ هـ .
- * السيرة النبوية لابن هشام ط الثالثة ١٩٧٨ م .
- * شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك مع حاشية الشيخ محمد الخضرى المطبعة الأزهرية . ١٣٥٠ هـ — ١٩٣٢ م .
- * شرح التصريح للشيخ خالد الأزهرى . ط دار احياء الكتب العربية . المطبعة الأزهرية ١٣٢٥ هـ .
- * شرح الشافعية للرضى ط صبيح ١٣٤٥ هـ وط حجازى بتحقيق الأستاذ محمد نور الحسن وآخرين ولعبد الله الحسينى ، والفاضل العصام ط . ١ . احياء الكتب العربية .

- * شرح شذور الذهب لابن هشام . ط صبيح ١٣٨٠ هـ — ١٩٦١ م .
- * شرح المفصل لابن يعيش . ط المنيرية .
- * الشعر والشعراء لابن قتيبة . تحقيق الأستاذ أحمد شاکر . ط دار المعارف ١٩٨٢ م .
- * صاحبی لابن فارس . المؤيد ١٣٢٨ هـ — ١٩١٠ م وط بيروت ١٣٨٢ هـ — ١٩٦٤ م .
- * صبح الاعشى فی صناعة الانشا لابی العباس أحمد القلقشندي .
- الامرية ١٣٣١ هـ — ١٩١٠ م .
- * صحيح مسلم يشرح النووی . المطبعة العصرية . ١٣٤٧ هـ — ١٩٢٩ م .
- * صفة جزيرة العرب للهمدانی . لندن ١٨٨٤ م .
- * الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر للسيد محمود شكرى الالوسى . ط السلفية ١٣٤١ هـ .
- * طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي . دار المعارف ١٣٧١ هـ — ١٩٥٢ م .
- * الطبقات الكبرى لابن سعد . بيروت ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٧ م .
- * العربية ولجاتها للدكتور عبد الرحمن أيوب . مطابع سجل العرب ١٩٦٨ م .
- * العقد الفريد لابن عبد ربه ط ١٢٩٣ هـ القاهرة .
- * علم الأصوات عند سيبويه . أ. شادة . لندن ١٩١١ م .
- A. Schade : Sibwaihī's Lautiehre Leiden, 1911 .
- * علم اللغة للدكتور على عبد الواحد وافي . ط السلفية ١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م ونهضة مصر ١٣٨٢ هـ — ١٩٦٢ م .
- * علم اللغة بين القديم والحديث للدكتور عبد الغفار هلال . مطبعة الجبلاوى ط الثالثة ١٤٠٩ هـ — ١٩٨٩ م .
- * العين للخليل بن أحمد الفراهيدي الجزء الأول الى الثامن ط بغداد ١٩٦٧ م — ١٩٨٥ م .

- * فتح الباري بشرح صحيح الامام البخارى لابن حجر . نشر: رئاسة
ادارات البحوث العلمية والانتاء بالملكة العربية السعودية .
- * فتوح البلدان للبلاذرى تحقيق صلاح الدين المنجد . ط النهضة
المصرية ١٩٥٦ م .
- * فصول في علم اللغة العام لفريديناند دى سوسير — ترجمة الدكتور
أحمد نعيم الكراعين . المطبعة العصرية . الاسكندرية ١٩٨٥ م .
- * فعل وأفعال للأصمعى تحقيق الأستاذ عبد الكريم الغريباوى ط لجنة
تحقيق التراث ببغداد .
- * الفائق في غريب الحديث والاثر للزمخشري ط حيدر آباد ١٣٢٤ هـ —
١٩٢٥ م .
- * فقه اللغة للدكتور ابراهيم نجا . السعادة ج ٣ — ١٩٦٥ م ، ج ٤ —
١٩٦١ وطبعة أخرى جديدة .
- * فقه اللغة للدكتور عبد الله العزازى . دار الطباعة المحمدية
١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م .
- * فقه اللغة للدكتور على عبد الواحد وائى . لجنة البيان العربى
١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م ، ١٣٨١ هـ — ١٩٦٢ م .
- * فقه اللغة للدكتور محمد المبارك . ط جامعة دمشق ١٣٧٩ هـ —
١٩٦٠ م .
- * فقه اللغة وسر العربية لأبى منصور الثعالبى ط . الطبى ١٣٩٢ هـ .
- * الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية للأستاذ جورجى زيدان . دار
الهلل ١٩٢٣ م .
- * فى أصول اللغة (مجموعة القرارات التى أصدرها المجمع اللغوى
عن الدورة التاسعة والعشرين الى الدورة الرابعة والثلاثين فى
أقيسة اللغة وأوضاعها العامة) ط ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٩ م .
- * فى اللهجات العربية للدكتور ابراهيم أنيس (ط ٢) لجنة البيان
العربى ١٩٥٢ م ، (ط ٣) المطبعة الفنية الحديثة ١٩٦٥ .

- * القاموس المحيط بـ بولاق ١٢٨٩ هـ ، والحسينية ١٣٣٠ هـ ، والسعادة ١٣٣٢ هـ — ١٩١٣ م .
- * القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث للدكتور عبد الصبور شاهين . دار القلم ١٩٦٦ م .
- * القراءات وصلاتها باللهجات العربية . للدكتور عبد الغفار هلال . بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بالرياض . العدد الثاني عشر .
- * القلب والابدال ليعقوب بن السكيت . القاهرة ١٣٩٨ — ١٩٧٨ م .
- * قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان للقلقشندى بتحقيق ابراهيم الابيارى ط دار الكتب الحديثة ١٩٦٣ م .
- * الكامل في اللغة والأدب للمبرد . مطبعة الاستقامة ١٣٦٥ هـ .
- * الكتاب لسيويه . ط بولاق ١٩١٦ م ، ١٩١٧ م ، وتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ط دار القلم ودار الكاتب العربى .
- * كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد بتحقيق الدكتور شوقي ضيف ط دار المعارف ١٩٨٠ م .
- * كنز المعانى شرح حرز الأمانى (الشاطبية) المشهور باسم شرح شعبة لأبى عبد الله الموصلى . ط دار التأليف . بالقاهرة .
- * اللسان والانسان للدكتور حسن ظاظا . ط دار المعارف ١٩٧١ م .
- * لسان العرب لابن منظور . ط بولاق ١٣٠٠ هـ — ١٣٠٧ هـ ، ط بيروت ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م .
- * لغات البشر لـ « ماريوباي » ترجمة الدكتور صلاح العربى . نشر الجامعة الأمريكية بالقاهرة .
- * اللغات في القرآن لاسماعيل بن عمر المقرئ . حققه الأستاذ صلاح الدين المنجد . ط الرسالة ١٩٤٦ ، ودار الكتاب الجديد ١٣٦٨ هـ — ١٩٧٨ م .
- * اللغة للأستاذ فندريس تعريب الأستاذين عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص . لجنة البيان العربى ١٣٧٠ هـ — ١٩٥٠ م .
- * اللغة بين الفرد والمجتمع (جيسبرسن) ترجمة الدكتور عبد الرحمن ايوب . الأنجلو المصرية — ١٩٥٤ م .

- * اللغة الشاعرة للأستاذ عباس العقاد . مطبعة مخيم ١٩٦٠ م .
- * لغة تميم للدكتور ضاحى عبد الباقي ط ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م .
- * اللغة العربية خصائصها وسماتها للدكتور عبد الغفار هلال مطبعة الحضارة ١٩٧٦ م .
- * اللغة العربية كائن حي للأستاذ جورجى زيدان . دار الهلال .
- * اللغة والمجتمع للدكتور محمود السمران ط ٢ دار المعارف . بالاسكندرية ١٩٦٣ م .
- * اللغة والمجتمع للدكتور وائى . دار احياء الكتب العربية ١٣٦٤ هـ — ١٩٤٥ م .
- * اللغة والنحو بين القديم والحديث للأستاذ عباس حسن . دار المعارف ١٩٦٦ م .
- * اللهجات العربية للدكتور ابراهيم نجا . ط السعادة .
- * اللهجات العربية فى التراث للدكتور أحمد علم الدين الجندى ط ١٩٧٨ م . الدار العربية للكتاب .
- * اللهجات العربية فى القراءات القرآنية للدكتور عبده الراجحى . دار المعارف ١٩٦٩ م .
- * ليس فى كلام العرب لابن خالويه . الطبعة الأولى بالمطبعة المحمودية التجارية .
- * مجالس ثعلب لأبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب . تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ط . القاهرة دار المعارف ١٩٦٠ .
- * مجمع الأمثال للميدانى . السعادة ١٣٧٩ هـ — ١٩٥٩ م .
- * محاضرات فى فقه اللغة القاها أستاذنا الدكتور محمد قناوى على طلبة الصف الثالث بكلية اللغة العربية عام ١٩٦٣ م .
- * محاضرات فى اللهجات وأسلوب دراستها للدكتور أنيس فريحة ١٩٥٥ م .
- * المحتسب لابن جنى . دار التحرير ١٩٨٦ هـ ، ١٣٨٩ هـ .
- * المحكم والمحيط الأعظم فى اللغة لابن سيدة ط مصطفى الحلبى ١٣٧٧ هـ — ١٩٥٨ م وما بعدها .

- * مختصر شواذ القرآن لابن خالويه . نشرة المستشرق برجستراسر - ط القاهرة ١٩٣٤ م .
- * المخصص لابن سيدة ط الأميرية ببولاق ١٣٢٠ هـ ، ط بيروت .
- * المزهرة للسيوطي . ط الأولى . المطبعة السننية ١٢٨٢ هـ ، ط صبيح .
- * مستقبل اللغة العربية المشتركة - للدكتور ابراهيم أنيس . القاهرة - ١٩٦٠ م .
- * مسند الامام أحمد . ط بيروت ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- * المصباح المنير للفيومي بتحقيق الدكتور عبد العظيم الشنناوى . ط دار المعارف .
- * المعاجم اللغوية للدكتور نجا . ط السعادة ١٣٨١ هـ - ١٩٦٤ م .
- * المصطلحات العلمية والفنية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة .
- * معانى القرآن للأخفش الأوسط . تحقيق د. عيد الأمير محمد أمين ط الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- * معانى القرآن للفراء بتحقيق الأستاذين محمد على النجار وأحمد يوسف نجاشي ط . دار الكتب المصرية ١٩٥٥ م والنسخة المصورة عنها بيروت ١٩٨٠ م .
- * معانى القرآن واعرابه للزجاج بتحقيق الدكتور عبد الجليل شلبي ط ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .
- * معجم قبائل العرب للأستاذ رضا كحاله ط مؤسسة الرسالة ١٩٨٥ م .
- * معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع للبكري تحقيق الأستاذ مصطفى السقا . القاهرة ١٩٤٥ وما بعدها .
- * معجمات عربية سامية للأب مرمرجي الدومنيكي . مطبعة المرسلين اللبنانيين ١٩٥٠ م .
- * المغازى للواقدي بتحقيق جونس ط طهران المصورة عن طبعة جامعة اكسفورد . لندن ١٩٦٦ م .
- * المغنى في تصريف الأفعال للدكتور محمد عضية . ط العهد الجديد ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م .

- * مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب لابن هشام . المطبعة الازهرية
١٣٤٧ هـ — ١٩٢٨ م وط المدنى بتحقيق الشيخ محمد محيى الدين
عبد الحميد .
- * مفاتيح الغيب وبهامشه تفسير أبى السعود . المطبعة الخيرية
١٣٠٧ هـ .
- * المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصنهائى . ط مصطفى الحلبي
١٣٨١ هـ — ١٩٦١ م .
- * المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام للأستاذ جواد على ط بيروت
١٩٦٨ م .
- * مقاييس اللغة لابن فارس . تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون . دار
احياء الكتب العربية ١٣٦٦ هـ .
- * المقتضب للمبرد بتحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة . ط المجلس
الاعلى للشئون الاسلامية ١٣٨٨ هـ (١٩٦٣ — ١٩٦٨ م) .
- * المقدمة لابن خلدون . القاهرة ١٣٢٧ هـ .
- * مقدمة لدرس لغة العرب للأستاذ عبد الله العنلايلى . المطبعة
العصرية .
- * مقدمة لدراسة فقه اللغة للدكتور محمد أحمد أبو الفرج . ط بيروت
١٩٦٦ م .
- * الممتع فى التصريف لابن عصفور الاشبيلي . تحقيق الدكتور نحر
الدين قباوة ط ٤ بيروت ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م .
- * مميزات لغات العرب للأستاذ حفى ناصف . السعادة ١٣٣٠ هـ
ط الثانية .
- * من أسرار اللغة للدكتور ابراهيم انيس . الأنجلو المصرية ط الثالثة
١٩٦٦ م .
- * مناهج البحث فى اللغة للدكتور تمام حسان . ط الرسالة ١٣٧٤ هـ —
١٩٥٥ م .

- * المنصف لابن جنى . ط مصطفى الحلبي ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م .
- * من لغات العرب لغة هذيل للدكتور عبد الجواد الطيب ط ١٩٨٥ م .
- * منهج السالك الى ألفية ابن مالك (الأشموني) بحاشية الصبان ومعه شرح الشواهد للعيني . ط دار احياء الكتب العربية .
- * النشر في القراءات العشر لابن الجزرى . ط مصطفى الحلبي بتحقيق الشيخ الضباع .
- * موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية للدكتور أحمد شلبي ط النهضة المصرية ١٩٧٧ م .
- * مؤطا الامام مالك . ط الثالثة بتحقيق الأستاذ عبد الوهّاب عبد اللطيف . نشر المجلس الأعلى للثئون الاسلامية . القاهرة ١٤٠٧ هـ — ١٩٨٧ م .
- * نهاية الأرب لأبى العباس أحمد القلقشندي . العربية للطباعة والنشر ١٣٧٨ هـ — ١٩٥٩ م .
- * النهاية فى غريب الحديث والأثر لأبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى بن الأثير بتحقيق الأستانين طاهر الزاوى ومحمود الطناحى ط . الأولى عيسى الحلبي ١٣٨٣ هـ — ١٩٦٣ م .
- * القوادى لأبى زيد الأنصارى . بيروت ١٨٩٤ م .
- * مع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطى . ط السعادة ١٣٢٧ هـ .
- * الوجيز فى فقه اللغة للأستاذ محمد الأنطاكى . ط بيروت ١٩٦٩ م .

مراجع أجنبية :

- * An outline of English phonetics by Daniel Jones. Cambridge university Press .

محتوى الكتاب

صفحة	
٥	المقدمة
٣٧ — ٢٩	الباب الأول
	الكلام والقول واللغة واللهجة
	والصلة بينها
٢٣ — ١١	الكلام والقول
	الكلام ١٢ — القول ١٥ — مقارنة بين الكلام
	والقول ١٧ .
٣٧ — ٢٤	اللغة واللهجة
	اللغة : ٢٤ — تاريخها ٢٤ — اشتقاقها
	وتصريفها ٢٦ — معنى اللغة ٢٩ — اللهجة ٣٢ —
	اشتقاقها ٣٢ — معناها ٣٣ — ما يرجع اليه الاختلاف
	الصوتى ٣٥ — متى تصبح اللهجة لغة ٣٦ —
	عوامل استقلال اللهجة ٣٦ .
٧٠ — ٣٩	الباب الثانى
	انقسام اللغة وتكون اللهجات
٥١ — ٤١	عوامل انقسام اللغة الى لهجات
	اختلاف البيئات الجغرافية ٤١ — تنوع الظروف
	الاجتماعية ٤١ — الاتصال البشرى وآثاره ٤٣ —
	تطبيق تلك العوامل على العربية ٤٥ — العامل
	الاجتماعى والثقافى والجغرافى ٤٥ — الاتصال
	البشرى بين العرب وغيرهم ٤٦ — اختلاط القبائل
	وأثره فى اللهجات ٤٨ .
٧٠ — ٥٢	تركيب اللغات
	التداخل فى الأبنية ٥٢ — (ا) تفسير التداخل فى
	أبنية الأنواع ٥٤ — (ب) تفسير التداخل فى أبنية
	الأسماء ٥٩ — (ج) التداخل فى الألفاظ ٦٧

صفحة
٧١ — ١٠٢

الباب الثالث

التوحد اللغوى والعربية الباقية

التوحد اللغوى بين اللهجات ٧٣ — ٨٠

عوامل التوحد اللغوى ٧٤ — العامل السياسى ٧٥
— العامل الاجتماعى والاقتصادى ٧٦ — العامل
الادبى ٧٦ — وسائل الاعلام ٧٧ — المدن الكبرى ٧٨
— الدين والعلم والثقافة والخدمة العسكرية ٧٩ .

العربية الباقية ٨١ — ١٠٢

اولية العربية الباقية ٧٢

عوامل توحد اللهجات وتفوق القرشية ٨٣

(١) النفوذ الدينى ٨٣ — (٢) النفوذ التجارى ٨٣
(٣) النفوذ السياسى ٨٥ — (٤) النفوذ اللغوى ٨٥
القول بسيادة القرشية ٨٥ — رأى المعارضين لهذا
القول ومناقشته ٨٩ — رأى أحمد بن فارس فى
تفوق القرشية واسبابه ٩٦ .

١٠٣ — ٤١٠

الباب الرابع

اختلاف اللهجات العربية ومظاهره

آثار اللهجات العربية ودراستها ١٠٥ — ١١٥

تاريخ الاختلاف اللهجى وطبيعته ١٠٥ — كتب
اللهجات ومطائنها ١٠٨ — اهتمام العلماء باللهجات
وموقفهم منها والاحتجاج بها ١٠٨ — ظهور اللهجات
فى كتب ابن جنى ١١٣ .

مظاهر اختلاف اللهجات ١١٦ — ٣٨٧

الجانب الصوتى والجانب الدلالى ١١٦ — انفراد
العربى بما لم يسمع من غيره ١١٧ .

١٢٠ — ٣١٣

الفصل الأول

الابدال واثره فى اللهجات

تعريفه ١٢٠ — انواعه ١٢٠ — اثره اللغوى ١٢١

آراء العلماء في الابدال صفحة
١٢٣ — ١٤٤

رأى ابن جنى : الحكم بالابدال أو باختلاف اللهجات
ومقياس ابن جنى في ذلك ومناقشته ١٢٣ — موقف
العلماء من هذا الرأي ١٣٢ — المتابعون لابن جنى :
ابن سيدة وابن يعيش ١٣٢ — والدكتور ابراهيم
أنيس ١٣٥ — رأى فريق آخر : الحكم باختلاف
اللهجات : رأى أبى الطيب اللغوى ١٣٩ — ابن
السكيت ١٣٩ — والبطلانيوسى ١٤٠ — وابن خالويه
وأبى على القالى ١٤١ — رأى المتابعين لهذا رأى
من المحدثين ١٤١ .

اسباب الابدال ١٤٤ — ١٦١

أولا : اختلاف اللهجات ١٤٤

ثانيا : التطور الصوتى ١٤٥

(١) أعضاء النطق ١٤٦ — اختلاف أعضاء النطق
باختلاف الشعوب ١٤٦ — تطور أعضاء النطق ١٤٧
— عيوب أعضاء النطق ١٤٨ — (ب) المكان
والزمان ١٤٩ — (ج) الحياة الاجتماعية ١٥٠ —
(١) العزلة والاختلاط الاجتماعى ١٥٠ (٢) الثقافة
والحضارة ١٥١ (٣) أحوال النفسية ١٥٢ —
(٤) عوامل اجتماعية أخرى ١٥٢ .

ثالثا : دواع لغوية ١٥٣

(١) تفاعل الأصوات : (أ) المماثلة ١٥٣ —
(ب) المخالفة ١٥٤ — (ح) التناوب بين الأصوات
١٥٥ — (٢) الاشتقاق ١٥٦ — (٣) تغير المعنى
١٥٦ — التصحيف والتحريف ١٥٧ — صنع الألفاظ
واختلافها ١٥٩ .

أولا : الابدال في الحروف ١٦٢ — ٢٨٧

الكشكشة ١٦٢ — الكسكة ١٦٤ — الشنشنة
١٦٦ — العنقة ١٦٨ — الفحفة ١٧١ — العجعة
١٧٦ — الوتم ١٨١ — الاستنطاء ١٨٥ —
الطممانية ١٨٨ .

الامالة والفتح ١٩٤ — ٢٠٩

تعريف الامالة ١٩٤ — ألوان من الامالة اضافها
ابن جنى (الفتحة المالة نحو الضمة ١٩٤ — الكسرة

صفحة

المشوية بالضممة ١٩٥ — الضمة المشوية بالكسرة
 (١٩٦) — الأسرار اللغوية الباعثة على حدوث
 الإمالة ١٩٧ — أسباب الإمالة في كتب النحو واللغة
 ١٩٨ — أسباب إمالة الألف ١٩٨ — أسباب إمالة
 الفتحة ٢٠٠ — تفسير المحدثين للإمالة والفتح
 ونسبتهما إلى القبائل العربية ٢٠٠ .

الهمز والتسهيل ٢١٠ — ٢٣٧

الفروق بين الهمزة وحروف العلة ٢١٠ — نظرات
 المحدثين إلى حوادث الإبدال بين الهمزة وحروف
 العلة ٢١١ — رأى هنرى فليش في تفسير هذه
 الأحداث ٢١١ — مناقشة هذا الرأى ٢١٢ — رأى
 الدكتور شاهين ومحاويلته تفسير المشكلة برأى
 جديد ٢١٣ — نظراتنا حول هذا الرأى ٢١٧ —
 موازنة بين موقفى القدامى والمحدثين من حروف
 العلة ٢١٩ .

تفسير الهمز وقبائله ٢٢٣ — ٢٣٧

إبدال الهمزة من حروف العلة : أمثلتها ٢٢٣ —
 تقسيم القدماء للهمز وتفسير الشاذ منه ٢٢٤ .

إبدال حروف العلة من الهمزة ٢٢٧ — ٢٣٣

إبدال الواو ٢٢٧ — إبدال الألف ٢٢٨ — إبدال الياء
 ٢٣٠ — تفسير القدماء والمحدثين لهذا الإبدال ٢٣١

إبدال حروف العلة بعضها من بعض ٢٣٣ — ٢٣٧

إبدال الواو من الألف والياء ٢٢٣ — (أ) من الألف
 ٢٣٣ — (ب) من الياء ٢٣٤ — إبدال الألف من
 الياء والواو ٢٣٤ .

صفحة

التبادل بين الياء والواو (المعاقبة) ٢٣٨ — ٢٤٩.

تعريفها ٢٣٨. — شروط تحققها ٢٣٨ — مواضعها

٢٤٠. — رأى اللغويين فيها ٢٤١ — تفسير بعض

اللغويين القدامى للتعاقب ٢٤٦ .

التبادل بين حروف العلة والصوامت ٢٥٠ — ٢٨٧

التبادل بين الألف والعين ٢٥٠ — والنون ٢٥١.

والهاء ٢٥١ — التبادل بين الواو والباء ٢٥٣ —

والتاء ٢٥٤ — والميم ٢٥٧ — والهاء ٢٥٩ .

التبادل بين الياء والباء ٢٦١ — والتاء ٢٦٧ —

والتاء ٢٦٩ — والجيم ٢٦٩ — والدال ٢٧٢ والراء

٢٧٣ — والصاد ٢٧٨ — والضاد ٢٧٨ — والعين

٢٧٩ — والكاف ٢٧٩ — واللام ٢٨٠ — والميم ٢٨٠

— والنون ٢٨٢ — والهاء ٢٨٣ .

ملاحظات لغوية ٢٨٦

ثانيا : الأبدال في الحركات ٢٨٨ — ٣١٣

الوكم ٢٨٨ — الوهم ٢٨٩ — تظلة بهراء (تعريفها

— آراء العلماء فيها — قبائليا) ٢٩٠ .

التخفيف في بعض اللهجات ٢٩٥

أولا : بالاتباع : فاء فعيل وفعل ٢٩٥ — صور من

الاتباع : الاتباع في (الحمد لله) ٢٩٧ — الاتباع في

(للملائكة اسجدوا) ٢٩٩ .

ثانيا : بالاسكان أو حذف الصوامت واجتماع التغير

والحذف ٣٠٠ — تسكين شين عشرة حال التركيب

٣٠٤ — الضميران هو وهى ٣٠٧ — السكون

والحركة في الصوامت الحلقية ٣٠٩ .

صفحة
٣١٤ — ٣٥٣

الفصل الثانى

التغيير فى بعض الصيغ اللغوية

وتعدد الأوجه النحوية

إبدال الياء ألفا فى بعض الأفعال الثلاثية ٣١٤ —
قلب ألف المقصور ياء ٣١٧ — تصحيح اسم المفعول
من الثلاثى الأجوف ٣٢٠ — بعض الأسماء
المقصورة والمحدودة ٣٢٢ — كلا وكلتا ٣٢٣ — هيات
٣٢٦ — هلم ٣٢٩ — الحاق الفعل علامة التثنية
والجمع ٣٣٠ — فعال للمؤنث ٣٣٥ — الاسم
الموصول ٣٣٦ — اعراب المثنى ٣٣٩ — ما الحجازية
والقيمية ٣٤١ (عملها ٣٤١ زيادة الباء فى خبرها ٣٤٢
زيادة من مع اسمها ٣٤٣) — الوقف على تاء
التأنيث ٣٤٣ — مطابقة المصدر لموصوفه ٣٤٦ —
لهجات يلفقها النحاة ٣٤٩ — قبل وبعد ٣٤٩ —
(لا) النافية للجنس ٣٥١ .

٣٥٤ — ٣٧١

الفصل الثالث

الفك والادغام

الفك والادغام فى الفعل الثلاثى المضعف ٣٥٤ —
صيغة افتعل ٣٦٥ — تقاعل وتتعلم ٣٦٨ —
التفسير اللغوى للفك والادغام ٣٧٠ .

٣٧٢ — ٣٨٧

الفصل الرابع

نقص بعض الحروف وزيادتها

حذف نون (من) ٣٧٢ — حذف ألف (على) الجار
ولامها ٣٧٣ — اللخلخالية ٣٧٣ — القطعة ٣٧٤ —
فعل وافتعل ٣٧٧ — فعل وافتعل ٣٨٥ — ضمير
الخطاب ٣٨٦ .

صفحة
٣٨٨ — ٤١٠

الفصل الخامس الدرس اللهجي الحديث

أهمية دراسة اللهجات ٣٨٨ — دراسة الفصحى
عند الغربيين ٣٨٨ — أسباب الاهتمام بالفصحى
٣٨٩ بتظهور الاتجاه لدراسة اللهجات ووسائل
دراستها ٣٩٠ — التوحيد والانقسام في اللغة
وأسبابه ٣٩١ — أنواع اللهجات ٣٩٢ — تكوين لغة
عالية ٣٩٤ — دراسة اللغة عند المحدثين ٣٩٥ .
الأطلس اللغوي : بيان الحدود الجغرافية للغات
٣٩٦ — رسم خط جغرافي للهجات ٣٩٧ —
تاريخ ظهور الأطلس اللغوي ٤٠٠ — موضوع
الأطلس اللغوي ٤٠١ — طريقة ونكر ٤٠٣ —
طريقة جيلرون ٤٠٣ — شروط الراوي والمسجل
اللغويين ٤٠٤ — أسس الأطلس اللغوي ونتائجه
٤٠٤ — ما يجب مراعاته في دراسة اللهجة ٤٠٦ —
تطبيق ذلك في دراسة العربية الفصحى
ولهجاتها ٤٠٧ .

نهاية وخاتمة	٤١١
أهم المصادر	٤١٤
محتوى الكتاب	٤٢٥

رقم الايداع بدار الكتب ٢٢٣٣/١٩٩٠

